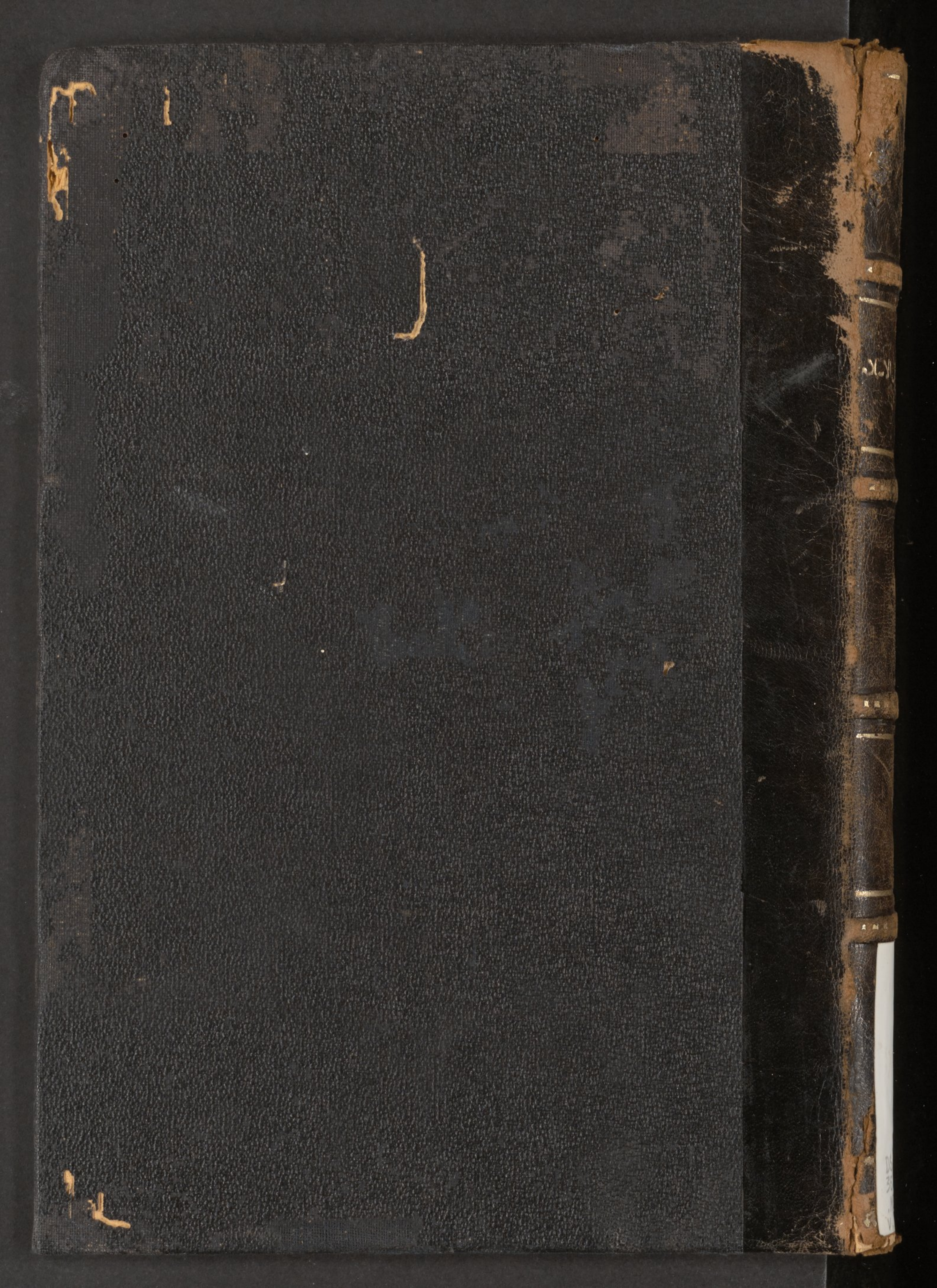
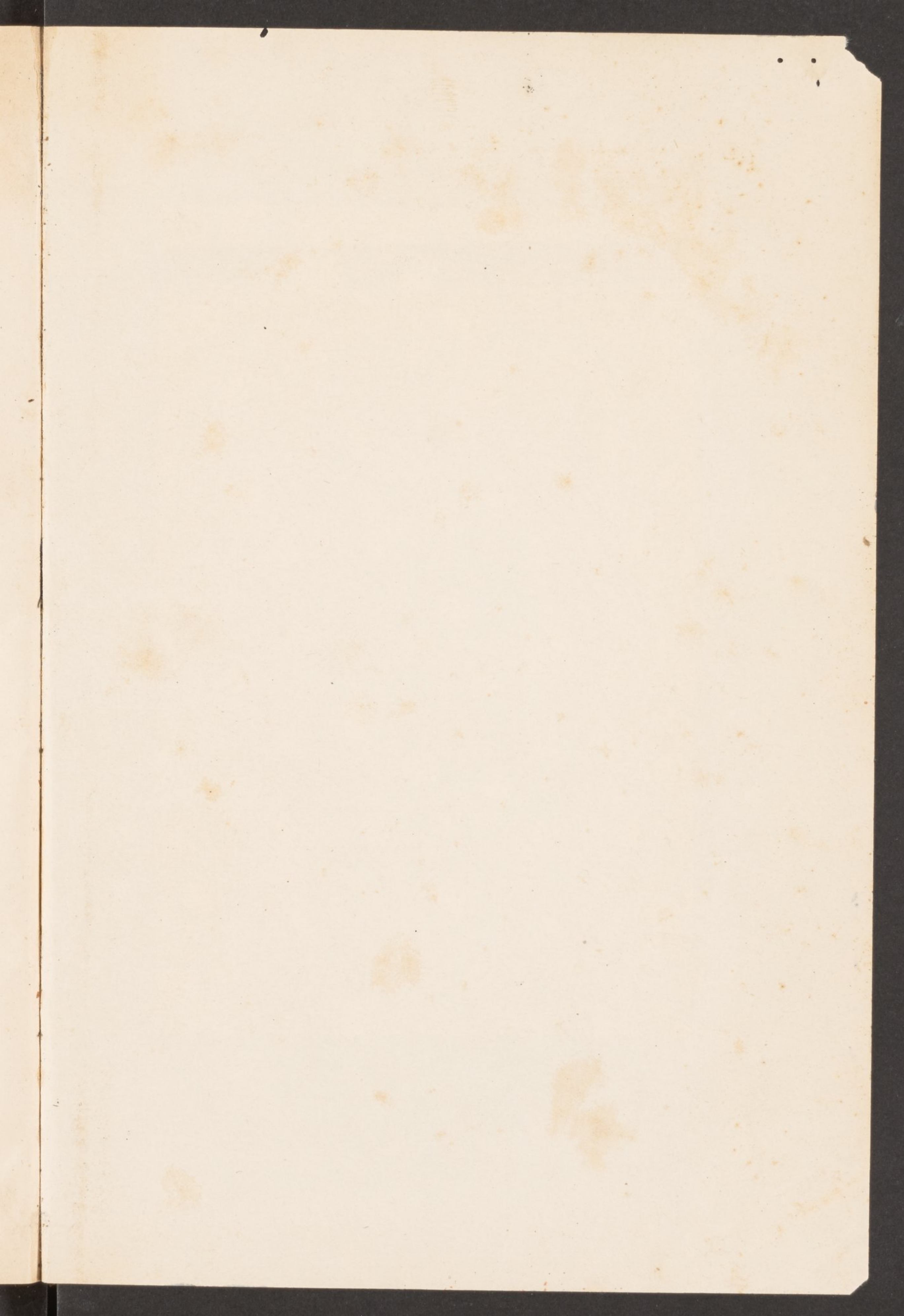










تاريخ دول الاسلام

تأليف

رزق الله منقريوس الصدفي

سكرتير شركة الخواجات تيمسنوكلي بني و بشرى حنا

المقاولين بالمنيا

الجزء الاوّل

من ورّخ مؤمنا فكأنما احياه (حديث)

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م

اهداء الكتاب



لجناب الوجيه الخواجا بشرى حنا ميخائيل

اهداء الكتاب

جرت عادة الكتاب ان يهدوا كتبهم لذوي الحيثيات اقرارا بفضلهم وهي طريقة مستحسنة لحفظ ذكر من يجب على ابناء الوطن حفظ ذكرهم لحسن خدمتهم للوطن بمالهم وجاههم وعلى هذا المبداء وجب علي اهداء كتابي لجنابكم . ولكن شتان بين اهدائي واهدائهم لان كتابي هذا هو منكم واليكم لانه لولا تنشيطكم اياي ومساعدتكم لي لما امكنني ان اخرج الكتاب من حيز الفكر الى حيز الوجود فلا فضل لي اذاً في ذلك . ولذا جعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك والاقرار بالتقصير عما يجب لك براً اتوصل به اليك فلا زال فضلكم منهلاً مورودا وحماكم من جميع الورى مقصوداً واتضرع الى المولى ان يطيل بقاءكم مخدوماً بايدي الاقدار معصوماً من عوادي الليل والنهار

رزق الله منقريوس



	نمر الفصول من	نمر الفصول الى	ابتداء ظهور الدولة بالتاريخ الهجري	ابتداء ظهور الدولة بالتاريخ المسيحي	اجزاء الكتاب
جغرافية بلاد العرب	١				الجزء الاول
اصل العرب و بعض صفاتهم	٢				»
ملوك العرب قبل الاسلام	٣				»
مبداء الاسلام	٤				»
الخلفاء الراشدون	٥	٩	١١	٦٣٢	»
الدولة الاموية بالمشرق	١٠	٢٤	٤١	٦٦١	»
« العباسية «	٢٥	٦٨	١٣٢	٧٥٠	»
« الاموية بالاندلس	٦٩	٨٩	١٣٩	٧٥٦	»
« الادريسية بمراكش	٩٠	١٠٠	١٧٢	٧٨٨	»
« الاغلبية بتونس	١٠١	١١٢	١٨٤	٨٠٠	»
« الطاهرية بخراسان	١١٣	١١٨	٢٠٥	٨٢٠	»
« العلوية بطبرستان	١١٩	١٢٣	٢٥٠	٨٦٤	»
« الصفارية بسجستان	١٢٤	١٢٩	٢٥٣	٨٦٧	»
« الطولونية بمصر	١٣٠	١٣٥	٢٥٤	٨٦٨	»
« السامانية بما وراء النهر	١٣٦	١٤٧	٢٦١	٨٧٤	»
« الفاطمية بافريقية	١٤٨	١٦٢	٢٩٧	٩٠٩	»
« المكناسية بمراكش	١٦٣	١٦٥	٣١١	٩٢٣	»
« الزبارية بجرجان	١٦٦	١٧٢	٣١٦	٩٢٨	»
دولة بني بويه بايران	١٧٣	١٨٨	٣٢١	٩٣٣	»
الدولة الاخشيدية بمصر	١٨٩	١٩٤	٣٢٣	٩٣٤	»
« الادريسية الثانية بمراكش	١٩٥	١٩٨	٣٢٣	٩٣٤	»
« السلارية باذربيجان	١٩٩	٢٠٤	٣٣٠	٩٤١	»
« الكلبية بصقلية	٢٠٥	٢١٥	٣٣٦	٩٤٧	»

	نمر الفصول من	الى	ابتداء ظهور الدولة بالتاريخ الهجري	ابتداء ظهور الدولة بالتاريخ المسيحي	اجزاء الكتاب
الدولة الشاهينية بالبطيحة	٢١٦	٢٢٣	٣٣٨	٩٤٩	الجزء الاول
« الحسينية بكردستان	٢٢٤	٢٢٨	٣٥٠	٩٦١	«
« الغزنوية بافغانستان والهند	٢٢٩	٢٤٤	٣٦٦	٩٧٦	الجزء الثاني
« الصنهاجية بتونس	٢٤٥	٢٥٣	٣٧٠	٩٨٠	«
« المروانية بديار بكر	٢٥٤	٢٥٩	٣٨٠	٩٩٠	«
« المغراوية بمراكش	٢٦٠	٢٦٧	٣٨١	٩٩١	«
« الايليكية بتركستان	٢٦٨	٢٧٤	٣٨٣	٩٩٣	«
« المرابطية بمراكش	٢٧٥	٢٨٣	٤٠٠	١٠٠٩	«
« المزيدية بالحلة	٢٨٤	٢٩٢	٤٠٣	١٠١٢	«
« الزيرية بغرناطة بالاندلس	٢٩٣	٢٩٨	٤٠٣	١٠١٢	«
« الحمودية بمالقة والجزيرة «	٢٩٩	٣٠٦	٤٠٦	١٠١٥	«
« الهودية بسرقسطة «	٣٠٧	٣١٣	٤١٠	١٠١٩	«
« العامرية ببلنسية ودانية ومرسية بالاندلس	٣١٤	٣٢١	٤١٢	١٠٢١	«
الدولة المرداسية بحلب	٣٢٢	٣٣١	٤١٤	١٠٢٣	«
« العبادية باشبيلية بالاندلس	٣٣٢	٣٣٥	٤١٤	١٠٢٣	«
دولة ابن الافطس ببطليوس «	٣٣٦	٣٣٩	٤٢١	١٠٣٠	«
الدولة الجهورية بقرطبة «	٣٤٠	٣٤٣	٤٢٢	١٠٣١	«
دولة بني ذى النون بطليطلة «	٣٤٤	٣٤٧	٤٢٧	١٠٣٥	«
الدولة السلجوقية بإيران	٣٤٨	٣٦٢	٤٢٩	١٠٣٧	«
« « ببلاد الروم (اسيا الصغرى)	٣٦٣	٣٧٩	٤٥٦	١٠٦٣	«
الدولة البورية بالشام	٣٨٠	٣٩١	٤٧١	١٠٧٨	«

	نمر الفصول		ابتداء ظهور الدولة بالتاريخ الهجري	ابتداء ظهور الدولة بالتاريخ المسيحي	اجزاء الكتاب
	من	الى			
الدولة الارتقية بماردين وديار بكر	٣٩٢	٤١٣	٤٨٣	١٠٩٠	الجزء الثاني
دولة الشاهات بارمنية	٤١٤	٤٢١	٥٠٢	١١٠٨	»
« الموحدين بمراكش	٤٢٢	٤٣٤	٥١٤	١١٢٠	»
الدولة الزنكية بالشام والجزيرة	٤٣٥	٤٤٤	٥٢١	١١٢٧	»
« الخوارزمية بايران	٤٤٥	٤٥١	٥٣٣	١١٣٨	»
« الغورية بافغانستان والهند	٤٥٢	٤٥٩	٥٤٣	١١٤٨	»
« الايوبية بمصر	٤٦٠	٤٧١	٥٦٧	١١٧١	»
دولة التتر (المغول) بايران	٤٧٢	٤٩٠	٥٩٩	١٢٠٢	»
الدولة الحفصية بتونس	٤٩١	٥٢١	٦٠٣	١٢٠٦	»
« المرينية بمراكش	٥٢٢	٥٥٠	٦١٠	١٢١٣	»
« النصرية الاحمرية بالاندلس	٥٥١	٥٦٤	٦٢٩	١٢٣١	الجزء الثالث
« الزيانية العبدوادية بالجزائر	٥٦٥	٥٧٤	٦٣٣	١٢٣٥	»
دولة المماليك بمصر والشام	٥٧٥	٦٣٠	٦٤٨	١٢٥٠	»
الدولة العلية العثمانية	٦٣١	٦٦٦	٦٨٧	١٢٨٨	»
« الوطاسية بمراكش	٦٦٧	٦٧٢	٨٧٦	١٤٧١	»
« الصفوية بايران	٦٧٣	٦٨٣	٩٠٥	١٤٩٩	»
« السعدية بمراكش	٦٨٤	٦٩٩	٩١٥	١٥٠٩	»
« الفيلالية «	٧٠٠	٧٢١	١٠٥٠	١٦٤٠	»
« الغلجائية بافغانستان	٧٢٢	٧٢٦	١١١٦	١٧٠٤	»
« الحسينية بتونس	٧٢٧	٧٤١	١١١٧	١٧٠٥	»
دولة نادر شاه بايران	٧٤٢		١١٤٩	١٧٣٦	»
الدولة العبدالية السدوزائية بافغانستان	٧٤٣	٧٥١	١١٦١	١٧٤٨	»
« الزندية بايران	٧٥٢	٧٥٨	١١٧٧	١٧٦٣	»

	نمر الفصول		ابتداء ظهور الدولة بالتاريخ الهجري	ابتداء ظهور الدولة بالتاريخ المسيحي	اجزاء الكتاب
	من	الى			
الدولة القاجارية بايران	٧٥٩	٧٦٤	١٢٠٢	١٧٨٨	الجزء الثالث
« المحمدية العلوية بمصر	٧٦٥	٧٧٢	١٢٢٠	١٨٠٥	«
« البارکزائية بافغانستان	٧٧٣	٧٧٩	١٢٦٠	١٨٤٤	«
« الدراويش بالسودان	٧٨٠	٧٨٣	١٢٩٧	١٨٨٠	«

والحروب الصليبية واخبار الصليبيين تفرقت في الكتاب في فصول ٥٤ و٥٦ و٥٩ و٦٠ و٦٢ في الجزء الاول وفصل ٤٧١ في الجزء الثاني وفصل ٦٣٠ في الجزء الثالث

وقد اجتنبت الاختصار المخل والاسهاب الممل على قدر الامكان ولي الثقة ان ينظر اخواننا المسلمون الى كتابي هذا نظر الاخلاص ويعتقدوا صدق نيتي و يعاملوني بحسن الظن . واتقدم الى علمائهم الكرام ومن هم احق مني بهذا المقام ان يتحفونا من نفثات اقلامهم ما هو اغزر مادة واجزل نفعاً

و لحسن حظ الكتاب واذا اراد الله امراً هيأ له الاسباب موافقة يوم تمامه تولية صاحب السعادة سعد باشا زغلول ناظراً لنظارة المعارف العمومية في ظل الحضرة الفخيمة الخديوية فتوسمت لذلك خيراً

وفي الختام اتوسل الى المولى سبحانه وتعالى ان يحفظ سمو خديوينا المعظم « عباس حلمي باشا الثاني » و يقر عينيه بانجاله الكرام ما طار طائر وغرّد حمام :

رزق الله منقريوس

المقدمة

التاريخ معرفة احوال الامم و بلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع اشخاصهم وانسابهم و وفياتهم الى غير ذلك . وموضوعه احوال الاشخاص الماضية . وفائدته العبرة بتلك الاحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلب الزمن ليحترز عن امثال ما نقل من المضار ويستجلب بنظائرها من المنافع

والاصل في معنى « التاريخ » التوقيت اي معرفة الوقت وتعيينه باعتبار اليوم والشهر والسنة ومرجعه الى التقويم . وللامم تقاويم مختلفة باختلاف الدول والاعصر يعبرون عنها بالحساب أو التاريخ فيقولون التاريخ الشمسي والهجري والاسرائيلي ويريدون النقطة التي تؤرخ منها تلك الامم . فالمسيحيون يؤرخون من ميلاد المسيح والمسلمون من الهجرة النبوية . واول من عين تاريخ الهجرة عمر بن الخطاب حين كتب اليه ابو موسى الاشعري يقول : يأتينا من قبل امير المؤمنين كتب لا ندري على ايها نعمل فقد وقفنا على صك محله شعبان فما ندري اي الشعبانين اهو الماضي ام القابل : وقيل رفع لعمر صك في محله شعبان فقال اي شعبان هذا أهو الذي نحن فيه أو الذي هو آتٍ : ثم جمع وجوه الصحابة وقال لهم : ان الاموال قد كثرت وما قسمناه غير مؤقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك : فقال الهرمزان (وهو ملك الاهواز وقد اسر عند فتوح فارس وحمل الى عمر واسلم على يديه) ان للعجم حساباً يسمونه ماه روز ويسندونه الى من غاب عليهم من الاكاسرة . فعربوا لفظة ماه روز بمؤرخ ومصدره التاريخ واستعملوه في وجوه التصريف . ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك . فقال لهم عمر ضعوا للناس تاريخاً يتعاملون عليه وتصير اوقاتهم فيما يتعاطونه من المعاملات مضبوطة . فقال لهم بعض من حضر من مسلمي اليهود : ان لنا حساباً مثله مسنداً للاسكندر : فما ارتضاه الآخرون لما فيه من التطويل

وقال قوم نكتب على تاريخ الفرس : قبل ان تواريخهم غير مسندة الى مبداء معين بل كلما قام منهم ملك ابتدؤا التاريخ من لدن قيامه وطرحوا ما قبله . فاتفقوا على ان يجعلوا تاريخ الاسلام من لدن هجرة النبي لان وقت الهجرة متفق عليه بخلاف وقت ولادته ووقت مبعثه

وعلم التاريخ من اجل العلوم قدراً وارفعها منزلة وذكراً وأنفعها عائدة وذخراً ولله درّ ابن الخطيب اذ يقول

وبعد فالتاريخ والاخبار فيه لنفس العاقل اعتبار
وفيه للمستبصر استبصار كيف اتي القوم وكيف صاروا
يجري على الحاضرحكم الغائب فيثبت الحق بسهم صائب
وينظر الدنيا بعين النبل ويترك الجهل لاهل الجهل

وقال آخر

ليس بانسان ولا عاقل من لا يعي التاريخ في صدره
ومن روى اخبار من قد مضي اضاف اعماراً الى عمره

وقال آخر

اذا عرف الانسان اخبار من مضى توهمته قد عاش من اول الدهر
وتحسبه قد عاش اخر دهره الى الحشران ابقى الجميل من الذكر
فكن عالماً اخبار من عاش وانقضى وكن ذا نوال واغتنم آخر العمر

وقد قسم بعضهم علم التاريخ الى خاص وعام والذي اراه أن التاريخ يكون عاماً أو خاصاً بالنسبة الى سواه فربما كان التاريخ الواحد عاماً بالنظر الى تأليف وخاصاً بالنظر الى تأليف آخر الاّ أن الخاص ينفرد بتاريخ الفرد والعام بتاريخ العالم فتاريخ كل دولة خاص لانه لم يحو غيرها وعام بالنسبة لافراد تلك الدولة وهكذا يقال في تاريخ كل قطر أو مملكة أو دول تجمعها جامعة واحدة كالدين مثلاً . فتاريخ الدول الاسلامية خاص لانه لم يحتو على باقي تواريخ العالم غير الاسلامية وعام لاحتوائه

على تواريخ دول مختلفة اللغة والجنس والمذهب

وكتب التاريخ في كل لغة كثيرة جداً لميل الطبع اليه بل هي اكثر من سائر المؤلفات ومع كثرتها في العربية حتى لا يقل عددها عن بضعة الاف فالمتداول منها قليل جداً بالنسبة لذلك العدد لضياع معظمها في اثناء الاجيال الاسلامية الوسطى وقلة عنايتنا بما بقي منها وتقاعدنا عن مطالعة هذا العلم مثل تقاعدنا عن سائر العلوم لاننا اخذنا قشور التمدن الحديث وتركنا اللب فنقضي اوقاتنا الثمينة فيما هو تافه ونترك النافع كأن على اعيننا غشاوة فلنا اعين ولا نبصر ولنا اذان ولا نسمع تتقدم الامم ونحن نتأخر هكذا قضي علينا

اما الاغلاط والاوهام التي تعرض للمؤرخين فاكثر من أن تحصى . وقد افرد لها ابن خلدون باباً في مقدمة كتابه الكبير فراجعه ان اردت . ولكنه حمل حملة منكرة في الباب المذكور على مؤرخي المشرق المسلمين لانهم ذكروا في تواريخهم من اسباب نكبة الرشيد للبرامكة مسألة جعفر والعباسة وعلل عدم امكان وقوع ذلك بقرب العباسة من عصر البداوة وعصر النبي (صلعم) ولكن العباسة كانت في عصر بلغت فيه المدنية مبلغاً بعيداً ولم تكن تعتقد ما اتته ذنباً واخوها الرشيد قد عقد عليها لجعفر عقداً شرعياً

ومما لاحظته وساءني كثيراً أن الذين انيط بهم تصحيح تاريخ ابن خلدون وطبعه لغويون لا تاريخيون لانهم اجتهدوا في تنقيح الالفاظ العربية فقط اما العبارات التاريخية فلم يلتفتوا اليها ودليلي على ذلك كثرة الاغلاط في اسماء الاعلام والسنين الموجودة في هذا الكتاب النفيس وتكرار لفظة « بياض بالاصل » مما يفسد المعنى في كثير من الاحيان فعسى ان يلتفتوا الى ذلك في الطبعة الثانية فيقابلوه على نسخة كاملة يستعينون بها على سد ذلك النقص ويعهدوا تصحيحه الى عارف بالتاريخ هذا ما عنَّ لي ان اكتبه في هذا الموضوع والله ولي التوفيق

١ — جغرافية بلاد العرب

شبه جزيرة العرب واقعة في الجزء الغربي من قارة اسيا يحدها شمالاً بلاد فلسطين وسوريا وشرقاً العراق والجزيرة وخليج العجم وجنوباً بحر الهند وغرباً بوغاز باب المندب والبحر الاحمر وبوغاز السويس وتقسم الى خمسة اقسام وهي (١) اليمن (٢) الحجاز (٣) تهامة (٤) نجد (٥) اليمامه · اما بلاد اليمن فتقسم الى خمسة اقسام · وهي حضرموت وشحر ومهرة وعمان ونجران · ومن مدنها صنعاء وعدن ونجران وزبيد وفرضة مخا المشهورة على شاطيء البحر الاحمر ومارب وغيرها

والحجاز هو ما يلي البحر الاحمر من تهامة وتسمى حجازاً لانه حاجز بين نجد وتهامة ومن مدنه مكة والمدينة وجدة وغيرها وفيه الطائف وهو اخصب اقليم في الحجاز كثير الفواكه والبساتين ويسكن في بلاد الحجاز عدة ولايات مستقلة لا تعيش في خيام كباقي عرب السهول بل لهم مدن وقرى مبنية بالحجارة ولهم حصون وقلاع يدافعون بها عن انفسهم · ومن هذه الولايات ولاية خيبر وهي على الشمال الشرقي من المدينة واهلها يهود

وتهامة واقعة على شاطيء البحر الاحمر بين اليمن جنوباً والحجاز شمالاً · ونجد واقعة شمال اليمن وجنوب الشام وغرب العراق وشرق الحجاز وارضها في غاية الخصب ويخرج منها كثير من الفواكه خصوصاً التمر وبها تربى الخيول الجميلة ومن مدنها رياض وايانا

واما اليمامة فهي بين نجد واليمن وتتصل بالبحرين شرقاً وبالحجاز غرباً وتسمى أيضاً العروض لاعتراضها بين اليمن ونجد · ومن محصولات بلاد العرب الحنطة والذره والمقوّة والشعير والقطن والبن والفلفل والسنامكي والبلسم والعود والمر والبخور والمن والتمر وهو اساس قوت اهل بلاد العرب وفيها من الحيوانات الاسد والضبع والنمر والذئب والوعل والجاموس والغزلان والحمير والقردة والجمال

والهجن والخيل . ومعادنها قليلة جـدًا وفي بعض الاماكن منها معادن نحاس وحديد ورصاص وفحم حجري وعقيق واللؤلؤ في خليج فارس

٣ — في اصل العرب وبعض صفاتهم

العرب من الامم العريقة في القدم يتصل نسبهم الى يقطان الى سام بن نوح وهم فرقتان بدو وحضر . اما البدو فهم سكان البراري والقفار الذين يعيشون على البان الأبل والغنم ولحومها و ينتقلون من مكان الى مكان في طلب المعاش

اما الحضر فهم سكان المدن والقرى ومن هؤلاء قامت دول وممالك شنت الغارات على مجاوريهم حتى تطاولوا على فراعنة مصر قبـل المسيح بنحو الفي سنة وانتصروا عليهم وتملكوا مصر الوسطى والسفلى زهاء ثلاثة قرون وكانوا يدعون بالملوك الرعاة وهذا من اقوى الادلة على قدميتهم وشدة بأسهم في ذلك الزمان وجميعهم ينقسمون الى اربعة اقسام متعاقبة

اولاً — العرب العاربة او البائدة ومنهم عاد وطسم وجـديس وغـيرهم وانقرضوا جميعاً ولم يبق من نسلهم احد على وجه البسيطة

ثانياً — العرب المستعربة وهم من ولد قحطان ومنهم التبابعة ملوك اليمن

ثالثاً — العرب التابعة للعرب المستعربة من ولد عدنان الذي هو من ذرية اسماعيل و يسمون عدنانية او اسماعيلية

رابعاً — العرب المستعجمة وهم عرب هذا العصر الذين فسدت لغتهم على تمادي الايام باختلاطهم مع الاجانب واندراس ما كان لهـم من السطوة في الجاهلية والاسلام وهم طوائف عديدة يسكنون الخيام و يجولون في البراري والقفار واشهرهم صخر وعنزة

ومن صفات العرب الشهامة والنجدة وحفظ العهود والافتخار بشـدة الباس وعلو الهمة والسخاء والكرم والضيافة للقريب والغريب والمحافظة على شرف

ناموسهم وعرضهم فكان عندهم الموت اسهل من العار والفضيحة حتى ادى بهم ذلك الى قتل البنات قبيل البلوغ تخلصاً من عار ربما لحق اهلهن بسببهن وهي بئست العادة . وكانوا كثيري المذاهب والاديان فمنهم موحدون وعبدة اصنام ومن اصنامهم اللات والعزي ومنهم من عبد عطارد والشمس والقمر وعبدوا غيرها من الكواكب والاشجار مما لا يدخل تحت حصر

وكان لهم شهرة فائقة في الفصاحة والبراعة ونظم الشعر وبهم تضرب الامثال الى وقتنا الحاضر ونبغ منهم من الشعراء جماعة كثيرة نطقوا بأفضل ما قيل من الاشعار العربية ومن اشهر اشعارهم المعلقات السبع التي اعتنوا بها اعتناء خصوصياً وكتبوها بماء الذهب وعلقوها على الكعبة

٣ — ملوك العرب قبل الاسلام

من اعظم دول العرب في الزمن القديم التبابعة ملوك اليمن واول من ملك منهم قحطان بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح وذلك قبل المسيح بنحو الفي سنة ثم ملك بعده ابنه يعرب وكان ملكاً شديد البأس حارب الحجاز وتغلب عليها واسر عدة من ملوكها وضرب عليها الخراج واقر اخاه جرهماً عاملاً عليها ورجع ظافراً منصوراً . وكان يعرب مغرماً بالبناء وهو اول من ابتدأ بعمارة المدن في اليمن وملك ثلاثاً وثلاثين سنة ومات وملك بعده ابنه يشجب ثم ابنه عبد شمس الملقب بسبا وكان ملكاً عظيماً محباً للحروب وشن الغارات واغار على بابل وافتتحها وغنم غنائم كثيرة حملها الى بلاد اليمن وفيه يقول الشاعر :

لقد ملك الافاق من حيث شرقها الى الغرب منها عبد شمس بن يشجب
سعى بالجياد الاعوجية والقنا الى بابل في مقنب بعد مقنب

وملك ٣٥ سنة وملك بعده عدة ملوك لا يعلم لهم اخبار ولا وقائع ومنهم شمر يرعش وهو اعظم ملوك هذه الدولة . جلس على سرير المملكة حوالي

سنة ٨٠٠ ق م وكان جبارًا قويًا محبًا لاقتحام المخاطر قصد بلاد الشرق في جيش مؤلف من ٣٠٠ الف مقاتل فدخل ارض العراق وتقدم طالباً بلاد الصين وجعل طريقه على بلاد فارس فتملكها وافتتح مدناً وحصوناً كثيرة ودخل مدينة السغد فهدمها وخربها فقيل لها بالفارسية شمر كند اي شمر اخربها . ثم بنيت ثانية و بقي عليها ذلك الاسم بعد تصرف قليل فسميت سمرقند وهي من المدائن المشهورة ووجدوا في بعض قصورها المتهدمة عمودًا مكتوبًا عليه بالحميرية هـذا ما بناه شمر يرعش لسيدة شمس

ولما استتب الامر لشمر يرعش في بلاد فارس سار توًّا الى بلاد الصين وسمع ملكها وقتئذ بقدومه فخاف جدًّا وحار في امره ولم يدر ما يخلصه من هذه الداهية وكان له وزير عاقل حكيم ذو تبصر في عاقبة الامور فقال له . هوّن عليك واعلم اني وهبتك وبلادي نفسي وأنا اتولى ارجاع هذا الجيش القادم عنك . فقال له افعل ما بدا لك . فجدع الوزير انف نفسه وشق ثيابه وسار قاصدًا جيش شمر يرعش وهو في تلك الحالة وكان على ست مراحل من المدينة . فوصل اليه واعلمه بنفسه وان ملكهم ظلوم غشوم وفعل بي ما ترى . فلما علمت بمجيئك حمدت المقادير التي ستخلصنا من هذا الملك وأنا الذي اقود جيوشك وعلى يدي يتم لك الفتح ان شاء الله فانخدع شمر يرعش لكلام ذلك الوزير وظنه صادقًا وأمر جيوشه باتباعه ليتم له بواسطته النصر المبين فقادهم الى فلوات مقفرة واراض موعرة وابعدهم عن طريق بلاده الى صحراء جرباء لا ماء فيها فمات كل ذلك الجيش عطشًا ومات شمر يرعش والوزير أيضًا . فخلص بنفسه بلاده كما تعهد لملكه . وكانت مدة حكم شمر يرعش ٣٧ سنة وبعد موته ملك بعده ابنه أبو مالك وبموته انتقل الملك الى ولد أخيه كهلان وتولى منهم جملة ملوك . ثم رجع الملك الى ذرية شمر يرعش وكان آخر ملوكهم سيف بن ذي يزن وكان ابوه ذهب يستنجد كسرى لاستخلاص بلاده من ايدي الحبشة الذين كانوا استولوا عليها من نحو ٧٠ سنة فوعده كسرى باجابة طلبه ولكنه لم يفعل الى ان مات بباب

كسرى وكان سيف مع أمه في حجر ابرهة العائل من قبل ملك الحبشة وهو يحسب انه ابنه ففي يوم ما سب ابن لابرهة سيفاً وسب اباه فسأل سيف أمه عن أبيه فقصت له امره وما كان من وعد كسرى له وعدم تنفيذ وعده . فلما علم سيف ذلك سار قاصداً بلاد الروم يستنجد ملكهم لقتال الحبشة فلم يتيسر له ذلك فعزم على الذهاب الى كسرى وسار من وقته قاصداً بلاد فارس حتى اذا رأى كسرى ماراً في موكبه اعترضه وقال : لي عندك حق وميراث : فأخذه كسرى وبعد انتهاء الموكب سأله : اي حق لك يا فتى واي ميراث تدعيه : فقال له : انا ابن الرجل اليماني الذي اتى يستنجدك في استخلاص بلادنا من ايدي الحبشة فوعدته ومات بابك ولم تتم له الوعد فوجب ذلك الوعد ميراثاً لي اطالبك به : فحنَّ له كسرى وقال : لكن بلادكم بعيدة عنا بعداً شاسعاً فضلاً عن وعورة المسالك فكيف اغرر بجيشي ومالي : فخرج سيف من لدنه وجعل ينثر ذهباً على الناس فعلم كسرى بذلك فاستحضره وقال له ما الذي دعاك ان تفعل ذلك قال لاني جئت استنجدك رجالاً لا مالاً وجبال بلادنا كلها ذهب وفضة فاعجب كسرى بقوله وقال يظن المسكين انه أعرف ببلاده مني واستشار وزراءه في تسيير الجند لانقاذ اليمن من ايدي الاحباش فقرَّ رأيهم على ارسال بعض المساجين وجمعوا له نحو ٨٠٠ مسجون بقيادة شخص يسمى وهرز فساروا بحراً حتى وصلوا اليمن فأمر وهرز بحرق المراكب التي احضرتهم لكي لا يطمع أحد في الرجوع وجمع سيف بن ذي يزن من عشيرته خلقاً كثيراً فحاربوا الاحباش واستخلصوا منهم البلاد وارسل وهرز الى كسرى ينبئه بما أوتيه من النصر وارسل اليه اموالاً وذخائر جمة فارسل اليه كسرى ان يملك سيف بن ذي يزن على البلاد وكان ذلك بعد المسيح بنحو خمسمائة وستين سنة

ومن ملوك العرب ملوك بني كنده الذين منهم امرؤ القيس الشاعر المشهور صاحب المعلقة التي يقول في مطلعها

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهي من افصح اقوال العرب واشتهرت شهرة هذا بمقدارها حتى صارت الامثال تضرب بها فيقال اشهر من قفا نبك .

ومن ملوك العرب أيضاً ملوك العراق الذين اولهم مالك بن فهم وكان منزله مما يلي الانبار ثم مات مالك فملك بعده اخوه عمرو بن فهم ثم مات وملك بعده جذيمة الابرش وكان جذيمة الابرش افضل ملوك العرب رأياً واثبتهم جأشاً واكثرهم شناً للغارات استجمع له الملك بارض العراق وضم اليه العرب وكان به برص فكنت عنه العرب فقيل الوضاح والابرش اكراماً له . وكان مسكنه الحيرة وهي بلدة قديمة على شاطىء البحر . وكان بينه وبين عمرو بن الظرب ملك الجزيرة ومشارف الشام عداوة عظيمة سببت بينهما حروباً دارت فيها الدائرة على عمرو بن الظرب فقتل فيها وملك بعد عمرو ابنته الزباء وتدعى نائلة وكانت عاقلة اديبة وعزمت مذ تبوأت تخت المملكة على اخذ ثار أبيها من جذيمة الابرش فعملت الفكرة في هلاكه فرأت ان تستعمل معه الحيلة بدلاً من الحرب فارسلت اليه تدعوه الى نفسها وملكها وقالت له انها لم تجد ملك النساء الا قبحاً في السماع وضعفاً في السلطان وانها لم تجد كفوءاً لها ولملكها غيره فلما وصل كتاب الزباء اليه وكان وقتئذٍ ببقة (بلدة على شاطىء الفرات) جمع اليه ثقاته واستشارهم فاجمع رأيهم على ان يذهب اليها و يستولي على ملكها وكان بينهم رجل يدعى قصير بن سعد فخالفهم في الرأي . وقال . رأي فاتر وعدو حاضر (فذهبت مثلاً) وقال لجذيمة . الرأي عندي ان تكتب اليها فان كانت صادقة تحضر اليك والا فلا تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت اباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير وقال له . ولكنك امرؤ رأيك في الكنّ لا في الضح (فذهبت مثلاً) ودعا جذيمة ابن اخته عمرو بن عدي واستخلفه على بلاده وسار في وجوه اصحابه واخذ معه قصيراً فلما نزلوا الفرضة قال لقصير ما الرأي . قال ببقة تركت الرأي (فذهبت مثلاً) فاستقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف . فقال يا قصير ما ترى . قال خطر يسير وخطب كبير (فذهبت مثلاً) وستلقاك الخيول فان سارت امامك فالمرأة صادقة وان اخذت

جنبيك واحاطت بك فان القوم غادرون فاركب العصا (وكانت فرساً لجذيمة لا تجارى) فاني راكبها ومسايرك عليها . فلقيته الكتائب وحالت بينه و بين العصا وغدروا به وقتلوه ومن معه ونجا قصير هارباً على متن العصا وقدم الى عمرو بن عدي واخبره بواقعة الحال وقال له استعد لاخذ الثار من الزباء . فقال كيف لي بها وهي امنع من عقاب الجو (فذهبت مثلاً) فاجاب قصير اني سأدبر لك الحيلة في اخذ ثارك من الزباء . فقال افعل ما بدالك فجدع قصير انفه وخرج كانه هارب حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرًا بالباب . فامرت به فادخل عليها فاذا انفه قد جدع فقالت . ما الذي أري بك يا قصير فقال . زعم عمرو اني غدرت بخاله وزينت له المسير اليك ففعل بي ما ترين فاقبلت اليك . فاكرمته ونال عندها منزلة عظمى ولما تحقق قصير منزلته عندها طلب منها ان ترسله الى الحجاز لاحضار امواله . وقال لها دعيني اذهب واحمل لك معي من طرائفها وصنوف ما يكون بها من التجارات فتصيبين ارباحاً واموالاً لاغنى للملوك عنها فارسلته وزودته بأموال كثيرة للمتاجرة فأتى عمرًا واخذ منه ضعف المال الذي معه واشترى به خزًا وديباجاً وزبرجدًا و ياقوتاً واتى به اليها فتمكن منها وصار عندها بمنزلة عظيمة فسلمته مفاتيح الخزائن وقالت له خذ ما احببت منها فأخذ جانباً عظيماً واتى عمرًا بها وقال قد عملت ما عليَّ و بقيَ ما عليك قال وما هو . قال الرجال بالصناديق فانتخب عمرو من فرسانه الف رجل والبسهم السلاح واخذ معه الف صندوق وسار بهم حتى اقترب من قصر الزباء ومدينتها فأمر جماعته فتأهبوا بسلاحهم ودخلوا الصناديق واقفلوها من داخل و وضعت الخدام الصناديق على الجمال ور بطوها بالحبال حتى لا يشك كل من يراها انها قافلة ثم سبقهم قصير الى المدينه وكانت الشمس قد مالت الى المغيب فدخل اليها وحياها وقال لها قد اتيتك ايتها الملكة بتجارة عظيمة واموال جسيمة فصعدت الى سطوح قصرها وجعلت تنظر الجمال وهي تدخل المدينة فأنكرت مشيها وقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا اجندلاً يحملن ام حديدا

ام صرفاناً بارداً شديدا ام الرجال جثماً قعوداً

ثم امرت بالصناديق فأدخلت قصرها وقت المساء وقالت غداً ننظر ما اتيتنا به . فلما تنصف الليل فتحت الرجال الصناديق وخرجت وفي ايديهم السيوف وهجموا على القصر وقتلوا جميع من كان فيه من الغلمان والجواري فلما احست الزباء بالخطر اسرعت الى نفق كانت اعدته لمثل هذه الساعة وكان قصير يعرفه ووصفه لعمرو فسار اليه فلما رأت عمراً يطلبها مصت سماً كان في خاتمها . وقالت بيدي ولا بيد عمرو (فذهبت مثلاً) وتلقاها عمرو بالسيف فقتلها واصاب ما اصاب من المدينة ورجع الى العراق وصار الملك بعد جذيمة لابن اخته عمرو ولم يزل الملك في ذريته من بعده حتى المنذر بن النعمان بن ماء السما الذي حاربه خالد بن الوليد واخذ منه الحيرة

ولكون تاريخ العرب قبل الاسلام كباقي التواريخ القديمة محاطاً بظلمة كثيفة فقد اكتفيت بمن ذكرت ممن اشتهر من ملوك العرب قبل الاسلام كتمهيد لتاريخ الاسلام الذي هو المقصود بالذات في هذا المؤلف وقبل ان اختم كلامي عن تاريخ العرب قبل الاسلام اذكر بعضاً من حروب العرب المشهورة في عصر الجاهلية فأقول :

(حرب البسوس) من اعظم حروب العرب حرب البسوس التي هاجت بين بكر وتغلب ابني وائل بسبب قتل كليب سيد القبيلتين المذكورتين كان من خبرها ان رجلاً من بني جرم يقال له سعد بن شميس الجرمي نزل بالبسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة وكان للجرمي ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق جساس (وهما اللتان ضربت بهما العرب المثل . فقالت اشأم من سراب . واشأم من البسوس) فخرج كليب يوماً يتفقد الابل وكانت ابله مختلطة بأبل جساس فوجد سراب فانكرها ورماها بسهم فجرحها واتت الناقة الى صاحبها مجروحة فصرخ بالذل فسمعت البسوس صراخ جارها فخرجت اليه فلما رأت مابناقته وضعت يدها على رأسها وصرخت واذلاه وكان جساس قريباً منها فسمع

صراخها وطيب خاطرها وقال لها اني سأقتل جملاً اعظم من هذه الناقة (يريد كليباً) وترصد الكليب واذ رآه يوماً ما خارجاً بلا سلاح تبعه حتى بعد عن الحي فرماه بسهم فقتله وهرب وكان همام بن مره اخو جساس ومهلهل أخو كليب يشربان في ذلك اليوم فارسل جساس يخبر أخاه ليتحذر من مهلهل فاتت الجارية التي ارسلها لابلاغه الخبر فوجدتها على هذه الحالة فاشارت الى همام فتبعها واسرت اليه ما حصل . فقال له مهلهل ما قالت لك الجارية وكان بينهما عهد ان لا يكتم أحدهما صاحبه شيئاً فذكر له ما قالته الجارية . فقال له مهلهل اشرب فاليوم خمر وغداً أمر فشرب همام وهو حذر خائف فلما سكر مهلهل عاد همام الى اهله . ولما شاع أمر كليب في القبيلة اخذوا جثته ودفنوه واستعد مهلهل لاخذ ثار أخيه . وكان اسمه عدي وانما سمي المهلهل لانه أول من هلهل الشعر وكذب فيه . وحصل بين القبيلتين عدة وقائع كان النصر في اغلبها للمهلهل . وما زالت الحرب بينهما سجالاً حتى انتهى الحال بقتل جساس . فعند ذلك كف المهلهل عن القتال ورحل الى اليمن ليطفىء جمرة الحرب بعد ان دامت اربعين سنة

وللعرب أيضاً حروب كثيرة وأيام مشهورة كيوم الكلاب الاول . ويوم أواره . وحرب داحس الذي يقال له حرب سباق الخيل بين بني عبس وفزاره بسبب السباق بين داحس فرس قيس بن زهير سيد بني عبس والغبراء فرس حذيفة بن بدر سيد بني فزارة واختلفوا على السباق وقامت بينهما الحرب ودامت سنين طويلة ثم اصطلحت عبس وفزارة وانفرد قيس بن زهير عن بني عبس وساح في الارض حتى أتى الى عمان فتنصر بها ومات

ويوم شعب جبلة . ويوم ذات نكيف . ويوم الغبيط . ويوم مبايض . وحرب سليم وشيبان . ويوم الاياد . ويوم التنسار . ويوم الجفار . ويوم ظهر الدهناء . الى غير ذلك من الحروب والايام التي يطول شرحها وللاقتصار اكتفيت بما ذكر تلميحاً خوف الاطالة

٤ — مبداء الاسلام

ولد حضرة صاحب الدعوة الاسلامية في النصف الاخير من القرن السادس المسيحي (سنة ٥٦٩ ب) و بظهوره يبتدىء الاسلام . وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خذيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . مات أبوه عبد الله وأمه حامل به وماتت أمه امنة بنت وهب بن عبد مناف وهو ابن ست سنوات فكفله جده عبد المطلب . ولكنه لم تطل مدة كفالته فمات وسن محمد ثماني سنوات فكفله عمه أبو طالب بوصية من جده عبد المطلب اليه بذلك . وكان عمه أبو طالب صاحب تجارة كباقي قريش فاصطحب محمداً في سفراته التجارية فاشتهر منذ حداثته بالذكاء والفطنة والامانة . وبلغ خديجة بنت خويلد بن أسد ما اشتهر به محمد من الامانة وكانت خديجة المذكورة امرأة تاجره ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتعطيهم جزءاً من الارباح . فأرسلت اليه ليخرج في مالها الى الشام تاجراً وتعطيه اكثر مما كانت تعطي غيره فاجاب طلبها وخرج في تجارتها مع عبدها ميسرة حتى قدم الى الشام فأصاب أرباحاً كثيرة فازدادت اعجاباً به . فعرضت عليه نفسها فلما ارسلت الى النبي (صلعم) أخبر أعمامه وخرج ومعه حمزة بن عبد المطلب وابو طالب وغيرهما من عمومته حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها فوسعت حاله وصار من أهل الرخاء واليسار . ولما بلغ الاربعين من عمره مال الى الخلوة والاعتزال فكان يذهب الى غار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ثم يرجع الى أهله ويتزود لمثلها . وفي رمضان من تلك السنة كان بغار حراء ومعه خديجة امرأته فرأى رؤيته الاولى فاسرع الى خديجة وقال لها ظهر لي جبريل وقال يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله . ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق (الآية) فقرأت . فلما سمعت خديجة حديثه أخذته الى ابن عم لها يقال له ورقة

بن نوفل وكان عالمًا قرأ الكتب وخالط أهل التوراة والانجيل . وقالت له اسمع
حديث ابن أخيك فقص النبي على ورقة ما رأى . فقال لها هذا الناموس الذي
انزل على موسى بن عمران . فاطمأن محمد بما سمع ولكنه لم يجسر على اظهار دعوته
لتأكيده بان ذلك مخالف لقريش كل المخالفة لانه ينهى عن عبادة اصنامهم وفي
ذهاب تلك الاصنام ذهاب ثروتهم وتجارتهم فسعى محمد في بث دينه سرًّا في
أهله الاقربين فكان أول من أسلم علي بن أبي طالب وكان غلامًا لا يتجاوز
الحادية عشرة من عمره . ولكن هذه الطريقة السرية لم تفِ بالغرض المطلوب لانه
في ظرف ثلاث سنين لم يؤمن به الا نفر قليلون بينهم ابو بكر الصديق وكان
من وجهاء قريش وابو عبيدة ابن الجراح وغيرهما . وأخيرًا عزم على اظهار دعوته
على أن يبدأ بعيشيرته الاقربين فارسل الى اعمامه بني عبد المطلب وهم نحو
الاربعين ودعاهم الى بيت عمه ابي طالب فلما فرغوا من الطعام همَّ محمد يتكلم
فابتدره عمه أبو لهب وكان أشدهم وطأة عليه فأسكته فسكت ولم يتكلم هذه المرة
ولكنه لم ييأس بل اعاد الوليمة مرة أخرى و بعد ان اكلوا وقف محمد خطيبًا وقال :
يابني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابًا في العرب جاء قومه بافضل بما قد جئتكم به
قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى ان ادعوكم اليه فأيكم
يوازرني على هذا الامر على ان يكون أخي ووصيي وخليفتي : فأحجم القوم عنها
جميعًا الا علي بن ابي طالب فانه قال . انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه . فأخذ
برقبة علي ثم قال . أن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فله اسمعوا وأطيعوا .
فاستخف القوم بكلامه وقاموا يضحكون و يقولون لابي طالب . قد امرك
ان تطيع ابنك

و بعدئذ جاهر النبي بدعوته وسبَّ الاصنام وعابديها وسفه الاحلام وتابعيها
ونسب اهله واباءهم الى الكفر والضلال فلما علموا بهذه المجاهرة اجمعوا على مقاومته
ولكنهم لم يجدوا اليه سبيلاً لانه كان في كفالة عمه ابي طالب . فجاء جماعة من
اشرافهم الى ابي طالب و بينهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والاسود ابن المطلب

والعاص بن وائل وغيرهم وقالوا له يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب الهتنا وعاب دينا وسفه احلامنا وضلل اباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا و بينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه . فقال لهم ابو طالب قولاً جميلاً وردهم رداً رقيقاً

ثم رأوه لا يزال يسب آلهتهم فعادوا الى أبي طالب وقد اشتد حنقهم عليه واخذ منهم الغيظ كل مأخذ . وقالوا له . انا والله لا نصبر على هذا من شتم الهتنا وابائنا وتسفيه احلامنا حتي تكفه عنا او ننازله واياك حتى يهلك احد الفريقين . فاستعظم ابو طالب فراق اهله وعداوتهم له فاعلم محمداً بما قالت قريش وقال له . ابق على نفسك وعليَّ ولا تحملني ما لا طاقة لي به . فظن محمد ان عمه يخذله . فقال يا عماه « لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك ما تركته » ثم بكى وقام فلما همَّ بالانصراف ناداه عمه ابو طالب فاقبل عليه وقال له اذهب يا ابن اخي وقل ما احببت فوالله ما اسلمك ابداً

ولم تثن هذه المعاملة السيئة عزم النبي عن اظهار دعوته بل ازداد تصريحاً بها سراً وجهراً ثم اسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب فاشتد ساعد النبي بهما لانهما كانا من اهل الجاه والقوة ولما أيس سائر اعمامه من وساطة عمه ابي طالب استحسنوا ان يسترضوه بالحيله فبعثوا اليه وقد اجتمع كبارهم في ندوة . فجاء فاستقبلوه بالبشاشة غير المعهودة فيهم وقالوا له « انا والله لا نعلم رجلاً من العرب جاء قومه مثل ما جئت قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين واحتقرت الألهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة ولم يبق قبيح الا قد جئت به فيما بيننا و بينك فان كنت جئت بهذا تطلب مالاً او ملكاً او شرفاً نعطيك ما تشاء ونملكك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك نبذل لك اموالنا في طلب الطب حتى نبرئك او نعذر فيك »

فقال لهم « ما بي ما تقولون وما جئت ما جيئتكم اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني رسولاً وانزل علي كتاباً وامرني ان اكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم

به فهو حظكم في الدنيا وفي الآخرة وان تردوه عليّ اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني و بينكم » فلما لم يجدوا لاسترضائه سبيلاً ولا بالحيلة جعلوا يسومون الذين اتبعوه واسلموا انواع العذابات والمسلمون صابرون على ذلك . ولما اشتد اذى قريش على المستضعفين من الاسلام اشار عليهم النبي ان يهاجروا الى بلاد الحبشة فهاجروا اليها تباعاً حتى بلغ عدد المهاجرين ٨٣ رجلاً ماعدا النساء والاطفال وهي الهجرة الاولى . فلقي المهاجرون من النجاشي ترحاباً عظيماً لم يكونوا يحلمون به وهم في مكة وارسلت قريش الى النجاشي ان يسلمهم المسلمين فلم يفعل

ثم جعل النبي يعرض نفسه على العرب في المواسم وكان كلما اتى قبيلة يدعوهم الى الاسلام تبعه عمه ابو لهب فاذا فرغ النبي من كلامه يقول لهم ابو لهب « يابني فلان انما يدعوكم هذا الى ان تستحلوا اللات والعزى من اعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا له »

ولكن كل ذلك لم يكن يضعف همة النبي في اظهار دعوته وما زال يعرض نفسه على كل قادم يسمع انه ذو شرف ونسب حتى بايعه نفر من اهل يثرب (المدينة) وهي بيعة العقبة الاولى او بيعة النساء فكانوا سبباً في انتشار الاسلام (وهم الانصار) وفي هذه الاثناء مات ابو طالب (قبل الهجرة بثلاث سنوات) وكانت خديجة ماتت قبله بمدة قصيرة فعظمت المصيبة على النبي وانتهزت قريش الفرصة بعد وفاة ابي طالب وصاروا يسومون النبي من الاهانات ما لا يحتمل حتى كان ينثر بعضهم التراب على رأسه و يطرح عليه بعضهم رحم الشاة وهو يصلي . فصار يسترحمهم ولا راحم

فنشط اهل المدينة النبي ان يهاجر الى مدينتهم على ان ينصروه و يكون في منعة فهاجر الى المدينة (سنة ٦٢٢ ب م) ومعه من بايعه من قبيلته « وهم المهاجرون » تمييزاً عن الفئة الاخرى من الصحابة وهم الانصار و بهذه الهجرة يؤرخ المسلمون وقائعهم الى الآن . واشتد ساعد الاسلام في المدينة وتحولوا الى الانتقام من اهل مكة فارسل النبي عبد الله بن جحش في ثمانية من المهاجرين

ليرصد قريشاً و يعلم اخبارهم فمضى عبد الله ونزل بنخلة بين مكة والطائف فمرت عير لقريش تحمل زبيباً فقتلوا واسروا رجالها وغنموا مامعهم وهذه اول غنيمة في الاسلام

(غزوة بدر الكبرى) وفي السنة التالية علم النبي بقدوم قافلة عظيمة لقريش من الشام وفيها اموال كثيرة يخفرها ثلاثون رجلاً يرأسهم ابو سفيان بن حرب كبير اهل مكة وقتئذ . فامر النبي اصحابه بغزو القافلة وغنم اموالها فعلم ابو سفيان ذلك فأرسل يستنجد اهل مكة فجاءه ٩٥٠ رجلاً بينهم مائة فارس وكان المسلمون ٣١٣ بينهم ٧٠ من المهاجرين والباقون من الانصار . وبلغ المسلمون بعد خروجهم من المدينة ان القافلة قاربت آبار بدر (واليها تنسب الغزوة) فسبقوهم الى هناك ونصبوا للنبي عريشاً جلس فيه وتهيأوا للحرب وعلم النبي ما سيكون من عظم التأثير لهذه الواقعة فاستحث قومه واستوثق منهم فوجدهم لا يقلون عنه رغبة في الحرب حتى الموت وابتدأ القتال بالمبارزة ثم دارت رحى الحرب فكان النصر للمسلمين بعد ان قتل منهم اربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقتل من القرشيين ٧٠ رجلاً كلهم اشراف بطون قريش وخصوصاً بني امية و بني مخزوم و بني اسد . وأسر منهم سبعون رجلاً منهم عقبة بن أبي معيط فأمر النبي بقتله لما كان من اذاه له بمكة وفرّ من بقي من قريش تاركين الامتعة والاموال فغنمها المسلمون وفرقها النبي عليهم بالسواء ولم يأخذ لنفسه شيئاً ولما انخذل اهل مكة انكسرت شوكتهم وقلت هيبتهم وعظم امر المسلمين وخصوصاً بموت ابي لهب وهو لم يحضر واقعة بدر بل ارسل بدلاً عنه فلما سمع بانكسار قومه مات مقهوراً

وتبع غزوة بدر الكبرى غزوات كثيرة يقصر المقام عن استيفائها مطولاً فنقتصر على ذكرها وهي غزوة بني قينقاع وغزوة الكدر وغزوة السويق وغزوة أُحد « التي خذل فيها المسلمون بخيانة عبد الله بن ابيّ بن ابي سلول » وغزوة حمراء الاسد وغزوة الرجيع وغزوة ذات الرقاع وغزوة بدر الثانية وغزوة الخندق وتدعى غزوة الاحزاب التي فيها حاصر الاحزاب المدينة فاعياهم الخندق الذي

حفره النبي وعادوا خاسرين وغزوة بني قريظة وغزوة بني لحيان وغزوة ذي قرد وغزوة بني المصطلق من خزاعة وغزوة خيبر وغزوة ذات السلاسل وغزوة الخيط وغزوة موته وعقب غزوة موته هذه فتح مكة كما سترى

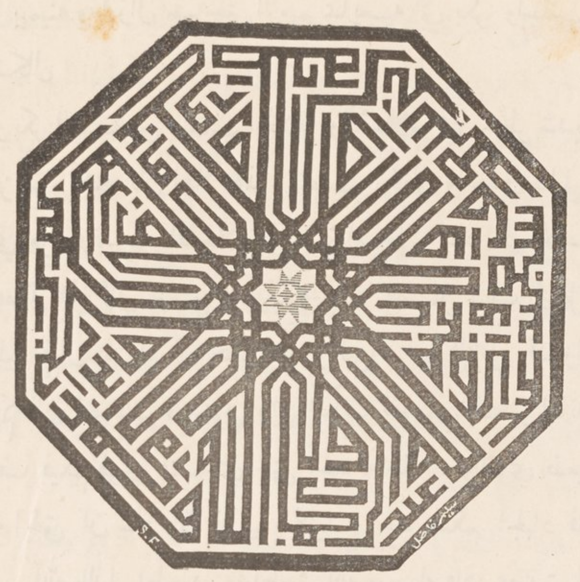
(فتح مكة) وبعد شهرين من حدوث غزوة موته عزم النبي على فتح مكة فسار في اصحابه وبلغ عددهم عشرة آلاف نفر فسمع ابو سفيان خبر قدوم هذا الجيش لفتح مدينتهم فخرج ومعه حكيم بن خزام وبديل بن ورقاء الخزاعي ليتجسسوا فلقيهم العباس بن عبد المطلب فقال له أبو سفيان ما وراءك . فقال له . هذا رسول الله اتاكم في عشرة آلاف . فقال له وما الرأي الآن . فنصحه العباس ان يذهب الى النبي ويستأمن فلم يجد افضل من هذا الرأي لعجز قريش عن مقاومة جيش عظيم كهذا فمروا جميعاً قاصدين مكان النبي فرأى أبو سفيان صدق قول العباس فقال له . لقد صار ابن اخيك عظيماً . ثم وفدوا على النبي فاكرم وفادتهم واسلم ابو سفيان ومن معه فأمنهم النبي على انفسهم والداخل في بيوتهم كالمحتمي بالمسجد ورجع ابو سفيان الى مكة واخبرهم بما فعل وطلب منهم ان يسلموا ويطلبوا الامان فغضبوا جداً مما فعل واهانوه اهانة عظمى حتى ان امرأته هند مسكت لحيته وقالت «يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الاحمق» ثم دخل المسلمون مكة بعد ان فتحوها وقصد النبي الكعبة وطاف بها سبعاً وهو يقول «جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا» وأمر بالاصنام وصور الانبياء التي كانت معلقة بالكعبة فكسرت ومن ذلك الحين تحولت الكعبة من بيت اصنام الى مسجد يعبد الله فيه ويحج اليه المسلمون من اربعة اقطار المعمور سنوياً وبعد ان استتب الامر للنبي في مكة واسلم كل من فيها ارسل سراياه الى ماحولها داعياً الناس الى الاسلام ثم غزا حنين والطائف وأسلم أهلوهما

ثم ذاع خبر النبي وفتوحاته وغزواته وما كان من قوته وصولته فاتته قبائل العرب اسراباً ودخلوا تحت طاعته واسلموا ولم يمض طويل زمان حتى اسلمت كل جزيرة العرب ودانت للنبي

ثم حول النبي شكيمة فتوحاته الى خارج جزيرة العرب فجهز جيشاً من ثلاثين الفاً بينهم عشرة آلاف فارس لفتح الشام واستخلاصه من ايدي الروم فساروا حتى وصلوا الى بلدة تدعى تبوك (واليها تنسب هذه الغزوة) بعد ان اعياهم التعب لشدة ما لاقوه في الطريق لعدم وجود ماء فجاءهم يوحنا بن دربة صاحب ايلة (مدينة في رأس خليج العقبة) وصالحهم على الجزية. وفي هذه الاثناء أرسل النبي خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكان نصرانياً من كندة فوجده خالد يصيد بقراً فقتل أخاه حساناً وأخذ من اكيدر قباء ديباج مخوص بالذهب فارسلة الى النبي فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه. ثم عادوا ولم يفتحوا شيئاً من بلاد الروم. وكانت غزوة تبوك هذه آخر غزوة حضرها النبي اذ في السنة الحادية عشرة للهجرة توفي النبي صاحب الشريعة الاسلامية.

ومما يجب ذكره ان في السنة التاسعة للهجرة كاتب الملوك يدعوهم الى الاسلام فبعث الى النجاشي ملك الحبشة عمر بن أمية بكتاب فقبله والى المقوقس عامل الروم على مصر حاطب بن أبي بلتعة بكتاب فاكرم المقوقس وفادته ورده بهدية الى النبي فيها مارية القبطية والدة ابراهيم بن النبي. والى هرقل قيصر الروم دحية بكتاب والى كسرى ملك الفرس عبد الله بن حذافة بكتاب فمزقه كسرى فدعى عليه النبي قائلاً «مزق الله ملكه» والى كثيرين غير من ذكرنا خصوصاً ملوك شبه جزيرة العرب. ويحسن بنا أن نأتي بنص كتاب من هذه الكتب انموذجاً لها لانها وان اختلفت في الوضع واللفظ فمعناها واحد فاليك صورة الكتاب الذي ارسله الى المقوقس وهذا نصه

«من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون»



(ش ١) اسماء الجلالة والنبي والصحابة بالحرف الكوفي (عن الهلال)

الخلفاء الراشدون

٥ ـ خلافة ابي بكر الصديق

من سنة ١١ — ١٣ ﻫ او من سنة ٦٣٢ — ٦٣٤ م

مات النبي ولم يوص بالخلافة لاحد بعده فاجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة (لذلك دعي حديث السقيفة) فلما سمع ابو بكر ذلك اتاهم ومعه عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح وقال لهم ما هذا فقالوا منا امير ومنكم امير . فقال لهم ابو بكر منا الامراء ومنكم الوزراء وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وابا عبيدة ابن الجراح فقام عمر في الحال و بايع لابي بكر و بايعه الناس الا ان بعض الانصار لم ترق لهم هذه المبايعة وقالوا لا نبايع الا علياً وكان قد تخلف عن مبايعة أبي بكر علي و بنو هاشم والزبير وطلحة وقال الزبير . لا اغمد سيفاً حتى يبايع علي . فقال عمر بن الخطاب خذوا سيفه واضربوا

به الحجر براً بيمينه وما زال بهم حتى الزمهم بمبايعة ابي بكر واستتب له الامر وانقضى الاشكال

تسلم ابو بكر الصديق منصب الخلافة والاسلام في خطر شديد وارتباك ما عليه من مزيد ولكنه كان اهلاً لهذا المنصب الخطير واصدق دليل على ذلك حسن بلائه في من ارتد عن الاسلام كما ستراه حتى أعاد الى الاسلام رونقه واليك اول خطبة قالها ثاني يوم مبايعته ليتبين لك فضل ذلك الرجل اذ وقف على المنبر خطيباً فقال بعد ان حمد الله واثنى « ايها الناس قد وليت عليكم واست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني الصدق امانه والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه . والقوي ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق ان شاء الله تعالى . لايدع احد منكم الجهاد فانه لايدعه قوم الا ضربهم الله بالذل اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم »

(اخبار الرده) بعد وفاة نبي الامة الاسلامية ارتدت اغلب قبائل العرب عن الاسلام . وادعى كثيرون من المرتدين النبوة مستعينين على اظهار دعوتهم بقبائلهم منهم طليحة الاسدي الذي لما رأى كثرة انصاره تطاول الى الهجوم على المدينة وهى يومئذ عاصمة الخلافة الاسلامية وكاد يفتحها لولا حكمة ابي بكر الذي لم يكن يغفل عن عمل التدابير اللازمة لهلاك المشركين فانتصر المسلمون انتصاراً باهراً وفر المشركون . ومنهم مسيلمة من بني حنيفة في اليمامة . وسجاح من تميم . ولما رأى ابو بكر امر الرده عم واستفحل عقد احد عشر لواء لاحد عشر قائداً وبثهم في اطراف جزيرة العرب ولم تمض سنتان حتى استتب الامر لابي بكر وعادت المياه الى مجاريها

ولما تلاشى امر الرده ارسل ابو بكر الى خالد بن الوليد وكان اميراً على لواء من الاحد عشر ان يغزو العراق والحيرة وكان على الحيرة اياس بن قبيصة الطائي بعد النعمان بن المنذر بن ماء السماء فذهب خالد بجيشه الى العراق وكان عليه ابن

صلوبا فصالحه على عشرة آلاف دينار ثم سار الى الحيرة فدعاهم خالد الى الاسلام او يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون فاختاروا الجزية فصالحهم على تسعين الف دينار وكانت العراق والحيرة في ذلك الحين من ضمن مملكة الفرس وكانت المناذرة عمالاً للاكاسرة على العراق فكانت هذه اول جزية اخذت من الفرس في الاسلام . وسار خالد بن الوليد متقدماً يفتتح المدائن من الفرس الواحدة بعد الاخرى . فبعد ان استتب له الامر في الحيرة سار الى الانبار وفتحها وفتح ايضاً عين التمر . (وكان خالد المذكور من مشاهير قواد المسلمين حتى دعي سيف الله) ثم ارسل الى أبي بكر ينبئه بما أوتيه من الفتح والنصر وارسل اليه كثيراً من الغنائم والسبايا التي غنمها

(بدء فتوح الشام) عزم النبي في حياته على غزو الروم وفتح الشام كما مر بك في سيرته ولكن لم يتيسر له ذلك فاتبع ابو بكر خطوات النبي وسعى في تنفيذ وعمل كل ما كان في عزم النبي ان يعمله ومن ذلك فتح الشام فسير جيشاً بقيادة ابي عبيدة بن الجراح يتألف من ثلاثة وثلاثين الف مقاتل بينهم اشهر قواد المسلمين مثل عمرو بن العاص و يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل وغيرهم وزوّدهم ابو بكر بالنصائح قبل سفرهم فقال لهم « عليكم بتقوى الله في السر والعلانية واذا قدمتم على جندكم فاحسنوا صحبتهم وابدأوهم بالخير . واذا وعظتموهم فاوجزوا فان كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً . واصلحوا انفسكم يصلح لكم الناس وصلوا الصلوات في أوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها واذا قدم عليكم رسل الاعداء فاكرموهم واقلوا لبثهم حتى يخرجوا من عسكركم وهم جاهلون به . واكثروا حرسكم و بددوهم في عسكركم واكثروا مفاجأتهم بحارسهم بغير علم منهم بكم فمن وجدتموه غفل عن محرسه فاحسنوا ادبه وعاقبوه . وستجدون اقواماً حبسوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا انفسهم له » ولا يخفى فوائد مثل هذه النصائح خصوصاً اذا كانت من شخص كأبي بكر جمع بين الدين والدنيا . فهو امام المسلمين ديناً وقائدهم دنيا . فسارت هذه الجيوش هكذا — ابو عبيدة الى الجابية —

ويزيد بن ابي سفيان الى البلقاء - وشرحبيل الى الاردن - وعمرو بن العاص الى العربة . فبلغ الروم قدوم هذه الجيوش لفتح بلادهم فاسرع هرقل باعداد الجيوش اللازمة ليتمكن من هزيمة المسلمين وهم على مثل هذه الحال من التشتت والتفريق مع كثرة جنوده وقلة جنود المسلمين وادرك عمرو بن العاص الخطر المحدق بهم لانه يمكن للروم ارسال جيش اضعاف جيش المسلمين لكل سرية من سراياه وحينئذ يتمكنون من كسر جيش المسلمين بل ملاشاته فارسل الى ابي عبيدة ابن الجراح يقول له « ان الرأي لمثلنا الاجتماع فاننا اذا اجتمعنا لا نغلب من قلة وان تفرقنا لا تقوم فرقة بمن قابلها لكثرة عدونا » فكتب هذا الى أبي بكر يستشيره فيما رآه ابن العاص فاجاب مثل رأي عمرو فاجتمع المسلمون في اليرموك واجتمع الروم هناك ايضاً . وفي هذه الاثناء ارسل ابو بكر الى خالد بن الوليد وكان حينئذ في الحيرة كما تقدم يأمره بلحاق اخوانه بالشام فسار خالد في عشرة آلاف مقاتل حتى أتى اليرموك فوجد الروم قد امتنعوا في حصن اليرموك وخندقوا حوله وقد عجز المسلمون عن فتحه فضلاً عن خوار عزائمهم لكثرة الروم وقلتهم وسمع بعضهم يقول « ما اكثر الروم وأقل المسلمين » فقال له « ما أقل الروم واكثر المسلمين انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخزلان »

وصار جيش المسلمين بعد حضور خالد ثلاثة واربعين الفاً وفي قول خمسين الفاً وكان الروم المحصورون في اليرموك مائتين واربعين الفاً . فخطب خالد بن الوليد فيهم يحرضهم على القتال وحارب الروم بمثل نظام جيوشهم بان رتب الجند كراديس جعل على كل كردوس منها قائداً ولم تكن هذه الطريقة معروفة عند المسلمين من قبل . فانتصر المسلمون انتصاراً باهراً وفتحوا حصن اليرموك وهرب جيش الروم مع كثرته . وابلى جيش المسلمين في هذه الواقعة بلاء حسناً حتى ان النساء قاتلن فيها وبلغت خسائر جيش المسلمين في واقعة اليرموك ثلاثة آلاف رجل بين قتيل وجريح وفي اثناء هذه الواقعة وقبل فتح اليرموك توفي ابو بكر الصديق وقيل في وفاته انه مات مسموماً في طبخة ارز .. وقيل بل استحم في

يوم شديد البرد فحمّ ومات بعد ان اوصى بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر

٦ — خلافة عمر بن الخطاب

من سنة ١٣ — ٢٣ ه او من سنة ٦٣٤ — ٦٤٤ م

بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر وكان من أحسن الناس سيرة وعدلاً متصفاً بالزهد والاستقامة وبمكان عظيم من العدالة شديد الحرص على حماية الدين وحقوق الخلافة. قال ذات يوم وهو يخطب على المنبر . « أيها الناس من رأى فيّ اعوجاجاً فليقومه » فقام رجل من وسط الجماعة وقال « والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا » . فقال . الحمد لله الذي جعل في هذه الامة من يقوم اعواج عمر بسيفه

وأول عمل باشره انه امر بعزل خالد بن الوليد وتولية ابي عبيدة مكانه في قيادة جيشه وفي أيامه اتسعت فتوحات المسلمين اكثر مما في أيام غيره من الخلفاء واليك البيان

(فتح الشام) تركنا جيش المسلمين وقد فتح اليرموك بقيادة بطله الشهير خالد بن الوليد وفتح اليرموك لم يكن في زمن ابي بكر بل في بدء خلافة عمر بن الخطاب انما ذكرناه هناك تتمة للحديث ونوهنا عن ذلك كما مرّ بك و بعد ان هزم الروم وولوا هار بين وصلوا الى فحل واحتموا بها واتاهم فيها المدد فسمع ابو عبيدة ذلك و بان أهل دمشق تحصنوا أيضاً وأتاهم المدد فارسل الى عمر يستشيره في أي الحصنين يبدأ بالهجوم فاشار عليه ان يبدأ بفتح دمشق لانها حصن الشام و بيت ملكهم ومفتاحه وان يشغل أهل فحل بسرية تناوشهم حتى اذا انتهى من فتح دمشق يعود اليها و يهون عليه فتحها . فاستخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير

ابن كعب وسار توًّا قاصدًا دمشق اتباعاً لاوامر الخليفة وأرسل كتيبة لمناوشة أهل فحل وحاصرها من جميع الجهات وشدد عليها الحصار وضرب اسوارها بالمنجنيق . وكان خالد بن الوليد لا ينام حتى يعرف اسرار دمشق والطريقة التي تعجل فتحها (ولم يكن وصله خبر عزله الى الآن) فعلم ذات يوم ان أهل دمشق في عيد لمناسبة مولود ولد لكبيرهم فانتهز الفرصة والدمشقيون غافلون عن الدفاع وأخذ حبالاً عملها كهيئة السلالم وصعد على السور ومعه القعقاع بن عمرو ومزعور ابن عدي وغيرهم وكان قد أوصى الجماعة اذا سمعوهم يكبرون ان يرقوا السلم و يقصدوا الباب . فلما وصل هو وجماعته الى أعلى السور انحدر هو داخل المدينة واشار الى من على السور ان يكبروا فكبروا فتراكمت الجنود على السلالم وعلوا السور ودخلوا المدينة وفتحوا ابوابها واهلها لاهون بولائمهم فاعملوا فيهم قتلاً ونهباً فطلبوا الصلح والامان فأمنوهم . ولما فتحت دمشق سار ابو عبيدة الى فحل بعد ان استخلف على دمشق يزيد بن ابي سفيان . ورتب جيشه هكذا — المقدمة عليها خالد بن الوليد — وهو « ابو عبيدة » الميمنة — عمرو بن العاص الميسرة — وقايد الفرسان ضرار بن الازور وقائد المشاة شرحبيل بن حسنة . وساروا على هذه التعبية حتى وصلوا فحل وكان الروم قد بثقوا ماء غزيرًا حول فحل فوحلت الارض لكي يمنعوا جيش المسلمين من مهاجمتهم . فاعيت هذه الاوحال المسلمين عن التقدم الى الحصن فظن فيهم الروم ضعفاً وخرجوا من الحصن هاجمين على المسلمين فاشتد القتال بينهم وانهزم الروم شر هزيمة وكانت الاوحال التي جعلوها حول فحل لضرر المسلمين من اعظم اسباب هزيمتهم وفوز المسلمين

ثم سار أبو عبيدة وخالد ومن معهم قاصدين حمص والفوز حليفهم وفي طريقهم صالحهم اهالي بيسان وطبرية على الجزية و بلغ هرقل ملك الروم ان جيش المسلمين سار قاصدًا حمص فارسل اليهم جيشاً كثيفاً ليعيق حركاتهم فالتقى الجيشان بمرج الروم واقتتلوا اقتتالاً شديدًا كان الفوز فيه للمسلمين طبعاً . ثم سار ابو عبيدة بجيشه المنتصر حتى وصل بعلبك فحاصرها فطلب اهلها الامان فأمنهم

وصالحهم وسار عنهم قاصداً حمص فوصلها ووجد الروم على تمام الاستعداد لرد هجماتهم فالتحم الجيشان والتقى الشجعان وهرب الجبان وما زالوا على هذه الحالة والروم يطاولونهم ولا يقاتلونهم الا في الايام الشديدة البرد ولقي المسلمون عناءً شديداً لشدة البرد فطال حصار حمص والمسلمون صابرون الى انقضاء الشتاء ببرده القارس فاستعدَّ المسلمون للهجوم النهائي على المدينة وكبروا تكبيرة تزعزت لها اسوار حمص واردفوها باخرى ازعجت قلوب الروم داخل الاسوار حتى خرجوا طالبين الصلح فصالحهم ابو عبيدة ففتحوا له ابواب المدينة واثرت هذه الانتصارات المتوالية في سكان المدن الاخرى فاتوا افواجاً افواجاً طالبين الصلح راغبين في دفع الجزية هكذا فعل أهل حماة ومعرة حمص



(ش ٢) قدوم عمر على بيت المقدس (عن تاريخ التمدن الاسلامي)

ثم استخلف ابو عبيدة على حمص عبادة بن الصامت وتقدم يقاتل الروم ويفتح مدائنهم الواحدة بعد الاخرى ففتح اللاذقية وقنسرين وحلب وانطاكية وغيرها من مدائن الشام وبعد ان فتح اعظم واكبر مدن الشام وجه التفاته الى

بيت المقدس (اورشليم) فقدم اليها بجيشه الظافر وحاصر المدينة فلما رأى اهل بيت المقدس ان مدينتهم واقعة في ايدي المسلمين لا محالة طلبوا الصلح على ان يكون على يد الخليفة عمر بن الخطاب فكتب اليه ابو عبيدة بذلك فقدم الشام بعد ان استخلف علي بن ابي طالب على المدينة . واستقبله رؤساء الجيوش الاسلامية ابو عبيدة وشرحبيل وخالد على الخيول المطهمة وعليهم الديباج والحرير فنزل الخليفة وأخذ حجارة وجعل يرميهم بها ويقول « ما اسرع ما رجعتم عن رأيكم اياي تستقبلون في هذا الزي وانما شبعتم منذ سنتين و بالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم » فاعتذروا له وساروا جميعاً حتى بيت المقدس وصالح الخليفة اهله . وعاد بسبب الطاعون . وما زالت الجيوش الاسلامية تفتح مدائن الشام وسواحله حتى صار الشام جزءاً من المملكة الاسلامية والعامل عليه ابو عبيدة بن الجراح

(فتح بلاد فارس) بعد ان فتح خالد بن الوليد الحيرة والعراق اتاه كتاب ابي بكر ان يلحق باخوانه في اليرموك كما مرَّ ذكر ذلك في حينه فقبل مبارحة الحيرة استخلف عليها المثنى بن الحارثة الشيباني وكان من شجعان قواد المسلمين فاستقام له الامر وأطاعه الاهالي وهابوه . وارسل اليه شهريز ملك فارس عشرة آلاف مقاتل بقيادة هرمز ليستخلص منه الحيرة فخرج المثنى بجيشه لمقاتلته وارسل شهريز الى المثنى كتاباً يقول له فيه « قد بعثت اليكم جنداً من وحش اهل فارس انما هم رعاة الدجاج والخنازير واست اقاتلك الا بهم » فردَّ عليه المثنى يقول « انما انت احد رجلين أما باغ فذلك شرٌّ لك وخير لنا واما كاذب فاعظم الكاذبين فضيحة عند الله والناس الملوك . وأما الذي يدلنا عليه الرأي انكم انما اضررتم بهم والحمد لله الذي رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير » فتأمل ايها القارىء الكريم شجاعة هذا مقدارها كانت بالحقيقة كافية لان تجعل الفرس ان يجزعوا ويتهيبوا لقاء المسلمين وهذه صفة قائدهم والتقى الجيشان ببابل و بعد قتال شديد انهزم الفرس وولوا مدبرين فتعقبهم المسلمون حتى المدائن فلما سمع شهريز بانهزام جيش هرمز مات مقهوراً

اما المثنى فبعد هذه الواقعة ارسل الى ابي بكر يخبره بها ويستمده حتى يتسنى له فتح باقي بلاد فارس فأبطأ عليه خبر ابي بكر فسار بنفسه الى المدينة بعد ان استخلف مكانه بشير بن الخصاصية فوصل المدينة وكان ابو بكر مريضاً فاخبره الخبر وتوفي ابو بكر بعد قليل وصارت الخلافة الى عمر بن الخطاب فامده هذا بمن انتدبهم لهذه الغاية بقيادة ابي عبيد بن مسعود فساروا جميعاً قاصدين بلاد فارس يتقدمهم المثنى . وكانت بلاد فارس في ذلك الوقت كشعلة نار بسبب الثورات الداخلية بعد موت ملكهم حتى انه ملك عليهم في مدة قصيرة تسعة ملوك كل منهم يدعي الحق لنفسه فتثور عليه البلاد فتقتله ويملك غيره وفي هذه الاثناء جهز المسلمون على الفرس وافتتحوا بلادهم ومن ضمن الذين تملكوا من هؤلاء التسعة الملكة بوران تبوأت تخت المملكة بمساعدة قائد جيوش الفرس رستم واشركته في الملك فاستتب لهم الحال على نوع ما . فوجه رستم بعض التفاته الى ما يتهدد حياة المملكة من الخارج فارسل الى الدهاقين الذين دخلوا تحت طاعة المسلمين ان يثوروا عليهم وارسل اليهم خطباء تهيجهم وكل ذلك ليمهد الطريق لجيشه الذي عزم على ارساله لرد هجمات المسلمين وفي هذه الاثناء وصل المثنى الحيرة وانتظر حتى تكامل الجيش ثم فضل ان ينتقل الى خفان لئلا يقطع عليه الفرس خط الرجعة فوصلها ثم مكث اياماً ريثما يستريح الجيش من تعب السفر حتى يكون قادراً على ملاقاة عدو شديد كالفرس . ثم تفقد جيش الفرس فعلم انه نازل بالنمارق فسار اليه المثنى وابو عبيد ومعهم جيوش المسلمين فالتقوا بالفرس بالنمارق ودارت رحى الحرب وحمي وطيسها وانجلت الواقعة عن انهزام الفرس واسر قائدهم المدعو جابان اسره احد المسلمين المدعو مطر لكنه تمكن من خدع مطر واغراه بان يؤمنه على ان يعطيه مالاً ومماليك فخلى سبيله ولكنه وقع في أيدي المسلمين أيضاً وأرسلوه الى ابي عبيد وعرفوه انه جابان قائد جيش الفرس وطلبوا اليه ان يأمرهم بقتله فقال لهم ابو عبيد « اني اخاف الله ان اقتله وقد امنه رجل مسلم والمسلمون كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلهم » فاطلقوا سراحه وهربت

جيوش الفرس الى كسكر والمسلمون يتعقبونهم واتى الفرس المدد وهم بكسكر فالتقى الجيشان بمكان يدعى السقاطية واقتتلوا شديداً وفاز المسلمون فوزاً مبيناً وولى الفرس الادبار

فلما علم رستم بانهزام جيش فارس عظم عليه الامر جداً وارسل جيشاً كثيفاً بقيادة بهمن جاذويه الملقب بذي الحاجب وفي مقدمة جيوشه الفيلة فادركوا المسلمين وفصل بينهما الماء فارسل بهمن الى ابي عبيد يقول له : اما ان تعبروا الينا أو نعبر اليكم . فاستشار من معه فاشاروا عليه ان يطلب منهم العبور فلم يوافقهم ابو عبيد على هذا الرأي وقال لا يكون الفرس اجرأ على الموت منا فعبر وعبر الناس معه على جسر عقدوه لهذه الغاية فما عتم المسلمون ان وصلوا البر الآخر حتى حملت عليهم الفيلة فنفرت خيولهم منها ولم تكن تعودت مقابلة الفيله واشتد الامر بالمسلمين جداً واصلاهم الفرس بالنشاب ناراً حامية فلما رأى أبو عبيد ضيق الموقف ترجل وصرخ في الجيش ان اقصدوا الفيلة وابقروا بطونها واقلبوا عنها اهلها وقصد هو الفيل الابيض فبقر بطنه وفعل القوم مثل فعله ولكن قتل الفيل الابيض ابا عبيد فخارت قوى المسلمين بقتله فحض المثنى الجماعة على الصبر وحسن الجهاد وما زال كذلك حتى جرح فرجع المسلمون وعبروا الماء الى الشاطىء الآخر وكادوا يغرقون لو لا شجاعة المثني . ودعيت هذه الواقعة واقعة الجسر .

فبلغ عمر بن الخطاب ما أصاب المسلمين بفارس بواقعة الجسر فاستحث همم الناس واسرع بارسال المدد الى المثني واتخذ المثني البويب قاعدة لاعماله الحربية فلما تكامل ورود جيش المسلمين وامدادهم تكامل جيش الفرس ايضاً فارسل قائد الفرس الى المثني ان اعبروا الينا او نعبر اليكم وكان بينهم الفرات فطلب منه العبور فعبر الفرس يتقدمهم الفيلة أيضاً والتحم الجيشان وكأن الخيل قد تعودت مقابلة الفيلة فلم تنفر منها مثل ذي قبل واشتد القتال وجال المثني في جيشه محرضاً يحث الجبان ومن يجده محتاجاً للحث حتى تم الفوز للمسلمين فاعملوا السيف في الفرس فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . قيل بلغ عدد القتلى مائة الف ومكثت الجثث

ملقاة مدة طويلة ولم ينج من الفرس في هذه الواقعة الا كل طويل العمر

وهيجت هذه الهزيمة الشنيعة احقاد الفرس على رستم والفيرذان وكانا على اهل فارس وقالوا لهما بتباغضكم وتضاغنكم قد اخربتم البلاد واطمعتم الاعداء وطلبوا ان لا يملك عليهم الا ملك من آل كسرى فوجدوا يزدجرد متخبئاً فملكوه عليهم واطاعوه واهتم اهتماماً شديداً بالجيش وجند كل من قدر على تجنيده وارسله بقياده رستم نفسه للفتك بالمسلمين . ومما يدل على شديد اهتمامه انه جعل اشخاصاً يقفون الواحد مقابل الآخر على بعد معلوم بشرط ان يسمع احدهم كلام الآخر من ايوانه الى مركز الجيش حيث يقيم رستم حتى يعلم أخبار حركاته باسرع ما يمكن . ولما علم المثني باستعداد الفرس استعداداً تاماً اسرع باخبار عمر بن الخطاب ليمده باهل القوة وبين له صعوبة المركز فجمع عمر جيشاً مؤلفاً من أربعة آلاف مقاتل وعزم ان يسير بنفسه مدداً للمثني فنهاه الناس عن ذلك فارسل سعد بن ابي وقاص على الجيش وما زال يمده بما في الامكان حتى بلغ عدد جيشه ثمانية آلاف جندي ومات المثني قبل وصول سعد بن ابي وقاص من جراحة اصابته وقبل موته اوصى المعنى أخاه بقول يقوله لسعد وللمسلمين وهو « ان يقاتلوا الفرس على حدود ارضهم على ادنى حجر من ارض العرب ولا يقاتلوهم بعقر دارهم فان يظهر الله المسلمين فلهم ماوراءهم وان كانت الاخرى رجعوا الى فئة »

وما زال سعد سائراً هو ومن معه حتى وصل القادسية وجمع اليه جيش المثني فكان جميع جيش المسلمين بالقادسية بضعة وثلاثين الفاً . وارسل سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب يستشيره في ما يعمل ويعلمه بعظيم استعداد الفرس فارسل اليه يقول لا يكربنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث الى ملك الفرس رجالاً من اهل المناظرة والرأي والجلد يدعونهم فان الله جاعل دعاهم توهيناً لهم » فارسل سعد رجالاً بينهم النعمان بن مقرن والمغيرة بن زراره وعاصم بن عمر وغيرهم من فصحاء قومه فساروا حتى وصلوا ايوان كسرى يزدجرد فبلغ كسرى قدومهم فاستدعى وزراءه وجمعهم وادخل رسل المسلمين

اليه واحضر ترجماناً بينهم وقال للترجمان سل هؤلاء « ما الذي أتى بهم بلادنا لغزونا أمن اجل انهم وجدونا قد تشاغلنا عنهم بامورنا الداخلية اجترأوا علينا» فترجم الترجمان للمسلمين قول يزدجرد فنظر النعمان بن مقرن الى من معه وقال لهم ان أذنتم لي اتكلم والا فليتكلم أحدكم فاذنوا له بالكلام فقال . « أن الله رحمنا فارسل الينا رسولاً ينهانا عن الشر ويأمرنا بالخير ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الا وقار به منها فرقه وتباعد عنه فرقة ثم أمرنا ان نبتدىء بمن خالفه من العرب فبدأنا بهم فدخلوا وهم على وجهين مكره عليه فاغتبط وطائع فازداد فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق . ثم أمرنا أن نبتدي بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف . فنحن ندعوكم الى ديننا الذي هو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله فاذا أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر اشر منه . الجزية فان أبيتم فالمناجزة . وان اجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على أن تحكموا باحكامه فنرجع عنكم وشأنكم و بلادكم وان بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم »

فقال له يزدجرد « اني لا أعلم أمة في الارض كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم . وقد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونا أمركم ولا تطمعوا ان تقدموا لفارس فان كان غررٌ لحقكم فلا يغرنكم منا وان كان الجهد فرضنا لكم قوتاً الى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم » فقام مغيرة بن زراره وقال « ايها الملك ان هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الاشراف وانما يكرم الاشراف ويعظم حقهم الاشراف وليس كل ما أرسلوا به قالوا ولا كل ما تكلمت به اجابوك عنه فجاوبني لاكون الذي ابلغك وهم يشهدون على ذلك لي واما ما ذكرت من سوء الحال فهي على ما وصفت وأشد » ثم ذكر من سوء عيش العرب وارسال النبي نحو قول النعمان وأمرهم بمقاتلة من خالفهم أو الجزية . ثم قال له « اختر ان شئت الجزية عن يد وانت صاغر وان شئت فالسيف أو تسلم

فتنجي نفسك » فقال لهم يزدجرد « لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم » وطلب ان يوضعوا على اشرفهم وقر تراب وان يسوقوهم حتى يخرجوا من باب المدائن فاتى الفرس بوقر تراب كطلب ملكهم فعندئذ قال لهم عمر بن العاصم انا اشرف القوم انا الرئس والمتقدم فيهم فوضعه على عنقه وقال لهم اخرجوا واذهبوا الى صاحبكم وأعلموه اني مرسل لكم رستم ليدفنه واياكم في خندق القادسية فخرج رسل سعد حتى أتوه وقالوا له ابشر فوالله لقد أعطانا الله مقاليد ملكهم . وكان لشجاعة رسل سعد تأثير شديد في قلوب الفرس فتهيبوهم حتى ان رستم أراد ان يتخلص من قيادة الجيش الذي سيزحف الى القادسية لمقاتلة المسلمين فلم يجد لذلك سبيلاً لان يزدجرد أصرَّ الا أن يكون هو قائداً لتلك الحملة . فلما لم يجد بدّاً من ذلك قبل مضطراً فسار بجيش جرار من الفرس حتى وصل الى القادسية وودّ أن ينتهي الامر بينهم بلا قتال فطلب الى سعد ان يرسل اليه أحد رؤسائهم ليتخابروا فيما فيه خير الطرفين فأرسل اليه سعد كطلبه واحداً بعد آخر ولم تجد هذه المخابرات الودية فائدة لان طلبات المسلمين انحصرت في احدى ثلاث خصال اما ان يدخل الفرس في الدين الاسلامي أو يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون والا فالسيف يحكم بين الفريقين . فلما رأى رستم أنهُ لا بد من الحرب أشعل نارها وهو متهيب منها فدارت رحى الحرب بين الفريقين ثلاثة أيام متوالية لم يظهر أحد الفريقين على الآخر حتى كانت ليلة الهرير هجمت فيها جنود المسلمين بقلوب لاتهاب الموت حتى أجلوا الفرس من مواقفهم فظهر الخلل في صفوفهم ووقع رستم قتيلاً في هذه الليلة . فتراجعت جيوش الفرس وطلبت الفرار والمسلمون يتعقبونهم حتى أفنوا منهم خلقاً لا يحصي عدده الا الله وغنموا منهم غنائم عظيمة جداً ولم تقم للفرس بعد واقعة القادسية هذه قائمة . فهي اشبهت واقعة اليرموك التي حصلت بين المسلمين والروم بالشام . ولم يحضر سعد بن أبي وقاص هذه الواقعة . ومع أن عدم حضوره كان لسبب الدمامل التي كانت في جسمه لم يسلم من انتقاد الناس حتى أن امرأته قالت في احدى ليالي هذه الواقعة «وامثنياه ولا مثني للخيل

اليوم » وامرأته هذه تدعى سلمى وكانت امرأة المثني من قبله فلطمها على وجهها وقال لها:
أين المثني من هؤلاء الشجعان الذين تر ينهم واذا كنت وانت تر ين مابي من الألم
لا تعذر يني فكم بالحري يلومني من لم يرَ جراحي من المسلمين . وكانت هذه الواقعة
سنة ١٤ هجرية . وما زال نجم المسلمين بعد هذه الواقعة في صعود ونجم الفرس
في نحوس وأفول حتى افتتح المسلمون أغلب مدن الفرس كبابل والموصل وحلوان
وتكريت وقرقيسا و باقي مدن الجزيرة حتى انتهوا أخيرًا الى فتح المدائن وفيها ايوان
كسرى فانهزم الفرس هزيمة شنيعة وفر يزدجرد محتميًا بملك الترك وغنم المسلمون
من المدائن تحفًا لا تقدر فقسمها سعد على الجيش بعد ان أرسل الخمس الى عمر
بن الخطاب وارسل له تاج كسرى وسلاحه و بعضًا من ملبوسه ومفروشه ليريه
للمسلمين . واستتب الامر للمسلمين في فارس والجزيرة وأرمينية وكرمان
واذربيجان وهمذان واصبهان وخراسان وطبرستان والري وغيرها وصار سعد عاملاً
عليها واتخذ الكوفة مركزًا له

(فتح مصر) في السنة الثامنة عشرة للهجرة ذهب عمر بن الخطاب الى
الشام لعقد الصلح مع أهل بيت المقدس كما تقدم فبعد افتتاحه خلا به عمرو بن
العاص ورغبه في أن يسيره لفتح مصر فتخوف أمير المؤمنين من القدوم على هذا
الامر فصار يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ولكن عمرو بن العاص لم يزل يحسن له
أمرها (وكان قد دخلها في الجاهلية ورأى عظمتها) فقال له « يا أمير المؤمنين
انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونًا لهم وهي اكثر الارض أموالاً واعجزها
عن الحرب والقتال » فعقد له على أربعة آلاف رجل أشداء وقال له « سر فاني
مستخير الله في مسيرك وسيأتيك كتابي سريعًا ان شاء الله فان أدركك كتابي
وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئًا من أرضها فانصرف
وان أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامضِ لوجهك واستعن بالله واستنصره »

فسار عمرو ومن معه قاصدين أرض الفراعنة حتى اذا وصل رفع (أو رفح) أتاه
كتاب عمر بن الخطاب فخاف أن يكون قد أمره فيه بالانصراف عن مصر وكان

قريباً من العريش فجد السير حتى وصلها ففض كتاب عمر وتلاه على جماعته ونصه « بسم الله الرحمن الرحيم من الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص عليه سلام الله و بركاته . أما بعد فان أدركك كتابي هذا وأنت لم تدخل مصر فارجع عنها وان أدركك وقد دخلتها أوشيئاً من أرضها فامضِ واعلم اني ممدك » فسأل عمرو من معه أين نحن الآن فقالوا له بالعريش فقال لهم وهل هي من أرض الشام أو مصر فقالوا بل مصر قال . فسيروا اذاً على بركة الله . وما زال عمرو سائراً بمن معه حتى وصلوا الفرما فوجد بها جيوش الروم فهزمهم وسار الى بلبيس وكانت مدينة حصينة حاربها عمرو شهراً حتى تمكن من فتحها . وعلم عمرو ان الاربعة آلاف رجل ليست كافية للاجهاز على قوات الروم فأرسل يستمد عمر ابن الخطاب أما هو فسار سيراً ضعيفاً ريثما يأتيه المدد حتى وصل أم دنين وحاصر أهلها وأبطأ عليه فتحها فأمده عمر بأربعة آلاف رجل أخر فتمكن من فتح أم دنين وتقدم سائراً في داخلية البلاد حتى قدم ومن معه الى حصن بابلون وفي هذه الاثناء أمدهم عمر بأربعة آلاف رجل أخر فبلغ جيش المسلمين المحاصرين لحصن بابلون بقيادة عمرو بن العاص اثني عشر الف مقاتل

وكان الروم قد خندقوا حول الحصن وأحاطوه بالاشواك الحديدية . ونصب عمرو المنجنيق وضرب به الحصن ولكنه لم يتمكن من فتحه حتى خرج من وسط الجماعة الزبير بن العوام وقال اني أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلماً في جانب الحصن ثم صعد عليه بعد أن أمرهم اذا سمعوه يكبر أن يجيبوه جميعاً فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر والسيف بيده وتجمع الناس على السلم حتى كاد ينكسر فلما كبر الزبير وكبر من معه لم يشك أهل الحصن ان العرب قد اقتحموا جميعاً فهرب من في الحصن من الروم وأزالوا الجسر الموصل بين البر والحصن فصار المسلمون محصورين في الحصن . وأشار المقوقس على جماعة الروم والقبط أن يغتنموا فرصة انحصار المسلمين و يصطلحوا معهم على شيء يرضى به الفريقان . فطلبوا من عمرو بن العاص أن يرسل مندوبين من قومه ليتخابروا

الصلح . فبعث عمرو عشرة من أصحابه أحدهم عبادة بن الصامت وكان أسود اللون طويلاً وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم وان لا يقبل سوى احدى ثلاث خصال اما الاسلام أو الجزية أو السيف . فركبوا السفن وأتوا الى المقوقس ودخلوا عليه فتقدم عبادة ليتكلم فقال المقوقس «نحوا عني هذا الاسود وقدموا غيره يكلمني فاني أهاب سواده» فقالوا له «ان هـذا الاسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمتقدم فينا وانا نرجع جميعاً الى قوله» فقال المقوقس لعبادة «تقدم يا اسود كلمني برفق فاني أهاب سوادك وان اشتد علي كلامك ازددت لك هيبة» فتقدم اليه عبادة وقال «قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفتهم من اصحابي الف رجل اسود كلهم أشدُّ سواداً مني وأفظع منظراً ولو رأيتهم لكنت أهيب منهم لي واني قد وليت وأدبر شبابي واني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً وكذلك أصحابي وذلك انما رغبتنا وبغيتنا الجهاد في الله تعالى واتباع رضوان الله وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا ولا طلباً للاستكثار منها الا ان الله قد أحل ذلك لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً . وما يبالي أحدنا ان كان له قنطار ذهب أم كان لا يملك الا درهماً لان غاية أحدنا من الدنيا اكلة يأكلها يسدُّ بها جوعته وشملة يلتحفها فان كان أحـدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفقه في طاعة الله واقتصر على هذا . لان نعيم الدنيا ورخاءها ليس برخاء وانما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك امرنا ربنا وامر به نبينا وعهد الينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا الا فيما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه»

فنظر المقوقس الى من حوله وقال «هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لأهيب منه عندي ان هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الارض وما أظن ملكهم الا سيغلب الارض بأسرها» ثم حول المقوقس نظره مخاطباً عبادة وقال «أيها الرجل قد سمعت كلامك وما ذكرت عنك وعن اصحابك ولعمري ما بلغتم ما بلغتم الا بمـا ذكرت ولا ظهرتم على من ظهرتم عليهم الا لحبهم الدنيا ورغبتهم

فيها . وقد توجه الينا لقتالكم من جميع الروم مما لا يحصى عدده قوم معروفون
بالنجـدة والشدة ممن لا يبالي احدهم من لقي ولا من قاتل وانا لنعلم انكم لن
تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد أقمتم بين ظهرانينا شهرًا وانتم في ضيق وشدة من
معاشكم وحالكم ونحن نرأف عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بايديكم ونحن تطيب
أنفسنا ان نصالحكم على ان نفرض لكل رجل منكم دينارين ولاميركم مائة دينار
ولخليفتكم الف دينار فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل ان يغشاكم مالا قوام
لكم به » فقال عبادة « يا هذا لا تغرنَّ نفسك ولا أصحابك بالباطل أما ما تخوفنا
به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لانقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي
تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه ان كان ماقلتم حقاً فذلك والله ارغب
مايكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا
عليه ان قتلنا من آخرنا اذ كان أمكن لنا في رضوانه وجنته وما من شيء أقر
لاعيننا ولا أحب الينا من ذلك وانا منكم حينئذ على أحد الحسنيين اما ان
تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا ولانها
أحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عز وجل قال لنا في كتابه كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . وما من رجل الا وهو
يدعو ربه صباحاً ومساءً ان يرزقه الشهادة وان لا يرده الى بلده ولا الى أهله
وولده وليس لاحد منا همٌّ في ما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده
وانما همنا ما امامنا . واما أننا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة
لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا لانفسنا منها أكثر مما نحن فيه . فانظر الذي تريد
فبينه لنا فليس بيننا و بينكم خصلة نقبلها منكم ولا نجيبكم اليها الاَّ خصلة من
ثلاث فاختر أيتها شئت ولا تطمع نفسك بالباطل . بذلك أمرني الامير وبها أمره
امير المؤمنين وهو عهد رسول الله من قبل الينا . اما أن اجبتم الى الاسلام الذي
هو الدين القيم الذي لايقبل الله غيره وهو دين انبيائه ورسله وملائكته . أمرنا الله
ان نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له مالنا وعليه ما علينا

وكان أخانا في دين الله . فان قبلت ذلك انت واصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولا نستحل اذاكم ولا التعرض لكم وان ابيتم الا الجزية فادوا الينا الجزية عن يد وانتم صاغرون نعاملكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدًا ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم في كل شيء من ارضكم ودمائكم واموالكم ونقوم بذلك عنكم اذا كنتم في ذمتنا وكان لكم عهد الله علينا . وان ابيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا او نصيب ما نريد منكم . هذا ديننا الذي ندين الله به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره . فانظروا لانفسكم »

فقال المقوقس « هذا ما لا يكون ابدًا ما تريدون الا ان تأخذونا لكم عبيدًا ما كانت الدنيا » فقال عبادة « هو ذاك فاختر ما شئت » فقال المقوقس « ألا تجيبونا الى خصلة غير هذه الخصال الثلاث » فقال عبادة وهو رافع يديه الى السماء « لا ورب هذه السماء وهذه الارض ورب كل شيء ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لانفسكم »

فتشاور المقوقس ومن معه في الامر ومع انه هالهم ان يكونوا عبيدًا للعرب لكن المقوقس شحذ قريحته في اقناعهم ان ذلك افيد لهم . فقال المقوقس لعبادة . اذهب ارسل لنا اميركم في جماعة منكم حتى اجتمع معه ومعي بعض من جماعتي فاذا اتفقنا كان بها والا رجعنا على ما كنا عليه . فقام عبادة ومن معه . ورجعوا الى عمرو واخبروه بما تم فذهب ومعه بعض من اصحابه وقابل المقوقس وجماعته وبعد ان دارت بين الطرفين مناقشة انتهى الامر فيما بينهم على الجزية وكتب عمرو بن العاص امانًا للقبط بذلك . وارسل المقوقس الى هرقل يعلمه بما تم فارسل اليه هرقل جوابًا شديد اللهجة يستهجنه فيه على ما عمل وانه غير قابل بما تم . فقابل المقوقس عمرًا واعلمه بجواب هرقل وأكد له بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن القبط انهم قابلون عقد الصلح الذي تم بين الطرفين وتبرأ من الروم . فطلب منه عمرو ان يثبت هو والقبط حسن ولائهم لهم بان يمهدوا لهم السبيل للوصول الى الاسكندرية لمنازلة الروم . ففعلوا له ما طلب .

فسار العرب بقيادة ابن العاص الى الاسكندرية وحاصروها حصاراً شديداً دام مدة طويلة لان ورود المؤونة لم ينقطع عن الاسكندرية بحراً فاستحث عمرو همة العرب وحضهم على الهجوم على المدينة فهجموا بقلوب لا تهاب الموت فوقع عمرو واثنان من قواده هما سلمة بن مخلد ووردان اسرى فخاطبهم حاكم الاسكندرية الرومي قائلاً . اخبرونا ما الذي جاء بكم الينا وما الذي حملكم على قتالنا . فاجابه عمرو بقلب لا يهاب الردى « لقد اتيناكم ندعوكم الى الاسلام فيكون لكم مالنا او ان تدفعوا الجزية عن يد وانتم صاغرون والا فلا يمكننا الكف عن قتالكم فان الله يأمرنا به الا اذا اجبتمونا الى احدى الخصلتين »



(ش ٣) هرقل ملك الروم وحاشيته　(عن تاريخ التمدن الاسلامي)

فداخل قلب الحاكم شك لشجاعة المتكلم وايقن انه من كبار قواد العرب . فقال لمن في مجلسه من الروم « لا يمكننا تخلية سبيل هؤلاء لانه يظهر لي انهم من قواد القوم » وكان وردان عارفاً باللغة اليونانية ففهم ما قاله الحاكم فضرب عمراً مستهزئاً وناداه منتهراً « ماهذا الهزيان يا رجل ومن انت حتى تنطق بما نطقت به او ان تنسب الى اسيادك ما قد نسبت ؟ من اقامك متكلماً عنهم او ما ادراك بمقاصدهم

وما انت الا احد صعاليكهم فاصمت ولا تعد للتداخل فيما لا يعنيك » فاختلف ظن الحاكم لما علم انه من صعاليك القوم . واستسمح مسلمة خاطره حتى يطلقهم ليرسلوا أميرهم ليتفق معه على عقد الصلح فاطلقهم وهم لا يصدقون بالنجاة . و بينما هم في الطريق قال مسلمة لعمرو « والله ما نجاك من الموت الا لطمة وردان » فوصلوا عسكرهم وهم على نية تشديد الحصار . وفي هذه الاثناء مات هرقل ملك الروم . ولما رأى المحصورون بالاسكندرية ان حصارها طال عليهم هاجروا بحرًا والذين لبثوا في المدينة لم يقووا على رد هجمات العدو فدخلها عمرو فاتحاً يوم الجمعة غرة محرم سنة ٢٠ ه الموافق ٢٢ دسمبر سنة ٦٤٠ م واقام فيها احتفالاً عظيماً تذكارًا للنصر الذي أوتيه وكتب الى امير المؤمنين يبشره بتمام الفتح وكانت الاسكندرية في ذلك الوقت عاصمة مصر فتم بفتحها فتح البلاد واستتب الامر فيها للمسلمين . فأقرَّ الخليفة عمرو بن العاص عاملاً عليها فحول التفاته الى اصلاح داخلية البلاد فبنى الفسطاط . وجامع عمرو ونظم العدلية وحفر خليج امير المؤمنين الموصل النيل والبحر الاحمر وسيأتي ذكره

(فتح طرابلس الغرب و برقة) وفي سنة ٢٢ ه سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه اهلها على الجزية ثم سار قاصدًا طرابلس الغرب فحاصرها شهرًا فامتنعت عليه ولم يظفر بها الى ان وفق الله لجماعة من المسلمين خرجوا للصيد فوجدوا مسلكاً بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا فتبعهم عمرو بجيشه فهرب الروم الموجودون بالمدينة بما خف حمله الى السفن التي كانت راسية حينئذ على شاطىء البحر بمرسى المدينة فاستولى المسلمون على المدينة . ثم سير عمرو جيشاً الى مدينة سبرة فدخلها عنوة وغنم كثيرًا مما فيها . ثم صالحهم اهلها على الجزية

(طاعون عمواس) وفي خلافة عمر بن الخطاب حدث بالشام طاعون عمواس الذي أهلك من عظماء الاسلام من لم يكن يهاب الموت في الحروب فكان ممن مات به أبو عبيدة بن الجراح وهو العامل على الشام ومعاذ بن جبل و يزيد بن ابي سفيان والحرث بن هشام وسهل بن عمرو وعتبة بن سهل وغيرهم . ثم فشا في

البصرة واهلك خلقاً كثيراً واستمر عدة شهور قيل بلغ عدة من هلك به ٢٥ الف نفس

(عام الرمادة) وفي خلافته أيضاً في سنة ١٨ هـ حصل قحط شديد ببلاد العرب لم ير مثله حتى كان الرجل يذبح الشاة فيعافها لقبحها . وكانت الريح تحمل تراباً كالرمادة فسميت سنة القحط هذه بعام الرمادة . فلما اشتد بالمسلمين الامر أرسل الخليفة يستحث عمرو بن العاص بأرسال مؤونة لاخوته من مصر فاحتفر خليج أمير المؤمنين الموصل بين النيل والبحر الاحمر وسير فيه المراكب تحمل الغلال الى المدينة . فعادت انفس المسلمين اليهم بأعالة عمرو لهم

(وفاة عمر بن الخطاب ووصيته) في سنة ٢٣ هـ خرج الخليفة يوماً الى السوق فلقيه فيروز ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فشكا له زيادة الخراج الذي يدفعه . فقال له الخليفة . كم خراجك . فقال . درهمان . وقال وصناعتك . قاله ابو لؤلؤة حداد نجار نقاش . فقال الخليفة ليس الدرهمان بكثير بن عليك وهذه صناعتك . فحقدها أبو لؤلؤة عليه . وفي يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ طعن ابو لؤلؤة الخليفة طعنات متوالية فاصابت احداها تحت سرته وهي التي كانت السبب لوفاته . فلما أيقن الخليفة ان المنية انشبت اظفارها فيه استدعى علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وسعد وعبد الرحمن والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وجعل الخلافة شورى بينهم وأوصى كلاً منهم بالوصاية الحكمية اللازم اتباعها اذا آلت اليه الخلافة من بعده . وقال لعبد الله بن عمر « ان اختلف الجماعة فيمن يكون الخليفة بعدي فكن مع الاكثر فان تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف » ثم مات الخليفة عمر بن الخطاب وعمره ٦٣ سنة ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر واربعة أيام ودفن بجانب قبر النبي . وبعد دفنه بثلاثة أيام اجتمع الستة الاشخاص الذين اختارهم وتشاوروا فيما بينهم وبعد جدال بايعوا عثمان بن عفان

٧ — خلافة عثمان بن عفان

من سنة ٢٣ هـ — ٣٥ هـ او من سنة ٦٤٤ — ٦٥٥ م

عثمان بن عفان ويكنى ابا عمر بويع بالخلافة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ . وهو عثمان بن عفان بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وكان متزوجاً رقية ابنة رسول الله وولد له منها عبد الله الاكبر . وعبد الله الاصغر . وكان عثمان في نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد فسلك عماله طريقته . وكان كلفاً باهله فعزل ولاة الامصار وولاهم عوضاً عنهم . فعزل ابا موسى الاشعري احد اعيان الصحابة عن ولاية البصرة وولى عوضاً عنه خاله عبد الرحمن بن عامر ثم عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولى مكانه عبد الله بن ابي سرح اخاه في الرضاعة وآوى الحكم بن العاص بن أمية طريد النبي واعطاه مائة الف درهم واعطى عبدالله بن خالد اربعمائة الف درهم . وفي أيامه اتسعت فتوحات المسلمين عما كانت عليه عند خلافته ففي بلاد فارس أرسل عثمان عبد الله بن عامر الى اصطخر وبها يزدجرد ملك الفرس فغادرها هذا الاخير هارباً الى دار ابجرد فارسل عبد الله في أثره مجاشع بن مسعود . فركب المفازة حتى اتى كرمان واخذ على طريق سجستان يريد الصين . وجاء مجاشع سجستان ثم رجع الى فارس لما لم يدرك يزدجرد . وخاف يزدجرد جداً واستمد طرخان التركي لنصرته . ولما اتى اليه استخف به وطرده . وعند انصرافه كر طرخان على يزدجرد فولى يريد المدينة فلقيه ماهويه مرزبان مرو وقتله . وبموته استتب الامر للمسلمين في كل ارض فارس بعد ان دوخوا البلاد قتلاً ونهباً . وبعد ان افتتحوا ما لم يفتتحوه في خلافة عمر بن الخطاب . وفي بدء خلافة عثمان كاتب روم القسطنطينية روم الاسكندرية ان ينقضوا صلح المسلمين ويستخلصوا مصر منهم فاجابوهم الى ذلك فسارت جيوش الروم من القسطنطينية قاصدة الاسكندرية في المراكب تحت قيادة منويل الخصي فلما وصلت جموع الروم الى الاسكندرية

منعهم المقوقس والقبط من الدخول الى المدينة فنزلوا في ساحلها وانضم اليهم من نقض من الروم ثم ساروا قاصدين الفسطاط فالتقتهم جيوش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص (ولم يكن عزل بعد) عند نفيوس ودارت رحى الحرب بين الفريقين فانهزم الروم وولوا الادبار فتبعتهم الجيوش الاسلامية حتى الاسكندرية ثم امر عمرو بهدم سور الاسكندرية فهدم . وبعد هذه الواقعة عزل عثمان عمراً وولى بدلاً عنه عبد الله بن سعد . وفي سنة ٢٧ هـ غزا عبد الله بن سعد افريقية وتغلب عليها وقتل ملكها جرجير وضم البلاد الى حكمه

(فتح قبرس) وفي سنة ٢٨ هـ سار معاوية بن ابي سفيان من الشام وعبد الله بن سعد من مصر لغزو جزيرة قبرس فصالحهم اهلها على سبعة آلاف دينار جزية سنوية يؤدون الى الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون من ذلك . وليس على المسلمين منعهم ممن ارادهم ممن وراءهم وعليهم ان يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم اليهم ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم

(مقتل عثمان) ولم ترق اعمال عثمان في اعين الناس فتكاتبوا من الامصار على خلعه وتوالت الاخبار الى اهل المدينة فجاءوا الى عثمان فلم يجدوا عنده علماً بشيء فقال لهم اشيروا عليَّ وانتم شهود . فقالوا له « نشير عليك ان ترسل رجالاً ممن تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك باخبارهم » فارسل بعضاً ممن يريدهم فأتوه بالاخبار وكان بين الذين ارسلهم عمار بن ياسر ارسله الى مصر فلم يرجع مع من رجع حتى ظنوا انه قد مات فوصل جواب من عبد الله بن سعد يذكر ان عماراً « قد استماله قوم وانقطعوا اليه » فكتب عثمان الى اهل الامصار « أني اخذ عمالي بموافاتي كل موسم وقد رفع اليَّ اهل المدينة ان اقواماً يشتمون ويضربون فمن ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان مني او من عمالي او تصدَّقوا فان الله يحب المتصدقين »

وفي سنة ٣٥ هـ بعث الى عماله بالامصار فقدموا عليه في الموسم وهم عبدالله بن عامر وعبد الله بن سعد ومعاوية فادخلهم امير المؤمنين وادخل معهم سعيد بن

العاص وعمراً وقال « ويحكم ماهذه الشكاية والله اني لخائف ان يكونوا صادقين وما يضرّ هذا الامر الاّ بي » فأرادوا ان يظهروا له براءتهم فقال لهم « ان لكل امر باب يؤتى منه ان هـذا الامر الذي يخاف علي هذه الامة كائن وان بابه عليه ليفتحن فتكفكفنه باللين والمواساة الاّ في حدود الله فان فتح فلا يكون لاحد علي حجة وقد علم الله اني لم آل الناس خيراً وان رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها . سكتوا الناس واظهروا لهم حقوقهم فاذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها »

ثم قاموا جميعاً بعد انتهاء الموسم ورجعوا الي المدينة فلما وصلوها ارسل عثمان فدعا علياً وطلحة والزبير وعنده معاوية . فقال معاوية بعد حمد الله « انتم اصحاب رسول الله وخيرته وولاة امر هذه الامة اخترتم صاحبكم عن غير غلة ولا طمع وقد كبر وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم لكان قريباً .... ولا تطمعوا الناس في امركم فوالله ان طمعوا فيه ما رأيتم منها ابداً الا ادباراً » فانتهره علي قائلاً « مالك ولذلك لا أم لك » فقال معاوية « دع امي فهي ليست بشر امهاتكم (وقد اسلمت و بايعت النبي) واجبني عما اقول لك » فقال عثمان « صدق ابن أخي انا اخبركم عني وعما وليت ان صاحبيّ اللذين كانا قبلي ظلما انفسهما ومن كان منهما بسبيل احتساباً وان رسول الله كان يعطي قرابته وانا في رهط اهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدي في شيء من ذلك لما اقوم به فيه فان رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمري لامركم تبع » فقالوا له « قد اصبت واحسنت . قد اعطيت عبد الله بن خالد بن اسيد خمسين الفاً . واعطيت مروان خمسة عشر الفاً » فأخذها منهما فرضوا وخرجوا راضين . وبعد خروجهم حاول معاوية ان يحمل الخليفة على الذهاب معه الى الشام او ان يترك عنده حرساً خوف غيلته فأبى كلا الامرين . ثم خرج معاوية من عنده قاصداً السفر فوجد نفراً من المهاجرين فيهم علي و طلحة والزبير فقال لهم « قد خلفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً وكاتفوه تكونوا اسعد منه بذلك » ثم ودعهم ومضى . وما زال سخط المسلمين

يزداد على عثمان حتى قر رأيهم أخيرًا على القدوم اليه الى المدينة فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلدي في الف رجل وخرج أهل الكوفة وأهل البصرة وكلهم في مثل عدد أهل مصر وكان ذلك في شوال مظهر بن الحج فلما وصلوا المدينة واجه المصريون علياً والبصريون طلحة والكوفيون الزبير وعرض كل منهم لمن واجه أمرهم فصاح عليٌّ بالمصريين وطردهم وهكذا فعل طلحة بالبصريين والزبير بالكوفيين فتفرق أهل المدينة ظناً منهم ان القوم رجعوا عن قصدهم . وكان قصد أهل مصر ان يخلع عنهم عبد الله بن سعد و يولي عليهم بدلاً منه فأجابهم على ذلك باشارة علي وخلع عبدالله بن سعد وولى عليهم محمد بن أبي بكر وكتب له أمرًا بالولاية فرجع أهل مصر ومعهم واليهم الجديد و بينما هم في الطريق واذا بعبد على هجين يجد السير فانكروه وقالوا له الى اين قاصد . قال الى والي مصر فقالوا له والي مصر هنا يقصدون محمد بن ابي بكر فقال لهم واليها الآخر عبد الله بن سعد . ففتشوه فوجدوا معه كتاباً الى عبد الله بن سعد وعليه خاتم عثمان يأمره فيه بتنكيلهم والمثلة بهم . فاخذوا العبد والكتاب وكروا راجعين الى المدينة . فلقيهم علي فقال لهم ما ردّكم بعد ذهابكم فقالوا له اخذنا كتاباً مع بريد بقتلنا والكتاب عليه ختم عثمان » فدخل علي على عثمان وأخبره برجوع المصريين فاشرف عثمان على الجمع وخطب فيهم يريد زجرهم فنادوا من كل ناحية « اتق الله يا عثمان وتب اليه » فرفع الخليفة صوته وقال «أنا أول من اتعظ واستغفر الله مما فعلت وأتوب اليه فليأت أشرافكم يرون رأيهم فوالله ان ردني الحق عبدًا لاستن بسنة العبد ولازلن زل العبد وما عن الله مذهب الا اليه فوالله لاعطينكم الرضا ولا احتجب عنكم » ثم بكى و بكى الناس

ثم دخل عليه علي ومحمد بن مسلمة وسألوه عن اعتراضه على ما يقوله أهل مصر فحلف لهما ما كتب ولا علم . ثم دخل عليه المصريون فقالوا له « جئنا لقتلك فردنا علي ومحمد وضمنا لنا النزوع عن هذا كله فرجعنا ولقينا رسولك ناقلاً كتاباً وفيه امرك لابن أبي سرح بجلدنا والمثلة بنا وهو بيد غلامك وعليه خاتمك » فحلف

عثمان لاكتب ولا أمر ولا علم . فقالوا . « كيف يجترأ عليك بمثل هـذا فقد استحقيت الخلع على كلتا الحالتين اذ لا يحل ان يولى الامور من ينتهي الى هذا الضعف فاخلع نفسك » فقال « لا أنزع ما البسني الله ولكنني اتوب وارجع » فقالوا « رأيناك تتوب وتعود فلا بد من قتلك »

وطلبوا منه أن يسلمهم مروان بن الحكم كاتبه ليقتلوه فلم يرض فخرجوا من عنده وحاصروه في قصره . فارسل الى علي « أترضى ان يقتل ابن عمك ويسلب ملكك » فقال علي لا والله وأرسل الى باب داره ابنيه الحسن والحسين يحرسانه وما زال محصورًا أربعين يومًا في نهايتها تسلق محمد بن أبي بكر مع رجلين حائط قصره فضربه أحدهم بمدية كانت معه وقتله الآخر والمصحف في حجره فتلوث قميصه بالدم فهجمت امرأته نائله لتحميه فاصيبت بضربة قطعت أصابعها ومكث ثلاثة أيام لم يدفن . وكانت وفاته في ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية . وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثنى عشر يومًا

٨ — خلافة علي بن ابي طالب

من سنة ٣٥ — ٤١ هـ او من سنة ٦٥٥ — ٦٦١م

لما قتل عثمان بن عفان اجتمع نفرٌ من المهاجرين والانصار وفيهم طلحة والزبير فاتوا عليًّا ليبايعوه . فأبى وقال لهم « أكون وزيرًا خير من ان اكون أميرًا ومن اخترتم رضيته » فالحوا عليه مرارًا بذلك وأخيرًا قالوا له « انا لا نعلم أحدًا أحق به منك لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله » فقبل طلبهم وخرجوا جميعًا الى المسجد ليبايعوه . وكان أول من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله وكان بيده شلل فتشاءم حبيب بن ذؤيب وقال . لا يتم هذا الامر . وتخلف عن مبايعة علي بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن العقبة والعثمانية من الصحابة . وأول خطبة قالها بعد الحمدله « ان الله أنزل كتابًا هاديًا

يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض الفرائض أدوها الى الله تعالى يؤدكم الجنة ان الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين . فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده الا بالحق ولا يحل دم امرىء مسلم الا بما يجب . بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فان الناس امامكم وانما خلفكم الساعة تحدوكم فخففوا تلحقوا فانما ينتظر الناس أخراهم اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده أنكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم . اطيعوا الله فلا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا اذا انتم قليل مستضعفون في الارض »

(نسبه وصفاته) بويع لعلي بالخلافة يوم مقتل عثمان . وهو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . ويكني ابا الحسن . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهو أول خليفة أبواه هاشميان . وكان متزوجاً فاطمة بنت النبي . وكان علي من الابطال المشهورين والفرسان المعدودين حتى لم يكن يبارز أحداً الا وقتله وكان صالحاً ورعاً . ولكنه لم يكن مسعداً بالخلافة

ولم يحصل في أيامه شيء مهم في خارجية البلاد كالغزو والفتح واقتصر كل ما حصل في أيامه على الثورات الداخلية واليك البيان

(عصيان عائشة وطلحة والزبير) كانت عائشة تؤلب على عثمان وتطعن فيه وكان هواها في طلحة . وكانت يوم مقتله بمكة و بينما هي راجعة الى المدينة استقبلها راكب . فقالت ما وراءك قال قتل عثمان . قالت كأني بالناس يبايعون طلحة . فجاء راكب آخر . فقالت له ما وراءك . قال بايع الناس علياً . فصرخت واعثماناه . ما قتله الا علي لاصبع من عثمان خير من طباق الارض أمثالهم فقال لها رجل من اخوالها . والله أول من امال حرفته لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلاً فقد كفر (تقصد عثمان) قالت انهم استتابوه ثم قتلوه . ثم انصرفت عائشة الى مكة . وسأل طلحة والزبير علياً أن يوليهما البصرة والكوفة

فأبى وقال . تكونان عندي أتجمل بكما فاني استوحش لفراقكما . فاستأذناه في العمرة فأذن لهما فقدما على عائشة بمكة وعظا لها أمر عثمان . وأعانهما بنو أمية وغيرهم . وخرجوا بعائشة حتى قدموا البصرة فأخذوا ابن حنيف أميرها من قبل علي فنتفوا لحيته وخلوا سبيله . فقصد علياً وقال له بعثتني ذا لحية وقد جئتك أمرد . قال أصبت أجراً وخيراً

ولما تحقق علي عصيان عائشة وطلحة والزبير ومن معهم ونزولهم بالبصرة خرج من المدينة ومعه ٩٠٠ رجل وجاءه من الكوفة ستة آلاف رجل فسار ومن معه قاصداً البصرة فالتقى بالثائرين بالخريبة فدار القتال بينهم ونشبت الحرب فخرج علي ودعا الزبير وطلحة . وقال للزبير ما الذى حملك على هذا . قال . لاني أراك لست أهلاً لهذا الامر . وقال لطلحة اجئت بعرس النبي تقاتل بها وخبأت عرسك بالبيت أما بايعتماني ؟ قالا بايعناك والسيف على أعناقنا . وفي هذه الاثناء أقبل رجل سعدي من أصحاب علي فقال بأعلى صوته مخاطباً عائشة «يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون انه لقد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكتِ سترك وأبحتِ حرمتك» ثم اقتتل الناس فهرب الزبير من المعركة فاتبعه عمر بن جرموز وقتله . وأما طلحة فأصابه سهم كان القاضي عليه . وقتل تسعون رجل على زمام الجمل وجعلت عائشة تنادي البقية البقية . ونادى علي اعقروا الجمل . فضربه رجل فسقط فحمل الهودج موضعاً واذا هو كالقنفذ لما فيه من السهام وجاء علي حتى وقف عليه وقال لمحمد بن ابي بكر انظر أحية هي أم لا . فأدخل محمد رأسه في هودجها . فقالت من أنت . قال أخوكِ البر . فقالت عقق . قال يا أخية هل أصابك شيء فقالت ما أنت وذاك . وانتهى الامر بانتصار علي على أخصامه والثائرين ضده فدخل البصرة بعد انتصاره في هذه الواقعة وتدعى (واقعة الجمل) ووبخ أهلها حتى استتب له الامر فيها

(عصيان معاوية) لما قتل عثمان بن عفان وآلت الخلافة من بعده الى علي

ابن ابي طالب كما مر بك عزل جميع عمال الامصار الذين كانوا في زمن عثمان وولى بدلاً منهم من رأى من المتقربين . فبعث عثمان بن حنيف على البصرة (وقد مر بك ما فعله به طلحة والزبير من نتف لحيته ورجوعه الى علي) وعمارة بن شهاب على الكوفة وعبد الله بن عباس على اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهيل بن حنيف على الشام بدلاً عن معاوية . أما سهل فخرج حتى تبوك فلقيته خيل فقالوا له من أنت . قال أمير. قالوا وعلى أي البلاد. قال على الشام . قالوا «ان كان بعثك عثمان فأهلاً وسهلاً بك وان كان بعثك غيره أي كان فارجع » قال أما سمعتم بالذي كان . قالوا بلى . فرجع الى علي . أما قيس بن سعد فأخذ معه جنداً من المدينة وسار الى مصر واستقام له الامر فيها الا فريقاً حيث كان يقيم أحزاب العثمانية. (وقبل أن يرسل علي عماله على الامصار نصحه المغيرة بن شعبة قائلاً له « ان حق الطاعة النصيحة وان الرأي اليوم تحوز به ما في غد وان التصارع اليوم تضيع به ما في الغد . اقرر معاوية في عمله واقرر ابن عامر في عمله وكذلك باقي العمال في أعمالهم حتى اذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت» فقال له علي « لا أداهن في ديني لابد من عزلهم جميعاً » فعاد له المغيرة في الغد وقال له اني أشرت عليك بالامس فلم تسمع ورأيي اليوم أن تعالجهم بالنزع فتعرف السامع من غيره و يستقل أمرك » وخرج من عنده وبعد خروجه دخل ابن عباس على علي وقال له . رأيت المغيرة خارجاً من عندك . فحكى له ما قاله المغيرة أمساً واليوم فقال له أما أمس فنصحك وأما اليوم فغشك »

وكان معاوية قد تحصل على قميص عثمان الملطخ بالدم وأصابع نائلة امرأته فجعل يعلق القميص على المنبر يومياً ويخطب في الناس و يغرس في أذهانهم ان قاتل عثمان انما هو علي . ويحثهم على معاملة القاتل بالقتل. فالتفت حوله دعاته رغبة في الانتقام و بايعه أهل الشام اميراً لا خليفة . ولما سمع معاوية بقول عائشة في علي ونقض طلحة والزبير البيعة ازداد قوة وظن انهم يكفونه مؤونة قتال علي . الا انه لما انتصر على طلحة والزبير وعائشة في واقعة الجمل . لم تنثن همة معاوية في طلب

ثار عثمان بل ازداد جرأة على سب علي وعماله . وتبصر معاوية في الامر ملياً فوجد نفسه بين نارين . مصر قد استقام أمرها بشجاعة سعد بن قيس والبصرة قد افتتحها علي وبايعته فلم يجد طريقاً يسلكه افضل من الحيلة بافساد عمال علي عليه فأرسل الى سعد بن قيس امير مصر من قبل علي كتاباً بين له فيه ان قاتل عثمان علي وأطال له الحجج بكلام لين وقد دس له السم في ذلك العسل الى أن قال له « ولك سلطان العرقين ما بقيت ولمن أحببت من أهلك سلطان الحجاز مادام لي سلطان وسلني ما شئت فاني أعطيك وا كتب اليَّ برأيك » ولكن هذه الحيلة لم تنطل على سعد بن قيس وتحقق خديعة معاوية فأرسل اليه كتاباً يقول « بأن هذا أمر يحتاج لنظر ولا يجوز التسرع اليه » فلما رآه متقارباً متباعداً . أراد أن يطرق هذا الباب لكن من طريق آخر فأرسل من يوهم علي بن أبي طالب ان قيساً مع معاوية ويرسل اليه بآرائه سرًّا ومع ان علياً لم يصدق هذه الاشاعة لكنه دخله الريب فأرسل الى قيس بأن يحارب حزب العثمانية (الذين في مصر) ويفنيهم وكان حزب العثمانية في مصر هادئاً غير ثائر فلم يرَ قيس وجهاً لمحاربتهم فأرسل الى علي يوريه استحسان عدم حربه فظن علي ان ذلك لانه ضلعه معهم فعزله عن ولاية مصر وأرسل اليها بدلاً عنه محمد بن ابي بكر وقد نجح معاوية في هذه الحيلة . وتقوى باتحاد عمرو بن العاص معه

(واقعة صفين) لما عاد علي من البصرة بعد فراغه من واقعة الجمل قصد الكوفة وأرسل الى عامل همذان واذربيجان يطلب منهما البيعة فبايعاه ولم يجد علي احداً من عمال الامصار لم يبايعه الا معاوية فأراد أن يرسل اليه من ينصحه ويأخذ البيعة منه فقال جرير بن عبد الله عامل همذان لعلي أرسلني اليه فلي معه ودٌّ فقال له بعضهم لا تفعل فان هواه مع معاوية . فقال علي . دعه حتى ننظر ما الذى يرجع الينا به . فبعثه وكتب معه كتاباً لمعاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والانصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وحربه اياهما . ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار من طاعته . فسار جرير الى معاوية فلما قدم عليه

ماطله واستنظره واستشار عمرو بن العاص فاشار عليه أن يجمع اهل الشام ويلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم ففعل معاوية ذلك . فرجع جرير الى علي وعرفه باجتماع كلمة الشاميين مع معاوية واستعدادهم لاخذ ثار عثمان منه . فلما تحقق علي استعداد معاوية خرج بجيشه قاصداً معاوية وكان هذا قد خرج بجيشه أيضاً قاصداً علياً . فنزل معاوية ومعه جيشه البالغ ٨٥,٠٠٠ رجل في صفين وعسكر في موضع سهل افيح اختاره قبل قدوم علي على شريعة لم يكن على الفرات افضل منها ولا أسهل للوارد الى الماء وما عداها اخراق عالية ومواضع الى الماء وعرة ووكل ابا الاعور السلمي بالشريعة مع أربعين الفاً . أما ما كان من أمر علي فانه خرج من البصرة في تسعين الف مقاتل فاجتاز بالمدائن ثم أتى الانبار وسار حتى نزل الرقة وعقد هناك له جسرا فعبر الى الشام فوجد معاوية قد سبقه الى صفين ولم يجد مورداً للماء للاستسقاء فبات وكل جيشه عطاشى . وقال عمرو بن العاص لمعاوية ان علياً لا يموت عطشاً هو وتسعون الفاً وسيوفهم على عواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاوية . لا والله او يموتوا عطشاً كما مات عثمان . وكان علي لا يفتر لحظة عن تجسس حالة جيشه فبينما كان يدور سمع قائلاً يقول :

أيمنعنا القوم ماء الفرات وفينا الرماح وفينا الجحف
وفينا عليٌّ له صولة اذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير وطلحة غضنا غمار التلف
فما بالنا الامس أسد العرين وما بالنا اليوم شاة النجف

والقي في فسطاط الاشعث بن قيس رقعة فيها :

لئن لن يجل الاشعث اليوم كربة من الموت عنا للنفوس تعلت
ونشرب من ماء الفرات بسيفه فهبنا أناساً قبل كانوا فمرت

فلما قرأها حمي وأتى علياً . فقال له علي . اخرج في أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم في وسط عسكر معاوية فتشرب وتستقي لاصحابك أو تموتوا عن آخركم فسار الاشعث وهو يقول :

لاوردن خيلي الفراتا شعث النواصي أو يقال ماتا

ثم سار علي بباقي الجيش وراء الاشتر واذا هو قد هجم على معسكر معاوية وأزال ابا الاعور عن الشريعة بعد ان غرق جمع كثير من معسكر معاوية . واستولى علي على تلك الشريعة وشرب الجيش وارتحل معاوية عن ذلك الموضع وكاد يموت هو وجيشه عطشاً فقال لعمرو بن العاص . يا ابا عبدالله ما ظنك بالرجل اتراه يمنعنا الماء كما منعناه اياه . فقال عمرو . ولا ان الرجل جاء لغير هذا وانه لا يرضى الا أن تدخل في طاعته أو يقطع حبال عاتقك . فارسل معاوية الى علي يستأذنه في ورود مشرعته واستقاء الناس من طريقه . فاباحه ولم يمنعه . (فشتان بين علي ومعاوية) وكان شهر محرم قد حل فعزم القوم على ترك القتال فيه وبعد انتهائه دارت رحى الحرب بين الفريقين وحمي وطيسها مدة طويلة حتى قيل أن عدة الوقائع التي حصلت بصفين تسعون واقعة وفني خلق كثير من الفريقين وكادت الدائرة تدور على معاوية فأمر برفع المصاحف على الحراب فرفع جيشه خمسمائة مصحف على حرابهم فسألهم علي عن رفع المصاحف . فقالوا له بيننا وبينكم كتاب الله . انصبوا حكماً منكم وننصب حكماً منا ونأخذ عليهما أن يعملا بما بكتاب الله ثم نتبع ما اتفقا عليه فوقعت الاجابة من الفريقين واضطر علي الى اجابتهم . واختار علي أبا موسى الاشعري واختار معاوية عمرو بن العاص فكتبوا القضية على أن يحكم الحكمان بكتاب الله والسنة والجماعة وصيروا الاجل شهر رمضان فسار علي الى الكوفة . ومعاوية الى الشام فلما دخل علي الكوفة اعتزل عنه اثنا عشر الف من القراء وهم ينادونه . جزعت من البلية ورضيت بالقضية وحكمت الرجال

(أمر الحكمين) ثم اجتمع أبو موسي الاشعري وعمرو بن العاص للتحكيم بموضع بين مكة والكوفة والشام وذلك بعد وقائع صفين بثمانية أشهر ومعهم جماعة من الصحابة والتابعين . فضربا فسطاطاً . وقال عمرو . يجب ان لا نقول شيئاً الا كتبناه حتى لا نرجع عنه . فدعى بكاتب وقال له سراً ابدأ باسمي . فلما أخذ

الكاتب الصحيفة وكتب البسملة بدأ باسم عمرو . فقال له عمرو . امحه وابدأ باسم أبي موسى فانه أفضل مني واولى بان يقدم (وكانت منه خديعة) ثم قال . ماتقول ياأبا موسى في قتل عثمان . قال قتل والله مظلوماً فقال اكتب ياغلام . ثم قال ياابا موسى ان اصلاح الامة وحقن الدماء خير مماوقع فيه علي ومعاوية فان رأيت ان تخرجهما وتستخلف على الامة من يرضى به المسلمون فان هذه امانه عظيمة في رقابنا . قال لابأس من ذلك . فقال عمرو اكتب ياغلام . ثم ختما الكتاب على ذلك . فلما قعدا في الغد للنظر قال عمرو ياأبا موسى قد أخرجنا علياً ومعاوية من هذا الامر فسمِّ له من شئت . فسمى له عدة لم يرتضهم عمرو فعرف أبو موسى انه يتلعب به فقال . أفعلتها يا كاب لعنك الله . قال له عمرو . بل انت حمار لعنك الله . ثم قال عمرو للمجتمعين ان هذا خلع صاحبه وانا اخلع صاحبه كما أخلع هذا الخاتم من يدي ولكن اثبت صاحبي معاوية فانه وليُّ عثمان والطالب بدمه واحق الناس بمقامه ثم ركب ابو موسى ولحق بمكة حياءً من الناس وانصرف عمرو واهل الشام الى معاوية وسلموا عليه بالخلافة ومن ذلك الوقت أخذ معاوية في القوة وعليٌّ في الضعف

ولما علم علي بما تم مع الحكمين حض أهل الكوفة على المسير الى معاوية لقتاله فتقاعدوا وقالوا نستريح ونصلح عدتنا . هذا من جهة وشغله قتال الخوارج عن المسير الى معاوية من جهة أخرى

(فتح معاوية لمصر) لما اخذ عمرو بن العاص البيعة بالخلافة لمعاوية تثاقل عليه ولم يبايعه الاَّ اذا جعله عاملاً على مصر مادام حياً . فقبل معاوية عمرو علي هذا الشرط وكما كان عمرو بن العاص يحض عمر بن الخطاب لفتح مصر صار يحض معاوية لفتحها أيضاً . فمرة ماأرسل معاوية واستدعى اليه عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وغيرهما . وقال لهم اتدرون لما جمعتكم . فقال عمرو بن العاص . دعوتنا لتسألنا عن رأينا في مصر فان كنت جمعتنا لذلك فاعزم واصبر فنعم الرأي رأيت في افتتاحها فان فيه عزك وعز أصحابك وكبت عدوك وذل اهل الشقاق

عليك . فقال معاوية . « اهمك ياابن العاص ماأهمك » ونظر الى الحضور وقال .
لقد اصاب ابو عبد الله فما ترون . فقالوا لانرى الا مارأى عمرو فجهز معاوية جيشاً
وسيره لافتتاح مصر بقيادة عمرو بن العاص فافتتحها وقتل محمد بن أبي بكر عامل
علي عليها . وكان علي أرسل الاشتر مدداً لمحمد بن ابي بكر فلما وصل الى القلزم سقاه
رجلٌ عسلاً مسموماً فمات فقال معاوية في ذلك . ان لله جنداً من عسل . ولم
يكتفِ عمرو بن العاص بقتل محمد بن ابي بكر . بل وضعه في جيفة حمار وأحرقه .
وبايع أهل مصر لمعاوية واستتب له الامر فيها . اما الامام علي فلم ينفك عن
حث الناس ليجمع مدداً اخر ليسيره الى مصر فلم يجتمع معه الا نفر قليل . وفي
هذه الاثناء جاءه خبر فتح مصر ومقتل محمد بن ابي بكر فاشتد غيظه وخطب
في الناس قائلاً :

« الا أن مصر قد افتتحها اهل الفجور اولو الجور والظلم الذين حادوا عن
سبيل الله وبغوا الاسلام عوجاً . الا وان محمد بن ابي بكر قد استشهد فعند الله
نحتسبه . اما والله ان كان كما علمت لممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض
شكل الفاجر ويحب هدى المؤمن . اني والله ما الوم نفسي على تقصير واني
لمقاساة الحروب لجدير خبير واني لاتقدم على الامر واعرف وجه الحزم واقوم فيكم
بالرأي المصيب واستعرضكم معلناً واناديكم نداء المستغيث فلا تسمعون لي قولاً
ولا تطيعون لي أمراً حتى تصير بي الامور الى عواقب المساءة فانتم القوم لا يدرك
بكم الثار ولا تنقضي بكم الاوتار . دعوتكم الى غياث اخوانكم من بضع وخمسين ليلة
فتجرجرتم جرجرة الجمل الاشدق وتثاقلتم الى الارض تثاقل من ليس له نية في
جهاد العدو ولا اكتساب الاجر ثم خرج اليَّ منكم جنيد متذانب كانما يساقون
الى الموت وهم ينظرون فأفٍ لكم »

وفي سنة ٤٠ هـ أرسل معاوية بسر بن ارطاة في عسكر الى الحجاز فاتى المدينة
وبها ابو أيوب الانصاري عاملاً لعلي فهرب ولحق بعلي ودخل بسر المدينة وسفك
فيها الدماء واستكره الناس على البيعة لمعاوية ثم سار الى اليمن وقتل الوفاً من الناس

وهرب منها عبيد الله بن العباس عامل علي وكان له ابنان فذبحهما بسر . وما زال معاوية مجتهداً في تسريب السرايا الى النواحي التي يليها عمال علي وشن الغارات حتى بلغ من القوة شأواً بعيداً وكان كلما ازداد معاوية قوةً ازداد علي ضعفاً

(مقتل علي)

وفي رمضان من تلك السنة اجتمع ثلاثة من الخوارج هم عبد الرحمن بن ملجم المرادي وعمرو بن بكر التميمي والبرك بن عبد الله التميمي وقالوا لو قتلنا أيمة الضلال لارحنا منهم العباد فقال ابن ملجم انا اكفيكم علياً وقال البرك انا اكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر انا اكفيكم عمرو بن العاص وتعاهدوا أن لا يغير أحد منهم عمن توجه اليه وتواعدوا لسبع عشرة ليلة تمضي من رمضان فلما كانت الليلة الموعودة ذهب ابن ملجم ومعه رجلان يقال لاحدهما وردان وللآخر شبيب ووثبوا على علي وقد خرج الى الصلاة فضربه شبيب ثم ترك السيف وهرب وضربه ابن ملجم في جبهته ضربة قاضية وفر وردان وأمسك القاتل . ولما مات علي أخرجوه من السجن وقتلوه معذباً . أما البرك فوثب على معاوية في تلك الليلة وضربه بالسيف فلم يصدقه وأمسك البرك فقال له اني أبشرك فلا تقتلني فقال بماذا قال ان رفيقي قتل علياً في هذه الليلة . فقال معاوية لعله لم يقدر . فقال بلى . ان علياً ليس معه من يحرسه . فلم تشفع فيه هذه البشارة فقتله معاوية . وأما عمرو بن بكر فانه تربص تلك الليلة لعمرو بن العاص فلم يخرج للصلاة كالعادة بل كان قد أمر خارجة بن ابي حبيب ان يصلي بالناس فظنه عمرو بن بكر انه عمرو بن العاص فقتله . فامسكه الناس وأتوا به الى عمرو بن العاص . فقال اردته واراد الله خارجة فقتلوه

وكان مقتل علي لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ٤٠ هـ وكانت مدة خلافته اربع سنين وتسعة أشهر وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . ولعلي خطب بليغة تشهد بطول باعه مجموعة في كتابه المعروف بنهج البلاغة

٩ — خلافة الحسن بن علي بن ابي طالب

من سنة ٤٠ هـ — ٤١ هـ

بويع له بالخلافة بعد مقتل ابيه بالكوفة واول من بايعه قيس بن سعد الانصاري وقال له ابسط يدك ابايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلين · فقال الحسن على كتاب الله وسنة رسوله فانهما يأتيان على كل شرط · فبايعه الناس وكان يشترط عليهم اثناء مبايعتهم له ان يكونوا مطيعين يسالمون من يسالم و يحاربون من يحارب · وكان ابوه علي قبيل وفاته يحض الناس على قتال معاوية فبايعه اربعون الفاً من عسكره على الموت و بينما هو يتجهز للمسير الى معاوية عاجله القدر فمات مقتولاً كما مر ذكر ذلك · فلما قتل علي و بايع الناس ولده انتهز معاوية هذه الفرصة وسار في جموع اهل الشام قاصداً الحسن فبلغ الحسن ذلك فسار من الكوفة في اثني عشر الفاً من عسكره حتى وصل المداين وجعل قيس بن سعد على مقدمته فلما نزل الحسن المداين اشاع بعضهم موت قيس ابن سعد فنفر الجيش بسرادق الحسن ونهبوا بساطاً كان يجلس عليه · فازداد الحسن بغضاً للحرب وذعراً من جيشه ووصل المقصورة البيضاء بالمداين · ومن ذلك الوقت عزم على تسليم امر الخلافة الى معاوية واستشار اخاه الحسين في ذلك وغيره فنهاه الحسين عن الامر قائلاً « أنشدك الله ان لا تصدق احدوثة معاوية وتكذب احدوثة ابيك » فقال له الحسن · اسكت انا اعلم بالامر منك ولا بدّ من ذلك · وارسل الى معاوية شروطاً ان هو قبلها تنازل له عن الخلافة واهم هذه الشروط ان يعطيه ما في بيت مال الكوفة وخراج دارابجرد وان لا يشتم علياً · فاجابه معاوية الى كل ما طلب الاّ شتم علي فلم يجبه اليه وقال لا بد منه · فطلب منه الحسن ان لا يكون ذلك على مسمع منه فاجابه الى ذلك · فتنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة و بايعه ودخل كلاهما الكوفة · فاوعز عمرو بن العاص الى معاوية ان يجعل الحسن يخطب في الناس ليظهر لهم عيه · فخطب معاوية ثم امر الحسن ان يخطبهم · فقال · بعد ان حمد الله واثنى · ايها الناس ان الله هداكم باولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول · فلما قالها قال له معاوية اجلس · وحقدها عليه · ثم قام خطيباً فقال · اني كنت شرطت شروطاً أردت بها نظام الالفة · وقد جمع الله كلمتنا وازال فرقتنا فكل شرط شرطته فهو مردود · فقام الحسن وقال · ألا وانا قد اخترت العار على النار · وسار الى المدينة واقام بها الى ان مات سنة ٤٩ هـ وقيل ٤٧ هـ والله اعلم · وكانت مدة خلافته

خمسة اشهر وقيل ستة اشهر . وقيل في موته ان معاوية ارسل الى امرأة الحسن جعدة بنت الاشعث رسولاً قال لها . انك ان احتلت في قتل الحسن اعطيتك ماية الف درهم وزوجتك يزيد فدست للحسن السم في الطعام فمات مسموماً . فلما مات ارسل معاوية اليها ما اشترط عليه من المال وقال لها لولا اننا نحب حياة يزيد لوفينا لك بتزويجه

١٠ — خلفاء بني امية

من سنة ٤١ هـ — ١٣٢ هـ او ٦٦١ م الى سنة ٧٥٠ م

بنو امية بطن من بطون قريش كما ان بني هاشم بطن منها ايضاً الاَّ ان بني امية كانوا اكثر عدداً من بني هاشم واوفر رجالاً وكان لهم قبل الاسلام شرف وفخر . فلما مات عثمان بن عفان وهو الخليفة الثالث وكان من بني امية اختلف الناس على خلافة علي بن ابي طالب ورجعوا الى امر العصبية الطبيعية وكانت عساكر علي في ذلك الوقت كافية لتوطيد كرسي الخلافة له الاَّ انه لكثرة الحروب والانشقاقات الداخلية ضعفت شوكة بني هاشم فنهض معاوية بن ابي سفيان الاموي للرئاسة والاخذ بثأر عثمان وانتهى الامر بمبايعته نهائياً سنة ٤١ هـ حين تنازل له الحسن عن الخلافة كما مر مفصلاً

١١ — خلافة معاوية بن ابي سفيان

من سنة ٤١ هـ الى سنة ٦٠ هـ او من سنة ٦٦١ م الى سنة ٦٨١ م

هو معاوية بن ابي سفيان واسم ابي سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس ابن عبد مناف بويع لهُ الخلافة ببيت المقدس سنة ٤٠ هـ وتوطدت دعائمها في سنة ٤١ هـ بمبايعة الحسن له وتسليم الامر اليه وهو اول من اتخذ الشام قاعدة ملكه وبه تغيرت اطوار الخلافة فبعد ان كانت الخلافه منصباً دينياً صيره دنيوياً سياسياً . ولما استتب له الامر رتب عماله على الامصار كما يلي

البصرة — بسر بن ارطاة ثم ابن عامر ثم الحرث بن عبد الله ثم زياد

خراسان — قيس بن الهيثم ثم عبيد الله بن زياد
مصر — عمرو بن العاص ثم عبد الله ابنه ثم معاوية بن حديج ثم عقبة بن عامر ثم مسلمة بن مخلد
المدينة — مروان بن الحكم ثم سعيد بن العاص ثم مروان ثانية
افريقية — عقبه بن نافع ثم مسلمة بن مخلد

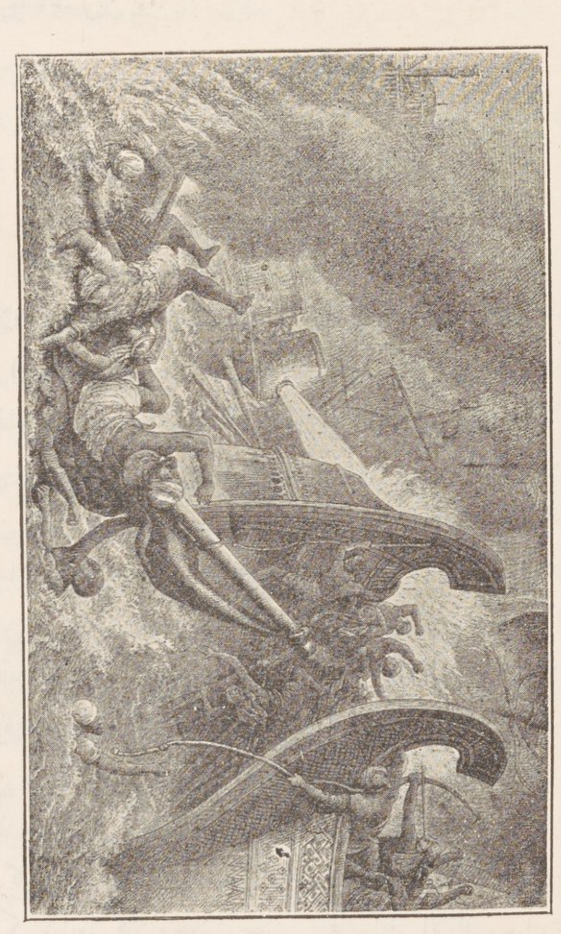


(ش ٤) نقود معاوية بن ابي سفيان (عن تاريخ مصر الحديث)

اما ما كان في ايام خلافته من الاحداث فينحصر في قسمين القسم الاول احداث داخلية والثاني خارجية . اما القسم الاول الاحداث الداخلية فأهمها قتاله ووقائعه مع الخوارج ففي سنة ٤١ ﻫ سار الى قتاله خمسمائة من الخوارج عليهم فروه بن نوفل فسير اليهم معاوية جيشاً من اهل الشام فانتصر الخوارج عليهم فارسل معاوية الى اهل الكوفة لقتال الخوارج فقاتلوهم حتى قتل فروه بن نوفل كبيرهم فاستعملوا عليهم حوثرة بن وداع وساروا حتى اتوا النخيلة واجتمع اليهم بعض الناس فارسل اليهم عبد الله بن عوف نحو الفين فقاتلهم ولم ينج منهم الا خمسون شخصاً وما زال معاوية يقاتل الخوارج حتى ضعف امرهم وأخلدوا الى السكينة بعد ان قتل منهم خلقاً كثيراً في عدة سنين . ومنها بناء مدينة القيران في افريقية بناها عقبة بن نافع حين كان عاملاً على افريقية . وكان السبب في بناها ان اهل افريقيا كانوا يرتدون اذا فارقهم وكان مقام الولاة في برديله و برقة فرأى عقبة ان يتخذ مدينة بتلك البلاد تكون مقراً للعسكر فبنى القيروان واتمها في خمس سنوات

اما القسم الثاني الاحداث الخارجية فمنها افتتاح السودان سنة ٤٣ ﻫ افتتحها عمرو بن العاص . وفي هذه السنة (٤٣ ﻫ) غزا عبد الله بن سوار العبدي القيقان من بلاد السند فاصاب مغنماً عظيماً ورجع الى معاوية واهداه خيلاً قيقانية ورجع

لغزوه ايضاً فاستنجدوا الترك فقتلوه . ثم غـزاها بعده المهلب بن ابي صفرة . ومنها الغزو في بلاد الروم والقسطنطينية وبيان ذلك انه لما استتب الامر لمعاوية اخذ يرسل سراياه سنوياً لبلاد الروم لغزوها فيصيبون منها مغنماً ويعودون ودامت غزواتهم بهذه الكيفية خمس سنوات وفي سنة ٤٨ هـ ارسل معاوية جيشاً كثيفاً مع سفيان بن عوف لافتتاح القسطنطينية فسار بجيشه الجرار حتى اتى اسوار القسطنطينية . وكان احد اليونانيين المدعو كلينكيوس من مدينة هيلوبوليس قد اصطنع حراريق نارية مركبة من النفط والقطران والكبريت ومن عجيب خواصها انها اذا اشتعلت لا تطفأ فأتى باختراعه هذا الى القسطنطينية . وما عتم المسلمون ان وصلوا خارج



(ش ٥) اسطول عربي يحارب الروم وهم يرمونه بالنار اليونانية (عن تاريخ التمدن الاسلامي)

المدينة حتى رماهم الروم بهذه النار فاحترق الاسطول الاسلامي الراسي بمينائها برمته وخسر الجيش الاسلامي في هذه الغزوة خسائر جمة ورجع بخفي حنين بعد ان نال منه ملك الروم صلحاً ان يدفع له خراج ثلاثين سنة .

وقيل ان معاوية اول من خطب قاعداً لانه كان بطيناً بادناً واول من قدم الخطبة على الصلاة خشية ان يتفرق الناس عنه قبل ان يقول ما بداله . وقبل موته اخذ البيعة ليزيد ابنه بايعه الشاميون وعارضه اهل المدينة ومكة في هذا الامر فارهبهم معاوية بقتالهم ان لم يبايعوا ليزيد فبايعوا له قهراً ثم مات معاوية في رجب سنة ٦٠ ﻫ بدمشق وعمره ثمانون سنة وكانت مدة خلافته مذ اجتمع له الامر و بايعه الحسن تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر وسبعة وعشرين يوماً

١٢ — خلافة يزيد بن معاوية

من سنة ٦٠ ﻫ — ٦٤ ﻫ او سنة ٦٨١ — ٦٨٤ م

بويع بالخلافة يوم وفاة ابيه وكان ابوه اخذ له البيعة قبل موته خوفاً من ضياعها منه وسن قانون الوراثة في نسله من بعده الا ان كثيرين لم يروا في يزيد هيبة ابيه ولا قوته ولا بطشه بل رأوه منقاعداً وغير اهل للخلافة فلم يرضوا بمبايعته فارسل اهل الكوفة الى الحسين بن علي بن ابي طالب يحثونه على المسير اليهم ليبايعوه . فارسل لهم الحسين مسلم بن عقيل بن ابي طالب ليأخذ له البيعة فبايعه ثلاثون الفاً . ولما بلغ يزيد مراسلة اهل الكوفة الحسين ومبايعتهم له عزل عنها عامله النعمان بن بشير واقر عليها عبيد الله بن زياد امير البصرة واستخلف على البصرة عثمان بن زياد اخا عبيد الله ولما صار عبيد الله الى الكوفة اجتمع عليه مبايعو الحسين وحصروه في قصره فاعمل الحيلة حتى قلب الناس وفرقهم عن مسلم بن عقيل واحضر مسلم وقتله وارسل براسه الى يزيد . وكان الحسين بن علي قد خرج قاصداً الكوفة فلما بلغه مقتل مسلم تخاذل عنه اكثر جموعه وتفرقوا فلما وصلوا الى مكان يقال له شراف التقى بالحر صاحب شرطة عبيد الله في الني فارس وكان عبيد الله ارسله لقتال الحسين وشيعته . فقال له الحسين ما اتيت الا بناء علي ظلبكم مبايعتي فان رجعتم رجعت . فابى الحر الا ان يسير معه فورد

له كتاب عبيد الله بن زياد بان ينزل الحسين على غير ماء فانزله بكر بلاء . وقدم من الكوفة عمر بن سعد بن ابي وقاص في اربعة آلاف مقاتل لحرب الحسين . فطلب منهم الحسين اما ان يمكنوه من العود او يرسلوه الى يزيد . فكتب عمر الى عبيد الله بن زياد بذلك فغضب وارسل شمر بن الجوشن الى عمر بن سعد يقول له اما ان تقاتل الحسين وتقتله وتطأ الخيل جثته واما ان تنعزل و يكون الامير على الجيوش شمراً فقال عمر . بل اقاتله ونهض لمقاتلة الحسين ومن معه ليلة الخميس تاسع المحرم فسالهم الحسين مهلة يوم فاجابوه الى ذلك فبات هو ومن معه يصلون الليل كله و يدعون على يزيد . وكان الذين مع الحسين اثنين وثلاثين فارساً واربعين رجلاً . ولما كان يوم الجمعة يوم عاشوراء ركب عمر بن سعد في الجيش وقاتلوا الحسين وجماعته القلائل . فقاتلوهم مستميتين وثبت الحسين ومن معه الى الظهر واشتد العطش على الحسين وتقدم ليشرب فرماه احدهم بسهم وقع في فمه ونادى شمر و يحكم اقتلوه فقتلوه واحتز شمر رأسه وجاؤا بجثة الحسين الى عمر بن سعد فامر جماعة فوطئوا ظهر الحسين وصدره بخيولهم وبعث برأسه ورؤوس من قتلوا معه الى عبيد الله بن زياد وهذا ارسلها الى يزيد فجهزهم يزيد الى المدينة فلقيهم نساء بني هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل تبكي وتقول

ماذا تقولون ان قال النبي لكم	ماذا فعلتم وانتم آخر الامم
بعترتي وباهلي بعد مفتقدي	منهم اسارى وجرحى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم	ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

واشتد حقد المسلمين على يزيد لقتله الحسين فاتفق أهل المدينة على خلعه وأخرجوا نائبه عثمان ابن محمد بن ابي سفيان فجهز يزيد جيشاً مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل بقيادة مسلم بن عقبة فساروا الى المدينة وحاصروها وعمل اهل المدينة خندقاً حولها وتقاتلوا شديداً حتى انهزم اهل المدينة وافتتحها مسلم بن عقبة وأباح نهبها وسبيها ثلاثة أيام يقتلون الناس و ينهبون الاموال و يفسقون في النساء وما زال بها حتى بايع من بها من الناس ان يكونوا عبيداً ليزيد . وكان عبد الله بن الزبير بمكة فلما سمع بقتل الحسين وما فعله مسلم بن عقبة بالمدينة حض أهل مكة على مخالفة يزيد وما زال يظهر عيوبه وعيوب عماله حتى هاج أهل مكة والحجاز وارادوا أن يأخذوا الثار من يزيد فبايعوا عبد الله ابن الزبير خليفة عليهم . وبلغ مسلم بن عقبة هياج الحجازيين ومبايعتهم ابن الزبير فسار في جيشه من المدينة قاصداً مكة فلما انتهى الى المشلل أدركه القدر المحتوم فقضى

نحبه بعد ان اقام مقامه الحصين بن نمير وذلك في شهر محرم سنة ٦٤ ﻫ وحاصر الحصين عبد الله بن الزبير بمكة وشدّد عليها الحصار اربعين يوماً ورمى الكعبة بالمنجنيق واحرقها بالنار وفي هذه الاثناء توفي يزيد وذلك في ربيع اول سنة ٦٤ ﻫ فلما بلغ الحصين موته ارتحل الى الشام . واتخذ عبدالله بن الزبير هذا الحصار واحراق الكعبة فرصة مناسبة للطعن في يزيد وعماله حتى استتب له الامر بالحجاز

(فتح المغرب الاقصى) وفي ايام يزيد سنة ٦٢ ﻫ تم افتتاح المغرب الاقصى وبيان ذلك . ان معاوية ابا يزيد كان قد عزل عتبة بن نافع عن افريقية وولاها غيره فلما عاد الى الشام وعده معاوية بارجاعه الى افريقية ولكنه لم يلبث ان مات وصارت الخلافة الى ابنه يزيد فاستعمل يزيد عقبة بن نافع على أفريقية فلما وصل الى القيروان جمع جنداً كثيفاً ثم سار حتى دخل مدينة باغاية وقد اجتمع بها جيش عظيم للروم فقاتلهم عقبة وانتصر عليهم وغنم منهم غنائم كثيرة فاوى الروم الى المدينة واغلقوا ابوابها فحاصرهم عقبة ولما رأى امتناعها عليه كره المقام عليها فسار الى بلاد الزاب وقصد مدينتها العظمى واسمها اربه فاتمنع من بها من الروم وهرب بعضهم الى الجبال . واقتتل الفريقان مراراً حتى انهزم الروم بعد قتل كثير من فرسانهم . فلما رأى الروم شدة ما وقع بهم استنجدوا البربر فاجابوهم ونصروهم فاجتمعوا في جمع كثير واتفقوا واقتتلوا قتالاً شديداً واشتد الامر على المسلمين جداً فلما رأى عقبة صعوبة الموقف استحث همة الجيش وهجم مستيميتاً فانهزم الروم والبربر فتبعهم المسلمون واعملوا فيهم السيف وغنموا اموالهم وسلاحهم . ثم سار حتى وصل طنجة فلقيه يوليان بطريق الروم وصالحه واهدى له هدية حسنة وساله عقبة عن الاندلس فعظم الامر عليه فرجع بمن معه بعد ان قتل كثيرين من البربر في بلادهم وغنم مغانم عظيمة

(وفاة يزيد وشيء من سيرته) وتوفي يزيد بن معاوية في شهر ربيع اول سنة ٦٤ ﻫ لاربع عشرة خلت منه وعمره ثمان وثلاثون سنة ومدة خلافته ثلاث سنين ونصف وكان شاعراً عربياً فصيحاً ربي في بني كلب مع امه ميسون بنت بحدل بن انيف الكلبية طلقها معاوية حين سمعها تنشد

للبس عباءة وتقرّ عيني	احب اليّ من لبس الشفوف
وبيت تخفق الارياح فيه	احب اليّ من قصر منيف
وبكر يتبع الاظعان صعب	احب اليّ من بغل زفوف

وكاب ينبح الاضياف دوني احب الي من علج عنيف

فقال لها معاوية ما رضيت يابنت بحدل حتى جعلتني علجاً الحقي باهلك فمضت الى كلب ويزيد معها . ومن شعر يزيد

دعوت بماء في اناء فجاءني غلام به خمراً فاوسعته زجرا

فقال هو الماء القراح وانما تبدى به خدي فاوهمك الخمرا

١٣ — خلافة معاوية بن يزيد

ولما توفي يزيد بويع بالخلافة ولده معاوية وكنيته ابو ليل وكان شاباً ديناً فلم تكن ولايته الاّ اربعين يوماً وقيل ستين يوماً وقيل تسعين بوماً ومات وعمره احدى وعشرون سنة . وكان قبل موته جمع الناس وخطب فيهم قائلاً « ان جدي معاوية نازع الامر من كان اولي به ثم تقلده ابي ولقد كان غيرخليق به . ولا احب ان القى الله عزّ وجلّ بتبعاتكم فشأنكم وامركم ولوه من شئتم » ثم نزل ودخل بيته واغلق بابه وتخلى بالعبادة حتى مات

١٤ — خلافة مروان بن الحكم

من سنة ٦٤ — ٦٥ ه او سنة ٦٨٤ م

بايع اهل الحجاز لعبد الله ابن الزبير في سنة ٦٤ ه في مدة خلافة يزيد بن معاوية وكان جيش يزيد محاصراً له بمكة فلما علم الحصين بن نمير قائد الجيش بوفاة يزيد رجع الى الشام ولما لم تطل مدة خلافة معاوية بن يزيد استتب الامر في الحجاز واليمن لعبد الله بن الزبير و بايعه الناس واول عمل باشره هدمه الكعبة وكانت حيطانها قد مالت من رمي المنجنيق واعاد بناها كما كانت اولاً وادخل الحجر فيها . ثم ارسل الى مصر عبد الرحمن بن عتبة ليأخذ له بيعة اهلها ويكون عاملاً عليها فدخلها عبد الرحمن واخرج منها شيعة الامويين و بايع اهل مصر لعبد الله بن الزبير و بايع اهل الكوفة له ايضاً فاستعمل عليها عبد الله بن مطيع العدوي فأتى المختار بن ابي عبيد الثقفي الى ابن

الزبير وقال له « اني لأعرف قوماً لو ان لهم رجلاً له رفق وعلم بما يأتي لاستخرج لك منهم جنداً تغلب بهم اهل الشام» فقال ابن الزبير من هم . قال شيعة بني هاشم بالكوفة . فقال له كن انت ذلك الرجل . فبعثه الى الكوفة فنزل ناحية منها وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم و يظهر الحنين والجزع ويحث على اخذ ثارهم والمطالبة بدمائهم فمالت اليه الشيعة وانضافوا الى جملته وسار الى قصر الامارة واخرج ابن مطيع منه وغلب على الكوفة وابتنى لنفسه داراً انفق عليها اموالاً عظيمة من بيت المال وفرق الاموال على الناس بسخاء حاتمي وكتب الى ابن الزبير يقول . انه انما اخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها وطلب في خطابه من ابن الزبير ان يحتسب له ما انفقه من بيت المال فأبى ابن الزبير ذلك فخلع المختار طاعة ابن الزبير واستقل بالكوفة وكتب الى علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب يرغبه في الخلافة على ان يكون هو واهل الكوفة اول مبايعيه فلم يجبه علي الى ما طلب . وكان المختار شديد البطش على قاتلي الحسين فما زال يسعى حتى قتل كل من قتل الحسين او سعى في قتله فزاد ميل اهل الكوفة اليه وكان يدعي بنزول الوحي عليه . واتخذ المختار كرسياً وادعى ان فيه سراً وانه لهم مثل التابوت لبني اسرائيل

وفي سنة ٦٧ هـ ارسل المختار جنوده لقتال عبيد الله بن زياد وكان قد استولى على الموصل فانتصرت جنود المختار على ابن زياد وقتلوه . ورای عبد الله بن الزبير الخليفة بمكة ان امر المختار يتزايد ويستفحل في العراق فارسل اليه اخاه مصعباً . وجمع المختار جموعه والتقيا واقتتلا قتالا شديداً فانهزم المختار وانحصر في قصر الامارة في الكوفة وما زال يقاتل حتى قتل ونزل اصحابه من القصر فقتلهم مصعب بن الزبير جميعاً وكانوا سبعة الاف . واستمر مصعب عاملاً لاخيه في العراق فدانت العراق والحجاز واليمن ومصر لعبد الله بن الزبير . اما الشام فبايعت مروان ابن الحكم من بني امية وانقسمت الشام الى شيعتين يمنية بايعوا مروان بن الحكم وقيسية وكبيرهم الضحاك بن قيس بايعوا ابن الزبير وكثر الشغب والمقالات . وتنازع عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم الخلافة فجمع مروان جيشاً عظيماً من اهل الشام لقتال ابن الزبير ومريديه فانفذ اليه ابن الزبير الضحاك ابن قيس في جيش من القيسية فالتقى الفريقان بمرج راهط في غوطة دمشق واقتتلوا قتالاً شديداً استمر عشرين يوماً حتى قتل الضحاك بن قيس وقتل معه ثمانون رجلاً من اشراف اهل الشام فانهزم القيسية شر هزيمة ودانت الشام كلها

لمروان بن الحكم وكانت هذه الواقعة في المحرم سنة ٦٥ ﻫ

(فتح مروان لمصر) وكان مروان ارسل ابنه عبد العزيز في جيش من اهل الشام لفتح مصر فلما انتصر على جيش ابن الزبير في مرج راهط قويت عزيمته وسار كل جيشه الى مصر ومعه عمر بن سعد . فلما علم عبد الرحمن ابن عتبة امير مصر بقدوم مروان لفتحها استعد للدفاع فحفر حول الفسطاط خندقاً عظيماً . وسار مروان ومن معه حتى نزل قرب المطرية فخرج اليه عبد الرحمن ودارت رحى الحرب بين الفريقين مدة يومين ولم يظفر احدهما بالآخر و بينما كان الجيشان في شغل بين هجوم ودفاع انتهز عمر بن سعد فرصة انشغال عبد الرحمن بالحرب وسار في نخبة من رجال مروان قاصداً الفسطاط فدخلها وقطع خط الرجعة على عبد الرحمن فاضطر الى طلب الصلح ودخل مروان مصر في ١٠ جمادى اولى سنة ٦٥ ﻫ وولي ابنه عبد العزيز عليها و بعد ان استمر عاملاً بها شهرين رجع الي الشام

(وفاة مروان بن الحكم) وفي رمضان سنة ٦٥ ﻫ توفي مروان بدمشق وقيل في سبب وفاته انه كان تزوج ام خالد زوجة يزيد بن معاوية لكي تصغر منزلة خالد ولا يتطلب الخلافة لنفسه فدخل خالد عند مروان يوماً فقال له مروان يا ابن الرطبة ... ونسبه الي الحماقة على مسمع من الاشراف لكي يسقط في اعينهم . فخجل خالد ودخل على امه واخبرها بما قاله مروان له فقالت له لا يعلمن احد انك اعلمتني وانا اكفيكه . ثم ان مروان نام عندها ليلة فوضعت على وجهه وسادة ولم ترفعها حتى مات . واراد ابنه عبد الملك ان يقتلها فقيل له يتحدث الناس ان اباك قتلته امرأة فتركها وكانت مدة خلافته سبعة اشهر واياماً وقيل تسعة اشهر

١٥ — خلافة عبد الملك بن مروان

من سنة ٦٥ ﻫ — ٨٦ او سنة ٦٨٤ — ٧٠٥ م

و بعد وفاة مروان بن الحكم بايع اهل الشام ابنه عبد الملك بن مروان فاقر اخاه عبد العزيز على مصر وكان لاهم له سوى التغلب على ابن الزبير الذي امتدت خلافته في الحجاز واليمن والعراق . وكان مثل هذا الفكر عند ابن الزبير يريد التغلب على عبد

الملك واستخلاص الشام ومصر منه واخذ كل منهما يستعد ليجهز على صاحبه فارسل ابن الزبير الى اخيه مصعب بالكوفة يأمره بالمسير الى الشام ومحاربة عبد الملك بن مروان فجهز جيوشه واستعد للمسير وفي الوقت نفسه جهز عبد الملك جيشاً عظيماً من اهل الشام وسار به قاصداً الكوفة لاستخلاصه من ابن الزبير فتقابل الفريقان بمسكن وقبل الاشتباك كاتب عبد الملك بن مروان امراء جيش مصعب ابن الزبير يفسدهم عليه ويوعدهم خيراً ان اطاعوه ويهددهم شراً ان هم عصوه فاتى احدهم الى مصعب واراه كتاب عبد الملك وأكد له انه كاتب غيره ونصحه ان يستوثق منهم او يقتلهم لئلا يكونوا سبباً لفشله فلم يسمع نصحه . ثم التحم الجيشان فاقتتلا شديداً . ولكن لم يلبث مصعب حتى رأى امراء جيشه قد خانوه وانضموا بجيوشهم الى عدوه فتندم لعدم سماعه النصيحة ولات ساعة مندم . وما زال يقاتل حتى قتل وهو وولداه ودخل عبد الملك الكوفة واستوثق له الملك بالعراقين . وتقوت عزيمة عبد الملك بهذا الانتصار واراد ان يعجل بقطع دابر ابن الزبير وشيعته فجهز الحجاج بن يوسف في جيش عظيم وارسله لقتال ابن الزبير بالحجاز فسار الحجاج بجيوش عبد الملك حتى نزل الطائف فكانت بينه وبين اصحاب ابن الزبير وقعات كثيرة كانت الكرة فيها على اصحاب ابن الزبير واخيراً حاصر ابن الزبير بمكة وطال حصارها مدة سبعة اشهر ورمى البيت الحرام بالمنجنيق . وما زال ابن الزبير يقاتل حتى قتل في جمادى الاخرى سنة ٧٣ هـ فكانت مدة خلافته تسع سنين . وبموته صار الامر لعبد الملك بن مروان وبايعه اهل الحجاز واليمن واقر الحجاج بن يوسف اميراً على الحجاز . ومن اعماله انه هدم الكعبة واخرج الحجر عن البيت وبنى البيت على ما كان عليه في زمن الرسول . وفي سنة ٧٥ هـ (سنة ٦٩٥ م) ولى عبد الملك الحجاج على العراق فسار من المدينة الى الكوفة وخرج عليه في ايام ولايته شبيب الخارجي وكثرت جموعه وجرى بينه وبين الحجاج وقائع يطول شرحها واخيراً انتصر الحجاج انتصاراً مبيناً وتفرقت جموع شبيب عنه وتردى به فرسه من فوق جسر فسقط في الماء وغرق . وخرج على الحجاج ايضاً عبد الرحمن ابن الاشعث واستولى على العراق ثم على الكوفة وكثرت انصاره وقويت شوكته فامد عبد الملك الحجاج بالجيوش من الشام فتفرقت جموع عبد الرحمن وانهزم ولحق بالترك فقبض عليه ملك الترك وارسله مع اربعين من اصحابه الى الحجاج فالقى عبد الرحمن نفسه من سطح ومات وهو في الطريق . وفي سنة

٨٣ هـ بني الحجاج بن يوسف مدينة واسط

وفي ايام عبد الملك توالت سطوات المردة على سواحل الشام فارسل عبد الملك الي يوستنيانس يطلب تجديد المعاهدة التي عقدت مع معاوية فعقد الصلح على هذه الشروط . اولاً . ان يتعهد يوستنيانس بصد جموع المردة في لبنان ويمنعهم من السطو . ثانياً يدفع عبد الملك الى الرومانيين في كل يوم الف ذهب وعبداً وفرساً نظير قيامهم بحفظ تعهدهم بالبند الاول . وارسل الملك يوستنيانس بولس ماجستريانس للتوقيع على هذه الشروط فوقع عبد الملك عليها ووثقوا ذلك بالخط والشهود و بناءً عليه ارسل الملك واخذ اثنى عشر الفاً من المردة فكان في ذلك مضرة كبرى لسطوة الرومانيين الذين استعملوا المردة كسور نحاسي يصد غزوات الشراكسة فنقضه الملك يوستنيانس بسوء تصرفه فطمت بذلك البلايا والمحن من كل نوع على املاك الرومانيين من ذلك اليوم الى الآن . وفي سنة ٧٩ هـ وفد الطاعون بالشام واشتد بها جداً حتى كاد يفنيها

وضرب عبد الملك بن مروان الدنانير فكان اول من ضربها من المسلمين وذلك في سنة ٧٦ هـ وكان السبب الذي دعاه لضربها انه كتب في صدور الكتب الى الروم «قل الله احد» وذكر النبي مع التاريخ فكتب اليه ملك الروم انكم قد احدثتم كذا وكذا فاتركوه والا اتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون . فعظم عليه ذلك فاحضر خالد بن يزيد بن معاوية واستشاره فيه فقال له . حرّم دنانيرهم واضرب للناس سكة ففعل ثم نقش الحجاج فيها . قل هو الله احد . فكره الناس ذلك لانه قد يمسها غير طاهر وفيها آية القرآن . ثم بالغ في تخليص الذهب والفضه من الغش وزاد ابن هبيرة عليه في ايام يزيد بن عبد الملك . ثم زاد خالد القسري عليهم في ايام هشام . ثم افرط يوسف بن عمرو من بعدهم في المبالغة وامتحان العيار فكانت الهبيرية والخالدية واليوسيفية اجود نقود بني امية

(صفات عبد الملك ووفاته) كان عبد الملك من افاضل خلفاء بني امية عاقلاً حازماً اديباً لبيباً فقيهاً فكان اذا ذاكره العلماء في الشعر زادهم فيه او في الحديث عرّفهم مالا يعرفون . وادركته المنية في منتصف شهر شوّال سنة ٨٦ هـ وكان يقول اخاف الموت في شهر رمضان فيه وُلدتُ وفيه فطمت وفيه جمعت القرآن وفيه بايع لي الناس فمات للنصف من شوّال حين امن الموت في نفسه وكان عمره ستين سنة ومدة

خلافته ثلاثة عشرة سنة واربعة اشهر الا سبعة ايام مذ استبد بالخلافة بعد مقتل الزبير واحدى وعشرين سنة مذ بايعه اهل الشام الي وفاته ٠ وهوعبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص ابن اميه بن عبد شمس بن عبد مناف ٠ وقبيل موته اوصى بنيه قائلاً اوصيكم بتقوى الله فانها ازين حلية واحصن كهف ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير ولا تدب بينكم العقارب وكونوا للمعروف مناراً فان المعروف يبقى اجره وذخره وذكره وتعهدوا ذنوب اهل الذنوب فان استقالوا اقيلوا وان عادوا فانتقموا »



(ش٦) — نقود عبد الملك بن مروان (عن تاريخ مصر الحديث)

١٦ — خلافة الوليد بن عبد الملك

من سنة ٨٦ هـ — ٩٦ هـ او سنة ٧٠٥ — ٧١٤ م

لما دفن عبد الملك بن مروان انصرف الوليد عن قبره فدخل المسجد وصعد المنبر واجتمع اليه الناس فخطبهم وقال ٠ انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت امير المؤمنين والحمد لله على ما انعم علينا من الخلافة قوموا فبايعوا ٠ فكان اول من عزى نفسه وهناها ٠ واول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولي وهو يقول ٠

الله اعطاك التي لا فوقها　　وقد اراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله الا سوقها　　اليك حتى قلدوك طوقها

وبايعه ثم بايعه الناس ٠ وكان الوليد افضل خلفاء بني امية وهو الذي بنى مسجد دمشق المعروف بمسجد بني امية وكان اصله كنيسة تدعي كنيسة مار يوحنا فهدمها الوليد وجعلها جامعاً و بنى المسجد الاقصى ووسع مسجد المدينة فجعله مائتي ذراع

طول في مثلها عوض . ووضع المنابر واعطى المجذمين ومنعهم من سؤال الناس واعطى كل مقعد وكل ضرير قائدا وكان يمر بالبقال فيقف عليه وياخذ منه حزمة بقل ويقول بكم هذه فيقول البقال . بفلس . فيقول زد فيها . واتسعت المملكة الاسلامية اتساعاً عظيما بتتابع الفتح وتوالى النصر الذي تم في ايامه . وكان عماله في الامصار الحجاج بن يوسف الثقفي أميراً على العراق والمشرق كله وعمرو بن عبد العزيز بالمدينة وموسى بن نصير على افريقية وعبد الله بن عبد الملك على مصر

(فتح بلاد الترك) في سنة ٨٦ هـ ارسل الحجاج بن يوسف قتيبة اميراً من من قبله على خراسان فلما قدمها اخذ يحث الجند على الغزو والجهاد وما زال يغزو بلاد الترك والتتار ويغنم الغنائم ويصالح ملوكهم طوراً ويرتد اخرى حتى جعل لنفسه هيبة عندهم . وفي سنة ٨٧ هـ غزا بيكند من مداين بخارا وحارب اهلها وبعد قتال شديد انهزم التتار وغنم قتيبة غنائم كثيرة ورجع الى مرو مقر ولايته . وفي سنة ٩٠ هـ ورد الى قتيبة كتاب الحجاج بن يوسف يأمره بالتوغل في بلاد التتار وافتتاح مدائنهم فسار في جيش عظيم حتى اتى بخارا فلما علم ملكها بقدومه استنجد من حوله من الترك والصغد فاجابوه الى ذلك وجاءت جموعهم لرد قتيبة عن بخارا فحاصرها شديداً وما زال يقاتل والنصر متبادل حتى ملّ الفريقان ثم حث قتيبة رجاله للهجوم النهائي فلم يكن الا قليل حتى انهزم الترك والصغد وولوا الادبار وافتتح قتيبة بخارا فكتب بالفتح الى الحجاج وكان لهذا الانتصار تأثير عظيم جعل ملوك الترك والصغد تفد الى قتيبة وتطلب صلحه وفي سنة ٩٣ هـ افتتح سمرقند بعد قتال شديد

(الغزو والفتح ببلاد الروم) وفي سنة ٨٧ هـ غزا مسلمة بن عبد الملك الروم واقتتل الفريقان شديداً عند التقائهما بسوسنة فانهزم الروم وفتح مسلمة حصن بواق وحصن الاخرم وحصن بولس . وفي سنة ٨٨ هـ قصد مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد مدينة طوانه وقاتلا الروم فانتصر الروم واشتد الامر بالمسلمين فصاح العباس في جيشه يا اهل القرآن فاقبلوا جميعاً هاجمين على جموع الروم حتى انتصروا وفتحوا مدينة طوانة وفي سنة ٨٩ هـ افتتح مسلمة هرقلة وقونية من بلاد الروم

(فتح الاندلس) ولم يكن كل ما فتح في زمن الوليد بشيء يذكر في جنب فتح بلاد الاندلس الذي زين تاريخ الوليد وبه اتسعت السلطنة الاسلامية اتساعاً عظيماً وفيه اينعت زهور العلم ولما كان لكل شيء سبب فاليك السبب في فتح بلاد الاندلس

والذي جرأ المسلمين على غزوها ثم فتحها • كانت الاندلس او بالحرى اسبانيا مجموع قبائل مختلطة من الاسبانيين الاصليين واللاتين والقوط وكان الحزب المتسلط على البلاط وقتئذ هم القوط • وكان القوطيون يقيمون ملوكهم بالانتخاب فكان ذلك مصدراً للنزاع والتحزبات والحروب فاتفق في اواخر القرن السابع المسيحي ان ملكاً من هؤلاء القوم يقال له فيتيزا وقع بينه وبين دوك قرطبة نزاع فاستطال على الدوك المذكور وقلع عينيه فنهض ابن الدوك للانتقام من الملك والاخذ بثار ابيه وكان اسمه رودريك (والعرب يسمونه لزريق) وقاتل الملك فيتيزا وانتصر عليه واغتصب منه تاج المملكة سنة ٧١٠ م فذهب اولاد الملك المخلوع وباقي اقاربهم الى بلاد المغرب والتجأوا الى موسى بن نصير العامل من قبل الوليد وطلبوا منه ان يقيم حرباً على بلاد الاندلس لينتقم من ملكها رودريك فكتب موسى الى الوليد يستأذنه بذلك فاذن له • فارسل موسى اثني عشر الف مقاتل بقيادة مولاه طارق بن زياد واكثرهم من البربر وبعضهم من العرب فساروا بحراً قاصدين جبلاً منيفاً وهو متصل بالبحر فنزلوه • فسمي « جبل طارق » الى اليوم وكذلك البوغاز الذي هناك • وكان الكونت جوليان احد اشراف اسبانيا من جملة خصوم رودريك وذا سطوة وصولة فاتحد سراً مع المسلمين وسهل مساعيهم فاستولى طارق على المدينة التي على حافة الجبل المذكور ثم احرق جميع مراكبه بالنار ليقطع امل عسكره من الرجوع قبل الانتصار • وحدثت بينه وبين الاسبانيين عدة مناوشات بسيطة الى ان دهمه ملك اسبانيا في تسعين الف مقاتل واشتبك القتال بين الفريقين في مكان يقال له سهل نهر كودالت وذلك يوم الاحد ٢٨ رمضان سنة ٩٢ هـ وكان يوماً هائلاً انتشب فيه القتال عند طلوع الفجر وكانت لوائح الثبات والنشاط لائحة على اوجه الفريقين مع ان عدد الاسبانيين كان اكثر من اربعة اضعاف عدد المسلمين وتجلدت الجيوش الاسلامية وصبرت صبراً جميلاً حتى الجأت عساكر الاسبانيين الى الفرار بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة وغرق ملكهم رودريك في النهر ولما بلغ موسى بن نصير خبر هذا الانتصار تجهز بجيش جرار وسار بنفسه الى تلك الديار وحاصر مدينة طليطلة عاصمة مملكة اسبانيا في ذلك الوقت فافتتحها وملكها وما زال يفتح مداين الاندلس الواحدة بعد الاخرى حتى استتب الامر فيها للمسلمين

وفي سنة ٩٥ توفي الحجاج بن يوسف والي العراقين وخرسان وكانت ولايته

عشرين سنة وقيل انه احصى من قتلهم فكانوا ماية وعشرين الفاً • وفي النصف من جمادى الاخر من سنة ٩٦ هـ مات الوليد بن عبد الملك وكان عمره اثنتين واربعين سنة ونصفاً ومدة خلافته تسع سنين وسبعة اشهر



(ش ٧) نقود الوليد بن عبد الملك　(عن تاريخ مصر الحديث)

١٧ ـ خلافة سليمان بن عبد الملك

من سنة ٩٦ هـ — ٩٩ هـ او من سنة ٧١٤ — ٧١٧ م

وفي اليوم الذي توفى فيه الوليد بويع لاخيه سليمان بن عبد الملك بالرملة وبعد ان افضى الامر اليه دخل المسجد وصعد المنبر فحمد الله واثنى ثم قال « الحمد لله الذي ما شاء منع وما شاء رفع وما شاء وضع • ايها الناس ان الدنيا غرور وباطل زينتها تقلب باهلها تضحك باكيها وتبكي ضاحكها وتخيف آمنها وتؤمن خائفها وتثري فقيرها وتفقر مثريها ميالة باهلها • عباد الله اتخذوا كتاب الله اماماً وارضوا به حكماً واجعلوه لكم هادياً ودليلاً فانه ناسخ ما قبله ولا ينسخه ما بعده واعلموا عباد الله انه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه كما يجلو ضوء الشمس الصبح اذا اسفر وادبار الليل اذا عسعس » ثم نزل وكان سليمان فصيحاً بليغاً يرغب في مجالسة الحكماء والعلماء وكان شديد التأثر دخل عليه ابو حازم الاعرج فقال له سليمان يا ابا حازم مالنا نكره الموت قال • لانكم عمرتم دنياكم واخربتم آخرتكم فانتم تكرهون الانتقال من العمران الى الخراب • قال : فاخبرني كيف القدوم على الله • قال • اما المحسن فكالغائب يأتي اهله مسروراً اما المسيء فكالعبد الآبق يأتي مولاه محزوناً • قال فأي الاعمال افضل • قال • اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاي القول اعدل • قال •

من باع اخرته بدنياه • قال عظني واوجز • قال يا امير المؤمنين نزه ربك وعظم ان يراك حيث ما نهاك عنه او يفقدك من حيث امرك به • فبكى سليمان بكاءً شديداً • فقال له بعض جلسائه اسرفت ويحك على امير المومنين • فقال له ابو حازم اسكت فان الله عزّ وجل اخذ الميثاق على العلماء ليبيّنه للناس ولا يكتمونه ثم خرج وكان سليمان رفيقاً بالناس شفوقاً عليهم فاطلق الاسرى واخلى السجون واحسن الى الناس فلقبوه « مفتاح الخير »

وفي ايامه افتتح يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان بعد حرب شديدة وفي سنة ٩٨ هـ جهز سليمان جيشاً مع اخيه مسلمة ليسير به الى القسطنطينية مولفاً من ماية وعشرين الف مقاتل فنزل بمرج دابق في جهة قنسرين ثم امره ان يقيم على القسطنطينية حتى يفتحها فعبر الخليج وحاصر المدينة وزرع الناس الزرع واكلوه فلما طال باهلها الحصار ارسلوا الى مسلمة يعطونه عن كل رأس ديناراً. فأبى ان يفتحها الا عنوة فقالت الروم للاون البطريق . ان صرفت عنا المسلمين ملكناك علينا فاستوثق منهم واتى مسلمة وطلب الامان لنفسه وذويه وتعهد له ان يفتح له المدينة فأمنه . فقال له لاون . تنح عن المدينة حتى اذا اطمان اهلها تكر عليهم راجعاً. فارتحل مسلمة وتنحى الى بعض الرساتيق . ودخل لاون المدينة ولبس التاج وجلس على كرسي المملكة . وكان مسلمة لما دنا من المدينة امر كل فارس ان يحمل معه مدّين من الطعام على عجز فرسه الى القسطنطينية فلما ارتحل عنها اعد لاون السفن والرجال فنقلوا ذلك الطعام في ليلة ولم يتركوا منه الا مالا يذكر . واصبح لاون محارباً وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت امرأة لعيبت بها وبلغ مسلمة الخبر فقفل راجعاً ولما لم يكن لجيشه طعام كاد يهلك حتى اضطروا لاكل الدواب والجلود واصول الشجر والورق ولم يبق شيء لم ياكلوه الا التراب ولقي جنده مالم يلقه جيش آخر حتى كان الرجل يخاف ان يخرج وحده من البلغاريين والافرنج الذين استجاشهم لاون . ونزل المطر فلم يقدر سليمان ان ينجدهم حتى مات لعشر بقين من صفر سنة ٩٩ هـ فرحل مسلمة عن القسطنطينية وانصرف

وكانت مدة خلافة سليمان بن عبد الملك سنتين وثمانية اشهر

١٨ – خلافة عمر بن عبد العزيز

من سنة ٩٩ هـ ـ ١٠١ هـ او سنة ٧١٧ ـ ٧٢٠ م

بويع بالخلافة يوم وفاة سليمان بن عبد الملك كوصيته وهو الثامن من خلفاء بني أمية . وكان عمر عاقلاً زاهداً فلما تبوأ كرسي الخلافة أمر بمنع سب علي . وكان خلفاء بني أمية يسبونه في خطبهم على المنابر مذ سنة ٤١ هـ التي خلع الحسن فيها نفسه من الخلافة . وكتب عمر الى جميع عماله بمنع ذلك وان يستبدلوا في خطبهم سب علي بقراءة . ان الله يأمر بالعدل والاحسان . الآية . وفي ذلك قال عبد الرحمن بن الخزاعي

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف بريًا ولم تتبع مقالة مجرمِ
تكلمت بالحق المبين وانما تبين ايات الهدى بالتكلمِ
وصدقت معروف الذي قلت بالذي فعلت فاضحى راضياً كل مسلمِ
الا انما يكفي الفتى بعد زيغه من الاود البادى ثقاف المقومِ

وفي أيام عمر سنة ١٠٠ هـ خرج شوذب الخارجي واسمه بسطام من بني يشكر في ثمانين رجلاً فكتب عمر الى عبد الحميد عامله بالكوفة ان لا يحركهم حتى يسفكوا دماً ويفسدوا في الارض فان فعلوا وجه اليهم رجلاً حازماً في جند ثم كتب الى بسطام كتاباً يقول فيه . بلغني انك خرجت غضباً لله ولرسوله ولست بذلك اولى مني فهلم اليّ اناظرك فان كان الحق بايدينا دخلت في ما دخل فيه الناس وان كان في يدك نظرنا في أمرك . فلما قرأ بسطام كتاب عمر بن عبد العزيز ارسل اليه اثنين من انصاره وكتب اليه يقول

« قد انصفت وقد بعثت اليك رجلين يدارسانك ويناظرانك » وكان الاثنان اللذان أرسلها بسطام أحدهما مولى لبني شيبان حبشياً اسمه عاصم والآخر من يشكر فقدما الى عمر فدخلا عليه . فقال لهما عمر . أخبراني ما الذي اخرجكم مخرجكم هذا ولما نقمتم علينا . فقال عاصم والله ما نقمنا عليك في سيرتك وانك لتجرى بالعدل والاحسان ولكن بيننا وبينك امرًا ان انت اعطيتناه فنحن منك وانت منا وان منعتناه فلست منا ولسنا منك . فقال عمر وماهو . فقال عاصم رأيناك خالفت اعمال اهل بيتك وسميتها مظالم وسلكت غير سبيلهم فان زعمت انك على هدى وهم على ضلال

لعنهم وتبرأ منهم فهذا الذي يجمع بيننا وبينك او يفرق فتكلم عمر قائلاً انا اعلم انكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لدنيا ولكن أردتم الآخرة واخطأتم طريقها واني اسألكم في امور فبالله لتصدقنني عنها ارأيتما ابا بكر وعمر اليسا من اسلافكم ومن تتولونهما وتشهدون لهما بالنجاة . قالا بلى . قال فهل علمتم ان ابا بكر حين قبض رسول الله وارتدت العرب قاتلهم وسفك دمهم واخذ اموالهم وسبى ذراريهم . قالا نعم . قال افرأيتم اهل النهروان اليسوا من اسلافكم ومن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة . قالا بلى . قال فهل علمتم ان اهل الكوفة حين خرجوا اليهم كفوا ايديهم فلم يسفكوا دماً ولم يخيفوا ابن وهب الراسبي واصحابه استعرضوا الناس يقتلونهم ولقوا عبدالله بن خباب صاحب رسول الله فقتلوه ثم صبحوا حياً من احيا العرب فاستعرضوهم وقتلوا الرجال والاطفال والنساء . قالا قد كان . قال فهل تبرأ اهل البصرة من اهل الكوفة واهل الكوفة من اهل البصرة . قالا . لا . قال فهل تبرؤون انتم من احدى الطائفتين . قالا . لا . قال ارأيتم الدين واحداً ام اثنين . قالا بل واحداً . قال فهل يسعكم فيه شيء يعجز عني . قالا لا . قال فكيف وسعكم ان توليتم ابا بكر وعمر وتولى احدهما صاحبه وتوليتم اهل البصرة واهل الكوفة وتولى بعضهم بعضاً وقد اختلفوا في اعظم الاشياء في الدماء والفروج والاموال ولا يسعني فيما زعمتم الا لعن اهل بيتي والتبرؤ منهم ارأيتم لعن اهل الذنوب فريضة مفروضة لا بدّ منها فان كان كذلك فاخبرني ايها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون . قال عاصم ما اذكر متى لعنته قال عمر . ويحك لم لا تلعن فرعون وهو اخبث الخلق و يسعني فيما زعمت لعن اهل بيتي والتبرؤ منهم و يحك انكم قوم جهال ثم اردتم امراً فاخطاتموه فانتم تردون على الناس ما قبله منهم رسول الله ويأمن عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من أمن عنده . قالا ما نحن كذلك . قال عمر بل سوف تقرون بذلك الآن هل تعلمون ان رسول الله بعث الى الناس وهم عبدة اوثان فدعاهم الى خلع الاوثان و بالشهادة فمن فعل ذلك حقن دمه واحرز ماله ووجبت حرمته وكانت له اسوة المسلمين . قالا نعم قال الستم انتم تلقون من يخلع الاوثان و يتشهد فتستحلون دمه وماله وتلقون من ترك ذلك واباه من سائر الاديان فيامن عندكم وتحرمون دمه . فقال عاصم . ما سمعت قط حجة ابين واقرب مأخذاً من حجتك اما انا فاشهد انك على الحق وانا بريء ممن بريء منك . ثم اقام عاصم عند عمر خمسة عشر يوماً ثم مات . اما الآخر فلحق ببسطام واصحابه وقتل معهم بعد

وفاة عمر

(الدعوة العباسية) وفي خلافة عمر بن عبد العزيز ابتدأت الدعوة العباسية ففي سنة ١٠٠ ﻫ وجه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الدعاة في الافاق فابتداوا يذيعون دعوتهم سرًّا حتى وافقهم كثيرون وسنذكر ذلك اكثر وضوحاً في غير هذا الموضع ان شاء الله

وتوفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة ١٠١ ﻫ لخمس بقين منه وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة ومدة خلافته سنتين وخمسة اشهر وكانت شكواه عشرين يوماً ولما مرض قيل له لو تداويت . فقال . لو كان دوائي في مسح اذني ما مسحتها نعم المذهوب اليه ربي . وكان موته بدير سمعان

١٩ ــ خلافة يزيد بن عبد الملك

من سنة ١٠١ ﻫ ــ ١٠٥ او سنة ٧٢٠ ــ ٧٢٤ م

بويع بالخلافة يوم وفاة عمر بن عبد العزيز وكنيته ابو خالد وفي بدء خلافته قتل عامله على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن شوذباً الخارجي المدعو بسطام واصحابه واراح منهم المسلمين وخرج عليه في السنة الاولى من خلافته يزيد بن المهلب والي خراسان في زمن عمر بن عبد العزيز وكان عمر بن عبد العزيز حبسه وفر من الحبس لما بلغه موت عمر ومبايعة يزيد واجتمع اليه جمع كثير فارسل يزيد بن عبد الملك الخليفة اخاه مسلمة فقاتلة وقتله وجميع آل المهلب وكانوا مشهورين بالكرم والشجاعة ولما فرغ مسلمة من حربهم ولاه اخوه يزيد على البصرة والكوفه وخراسان . فاستعمل مسلمة سعيد بن عبد العزيز عاملاً على خراسان فاستضعفه الناس وسموه خدينة . وطمعت الترك والصغد في المسلمين فجمعوا جيشاً عظيماً وساروا حتى نزلوا بقصر الباهلي فلما علم سعيد بقصدهم جمع جيوشه وقال لهم . من يخاف فليرجع فرجع كثير من جيشه وسار بمن بقي معه حتى وصل قصر الباهلي وكان الترك قد تحصنوا فيه فحاصرهم وقاتلهم حتى انتصر عليهم فطمع فيهم وغزاهم مرارا وغنم منهم غنائم كثيرة

وفي سنة ١٠٤ ﻫ تقدم جيش للمسلمين بقيادة ثبيت النهراني لغزو الخزر من بلاد

ارمينية فاجتمعت الخزر في جيش عظيم وقاتلوا المسلمين وهزموهم هزيمة شنيعة وطمع الخزر في المسلمين فجمعوا وحشدوا جيوشاً وغزوا بلاد المسلمين مراراً فاستعمل يزيد بن عبد الملك الجراح بن عبدالله على ارمينية وأمدَّه بجيش كثيف وامره بغزو بلاد الخزر وغيرهم من الاعداء فسار الجراح قاصداً بلاد الخزر وحصلت بين الفريقين وقائع شديده كان النصر فيها للمسلمين فافتتحوا مدينة بلنجر وغيرها من بلاد الخزر

وفي هذه السنة (١٠٤ هـ) ولد ابو العباس السفاح واسمه عبد الله بن محمد بن علي اول الخلفاء العباسيين وسيأتي ذكره في غير هذا المحل

وكان يزيد بن عبدالملك صاحب لهو وقصف وشغف بحب حبابة المغنية واشتهر بذكرها وقيل كان يزيد قد حج ايام سليمان اخيه فاشترى حبابة باربعة آلاف دينار فقال سليمان لقد هممت ان أحجر على يزيد . فلما سمع يزيد ردها فاشتراها رجل من مصر فلما افضت الخلافة اليه قالت له امراته سعده هل بقي من الدنيا شيء تتمناه فقال . نعم حبابة فارسلت واشترتها واتت بها الى يزيد واجلستها من وراء ستار وقالت . يا امير المؤمنين ابقي من الدنيا شيء تتمناه قال . نعم وقد اعلمتك . فرفعت الستر وقالت هذه حبابة وقامت وتركتها عنده . فحظيت سعده عنده واكرمها . وقال يوماً وقد طرب بغناء حبابة دعوني اطير . فقالت يا امير المؤمنين انا لنا فيك حاجة . فقال والله لاطيرن . فقالت فعلى من تدع الامة والملك . قال لها عليك والله وقبل يدها فخرج بعض خدمه وهو يقول . سخنت عينك ما اسخفك . وخرج يزيد مرّة وحبابة معه الى ناحية الاردن يتنزهان فرماها بحبة عنب فاستقبلتها بفيها فدخلت حلقها فشرقت وماتت فمكث يبكي عليها ثلاثة ايام ولم يدفنها وهو يشمها و يقبلها حتى انتنت رائحتها فدفنها فلما دفنها بقي بعدها خمسة عشر يوماً ودفن الى جانبها وكانت وفاته لخمس بقين من شعبان سنة ١٠٥ هـ وكان عمره اربعين سنة ومدة خلافته اربع سنين وشهراً

٣٠ ـ خلافة هشام بن عبد الملك

من سنة ١٠٥ هـ — ١٢٠ هـ او سنة ٧٢٤ — ٧٤٣

بويع بالخلافة يوم وفاة يزيد بن عبد الملك بالرصافة وكان عاقلاً حازماً ذا بطش وهيبة وجمع اموالاً كثيرة لم يجمع مثلها خليفة قبله · وقيل له مرة اتطمع في الخلافة وانت بخيل جبان · قال ولم لا اطمع فيها وانا حليم عفيف · وفي ايامه سنة ١٢١ هـ خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي طالباً الخلافة لنفسه والسبب في ذلك انه دخل يوماً على هشام بالرصافة فلما مثل بين يديه لم ير موضعاً يجلس فيه فجلس حيث انتهى به مجلسه · وقال · يا امير المؤمنين ليس احد يكبر عند تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله فقال هشام اسكت لا أمَّ لك · انت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وانت ابن أمةٍ فقال زيد يا امير المؤمنين ان لك جواباً ان احببت أجبتك به وان احببتَ امسكت عنه · فقال بل اجب : فقال زيد ان الامهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات وقد كانت ام اسمعيل أمة لأم اسحق فلم يمنعه ذلك ان بعثه الله نبيًا وجعله للعرب ابًا فاخرج من صلبه خير البشر محمداً (صلعم) فتقول لي هذا وانا ابن فاطمة وابن علي وقام وخرج من عند هشام وهو يقول

شرَّده الخوف وازرى به … كذلك من يكره حرّ الجلاد
منخرق الكفين يشكو الجوى … تنكثه اطراف مر وحداد
قد كان في الموت له راحة … والموت حتم في رقاب العباد
ان يحدث الله له دولة … يترك اثار العدا كالرماد

ومضى فدخل الكوفة فبايعه فيها اربعة عشر الفاً · وكان العامل من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفي فجمع العسكر وقاتل زيداً فانتصر عليه واصاب زيداً سهم في جبهته فمات ودفنه اصحابه فتطلبه يوسف حتى دل عليه فاستخرجه وصلب جثته وبعث براسه الى هشام · فامر بنصب الرأس بدمشق ولم تزل جثته مصلوبة حتى مات هشام وولي الوليد فامر بحرق جثته فحرقت

وفي ايامه غزا اسد بن عبد الله القسري عامله على خراسان الترك غزوات متتابعة وجرى بين الفريقين وقائع كثيرة كان النصر فيها متبادلاً حتى انتصر المسلمون اخيرًا وقتلوا خاقان ملك الترك وغنموا غنائم كثيرة

وفي ايامه تحركت الخوارج وعصوه وثاروا عليه فقاتلهم هشام حتى اخلدوا الى السكينة بعد قتل الوف من الفريقين وكثير من امراء الخوارج

وتفقد هشام مرة بعض ولده فلم يحضر الجمعة فقال له . ما منعك عن الصلاة . قال . نفقت دابتي . قال افعجزت عن المشي فمنعه الدابة سنة

وتوفي هشام بالرصافة يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الاخر سنة خمس وعشرين وماية وعمره ثلاث وخمسون سنة ومدة خلافته تسع عشرة سنة وسبعة اشهر واحدى عشرة ليلة



(ش ٨) نقود هشام بن عبد الملك (عن تاريخ مصر الحديث)

٢١ - خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

من سنة ١٢٥ هـ — ١٢٦ هـ او من سنة ٧٤٣ — ٧٤٤ م

كان يزيد بن عبد الملك قد عقد ولاية العهد من بعده لاخيه هشام بن عبد الملك ومن بعده لابنه الوليد ابن يزيد لانه كان صغير السن فلما تولى هشام الخلافة اكرم الوليد بن يزيد حتى ظهر منه مجون وشرب الشراب وتهاون في الدين . فاستخف هشام به وابعده عنه فخرج الوليد ومعه ناس من خاصته ومواليه ونزل الازرق وكان يقول لاصحابه . هذا المشؤوم قدمه ابي على اهل بيته فصيره ولي عهده ثم يصنع بي ما ترون لا يعلم ان لي في احد هوى الاعبث به . ولم يزل الوليد مقيما في البرية في اسوأ حال حتى مرض هشام مرض الموت فاتاه رجلان الى البرية ونعيا اليه هشاماً وسلما عليه بالخلافة فشكر الله وقال

هلك الاحول المشؤوم　　وقد ارسل المطر

وملكنا من بعد ذاك فقد اورق الشجر
فاشكر الله انه زائد كل من شكر

وارسل من وقته الى الخزان قائلاً احتفظوا بما في ايديكم . فافاق هشام وطلب شيئاً فلم يجيبوه . فقال انا لله كأنا كنا خزاناً للوليد ومات من ساعته فلم يجد اهله قمقماً يسخنون له فيه الماء فاستعاروه . ولا وجدوا كفناً من الخزائن فكفنه غالب مولاه

وبايع الناس الوليد بعد موت هشام لست مضين من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥ ﻫ فلما ولي الوليد اجرى على زمني الشام وعميهم وكساهم وامر لكل انسان بخادم واخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزاد الناس في العطاء عشرات ولم يسئل في شيء الا وقال

ضمنت لكم ان لم يعقني عائق بان سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك الحاق معاً وزيادة واعطيته مني عليكم تبرع
فجمعكم ديوانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهراً وتطبع

وفي ايامه خرج يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بعد حرق جثة ابيه زيد واتى خراسان واتبعه قوم وارسل الوليد الى نصر بن سيار عامله بخراسان بقتاله فقاتله ومن معه قتالاً شديداً فقتل يحيى بن زيد وكل من تبعه . ولم تغير الخلافة شيئاً من طبع الوليد من مجونه وشربه الخمر وفسقه بل كانت سبباً في توصله الى ما لم يكن يوصله بلاها فازداد فجوراً وضلالاً وفسقاً وبغياً ولم يردعه رادع حتى انه مرة فتح المصحف فخرج واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . فالقاه ورماه بالسهام وهو يقول

تهددني بجبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد
اذاما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

ومما زاد الطين بله انه افسد عليه بني عميه هشام والوليد فانه اخذ سليمان بن هشام فضربه مائة سوط وحلق لحيته وراسه وحبسه بعمان وحبس اخاه يزيد بن هشام وفرق بين امرائه وحبس عدة من ولد الوليد فثقل ذلك على رعيته وجيشه وكرهوا امره ورموه بالفسق والكفر وكان أشدهم عليه في ذلك يزيد بن الوليد لانه كان يتنسك فمال الناس الى قوله وافسدوا الرعية عليه . وأتت اليمانية الى يزيد بن الوليد بن عبد الملك وارادوا مبايعته وخلع طاعة الوليد . فشاور عمر بن زيد الحكمي فقال له لا

يبايعك الناس على هذا وشاور اخاك العباس فان بايعك لا يخالفك احد وان ابى كان الناس له اطوع وكان العباس مع كرهه احوال الوليد غيوراً على مصلحة بني أمية يخاف خروج الامر من يدهم وليس اضر بذلك من الثورات . فاتاه يزيد يشاوره بما في نفسه فدخل اليه واستشاره فزجره وقال . ان عدت لمثل هذا لاشدن وثاقك واحملنك الى امير المؤمنين فخرج يزيد من عنده وازاع مبايعته سراً فبلغ العباس ذلك فنهاه عن ذلك وتمثل

انى اعيذكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع
ان البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمن ذئاب الناس انفسكم ان الذئاب اذا ما الحمت رتعوا
لا تبقرن بايديكم بطونكم فثم لا حسرة تغني ولا جزع

ولم يغن تخوف العباس فتيلاً لان امر يزيد كان قد استفحل وتبعه جمع كثير فركب الوليد بمن بقي معه وقاتل قتالاً شديداً ثم انهزم عنه اصحابه فدخل القصر واغلقه فحاصروه . فلما حاصروه دنا من الباب وقال لهم الم ازد في اعطياتكم الم ارفع المؤن عنكم . ألم اعط فقراءكم . فقالوا انا ما ننقم عليك من انفسنا انما ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح امهات اولاد ابيك . قال حسبكم لقد اكثرتم واغرقتم والله لا يرتق فتقكم ولا يلم شعثكم ولا تجمع كلمتكم فنزل من الحائط عشرة رجال فاحتزوا رأسه وسيروه الى يزيد فنصبه على رمح وطاف به دمشق وسجن ابنيه الحكم وعثمان وكان قتله بالبجراء لليلتين بقيتا من شهر جمادي الاخرى سنة ١٢٦ هـ وكان عمره اربعين سنة ومدة خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً

٣٢ ـ خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

سنة ١٢٦ هـ او سنة ٧٤٤ م

وبعد مقتل الوليد استقل يزيد بن الوليد بن عبد الملك بالخلافة وكان يلقب بالناقص ليس لنقص في جسمه او عقله بل لانه انقص في أعطيات الناس التي كان الوليد زادها ورد العطاء الى ما كان ايام هشام ومع انه كان محمود السيرة ومرضي الطريقة

لكن ايام خلافته لم تكن ايام راحة وسلام بل بالعكس ايام ثورات وقلاقل داخلية امدت في اطراف العالم الاسلامي حتى كادت تقوض دعائمه فما عتم ان استتب له الامر حتى خرج ضده (١) : سليمان بن هشام وكان الوليد قد حبسه بعمان فبعد قتل الوليد خرج من السجن واخذ ما كان بعمان من الاموال واقبل الى دمشق وجعل يلعن الوليد وينسبه للكفر ثم قدم على يزيد فاكرم يزيد وفادته ورد اليه ما كان الوليد اخذه من اموالهم فبايعه . (٢) (اهل حمص) لما قتل الوليد اغلق اهل حمص ابوابها واقاموا البكاء والنواح على الوليد وهجموا على منزل العباس بن الوليد فهدموا داره ونهبوا ما بها وسلبوا حرمه واجمعوا على المسير الى دمشق لقتال يزيد فارسل اليهم عسكرًا والتقوا قرب ثنية العقاب فاقتتلوا قتالاً شديداً واستولى يزيد عليها واخذ البيعة عليهم (٣) اهل فلسطين . ثم اجتمع اهل فلسطين فوثبوا على عامل يزيد بها فاخرجوه واحضروا يزيد بن سليمان بن عبد الملك وولوه عليهم فدعا الناس الى قتال يزيد بن الوليد الخليفة فاجابوه الى ذلك . وبلغ الخليفة خروجهم فارسل اليهم جيشاً بقيادة سليمان بن هشام بن عبد الملك وكاتب اشراف فلسطين وقدم جيش سليمان في اثر يزيد بن سليمان فهزمه وسار حتى نزل طبرية واخذ البيعة بها ليزيد بن الوليد ثم بايعه اهل الرملة ايضاً . (٤) مروان بن محمد . والسبب في ذلك انه كان بحران و بلغه قتل الوليد فسار في الجزيرة مطالباً بدم الوليد فكاتبه يزيد بن الوليد ليبايع له و يوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولى اباه محمد بن مروان من الجزيرة وارمينية والموصل واذربيجان فبايع له مروان فولاه يزيد ما وعده به

وكانت ام يزيد اسمها شاه فرند ابنة فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى ولذلك كان يقول

انا ابن كسرى وابي مروان   وقيصر جدي وجدي خاقان

وانما جعل قيصر وخاقان جديه لان ام فيروز كانت ابنة كسرى وامها ابنة قيصر . وام كسرى ابنة خاقان ملك الترك ثم توفي يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذي الحجة وكانت خلافته ستة اشهر وليلتين وقبل وفاته عهد بالخلافة الى اخيه ابراهيم بن الوليد ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج

٢٣ – خلافة ابرهيم بن الوليد بن عبد الملك

من سنة ١٢٦ هـ – ١٢٧ هـ او سنة ٧٤٤ م

قام بالخلافة بعد موت اخيه يزيد غير انه لم يتم له الامر فكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالامارة وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما فمكث اربعة اشهر وقيل سبعين يوماً ثم سار اليه مروان بن محمد بن مروان امير ديار الجزيرة الى دمشق لخلعه فكان كلما وصل الى مدينة خلع اهلها خلافة ابراهيم بن الوليد وبايعوا مروان وزودوه بالجيوش فلما قرب مروان من دمشق بعث ابراهيم لقتاله جيشاً مؤلفاً من مائة وعشرين الف مقاتل بقيادة سليمان بن هشام وكان جيش مروان ثمانين الفاً فاقتتلوا من ارتفاع النهار الى العصر وكثر عدد القتلى من الفريقين الى ان انهزم عسكر ابراهيم ووقع فيهم القتل والاسر وهرب سليمان مع من هرب الى دمشق واجتمع مع ابراهيم وسار كلاهما الى مروان بن محمد فخلع ابراهيم نفسه و بايع مروان و بايعه ايضاً سليمان وعاش ابراهيم بعد ذلك الى سنة ١٣٢ هـ

٢٤ – خلافة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

من سنة ١٢٧ الى – ١٣٢ هـ او سنة ٧٤٤ – ٧٥٠ م

وهو رابع عشر خلفاء بني امية وآخرهم بويع له بالخلافة في دمشق سنة ١٢٧ هـ بعد انتصاره على جيوش ابراهيم بن الوليد واستتب له الامر بمبايعة ابراهيم له ولم تكن ايامه اكثر سلاماً من ايام سابقيه بل بالعكس وكأني بالبلاد قد اعتادت الثورات الداخلية فيثورون على الخليفة الموجود لسبب او غير سبب حتي اذا قتلوه و بايعوا خليفة آخر قاموا ضد هذا الآخر هكذا كانت اواخر ايام الخلافة الاموية كأن المقادير كانت تهيء الامور والاحوال لقبول الخلافة العباسية التي سيرد ذكرها ولله في خلقه شؤون .

فما لبث مروان ان بويع بالخلافة حتى انتقضت عليه البلاد وعصوه فكان اول من عصاه اهل حمص فسار اليهم من حران فاغلق اهل المدينة ابوابها فحاصرها وقاتلهم وانتصر عليهم وهدم سورها وصلب جماعة من اهلها حتي اخضع اهلها وبايعوه ولم

بنته من اخضاعهم حتى وجاءه الخبر بعصيان اهل غوطة دمشق عليـه وتوليتهم يزيد بن خالد القسري عليهم وحصـارهم لدمشق فارسل اليهم عشرة الاف فارس مع ابي الورد بن الكوثر وعمر بن الوضاح فلما وصلوا الى قرب دمشق حملوا على اهل الغوطة وخرج من بدمشق عليهم فانهزم اهل الغوطة ونهبهم العسكر واحرقوا المزة وغيرها من قراهم حتى اخلدوا الى السكينة · وعقب ذلك خلاف اهل فلسطين وفي مقدمتهم ثابت ابن نعيم فكتب مروان الى ابي الورد المذكور يأمره بالمسير اليهم فسار واقتتلوا وانهزم ثابت بن نعيم وتفرق اصحابه واسر ثلاثة من اولاده فبعث بهم ابو الورد الى مروان واعلمه بالنصر

وعقب ذلك اجتماع الجند مع سليمان بن هشام وتقويتهم له لخلع طاعة مروان فاجابهم الى ذلك وخلع سليمان طاعة مروان وثار ضده واجتمع معه بقنسرين سبعون الفاً من اهل الشام فسار اليه مروان والتقوا بقنسرين وجرى بينهم قتال شديد الى ان انهزم سليمان وعسكره وتعقبتهم خيل مروان يقتلون وياسرون حتى بلغت القتلى من معسكر سليمان اكثر من ثلاثين الفاً · ووصل سليمان الى حمص فاجتمع اليه اهلها وبقية المنهزمين فلحقهم مروان وهزمهم ثانية وهرب سليمان الى تدمر ورمم سور حمص الذي هدمه مروان فاتبعه مروان وحاصر حمص مدة طويلة ورماها بالمنجنيق حتى صالحه اهلها وسلموا اليه عمال سليمان عليهم واما سليمان فاجتمع بالضحاك الخارجي وبايعه

(ظهور الخوارج) في سنة ١٢٧ هـ خرج الضحاك بن قيس الشيباني ودخل الكوفة واجتمع حوله كثير من الخوارج وسار الضحاك قاصداً العراق فنزل بالنخيلة وسار اليه عبد الله بن عمر عامل مروان على الكوفة فاقتتلوا قتالاً شديداً فانتصر الضحاك على عبد الله بن عمر واستولى على الكوفة وهرب ابن عمر الى واسط فارسل مروان النضر بن سعيد عاملاً على الكوفة بدلاً عن ابن عمر فلم يرض ابن عمر ان يسلم بذلك فحاربه النضر بواسط فعلم الضحاك بخلافهم فسار الى واسط لقتالهم فصالحه عبد الله بن عمر وبايعه · فرجع الضحاك الى الكوفة تاركاً ابن عمر بواسط وأرسل اهل الموصل الى الضحاك يبايعونه ويطلبون منه القدوم اليهم ليسلموه المدينة فسار في جماعة من جنوده الى الموصل فقاتله عامل مروان عليها فقتل عامل مروان واستولى الضحاك على الموصل وكورها وبلغ مروان ذلك وهو محاصر لحمص مشتغل بقتال أهلها فأرسل الى ابنه عبد الله وهو عامله على الجزيرة

يأمره ان يسير الى نصيبين في من معه ليمنع الضحاك من توسط الجزيرة فسار اليها في ثمانية آلاف مقاتل • وسار الضحاك الى نصيبين في جيش كثيف وحاصر ابن مروان بها • فسار اليه مروان بعد فتح حمص فالتقوا بنواحي كفرتوثا فاقتتلوا قتالاً شديداً طول اليوم حتى قتل الضحاك ولم يتخزل أصحابه بقتله بل بايعوا الخيبري وأعادوا قتال مروان حتى كادوا ينتصرون عليه انتصاراً باهراً لولا مخاطرة الخيبري الذي هجم في وسط معسكر مروان حتى بلغ خيمته فقتل • وبعد موت الخيبري بايع الخوارج شيبان بن عبد العزيز فاستمر يقاتل مروان اياماً ثم تفرق عنه كثير من اصحابه حتى لم يبق معه الا اربعون الفاً فأشار عليهم سليمان بن هشام ان يرجعوا الى الموصل فتعقبهم مروان وقاتلهم حتى انهزمت الخوارج وهرب شيبان الى فارس فأرسل مروان من يتعقبه حتى قتل فتفرق أمر الخوارج بقتله

(ظهور عبد الله بن معاوية) وفي هذه السنة أيضاً (سنة ١٢٧ هـ) ظهر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة ودعا الى نفسه وتبعه جمع كثير فارسل اليه مروان من يقاتله فانهزم عبد الله فطلب الامان لنفسه فأمنه مروان فسار الى المداين فلما وصل اليها اتاه أناس من اهل الكوفة وغيرها فسار الى الجبال وغلب عليها وعلى حلوان وقومس واصبهان والري • وأقام باصبهان وبايعه الناس وأرسل العمال وجبى الاموال ولم يزل بها حتى أتته جيوش مروان بقيادة معن بن زائدة وقاتلوه حتى انهزم ابن معاوية وهرب قاصداً خراسان طمعاً في أبي مسلم الخراساني لانه يدعو الى الرضا من آل محمد وقد استولى على خراسان فوصل الى نواحي هرات وعليها ابو نصر مالك بن الهيثم عاملا لابي مسلم فلما وصل عبد الله بن معاوية الى هرات ارسل أبو نصر الى أبي مسلم يعلمه بقدومه فأتاه كتاب أبي مسلم بالقبض عليه وقتله ففعل

ومما تقدم تجد ان المملكة الاسلامية في خلافة مروان بن محمد كانت كشعلة نار بسبب الثورات التي امتدت في كل اطرافها حتى هددتها بالخراب وقد تركنا كثيراً من اخبار تلك الثورات مكتفين بما تقدم ولكن كل ذلك لم يكن شيئاً مذكوراً في جنب الدعوة العباسية التي ظهرت في زمن هذا الخليفة المشؤوم الطالع التي كانت سبباً للاشاة الدولة الاموية واليك البيان

٣٥ – الدعوة العباسية

كان ابتداء ظهور الدعوة العباسية في الوجود سنة ١٠٠ ﻫ واول من اظهرها محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس فجمع اليه اثنى عشر نقيباً وهم سليمان بن كثير الخزاعي ولاهز بن قريظ التميمي وقحطبة بن شبيب الطائي وموسى بن كعب التميمي وخالد بن ابراهيم والقاسم بن مجاشع وعمران بن اسماعيل ومالك بن الهيثم وطلحة بن زريق وعمرو بن اعين وشبل بن طهمان وعيسى بن اعين واختار ايضاً سبعين رجلاً وكتب لهم كتاباً ليكون لهم مثالاً وسيرة يسيرون بها. فارسلهم الى الآفاق يذيعون دعوته و يوافونه بالاخبار. وكان مسكنه بالشراة من الشام بقرية يقال لها الحميمة فسار دعاة العباسية وتفرقوا في المملكة الاسلامية يذيعون خبرهم سرًّا غير متجاسرين على اظهاره حتى كانت سنة ١٢٤ ﻫ وكان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قد توفي وقام بالامر من بعده ابنه ابراهيم الملقب بالامام قدم بعض نقباء الدعوة العباسية الذين كانوا بالكوفة الى الامام واهدوا اليه عشرين الف دينار ومايتي الف درهم وابا مسلم الخراساني وقالوا له هذا مولاك فاعجب به ابراهيم الامام و بمنطقه وادبه فاقام عنده ابو مسلم يخدمه

ثم ان النقباء عادوا الى الامام وسألوه رجلاً يقوم بامر خراسان فقال اني جربت هذا الاصبهاني وعرفت ظاهره و باطنه فوجدته حجر الارض فدعا ابا مسلم وقلده الامر وارسله الى خراسان وامرهم بسماع امره وطاعته وهو الى ذلك الحين لم يبلغ العشرين من عمره فلم يسمع له احد فرجع الى الامام واعلمه بعدم سماعهم اوامره فاعاده اليهم وامره ان يقتل كل من يشك في طاعته وارسل اليهم يقول اني عرضت هذا الامر على كثيرين فلم يقبل به احد الاّ هذا فاسمعوا له واطيعوا فسار ابو مسلم الى خراسان من ذلك الوقت

وكان عامل مروان على خراسان نصر بن سيار فثار ضده الكرماني (واسمه جديع بن علي الازدي انما سمي بالكرماني لانه ولد بكرمان) وثار معه اليمانية وتغلب على مرو وتنحى نصر عنها ومعه المضرية وفي هذه الاثناء وصل ابو مسلم الخراساني الى خراسان سنة ١٢٩ ﻫ واخذ باظهار الدعوة العباسية جهاراً فرأى نصر ان هذا الاخير اشد ضرراً على الدولة الاموية من الكرماني وغيره فارسل الى مروان يطلب نجدته وكان مروان مشغولاً بقتال الخوارج ومن خالف من اهل البلدان فلم يجب نصراً الى ما طلب فارسل الى مروان كتاباً يظهر فيه حال ابي مسلم وخروجه وكثرة من معه وانه يدعو الى ابراهيم

الامام وكتب بابيات شعر

اری خلل الرماد ومیض نار		واخشى ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكي		وان الحرب مبدؤها الكلام
لئن لم يطفها عقلاء قوم		يكون وقودها جثث وهام
اقول من التعجب ليت شعري		أأيقاظ أمية أم نيام
فان كانوا لحينهم نياماً		فقل قوموا فقد حان القيام

فلم يجب مروان نصرًا بشيء وأراد ان يقطع الشجرة من اصلها وعلم ان ابراهيم الامام نازلاً بالحميمة فارسل اليه من امسكه وسجنه حتى مات بالسجن . وكان لما أمسكه مروان قد كتب الى اهله ينعي نفسه وامرهم بالمسير الى الكوفة مع اخيه ابي العباس السفاح واوصى اليه بالامر فسار السفاح باهل بيته ومنهم اخوه ابو جعفر المنصور وغيره الى الكوفة فاقاموا متخفيين ٠وكان ابو مسلم ارسل الى ابراهيم الامام يعلمه بما تم له بخراسان و يعلمه بخلاف نصر والكرماني وتحاربهما و يستشيره بما يفعل فارسل اليه الامام جواباً يلعنه فيه و يسبه لانه لم ينتهز الفرصة من نصر والكرماني اذا مكنناه و يأمره ان لا يدع بخراسان متكلماً بالعربية الاّ قتله

ولما غلب الكرماني على مرو ارسل اليه نصر بن سيار جيشاً لقتاله وما زال القتال دائرًا بين الفريقين اياماً فلما استيقن ابو مسلم ان كلا الفريقين قد اثخن صاحبه وان لا مدد لهم جعل يكتب الى شيبان ثم يقول للرسول اجعل طريقك على مضر فانهم سياخذون كتبك فكانوا ياخذونها و يقرأون فيها « اني رأيت اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تيقن بهم ولا تظهر اليهم فاني ارجو ان يريك الله في اليمانية ما تحب ولئن بقيت لا ادع لهم شعرا ولا ظفرا » و يرسل رسولا آخر بكتاب فيه ذكر مضر بمثل ذلك و يامر الرسول ان يجعل طريقه على اليمانية حتى صار هوى الفريقين معه ثم جعل يكتب الى نصر بن سيار والى الكرماني « ان الامام اوصاني بكم واست اعدو رأيه فيكم » وسار ابو مسلم حتى خندق بين جيش نصر و بين جيش الكرماني فهابه الفريقان وارسل الى الكرماني « اني معك » فقبل الكرماني ذلك فانضم ابو مسلم اليه فاشتد الامر على نصر بن سيار وارسل الى الكرماني يقول « لا تغتر فوالله اني لخائف عليك وعلى اصحابك من ابي مسلم » ودارت رحى الحرب بين الفريقين حتى وجد نصر غرة من الكرماني

فضربه ضربة كانت القاضية عليه وصلبه · فاقبل ابن الكرماني وقد اجتمع اليه جمع كثير واتحد ابو مسلم معه ايضاً فقاتلوا نصراً حتى اخرجوه من دار الامارة وتغلب ابن الكرماني على مرو ثانية · وكان امر ابي مسلم قد استفحل وذاع صيته واتت الناس من مرو وغيرها اليه ولا يعرض لهم نصر بن سيار ولا ابن الكرماني فرأى نصر ان امره وامر ابن الكرماني آخذ في الزوال بينما امر ابي مسلم آخذ في الظهور فارسل الى ابن الكرماني يدعوه الى الاتحاد معه على قتال ابي مسلم فعلم ابو مسلم بذلك وكان يومئذ معسكراً بالماخوان فتحول الى الين خوفاً من ان يقطع عنه نصر الماء · وعظم الامر على ابي مسلم وجمع اصحابه لحربهم فكان سليمان بن كثير بازاء ابن الكرماني فقال له سليمان ان ابا مسلم يقول لك « أما تانف من مصالحة نصر وقد قتل بالامس اباك وصلبه وما كنت احسبك تجتمع مع نصر في مسجد تصليان فيه » فرجع ابن الكرماني عن رأيه وانتقض صلح العرب · فلما انتقض صلحهم بعث نصر الى ابي مسلم يلتمس منه ان يدخل مع مضر وكذلك بعث اليه اصحاب ابن الكرماني وهم ربيعة واليمن فمال ابو مسلم ومن معه الى محالفة ابن الكرماني وحاربا نصراً وانتصرا عليه وهرب نصر ودخل ابو مسلم مرو واخذ البيعة بها للعباسيين وبايع ابن الكرماني مع من بايع واستتب الامر في مرو لابي مسلم ثم ارسل سراياه حتي افتتح كل ولاية خراسان وخاف ابو مسلم من اجتماع كلمة ابني الكرماني عليه فقتلهما وهما علي وعثمان

(ظهور السفاح وبيعته) قد ذكرنا مسير ابي العباس السفاح واهله الى الكوفة مستخفين · وما زالوا كذلك حتى شهر ربيع الاول سنة ١٣٢ ﻫ فظهر ابو العباس السفاح فسلم عليه الناس بالخلافة وعزوه باخيه الامام فدخل دار الامارة في صبحة يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الاول سنة ١٣٢ ﻫ ثم خرج الى المسجد وصلى بالناس وحضهم على الطاعة · وكان مروان بحران وبلغته هذه الاخبار فسار منها الى الزاب وهو في مائة وعشرين الفاً فسار اليه ابو عون عامل بني العباس على شهرزور بما عنده من الجموع وامده السفاح بعساكر مع عمه عبد الله بن علي بن عبد الله · وعقد مروان جسراً على الزاب وعبر الى جهة عبد الله المذكور فالتقاه عبد الله وقد جعل على ميمنته ابا عون وعلى ميسرته الوليد بن معاوية فاشتد القتال بين الجيشين حتى انهزم مروان وغرق كثير من جيشه وغنم عبد الله سلاحاً كثيراً وكتب الى السفاح ابن اخيه بالفتح

وهرب مروان ومر بالموصل فسبه اهلها فسار عنها حتى اتى حران واقام بضعاً وعشرين

وماً حتى دنا منه عسكر السفاح فحمل اهله وخيله ومضى منهزماً الى حمص فتعقبه عبد الله بن علي المذكور فسار مروان من حمص الى دمشق ثم الى فلسطين وعبد الله يطارده ثم سار مروان هارباً الى مصر فارسل عبدالله في اثره اخاه صالحاً فادركه صالح في كنيسة بوصير وانهزم اصحابه فطعنه رجل برمح فقتله واحتز رأسه واحضره الى صالح فارسل صالح رأس مروان الى السفاح وكتب اليه

قد فتح الله مصر عنوة لكم　　واهلك الكافر الجعدي اذ ظلما

وبايع اهل مصر لبني العباس و بعد ان استتب الامر بها رجع صالح الى الشام تاركاً ابا عون بمصر ٠ وهرب ابنا مروان عبدالله وعبيدالله الى الحبشة وقاتلهما الاحباش فقتل عبيد الله ونجا عبد الله في عدة ممن معه وبقي الى خلافة المهدي فمسكه عامل فلسطين و بعث به اليه

وكانت مدة خلافة مروان بن محمد خمس سنين وعشرة اشهر ونصفاً وكان يلقب بالحمار لصبره في الحروب ٠ و بقتله تلاشت الخلافة الاموية من الشرق وتبعتها خلافة بني العباس

الخلفاء العباسيون

٢٦ — خلافة ابي العباس السفاح

من سنة ١٣٢ هـ — ١٣٦ هـ او سنة ٧٥٠ — ٧٥٤ م

هكذا كانت نهاية الخلافة الاموية وابتداء الخلافة العباسية ٠ ورای ابو العباس ان قدمه لا تثبت بالخلافة الا اذا قتل بني امية جميعاً حتى من كان قد امنهم و بايعوه وساعده على فكره هذا كثيرون من المقربين منه منهم سديف الذي دخل يوماً على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أمنه واكرمه فقال سديف

لا يغرنك ما ترى من رجال　　ان تحت الضلوع داء دوياً

فضع السيف وارفع السوط حتي　　لا ترى فوق ظهرها امويا

فامر السفاح بسليمان بن هشام فقتل وقتل عبد الله بن علي نحو تسعين رجلاً اجتمعوا عنده للأكل بناء على طلبه فأمر بهم فقتلوا جميعاً ٠ وهرب عبد الرحمن بن

معاوية الى الاندلس وجدّد فيها دولة اموية سنأتي على ذكرها بعد الانتهاء من ذكر خلفاء بني العباس

ولما استتب الامر لابي العباس ارسل العمال الى الامصار من ذويه ومريديه فأقر ابا مسلم على خراسان والعراقين وابا عون على مصر وعمه عبد الله بن علي بالشام وبنى الهاشمية بالانبار وجعلها مقر خلافته

وكان العباس من اسخى الناس لم يعد وعدًا ويؤخره عن وقته وكان سريعًا الى سفك الدماء وهذا هو سبب تلقيبه بالسفاح . ولم تخلُ ايام السفاح من القلاقل والثورات لان الامر لم يكن قد استتب له تمامًا فخلع كثيرون طاعته وعصوه منهم (١) حبيب بن مرة المري ومن معه من اهل الثنية وحوران وكان حبيب المذكور من قواد مروان فلما مات مروان وآل الامر لبني العباس خاف على نفسه فاظهر العصيان فسار اليه عبد الله والي الشام وقاتله مرارًا ثم صالحه وامنه (٢) ابو الورد مجزأة بن الكوثر وكان من قواد مروان ايضًا وكان قد بايع عبد الله بن علي ثم انتقض عليه ودعا اهل قنسرين للخروج معه فاجابوه . وكان عبد الله في ذلك الوقت يحارب حبيب بن مرة فصالحه وسار الى ابي الورد ومر على دمشق وترك بها ابا غانم بن ربعى في اربعة آلاف وكان بدمشق اهل عبد الله وامهات اولاده وثقله فلما سار من دمشق عصى اهلها وقاتلوا ابا غانم وانتصروا عليه ونهبوا اموال عبد الله لكنهم لم يتعرضوا لاهله . وكثر حزب ابي الورد واجتمع اليه على خلاف ابي العباس اهل قنسرين وهؤلاء كاتبوا اهل حمص وتدمر فقدم منهم الوف . فوجه اليهم عبد الله اخاه عبد الصمد ومن معه واقتتلوا حتى انكشف عبد الصمد وانهزم وسار الى اخيه عبد الله فجمع هذا الاخير الجيش وسار لقتال ابي الورد بنفسه فالتقوا ثانية بمرج الاخرم ودارت رحى الحرب بين الفريقين فانهزم اصحاب ابي الورد وثبت هو وخمسماية معه حتى قتلوا جميعًا فامن عبد الله اهل قنسرين و بايعوه ودخلوا تحت طاعته فرجع الى دمشق

(٣) ثم ثار اهل الجزيرة على السفاح ولم يكن عليهم رئيس فقدم عليهم اسحق ابن مسلم العقيلي من ارمينية واجتمع عليه اهل الجزيرة وحاصر موسى بن كعب نحوًا من شهرين فارسل ابو العباس الى اخيه ابي جعفر بواسط يامره بالمسير اليهم فسار ابو جعفر ومن معه الى حرّان فرحل عنها اسحق بن مسلم الى الرها وارسل الى ابي جعفر من يقاتله والتقى الفريقان والتحم الجيشان وكانت الدائرة على اصحاب اسحق فلما بلغته الهزيمة

رحل من الرها الى سميساط فتبعه ابو جعفر وكتب الى السفاح ان يمده فامده بعبد الله ابن علي والي دمشق فقدم ابو جعفر وعبد الله الي سميساط وحاصرا اسحق بهاسبعةاشهر حتى كتب اليهما يطلب الصلح على شرط ان يعطياه الامان فكتبا للسفاح بذلك فامرهما ان يامناه فآمناه وخرج من سميساط آمناً . وولى السفاح اخاه ابا جعفر الجزيرة وارمينية واذربجيان

(٤) وثار بسام بن ابراهيم في خراسان وخلع طاعة السفاح فسار ومن تبعه سراً الى المدائن فوجه اليهم السفاح خازم ابن خزيمة فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم بسام واصحابه وقتل اكثرهم واما بسام فهرب

(٥) وعصى الخوارج ايضاً وعليهم في ذلك الوقت شيبان بن عبد العزيز فارسل اليهم السفاح خازم المذكور في خمسماية مقاتل فقاتلوا شيبان والخوارج حتى قتل شيبان وانهزم الخوارج فرجع خازم وفي اثناء رجوعه لقيتهم عصابة عليها الجلندى من الخوارج ايضاً فقاتلهم خازم وقتل منهم مقتلة عظيمة وقتل الجلندي رئيسهم . وكأني بالروم علموا ضعف المسلمين من توالي الثورات فارسل ملكهم قسطنطين جيشاً لافتتاح ملطية فحاصرها وارسل الى من بها من المسلمين يطلب منهم ان يسلموه البلد ومن يريد منهم ان يرجع الى بلاد المسلمين فله الامان فلم يقبلوا منه ذلك فشدّد عليها الحصار وضربها بالمنجنيق فانهزم المسلمون واذعنوا الى طلب الصلح وسلموا البلد الى الروم ورحلوا عنها الى بلادهم

وتوفي السفاح بالانبار الجديدة (الهاشمية) لثلاث عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة ١٣٦ ﻫ وعمره ثلاث وثلاثون سنة ومدة خلافته من قتل مروان اربع سنين ومنذ بويع الخلافة اربع سنين وثمانية اشهر وكان موته بالجدري وقبل موته اوصى بالخلافة من بعده لاخيه ابي جعفر المنصور . والسفاح اول من استوزر لان بني امية لم يستوزروا

٢٧ — خلافة ابي جعفر المنصور

من سنة ١٣٦ هـ — ١٥٨ هـ اي سنة ٧٥٤ الى سنة ٧٧٥ م

هو ابو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب مات اخوه السفاح وهو بمكة للحج ومعه ابو مسلم الخراساني وبموت اخيه انتقلت الخلافة اليه بعهد من السفاح فبويع وهو بطريق مكة · وكان عبد الله بن علي عامل السفاح بالشام لما بلغه موت السفاح لم يبايع لابي جعفر ودعا الناس لصلاة جامعة وخطب فيهم « ان السفاح عهد اليَّ بولاية العهد من بعده والسبب في ذلك انه (اي السفاح) لما اراد مطاردة مروان لم يقدم على هذا الامر احد فقال ان من قام بهذا الامر جعلته ولي عهدي وعلى هذا الشرط طاردت انا مروان حتى ظفرت به » وصادق كثيرون ممن معه على قوله فبايعه الناس بالشام وسار عبد الله الى حرّان وكان ابو مسلم قد عاد مع ابي جعفر المنصور من الحج · فلما علم المنصور بامر عبد الله ارسل الى ابى مسلم يامره بالمسير اليه وقتاله · فارسل ابو مسلم الى عبد الله بن علي يقول اني لم أؤمر بقتالك ولكن امير المؤمنين ولاني الشام · فقال من مع عبد الله من اهل الشام له · كيف نكون معك وهذا ياتي بلادنا ويقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبي ذراريناً فنحن نرجع الي بلادنا ونمنعه ونقاتله · فقال لهم عبد الله والله ما يريد الشام وما اتى الاّ لقتالكم · فابوا الا المسير الى الشام فارتحل عبد الله نحو الشام وتبعه ابو مسلم واقتتلوا خمسة اشهر كان النصر فيها اغلبه لعبد الله واصحابه وراى ابو مسلم بعض اهل خراسان يتراجعون فارتجز وقال

من كان ينوي اهله فلا رجع فرَّ من الموت وفي الموت وقع

وحمل على عبد الله حملة شديدة حتى انهزم عبد الله بن علي واخوه عبد الصمد ومن معهما وهرب عبد الله حتى اتى الى اخيه سليمان بالبصرة واقام عنده متوارياً واما عبد الصمد فسار الى الرصافة واحتمى بعيسى بن موسى فطلب له من المنصور اماناً فامنه

(مقتل ابي مسلم) وذاع صيت ابى مسلم واستفحل امره حتى خافهُ المنصور وقد ذكرنا حج ابى مسلم مع ابى جعفر هذه السنة (١٣٦ هـ) فلما انتهى الحج ورجعا تقدم ابو مسلم على ابى جعفر وكان يعطي الحسنات ويحفر الابار وكان الذكر له ولما مات

السفاح وهما في الطريق و بلغ ابا مسلم موته ارسل الى ابي جعفر يعزبه في اخيه ولم يهنه بالخلافة فحقدها المنصور عليه وَوُشيَ الي المنصور ان ابا مسلم باتيه كتابه (كتاب المنصور) فيقرأه ثم يلقى الكتاب من يده الى مالك بن الهيثم فيقرأه ويضحكان استهزاءً فلما حارب ابو مسلم عبدالله بن علي المذكور وغنم غنائم كثيرة بعث ابو جعفر ابا الخصيب الى ابي مسلم ليكتب ما اصاب من الاموال فسار الى ابي مسلم وبلغه طلب المنصور فقال له ابو مسلم . انا امين على الدماء خائن في الاموال وشتم المنصور واراد ان يقتل ابا الخصيب فشفع فيه فخلى سبيله . فرجع ابو الخصيب الى المنصور وابلغه ما كان من أمر ابي مسلم فخاف المنصور ان يذهب ابو مسلم الى خراسان و يمتنع بها و بها شيعته فكتب اليه « اني وليتك الشام ومصر فهي خير لك من خراسان فوجه الى مصر من احببت واقم بالشام فتكون بقرب امير المؤمنين فان احب لقاءك اتيته من قريب » فلما اتاه الكتاب غضب وقال . « يوليني مصر والشام وخراسان لي » فكتب الرسول الي المنصور بذلك . واقبل ابو مسلم من الجزيرة مجمعاً على الخلاف وخرج قاصداً خراسان . فسار المنصور من الانبار الى المدائن وكتب الى ابي مسلم في المسير اليه فكتب اليه ابو مسلم يقول . وهو حين اذ ذاك بالزاب « انه لم يبق لامير المؤمنين اكرمه الله عدواً الا امكنه الله منه وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان اخوف ما يكون الوزراء . اذا سكنت الدهما . فنحن نافرون عن قربك . حريصون على الوفاء لك ما وفيت . حريون بالسمع والطاعة غير انها من بعيد حيث يقارنها السلامة . فان ارضاك ذلك فانا كاحسن عبيدك وان ابيت الا ان تعطى نفسك ارادتها نقضت ما ابرمت من عهدك ضناً بنفسي » فلما وصل كتاب ابي مسلم الى المنصور كتب اليه يقول « قد فهمت مقالتك وليست صفتك صفة اولئك الوزراء الغشيشة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم فانما راحتهم في انتشار نظام الجماعة فلم ساويت نفسك بهم . فانت في طاعتك ومناصحتك واطلاعك بما حملت من اعباء هذا الامر على ما انت به وليس مع الشريطة التي اوجبت منك سمعاً ولا طاعة . وحمل اليك امير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن اليها ان اصغيت واسال الله ان يحول بين الشيطان ونزغاته و بينك فانه لم يجد باباً فسد به نيتك اوكد عنده من الباب الذي فتحه عليك « وارسل المنصور هذا الكتاب مع عيسى بن موسى كالمفهوم من منطوقه لكن قيل ان الذي حمل هذا الكتاب الى ابي مسلم هو ابو حميد الحروري وكان داهية في المكر واوصاه المنصور ان يأتي ابامسلم باللين

فان لم يأت اللين نفعاً يتهدده بحرب وخيمة العاقبة · فسار ابو حميد ولحق بابي مسلم بحلوان فدفع اليه الكتاب وقال له « ان الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله وخلاف ما عليه رأيه منك حسداً و بغياً يريدون ازالة النعمة وتغييرها فلا تفسد ما كان منك وانك لم تزل امير آل محمد يعرفك الناس بذلك · وما ذخر الله لك من الاجر عنده في ذلك اعظم مما انت فيه من دنياك فلا تحبط اجرك ولا يستهوينك الشيطان » فقال له ابو مسلم « متى كنت تكلمني بهذا الكلام » فقال · انك دعوتنا الى هذا الامر والى طاعة اهل بيت النبي بني العباس وامرتنا بقتال من خالف ذلك فدعوتنا من ارضين متفرقة واسباب مختلفة فجمعنا الله على طاعتهم والف ما بين قلوبنا واعزنا بنصرنا لهم · ولم نلقَ رجلاً منهم الا بما قذف الله في قلوبنا حتى اتيناهم في بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة افتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى املنا ان تفسد امرنا وتفرق كلمتنا وقد قلت لنا من خالفكم فاقتلوه وان خالفتكم فاقتلوني » فاقبل ابو مسلم على ابي نصر مالك ابن الهيثم فقال له · اما تسمع ما يقول لي هذا ما ترى في قوله يا مالك · فقال له مالك لا تسمع قوله · ولا يهولنك هذا منه · فلعمري ماهذا كلامه فامض لامرك ولا ترجع فوالله لئن اتيته ليقتلنك وقد وقع في نفسه شيء لا يامنك ابداً · واستشار نيزك ايضاً · فقال له مثل قول مالك · فعزم على عدم المسير الى امير المؤمنين · وقال لابي حميد ارجع لصاحبك فما انا بذاهب ابداً · فعالجه باللين فلم يفد شيئاً فهدده بالحرب فوجم قليلاً ثم ارسل احد ثقاته الى امير المؤمنين حتى يتجسس له الامور فتلقاه بنو هاشم بكل ما يحب فرجع اليه وحبب له المسير الى الخليفة واستسماح خاطره · فعزم ابو مسلم على ذلك وعلم نيزك بفكره فقال له هل اجمعت على الرجوع قال نعم وتمثل :

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الاقوام

فرجع ابو مسلم حتى اتى الى امير المؤمنين في ثلاثة آلاف نفر · فلما قدم ابو مسلم على المنصور امر الناس بتلقيه فتلقاه بنو هاشم والناس ثم قدم ودخل على المنصور فقبل يده فامره ان ينصرف و يروح نفسه ثلاثة ايام ويدخل الحمام فانصرف · فلما كان الغد استدعى المنصور اربعة من الحرس وامرهم بقتل ابى مسلم اذا صفق بيديه وتركهم خلف الرواق وارسل الى ابى مسلم يستدعيه وكان عنده عيسى بن موسى يتغذى فدخل على المنصور · فقال له المنصور · اخبرني عن نصلين اصبتهما مع عبد الله بن علي · قال هذا

احدها • قال أرنيه • فانضاه وناوله اياه فوضعه المنصور تحت فراشه واقبل عليه يعاتبه وقال له • اخبرني عن كتابك الى السفاح تنهاه عن الموات اردت ان تعلمنا الدين • قال ظننت ان اخذه لا يحل فلما اتاني كتابه علمت انه اهل بيت معدن العلم • قال فاخبرني عن تقدمك اياي بطريق مكة • قال • كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمتك للرفق • قال • فقولك لمن اشار اليك بالانصراف اليّ بطريق مكة وحين اتاك موت ابي العباس الي ان نقدم فنرى رأينا ومضيت فلا انت اقمت حتى الحقك ولا انت رجعت اليّ • قال منعني من ذلك ما اخبرتك من طلب الرفق بالناس وقلت تقدم الى الكوفة وليس عليك من خلاف • قال فجارية عبد الله اردت ان تتخذها قال • لا ولكن خفت ان تضيع فحملتها في قبة ووكلت بها من يحفظها • قال • فمن ارفقك وخروجك الى خراسان • قال • خفت ان يكون قد دخلك مني شيء فقلت آتي خراسان فاكتب لك بعذري فاذهب ما في نفسك • قال • فالمال الذي جمعته بخراسان • قال انفقته بالجند تقوية لهم واستصلاحاً • قال الست الكاتب اليّ تبدأ بنفسك وتخطب عمتي آمنة ابنة علي وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن عباس لقد ارتقيت لا ام لك مرتقى صعباً — ثم قال — وما الذي دعاك الى قتل سليمان بن كثير مع اثره في دعوتنا وهو احد فتياننا قبل ان يدخلك في هذا الامر • قال اراد الخلاف وعصاني فقتلته • فلما طال عتاب المنصور قال ابو مسلم لا يقال هذا لي بعد بلائي وما كان مني • قال المنصور • يا ابن الخبيثة والله لو كانت أمة مكانك لاجزأت انما عملت في دولتنا وبريحنا فلو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلاً ••• فاخذ ابو مسلم بيده يقبلها ويعتذر اليه فقال له المنصور • ما رأيت كاليوم وما زدتني الا غضباً • فاخذ ابو مسلم يستسمح خاطره فشتمه وصفق بيديه فخرج عليه الحرس فقتلوه فلما رأى ابو مسلم الحرس بسيوفهم قال للمنصور • استبقني لعدوك يا امير المؤمنين • فقال له المنصور لا ابقاني الله اذاً اي عدو اعدى لي منك • واخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه وهو يصيح العفو • فقال المنصور يا ابن اللخناء العفو والسيوف قد اعتورتك • وكان قتله في شهر شعبان لخمس بقين منه سنة ١٣٧ ولما قتل قال المنصور

زعمت ان الدين لا ينقضي　　فاستوف بالكيل ابا مجرم

سقيت كاساً كنت تسقي بها　　امر في الحلق من العلقم

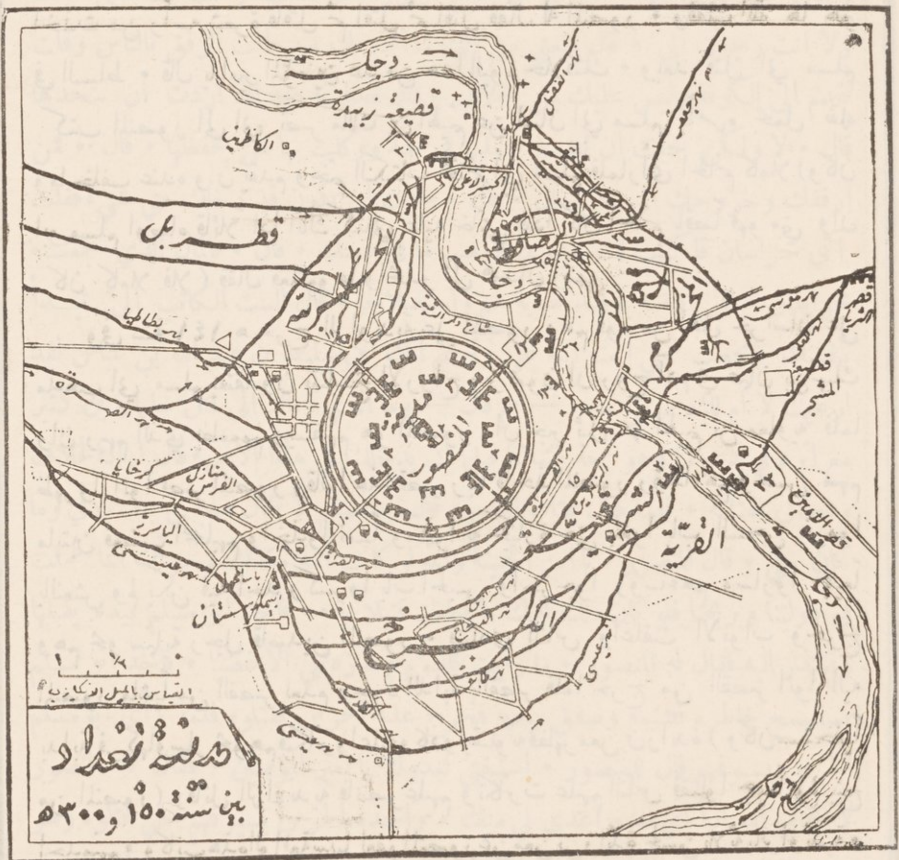
وكان ابو مسلم قد قتل في دولته ستماية الف صبراً • فلما قتل دخل عيسى بن موسى

على المنصور وقال • يا امير المؤمنين اين ابو مسلم • فقال • قد كان ههنا • فقال عيسى قد عرفت نصيحته وطاعته ورأي الامام ابرهيم كان فيه • فقال له المنصور • يا احمق والله ما اعلم في الارض عدوًّا اعدى لك منه ها هوذا في البساط • فقال عيسى • انا لله وانا اليه راجعون • وكان لعيسى فيه رأي • فقال المنصور لعيسى • خلع الله قلبك وهل كان لك امر أو نهي او ملك او سلطان مع ابي مسلم • ثم دعا المنصور بجعفر بن حنظلة فدخل عليه فقال • ما تقول في امر ابي مسلم • قال يا امير المؤمنين ان كنت اخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل فقال له المنصور • وفقك الله ها هو في البساط • قال يا امير المؤمنين عد من هذا اليوم خلافتك • وبعد قتل ابي مسلم كتب المنصور الى ابي نصر مالك بن الهيثم عن لسان ابي مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلف عنده وان يقدم وختم الكتاب بخاتم ابي مسلم فلما رأى الخاتم كاملاً (وكان ابو مسلم اوصاه قائلاً اذا اتاك كتابي عليه خاتمي فاذا كان الخاتم ناقصاً فهو مني وان كان كاملاً فلا) فقال فعلتموها وانحدر الى همذان انتهى

وفي سنة ١٤١ هـ خرج الراوندية على المنصور وهم قوم من اهل خراسان على مذهب ابي مسلم يعتقدون بتناسخ الارواح ويزعمون ان روح آدم في عثمان بن نهيك وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور وان جبرائيل هو الهيثم بن معاوية فلما ظهروا اتوا قصر المنصور وقالوا هذا قصر ربنا فأخذ المنصور رؤساءهم وحبس منهم مايتين فغضب اصحابهم واخذوا نعشاً ومشوا به كجنازة حتى بلغوا باب السجن فرموا بالنعش ولم يكن فيه احد وكسروا باب الحبس واخرجوا رؤساءهم وساروا جميعاً وهم نحو ستماية رجل قاصدين المنصور • فتنادى الناس واغلقت الابواب وخرج المنصور ماشياً من القصر لعدم وجود الدابة بالقصر فلما خرج من القصر اتوا اليه بدابة فركبها وسار نحوهم فتكاثروا عليه وكادوا يقتلونه فظهر معن بن زائدة (وكان مستخفياً من المنصور) وقاتل الراوندية فانتصر عليهم وتكاثرت عليهم الناس فقتلوا جميعاً ولم ينج احد منهم • وكانت هذه الواقعة سبباً لعفو المنصور عن معن بن زائدة لحسن بلائه بالراوندية •

وكان المنصور يتخوف من بني الحسن وخصوصاً من محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي وجدّ عليه الطلب فلم يتمكن من القبض عليه فحبس احد عشر شخصاً من بني الحسن في سجن ضيق حتى كان الواحد منهم يبول ويغوط على الآخر حتى ماتوا جميعاً • فهيجت هذه المعاملة السيئة محمد بن عبد الله فخرج في

المدينة وجمع الجموع وتسمى بالمهدي واستولى على المدينة وضواحيها وارسل اخاه ابراهيم الى البصرة في ثلاثين الفاً • فارسل اليه المنصور ابن اخيه عيسى بن موسى فسارحتى اتى المدينة وجرى بين الفريقين قتال فانهزم محمد بن عبد الله وقتل هو وجماعة من اهل بيته واصحابه ثم تعقب عيسى بن موسى ابراهيم بن عبد الله بالبصرة فانهزم هذا الاخير ايضاً • وبعد هذه الواقعة شدّد المنصور في الطلب على آل علي حتى كاد يفنيهم



(ش ٨) مدينة بغداد　　　(عن تاريخ التمدن الاسلامي)

وفي سنة ١٤٥ هـ ابتدأ المنصور ببناء مدينة بغداد لجعلها مقراً لملكه بدلاً من الهاشمية لعدم حصانتها فاختار البقعة التي بنى فيها بغداد لاسباب كثيرة لا محل لذكرها

وسماها مدينة السلام ثم دعيت فيما بعد بغداد واستتب الامر للمنصور في كل العالم الاسلامي ما عدا بلاد الاندلس التي تجددت فيها في سنة ١٣٩ ﻫ دولة اموية سيأتي ذكرها

وابتدأ التمدن الاسلامي في الظهور من ايام هذا الخليفة وابتدأ العرب يطلبون علوم اليونان والفرس ويترجمونها الى اللغة العربية ٠ وفي هذا العصر شرع علماء المسلمين في تدوين الحديث والفقه

وفي سنة ١٥٨ ﻫ سار المنصور ليحج فنزل قصر عبدويه فانقض في مقامه هنالك كوكب بعد اضاءة الفجر وبقي اثره بيناً حتى مطلع الشمس ٠ فاحضر المنصور المهدي ابنه وكان قد صحبه ليودعه فوصاه بالمال والسلطان وقال له أيضاً ٠ اوصيك باهل بيتك ان تظهر كرامتهم فان عزك عزهم وذكرهم لك وما اظنك تفعل ٠ وانظر مواليك واحسن اليهم واستكثر منهم فانهم مادتك لشدة ان نزلت بك وما اظنك تفعل ٠ وانظر هذه المدينة واياك ان تبني المدينة الشرقية فانك لا تتم بناها واظنك ستفعل واياك ان تدخل النساء في امرك وأظنك ستفعل هذه وصيتي اليك والله خليفتي عليك ثم ودعه وبكى كل منهما الى صاحبه ٠ ثم سار الى الكوفة وكلما سار منزلاً اشتد به مرضه فلما وصل بئر ميمون مات بها مع السحر لست خلون من ذي الحجة سنة ١٥٨ ﻫ وكان عمره ثلاثاً وستين سنة وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة ٠ وقيل في صفته وسيرته انه كان اسمر نحيفاً خفيف العارضين وكان من احسن الناس خلقاً ما لم يخرج الى الناس واشدهم احتمالاً لما يكون من عبث الصبيان فاذا لبس ثيابه هابه الاكابر فضلاً عن الاصاغر ٠ ولم ير في داره لهو ولا شيء من اللعب والعبث قال حماد التركي كنت واقفاً على رأس المنصور فسمع جلبة ٠ فقال انظر ما هذا ٠ فذهبت فاذا خادم له جالس وحوله الجواري وهو يضرب لهن بالطنبور وهن يضحكن فاخبرته ٠ فقال واي شيء الطنبور فوصفته له ٠ فقال ما يدريك انت ما الطنبور ٠ قلت رأيته بخراسان ٠ فقام ومشى اليهن فلما رأينه تفرقن ٠ فامر بالخادم فضرب رأسه بالطنبور حتى تكسر الطنبور واخرجه فباعه ٠ وقيل انه كان كثير التقلب كثير الهواجس لا يستقر على رأي



(ش ٩) نقود المنصور (عن تاريخ مصر الحديث)

٣٨ - خلافة محمد المهدي بن المنصور

من سنة ١٥٨ هـ — ١٦٩ او من سنة ٧٧٥ — ٧٨٥ م

هو ابو عبدالله محمد بن عبدالله المنصور لما مات ابوه المنصور ببئر ميمون لم يحضره عند وفاته الاخدمه والربيع مولاه فكتم الربيع موته والبسه وسنده وجعل على وجهه كلة خفيفة يرى شخصه منها ولا يفهم امره وادنى اهله منه ثم قرب منه الربيع كانه يخاطبه . ثم رجع اليهم وامرهم عنه ببيعة المهدي بن المنصور بن محمد الامام ولابن عمه عيسى بن موسى بن محمد الامام من بعده (وكان السفاح جعل البيعة من بعد المنصور لعيسى بن موسى) فبايعوا ثم خرجوا وبعد ذلك خرج اليهم باكياً مشقوق الجيب لاطماً رأسه ثم وجه الى المهدي يخبره بوفاة المنصور وبالبيعة له ولابن عمه عيسى بن موسى من بعده . فتكلم جماعة من بني هاشم في خلع عيسى بن موسي من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادي بن محمد المهدي من بعد ابيه فسرّ ذلك المهدي وارسل يطلب قدوم عيسى بن موسى وهو في ذلك الوقت بالرحبة من اعمال الكوفة فعلم بسر هذا الطلب ولم يجب طلب المهدي بالذهاب اليه فاستعمل المهدى على الكوفة روح بن حاتم وامره بالاضرار بعيسى بن موسى فذهب الى الكوفة ولم يجد للاضرار به سبيلا . فارسل المهدي عمه العباس الى عيسى فلم يحضر فارسل اليه ابا هريرة محمد بن فروخ القائد في الف من اصحابه ذوي البصائر وجعل مع كل واحد منهم طبلاً وامرهم ان يضربوا طبولهم جميعاً عند قدومهم اليه . فوصلوا سحراً وضربوا طبولهم فارتاع عيسى بن موسى روعاً شديداً ودخل عليه ابو هريرة وامره بالشخوص معه فاعتل بالشكوى فلم يقبل منه واخذه معه . فلما قدم عيسى بن موسى اقام اياماً يختلف الى المهدي ولم ير

مكررها ثم دخل يوماً وقد اجتمع رؤساء شيعة المهدي وطلبوا منه ان يخلع نفسه ويبايع للمهدي ولابنه موسى الهادي من بعده فلم يقبل فتهددوه والح عليه المهدي بذلك فقبل اخيراً و بايع للمهدي ولابنه الهادي من بعد فاعطاه المهدي عشرة آلاف دينار وقال في ذلك بعض الشعراء

كره الموت ابو موسى   كان في الموت نجاة وكرم
خلع الملك واضحي ملبساً   ثوب لوم ما ترى منه القدم

وبمبايعة عيسى بن موسى للمهدي استتب له الامر

وفي ايامه سنة ١٥٩ هـ ظهر المقنع بخراسان وكان رجلاً قصيراً اعور من اهل مرو يسمي حكيماً واتخذ له وجهاً من ذهب على وجهه لئلا يرى فسمي المقنع وادعي الالوهية وكان يعتقد ان الله خلق آدم فتحول في صورته ثم في نوح وهلم جراً الى ابي مسلم الخراساني الذي كان يعتقد فيه انه افضل من النبي (صلعم) ثم تحول الى هاشم (وهو اسمه) وكان يحسن شيئاً من الشعبذة فاستغوى اهل العقول الضعيفة واستمالهم واجتمع اليه خلق كثير وتحصنوا في قلعة بكش وجمع فيها الطعام والعلوفة . وبث الدعاة في الناس وادعي احياء الموتى وعلم الغيب فبعث المهدي في طلبه فحوصر حصاراً شديداً فلما ايقن بالهلاك جمع نساءه واهله وسقاهم السم فماتوا جميعاً . واحرق القلعة بالنار وقال لاصحابه من احب ان يرتفع معي الى السماء فليلق نفسه معي في هذه النار فالقى نفسه والقى من معه انفسهم في النار فاحترقوا جميعاً ودخل العسكر القلعة فوجدوها خالية خاوية

واستوزر المهدي يعقوب بن داود فتمكن فيها حتى كان لا يعمل شيئاً الا بامره فحسده اصحاب المهدي وسعوا فيه فامسكه وحبسه وبقي محبوساً الى خلافة الرشيد وفيه يقول بشار بن برد

بني أمية هبوا طال نومكم   ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا   خليفة الله بين الناي والعود

وفي سنة ١٦٣ هـ تجهز المهدي لغزو الروم فخرج وعسكر بالبردان وجمع العساكر من خراسان وغيرها وسار ومعه ابنه هرون الرشيد بعد ما استخلف ابنه موسى الهادي على بغداد فلما وصل حلب علم ان بها زنادقه فجمعهم وقتلهم وقطع كتبهم بالسكاكين . وسار عنها مشيعاً لابنه هرون الرشيد حتى جاز الدرب وتوغل الرشيد في بلاد الروم

بجيشه ومعه عيسى بن موسى وكاتبه يحيي بن خالدبن برمك فغزاهم وفتح لهم حصونا وغنم غنائم ورجع سالماً وكان الرشيد يغزو الروم سنويًا ويتوغل في بلادهم شيئاً فشيئاً حتى انه في سنة ١٦٥ ه بلغ خليج القسطنطينية وصاحب الروم يومئذ الملكة ايريني امرأة لاون بصفة وصية على ابنها قسطنطين السادس . فلما علمت بقدوم جيش المسلمين وعليهم الرشيد ارتاعت جداً وطلبت الصلح من الرشيد فصالحها على ان تدفع له جزية سنوية سبعين الف دينار وان تقيم لهم الادلاء والاسواق في طريقه . وهذا الشرط الاخير كان سبباً لنجاة جيش المسلمين لانه دخل مدخلاً ضيقاً مخوفاً من احد جانبيه جبل وعر ومن جانبه الآخر نهر ساغريس فرجع الرشيد سالماً غانماً

وفي سنة ١٦٦ ه اقام المهدي بريداً بين مكة والمدينة بغالاً

وفي سنة ١٦٩ ه عزم المهدي على خلع ابنه موسى الهادي والبيعة للرشيد بولاية العهد وتقديمه على الهادي فبعث اليه وهو بجرجان في هذا المعنى فلم يفعل فبعث اليه في القدوم عليه فضرب الرسول وامتنع من القدوم عليه فسار المهدي يريده فلما بلغ ماسبذان مات مسموماً والسبب في ذلك انه كان له جارية تدعى حسنة وجارية اخرى يحبها اكثر من حسنة فعمدت حسنة الى كمثرى وسمّت منه احسنه وارسلته هدية للجارية الاخرى فاجتاز الخادم بالمهدي وكان يحب الكمثرى فأخذ تلك الكمثراء المسمومة واكلها فلما وصلت الى جوفه صاح جوفي . جوفي . ومات فسمعت حسنة بموته فجاءت تبكي وتلطم وجهها وتقول اردت ان انفرد بك فقتلتك ورجعت حسنة وعليها المسوح فقال ابو العتاهية في ذلك

رحن في الوشي واقبلـن في المسوح
كل نطاح من الدنيا له يوم نطوح
لست بالباقي ولو عمرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح ان كنت لابد تنوح

وكان موته في المحرم لثمان بقين منه سنة ١٦٩ ه . وعمره ثلاث واربعون سنة ومدة خلافته عشر سنين وشهر وكان الرشيد معه يوم موته في ماسبذان



نقود المهدي (عن تاريخ مصر الحديث)

٢٩ - خلافة الهادي بن المهدي

من سنة ١٦٩ هـ — ١٧٠ او من سنة ٧٨٥ الى ٧٨٦م

هو موسى الهادي بن محمد المهدي بن المنصور بويع بالخلافة يوم وفاة أبيه المهدي . فانه لما مات المهدي بماسبذان أرسل ابنه الرشيد الى أخيه الهادي يعلمه بوفاة أبيه و بعث اليه بالخاتم والقضيب وأخذ له البيعة من عسكر المهدي . فلما بلغ الهادي وفاة أبيه رجع الى بغداد كرسي الخلافة . واشتد الهادي في طلب الزنادقة وقتل كثيرين منهم

وفي هذه السنة (١٦٩ هـ) ظهر الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب بالمدينة وتبعه جمع كثير و بايعوه وكان عامل الهادي على المدينة عمر بن عبد العزيز من آل الخطاب فحارب الحسين فانتصر الحسين عليه وازدادت شوكته وكثرت جموعه . و بعد انتصاره على عمر بن عبد العزيز المذكور أقام بالمدينة هو واصحابه أحد عشر يوماً ثم سار الى مكة فالتصق به جماعة من عبيد مكة . وكان قد حج في تلك السنة جماعة من بني العباس فاقتتلوا مع الحسين فانهزم الحسين وهرب اصحابه وقتل هو وقطع رأسه ورؤوس كثيرين من اصحابه حتى بلغت اكثر من مائة رأس

وفي سنة ١٧٠ هـ عزم الهادي على خلع الرشيد من ولاية العهد والبيعة لابنه جعفر فشجعه كثيرون وكاد الرشيد يقبل التنازل عن ولاية العهد و يبايع لجعفر

ابن أخيه لولا منع يحيى بن خالد بن برمك له ولم يتمكن الهادي من اتمام مقصده هذا لان المنية عاجلته . وقيل في سبب موته أنه لما ولي الخلافة استبدت أمه الخيزران بالامور فانثال الناس الى بابها وكانت المواكب تغدو وتروح الى بابها وكلمته يوماً في أمرٍ فلم يجد الى اجابتها سبيلا . فقالت . لا بدّ من الاجابة اليه . فغضب الهادي وقال والله لا قضيتها لك . قالت . اذاً لا أسألك حاجة أبداً . قال لا أبالي فقامت مغضبة . فقال . مكانك . والله لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد قوادي لاضربن عنقه ولاقبضن ماله . ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك اما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أم بيت يصونك . اياك اياك ان تفتحي بابك لمسلم أو ذمي . فانصرفت وهي لا تعقل ثم أمرت جواريها ان يقتلنه . فجلسن على وجهه وهو نائم فمات . وكانت وفاته في منتصف شهر ربيع الاول سنة ١٧٠ ﻫ وكان عمره ستاً وعشرين سنة ومدة خلافته سنة وثلاثة اشهر

٣٠ – خلافة هارون الرشيد بن المهدي

من سنة ١٧٠ ﻫ – ١٩٣ ﻫ او من سنة ٧٨٦ – ٨٠٩ م

هو هرون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بويع بالخلافة يوم وفاة أخيه موسى الهادي وكان عمره حين ولي اثنين وعشرين سنة فلما مات الهادي جاء اليه يحيى بن خالد البرمكي وهو نائم في فراشه فقال له . قم يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد . كم تروعني اعجاباً منك بخلافتي فكيف يكون حالي مع الهادي اذا بلغه هذا . فاعلمه بموته واعطاه خاتمه وبينما يحيى بن خالد يبشر الرشيد بالخلافة اذ دخل عليهما مبشر بمولود للرشيد فسماه عبدالله وهو المأمون ففي ليلة واحدة مات خليفة وتولى خليفة وولد خليفة . وفي هذه السنة ولد محمد الامين بن الرشيد أيضاً فكان المأمون اكبر منه وفيها (سنة ١٧٠ ﻫ) استوزر الرشيد يحيى بن خالد البرمكي وقلده أمر الرعية وأعطاه خاتمه

وفي ذلك قال ابراهيم الموصلي

ألم تر ان الشمس كانت سقيمة فلما ولي هرون اشرق نورها
بيمن امين الله هرون ذي الندى فهرون واليها و يحيي وزيرها

و يقصر الواصفون عن وصف مناقب هذا الخليفة الذي اقل ما يقال فيه انه جعل الخلافة علماً هو مسماها فكان انيساً وديعاً الى الغاية شديد الرغبة في قضاء حاجات الناس محافظاً على راحة رعاياه وذكروا انه كان يطوف في اكثر الليالي متخفياً في اسواق بغداد وشوارعها ليقف على احوال الناس فاذا رأى احداً منهم مظلوماً اعانه وأنصفه . وكان يحب المديح لا سيما من شاعر فصيح . و يرغب في العلم والعلماء و يبذل لهم العطاء . حتى قيل انه لم ير خليفة قبله اعطى منه للمال . وكان لا يضيع عنده احسان محسن (قيل) صنع مرة وليمة عظيمة وزخرف مجالسه واحضر أبا العتاهية الشاعر وقال له . صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال أبو العتاهية

عش ما بدالك سالماً في ظل شاهقة القصور

فقال احسنت ثم ماذا . فقال

يسعى اليك بما اشتهيت لدى الرواح وفي البكور

فقال أحسنت ثم ماذا . فقال

فاذا النفوس تقعقعت في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد . فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المومنين لتسره فاحزنته فقال دعه فانه رآنا في عمى فكره ان يزيدنا وأهم ما حدث في أيامه مرتباً حسب السنين هو :

في سنة ١٧٦ ظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالديلم واشتدت شوكته وكثرت جموعه واتاه الناس من الامصار فاغتم الرشيد لذلك وندب اليه الفضل بن يحيى في خمسين الفاً فكاتبه الفضل و بذل له الامان وما يختاره فاجابه

يحيى الى ذلك وطلب أماناً من الرشيد بخطه و يشهد عليه القضاة والفقهاء وجلة بني هاشم فاجاب الرشيد الى ذلك وارسل له الامان مع تحف فقدم يحيى مع الفضل الى بغداد فسر الرشيد لذلك جداً وعظمت منزلة الفضل عنده ولقي يحيى بكل ما يحب وأمرله بمال كثير ثم أمسكه وحبسه حتى مات في الحبس . وفي هذه السنة أيضاً ظهرت فتنة بدمشق بين اليمانية والمضرية وكان عامل دمشق حينئذ عبد الصمد بن علي فجمع الرؤساء وسعوا في الصلح بينهم فأتوا المضرية وكلموهم في الصلح فاجابوهم اليه وأتوا اليمانية وكلموهم فقالوا انصرفوا عنا حتى ننظر في الامر . ثم سار اليمانية الى المضرية وقتلوا منهم نحو ستمائة رجل فاستنجد المضرية بني قضاعة وسليماً فلم ينجدوهم واستنجدوا بني قيس فنجدوهم وساروا معهم الى العواليك من ارض البلقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة وكثر القتال بينهم ثم عزل الرشيد عبد الصمد عن دمشق وولى عليها ابراهيم بن علي ولكنه لم يتمكن من تسكين هذه الفتنة ودام القتال بينهم نحو سنتين الى ان سار جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي الى الشام سنة ١٨٠ هـ فسكن هذه الفتنة

وفي سنة ١٧٨ هـ خرج الوليد بن ظريف التغلبي الخارجي ففتك بابراهيم ابن خازم عامل الرشيد بنصيبين ثم قويت شوكته واستولى على كثير من مدن ارمينية واذربيجان فسير اليه الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وهو ابن اخ معن بن زائدة فقاتله وانتصر عليه وقطع رأسه وسيره الى الرشيد

وفي سنة ١٨٢ هـ حملت ابنة خاقان ملك الترك الى الفضل بن يحيى فماتت ببرذعة فرجع من معها الى أبيها واخبروه انها قتلت غيلة فتجهز الى بلاد الاسلام وسار اليها في سنة ١٨٣ هـ فاوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة وسبوا اكثر من مائة الف رأس وانتهكوا أمراً عظيماً لم يسمع بمثله في الارض

وفي سنة ١٨٧ هـ اوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى ولما كان لكل شيء سبب فلا بأس من ذكر الاسباب التي هيجت الرشيد عليهم فنقول . كان الرشيد استوزر يحيى بن خالد بن برمك في أول خلافته كما مر بك ثم استوزر

ابنه جعفراً . فصارت الامور اليهم يولون من شاؤا ويعزلون من شاؤا واتسعوا اتساعاً عظيماً وكثرت اموالهم ومواليهم وضياعهم فكثرت حسادهم طبعاً ووشوا الى الرشيد بهم . وأظهروا له عوراتهم واستبدادهم بالملك دونه فكان ذلك من اعظم الاسباب التي هيجت الرشيد عليهم . ومن هذه الاسباب ايضاً . انه لما اتفق الفضل مع يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن سنة ١٧٦ ﻫ على الامان وسيره الى الرشيد دفعه الرشيد الى جعفر بن يحيي وزيره فحبسه ثم دعا به ليلة وسأله عن بعض امره فقال له يحيى بن عبد الله . اتق الله في امري ولا تتعرض ان يكون غداً خصمك محمداً (صلعم) فو الله ما احدثت حدثاً ولا آويت محدثاً . فرق له جعفر وقال له اذهب حيث شئت من بلاد الله . فقال وكيف اذهب ولا آمن ان أؤخذ . فوجه معه من اواه الى مأمنه . و بلغ هذا الخبر الفضل بن الربيع (احد حساد جعفر الطامعين في الوزارة) من عين كانت له من خواص جعفر فرفعه الى الرشيد . فأحضر الرشيد جعفراً للطعام فجعل يلقمه ويحادثه ثم يسأله عن يحيى فقال . هو بحاله في الحبس . فقال الرشيد بحياتي . ففطن جعفر فقال . لا وحياتك . وقص عليه امره وقال علمت انه لا مكروه عنده . فقال الرشيد نعم ما فعلت ماعدوت مافي نفسي . فلما قام من عنده . قال قتلني الله ان لم اقتلك .

ومن هذه الاسباب ايضاً . ان الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن اخته العباسة بنت المهدي وكان يحضرهما اذا جلس للشرب فقال لجعفر ازوجكها ليحل لك النظر اليها ولا تقربها فاني لا أطيق الصبر عنها فاجابه الى ذلك وزوجها منه وكانا يحضران معه ثم يقوم عنهما وهما شابان فجامعها جعفر فحملت منه فولدت له صبيين وخافت الرشيد فسيرتها الى مكة مع حواضن . وكان بين العباسة وبعض جواريها نفرة فانهين الى الرشيد ذلك وبحث عن الامر فتحققه فجزم على قتل جعفر . ومنها ان جعفراً ابتنى داراً انفق عليها عشرين الف الف درهم فرفع ذلك الى الرشيد وقيل هذه نفقاته على داره فما ظنك بباقي نفقاته وصلاته وغيرها . وكان جعفر اذا دخل على الرشيد قام له الغلمان فلما تغير عليه الرشيد أمر مسروراً لينبه الغلمان بعدم

الوقوف لجعفر فدخل فلم يقوموا فامتقع لونه . ووشي به الى الرشيد انه يكاتب أهل خراسان ايذهب اليهم ويخلع طاعته . فكل هذه الاسباب او بعضها بعث الرشيد على قتل جعفر . وفي هذه السنة حج الرشيد فلما رجع نزل العمر الذي عند الانبار وأرسل مسرور الخادم ومعه جند الى جعفر وعنده بختيشوع الطبيب وابو زكار المغني وهو في لهو وابو زكار يغني

فلا تبعد فكل فتى سيأتي   عليه الموت يطرق اويغادي

وكل ذخيرة لا بد يوماً   وان كرمت تصير الى نفاد

فقال له مسرور يا أبا الفضل الذي جئت له هو ذاك قد طرقك اجب امير المؤمنين فوقع جعفر على رجلي مسرور يقبلها وقال . حتى ادخل فأوصي . فقال له مسرور . اما الدخول فلا سبيل اليه واما الوصية فاصنع ما شئت فأوصى بما أراد وأعتق مماليكه . وأرسل الرشيد رسلاً الى مسرور يستحثه فاخذ جعفراً ومضى به الى دار الرشيد ودخل عليه وهو في فرشه واعلمه بحضور جعفر . فقال له الرشيد . ائتني برأسه . فرجع مسرور الى جعفر واخبره أمر الرشيد فقال . الله الله والله ما أمرك الا وهو سكران فاذهب راجعه ثانية فرجع مسرور الى الرشيد فلما سمع صوته ناداه قائلاً يا ابن السوده ائتني برأسه . فان لم تأتني برأسه قتلتك . فرجع مسرور وقتل جعفرًا وحمل رأسه الى الرشيد فأرسل رأسه وجيفته الى بغداد وأمر بنصب رأسه وقطعة من جثته على جسر ونصب الدقي على جسر آخر . وأرسل من احاط بيحيى ابيه وولده وجميع اسبابه واخذ ما وجد للبرامكة من مال ومتاع وضياع وارسل الى سائر البلاد بقبض اموالهم ووكلائهم وسائر اسبابهم . وفي ذلك يقول الرقاشي وقيل ابو النواس

الآن استرحنا واستراحت ركابنا   وامسك من يجدي ومن كان يجتدي

فقل للمطايا قد أمنت من السرى   وطي الفيافي فدفداً بعد فدفد

وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر   ولن تظفري من بعده بمسود

وقل للعطايا بعد فضل تعطلي   وقل للرزايا كل يوم تجددي

ودونك سيفاً برمكياً مهنداً اصيب بسيف هاشمي مهند

وحبس الرشيد يحيى أبا جعفر والفضل أخاه حتى ماتا . وقيل ان الرشيد بعد فتكه بالبرامكة أمر باخته العباسة فجعلت في صندوق ودلت الى بئر وهي حية وأمر بابنيها فاحضرا فنظر اليهما ملياً وبكى ثم أمر بهما فرميا في البئر وطمرها . وفي هذه السنة أيضاً غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي بن عبدالله بن عباس بوشاية ابنه وكاتبه فاحضره الرشيد واستنطقه عما سمع عنه فانكر عبد الملك كل ما قيل عنه فاحضر اليه الرشيد كاتبه وابنه فاقرا امامه أنه يريد الوثوب على الرشيد وخلعه فقال عبد الملك . أما الكاتب فكيف لا يكذب عليَّ من خلفي وهو يهينني في وجهي اما عن ابني فهو اما مأمور أو عاق فان كان مأموراً فمعذور وان كان عاقاً فماجر كفور . أخبر الله عز وجل بعدوانه وحذر منه بقوله ان من ازواجكم واولادكم عدواً لكم فاحذروهم . فنهض الرشيد وهو يقول . ما أمرك الاَّ قد وضح وان اردت ان احتج عليك لم أجد أعدل من هذين الاثنين ولكن لا اعجل حتى اعلم الذي يرضى الله عز وجل فيك فانه الحكم بيني وبينك . فقال عبد الملك . رضيت بالله حكماً وبأمير المؤمنين حاكماً فاني اعلم أنه لا يؤثر هواه على رضا ربه . فحبسه الرشيد ثم أحضره يوماً ما فقال

اريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

ثم شفع فيه عند الرشيد فلم يطلقه من السجن ولكنه أمر باكرامه في الحبس ولم يضيق عليه وما زال محبوساً حتى توفي الرشيد فاخرجه الامين واستعمله على الشام

(غزوة الروم) كان هرون الرشيد قد غزا الروم في ولاية أبيه المهدي فصالحته الملكة ايريني وافتدت المملكة الرومانية بسبعين الف دينار تدفع سنويا كما مر ذكر ذلك في خلافة المهدي فلما كانت سنة ١٨٧ ﻫ التي نحن بصددها خلعت الروم ايريني المملكة وملكت نيقفور . فلما استتب له الامر نفى الملكة ايريني الى جزيرة اسبوس وكتب الى هرون الرشيد « من نيقفور ملك الروم الى هرون ملك العرب اما بعد فان الملكة ايريني حملت اليك من اموالها ما كنت حقيقيا بان

تحمل اضعافه اليها لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابي هذا فاردد ما اخذت والا فالسيف بيننا وبينك » فلما قرأ الرشيد هذا الكتاب غضب جداً وكتب في ظهر الكتاب « من هرون امير المؤمنين الى نيقفور كلب الروم قد قرأت كتابك والجواب ماتراه دون ماتسمعه » وجهز من يومه جيشاً كثيفاً وسار حتى نزل على مقربة من القسطنطينية بعد ان دمر واحرق المدن التي مرَّ بها فارتاع نيقفور جداً وطلب الصلح والامان متعهداً بان يدفع جزية كل سنة فكان اضعف من ايريني واحمق منها فقفل الرشيد راجعا ولم يصل الى بغداد الا واخلف نيقفور وعده وابى دفع الجزية التي تعهد بدفعها فعاد الرشيد اليه ولم يبال بالثلج والبرد القارس فانتهب ودمر مواضع كثيرة من بلاد الروم في اسيا الصغرى وانتهى الى البوسفور فذاب قلب نيقفور خوفا وجزعا وتذلل للرشيد كل التذلل ودفع الجزية واقسم بانه لا يتأخر عن تأديتها فعاد الرشيد ظافراً متفاخراً . على ان ابن نيقفور شجع اباه على اللحاق بجيش المسلمين والفتك به فجمع جيشه وسار قاصداً هرون الرشيد وانتهى الى فريجية فالتقاه الخليفة ودارت بين الفريقين رحى الحرب فجرح نيقفور وشتت جيشه بعد ان قتل منه نحو من اربعين الف رجل ونهب الرشيد جيشه ودمر كثيراً من مدن اسيا الصغرى وسبى كثيرين وافترض على ملك الروم غرامه ثلثين الف دينار كل سنة . واشترط عليه ان يكون على دنانير الغرامة اسمه واسماء ابنائه الثلاثة ورجع وقد هابته الروم عن ذي قبل

وفي مدة حكمه كان على فرنسا الملك كارلوس الكبير الملقب بشارلمان وكان بينهما مودة والفه وكان الرشيد كثيراً مايكاتبه ويهاديه فمن جملة ما اهداه شطرنج ثمين وساعة شمسية من مخترعات الشرق وكثير من البذور التي لا توجد في البلاد الافرنجية وارسل له ايضاً مفاتيح كنيسة القيامة في القدس مع امر لنوابه ان يعاملوا الزوار الذين يأتون لزيارة الاراضي المقدسة احسن معاملة

وكان الرشيد قد ارسل رافع بن الليث عاملاً على خراسان فبوصوله اليها خلع الطاعة واظهر العصيان وتبعه كثيرون فاغار على مدينة سمرقند فملكها بعد ان

قتل عاملها فلما بلغ الرشيد هذا الخبر ساءه جدًّا وخرج لقتاله وكان مريضا فلما وصل الى مدينة طوس من اعمال خراسان اشتد مرضه ولما زاد عليه الحال التفت الى وزيره الفضل وقال :

احين دنا ما كنت اخشى دنوه رمتني عيون الناس من كل جانب
فاصبحت مرحومًا وكنت محسدًا فصبرًا على مكروه مر العواقب
سأبكي على الحب الذي كان بيننا واندب ايام السرور الذواهب

ثم مات ودفن هناك وكانت وفاته في جمادي الآخرة لثلاث خلون منه سنة ١٩٣ هـ وكان عمره سبعاً واربعين سنة وخمسة اشهر ومدة خلافته ثلاثًا وعشرين سنة وشهرين وكان أوصى بالخلافة من بعده لابنه الامين والمأمون من بعده والمؤتمن من بعده



(ش ١١) نقود هرون الرشيد (عن تاريخ مصر الحديث)

٣١ — خلافة محمد الامين بن هرون الرشيد

من سنة ١٩٣ هـ — ١٩٨ هـ او من سنة ٨٠٩ — ٨١٣ م

بويع بالخلافة صبيحة يوم وفاة الرشيد بعسكر الرشيد بطوس وكان هو ببغداد والمأمون بمرو من اعمال خراسان فكتب صالح بن الرشيد الى اخيه الامين يخبره بوفاة الرشيد وارسل له الخاتم والقضيب والبردة . فلما وصل الرسول الى الامين ببغداد انتقل هذا من قصره بالخلد الى قصر الخلافة وصلى بالناس الجمعة ثم صعد المنبر فنعى الرشيد وعزى نفسه والناس ووعدهم خيرًا . ولم يكن الامين

على شيء من التعقل بل كان ضعيف الرأي جداً منهمكاً باللذات والملاهي مدمناً للخمر مشتغلاً بولائمه ومسراته غير ملتفت الى امور الخلافة فشتان بينه وبين ابيه الرشيد . ومما كان من الاحداث في ايامه عصيان اهل حمص عليه في سنة ١٩٤ هـ وقيامهم على عامله اسحق بن سليمان فانتقل عنهم الى سلمية فعزله الامين واستعمل مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي فقتل عدة من وجوههم وحبس كثيرين حتى سألوه الامان فأمنهم

(بين الامين والمأمون) كان الرشيد قد عهد بالخلافة من بعده لابنه محمد الامين ثم للمأمون من بعده فلما صارت الخلافة الى الامين استوزر الفضل بن الربيع (وزير ابيه بعد جعفر) وكان الفضل يخاف المأمون اذا افضت الخلافة اليه فحسن للامين خلع المأمون من ولاية العهد ومبايعة ابنه موسى فلم يجسر الامين بادئ بدء على اظهار هذا الفكر . فاستعمل الفضل كثيرين يحسنون للامين مبايعة ابنه وخلع المأمون فلما كثر عدد مشجعيه في هذا الامر قوي على اظهاره فلما كانت سنة ١٩٤ هـ امر الامين بالدعاء على المنابر لابنه موسى ولقبه بالناطق بالحق وابطل الدعاء للمأمون . فأدى ذلك للتنافر بين الاخوين طبعاً . لانه لما بلغ المأمون ذلك وهو بمرو كما ذكرنا بين اخواله وشيعته اغتاظ جداً . ولكنه كظم غيظه لحين سنوح الفرص . ولم يكن الامين يجهل ان هذا العمل يغيظ اخاه المأمون فاراد ان يتحقق ذلك . فارسل الى المأمون بالشخوص اليه فاستشار المأمون اخصاءه فاشاروا عليه بعدم الذهاب الى الامين خوف اغتياله . فرجع الرسول الى الامين واخبره بعدم امتثال المأمون لاوامره وبكثرة من معه من شيعته بخراسان . فارسل الامين جيشاً لحرب اخيه المأمون مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل عليهم علي بن عيسى بن ماهان . وكانت للمأمون عيون ببغداد تاتيه بأخبار الامين فلما علم بتسيير هذا الجيش لحربه جهز جيشاً مؤلفاً من اربعة آلاف مقاتل من شجعان خراسان بقيادة طاهر بن الحسين . ومن ذلك الوقت تلقب المأمون بامير المؤمنين وبايعته شيعته بخراسان . فزحف الجيشان

كل الى صاحبه فالتقيا قرب الري فحمل طاهر واصحابه على جيش علي فهزموه وقتل علي فارسل طاهر رأسه الى المامون فأحسن المأمون الى طاهر واهداه كثيرًا وزوده بالجيوش مع هرثمة بن اعين ليقصدا بغداد ويحاربا الامين هناك

وكان الامين لما علم بهزيمة جيشه وقتل علي جهز جيشًا وارسله بقيادة احمد بن مرشد وعبد الله بن حميد فاختلفا في طريقهما ورجعا ولم يلقيا طاهرًا . وتقدم طاهر الى بغداد وحاصرها وشدد حصارها حتى غلت فيها الاسعار جدًّا ودام الحصار وشدة الحال سنة كاملة . ثم هجم طاهر على بغداد هجومًا نهائيًا ونادى مناديه ان من لزم بيته آمن فاخذ الامين امه واولاده عنده بمدينة المنصور وتحصن بها وتفرق عنه عامة جنده وخصيانه وشدد طاهر عليه الحصار وضيق عليه المنافذ فلما ايقن الامين بالهزيمة ارسل الى هرثمة يطلب الامان فراجع هرثمة طاهرًا في ذلك فاباه. وخرج الامين قاصدًا هرثمة فارسل اليه هرثمة يقول اني غير مستعد لحفظك فأقم الى الليلة القابلة . فابى الامين الا الخروج ودعا ابنيه وضمهما اليه وقبلهما وبكى وخرج قاصدًا هرثمة فلما بلغ الشط وجد حراقة هرثمة فصعد اليها فاحتضنه هرثمة وقبل يديه ورجليه ولكن ذلك لم يرض طاهرًا فامر اصحابه فرموا حراقة هرثمة وفيها الامين بالحجارة حتى غرقت ونجا هرثمة لان رئيس الحراقة اخرجه . اما الامين فكان عالمًا بالسباحة فحالما شعر بقرب غرق الحراقة خلع ثيابه وسبح الى الجانب الآخر ولكنه لم ينج فأخذه بعض اصحاب طاهر وهو عريان . وحبسه طاهر في بيت فلما انتصف الليل فتح الباب ودخل عليه قوم من العجم معهم السيوف مسلولة ارسلهم طاهر لقتل الامين . فلما رآهم الامين انتصب قائمًا وجعل يقول . انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي في سبيل الله . اما من مغيث . اما من احد من الابناء . فلما اقتربوا منه قال . ويحكم انا ابن عم رسول الله انا ابن هرون انا اخو المامون الله الله في دمي . فدخل عليه رجل منهم وضربه بالسيف ثم دخل البقية وضربوه بسيوفهم وهو يدافع بيديه ولا سلاح معه حتى مات ثم احتز احدهم رأسه وارسله لطاهر وسيره هذا الى المأمون واخبره بالفتح . وبعد قتله دخل

طاهر المدينة وصلى بالناس وخطب للمأمون . وكان قتل الامين لست بقين من المحرم سنة ١٩٨ هـ وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة ومدة خلافته اربع سنين وثمانية اشهر

٣٢ خلافة عبد الله المأمون بن الرشيد

من سنة ١٩٨ هـ — ٢١٨ او من سنة ٨١٣ الى ٨٣٣م

كان الخراسانيون قد بايعوا المأمون في حياة الامين وحاربوا معه كما مر بك البيان ولكن لم تصر الخلافة للمأمون رسمياً الا بعد قتل الامين فارسل اليه طاهر الخاتم والقضيب والبردة وهنأه بالخلافة وهو لا يزال بمرو ولم يكن المأمون خاملاً كاخيه الامين بل كان أهلاً للخلافة ملماً بكثير من العلوم حتى قيل أنه لم يل الخلافة أعلم منه وتمم ما عزم فيه جده المنصور من نقل الكتب وترجمتها من اليونانية والسريانية والعبرانية فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم أحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما أمكن . ثم حرض الناس على قراءتها ورغبهم في تعلمها فاتقن العرب في أيام خلافته علوم الفلسفة والفلك والطب وغيرها . وكان كثيراً ما يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويتلذذ بمذاكرتهم علماً منه بان أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لانهم صرفوا غايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا بما يرغب فيه غيرهم من التنافس في دقة الصنائع العلمية والتباهي باخلاق النفس الغضبية والتفاخر بالقوى الشهوانية اذ علموا ان البهائم تشركهم فيها وتفضلهم في كثير منها

أما ما كان من الاحداث في أيام خلافته . ففي سنة ١٩٨ هـ خالف نصر بن سيار بن شبث على المأمون وقام مطالباً بدم الامين فاجتمع اليه خلق كثير من أهل الطمع وتغلب على كيسوم وسميساط وغيرهما من البلاد المجاورة فلما رأى ذلك قويت نفسه وعبر الفرات الى الجانب الشرقي وحدثته نفسه بالتغلب عليه وما زال

يزداد قوة حتى كانت سنة ٢٠٩ هـ وفيها أرسل المأمون عبدالله بن طاهر لقتاله فهزمه وحاصره بكيسوم وضيق عليه فلما رأى نفسه لا بدّ مأخوذاً طلب الامان فامنه وأرسله للمأمون . وفي سنة ١٩٩ هـ ظهر ابن طباطبا العلوي وهو محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب لعشر خلون من جمادى الاخرى بالكوفة يدعو الى الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة وكان القيم بامره في الحرب أبو السرايا السري بن المنصور فبايعه أهل الكوفة . وأرسل المأمون اليه الحسن بن سهل بعشرة آلاف مقاتل فهزمهم ابن طباطبا لكنه مات فجأة وقيل أن ابا السرايا سمه ليستبد بالامر وأقام مكانه غلاماً من ولد علي بن أبي طالب واستولى على البصرة وواسط وكانت بينه و بين عساكر المأمون عدة وقائع آخرها انهزم بها أبو السرايا من الكوفة في ثمانمائة فارس وتفرق عنه أصحابه فقبض عليه بعضهم وقطع الحسن بن سهل رأسه وأرسله الى المأمون وفي سنة ٢٠٠ هـ ظهر ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بمكة واجتمع اليه جماعة من أهل مكة هربوا من العلويين فاستولى على اليمن وكان يلقب بالجزار لكثرة من قتل

وفي سنة ٢٠١ هـ ماطل الحسن بن سهل عامل المأمون بالمدائن الجند ببغداد في مرتباتهم وأمر علي بن هشام والي بغداد من قبله بذلك فثار الجند وأخرجوا علي بن هشام من بغداد وساروا الى المنصور بن المهدي ليبايعوه بالخلافة ويخلعوا طاعة المأمون فلم يقبل منهم ذلك فبايعوه أميراً عليهم . وكثر العناد في بغداد وتقوى أهل الشرور فيها لضعف الامراء عن مقاومتهم أولأن ذلك بامرهم ومن صالحهم فكثر النهب والفسق بلا رادع ولا زاجر يردعهم او يزجرهم . فحرك ذلك كثيرين من فضلاء بغداد فتحالفوا والفوا فيما بينهم جيشاً سموه « المتطوعة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فتتبع الاشرار وقتل منهم خلقاً كثيراً فهدأت الاحوال نوعاً

وفي هذه السنة عهد المأمون بالخلافة من بعده الى علي بن موسى من آل

علي بن أبي طالب ولقبه الرضا من آل محمد وكتب للافاق بذلك قائلاً . أنه لم يجد في بني العباس و بني علي أفضل ولا أورع ولا اعلم من علي بن موسى فلذلك جعلته ولي عهد الخلافة من بعدي . وأمر جنده بطرح السواد (شعار العباسيين) ولبس الثياب الخضراء (شعار العلويين) وكتب بذلك الى الافاق أيضاً . فلم يرض آل العباس بما فعل المأمون وقالوا لا تخرج الخلافة منا الى عدونا فخلعوا المأمون وبايعوا ابراهيم بن المهدي ببغداد وسموه المبارك . وفي سنة ٢٠٣ هـ مات علي ابن موسى الرضا وكان سبب موته أنه اكل عنباً فاكثر منه فمات فجأة في آخر صفر في مدينة طوس (وقيل سمه المأمون في العنب) فدفنه المأمون عند قبر أبيه الرشيد . فكتب المأمون الى أهل بغداد يعلمهم بموته وقال انما نقمتم عليّ بسببه وقد مات . فخلع اهل بغداد ابراهيم بن المأمون ودعوا للمأمون بالخلافة. وتخلى عن ابراهيم اصحابه فاختفى وكانت مدة خلافته سنة واحد عشر شهراً وما زال مختفياً الى سنة ٢١٠ هـ حين أخذ وهو متنقب مع امرأتين في زي امرأة فحبسه المأمون ثم أطلقه

وعاد المأمون من خراسان الى بغداد ودخلها سنة ٢٠٤ هـ فانقطعت الفتن بقدومه وكان لباسه ولباس اصحابه عند قدومه الخضرة وكان الناس يدخلون عليه في الثياب الخضر ودام ذلك ثمانية أيام . ثم تكلم بنو العباس وقواد خراسان في ذلك فترك الخضرة ولبس السواد . وفي سنة ٢١٥ هـ سار المأمون لغزو الروم ووصل الى منبج ثم الى انطاكية ثم الى المصيصة وطرسوس ففتح بعض الحصون في بلاد الروم وعاد الى دمشق ثم عاد في السنة التالية الى بلاد الروم فقتل وسبى وفتح عدة حصون وعاد الى دمشق ثم سار منها الى مصر متعهداً رعاياه ومنظماً أحوال البلاد وعاد من مصر الى دمشق سنة ٢١٧ . وفي سنة ٢١٨ هـ كتب المأمون الى اسحق بن ابراهيم في امتحان القضاة بالقرآن فمن أقر أنه مخلوق محدث خلى سبيله ومن أبى أعلمه به ليأمر فيه برأيه . وفي هذه السنة مرض المأمون مرضه الذي مات به لثلاث عشرة خلت من جمادى الاخرى . وكان سبب مرضه

أنه كان جالساً علي شاطيء البدندون وأخوه أبو اسحق عن يمينه وهما قد دليا أرجلهما في الماء . فبينما هو متعجب من عذوبة الماء وصفائه وشدة برده اذ جاءته الالطاف من العراق وكان فيها رطب ازاذ كانما جني تلك الساعة فاكل منه وشرب من ذلك الماء فما قام الا وهو محموم وكانت منيته من تلك العلة . فلما مرض خلع أخاه القاسم المؤتمن من ولاية العهد وأخذ البيعة لاخيه ابي اسحق المعتصم بن هرون الرشيد . ولما حضره الموت كان عنده ابن ما سويه الطبيب وكان عنده من يلقنه . فعرض عليه الشهادة . فاراد الكلام فعجز عنه . ثم تكلم فقال . يا من لا يموت ارحم من يموت . ثم توفي من ساعته . فحمله ابنه العباس وأخوه المعتصم الى طرسوس فدفناه بدار خاقان خادم الرشيد . وكانت خلافته عشرين سنة وعمره ثمانياً وأربعين سنة

٣٣ — خلافة ابي اسحق المعتصم بن الرشيد

من سنة ٢١٨ هـ — ٢٢٧ هـ او من سنة ٨٣٣ — ٨٤٢ م

هو ابو اسحق محمد بن هرون بويع بالخلافة بعد موت المأمون ولما بويع له شغب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فارسل اليه المعتصم فاحضره فبايعه العباس وخرج الى الجند وقال . ما هذا الحب البارد وقد بايعت عمي فسكتوا . وفي سنة ٢١٩ هـ ظهر محمد بن القاسم العلوي بالطالقان بخراسان يدعو الى الرضا من آل محمد فتبعه جمع كثير فارسل اليه عبدالله بن طاهر أمير خراسان من جهة بني العباس بعض قواده فحصلت بينهم عدة وقائع دارت الدائرة فيها على محمد ابن القاسم فمسكه بعضهم وارسله الى عبدالله بن طاهر وسيره هذا الى المعتصم فحبسه عند مسرور الخادم الكبير وما زال في السجن حتى كان عيد الفطر من هذه السنة فانتهز فرصة اشتغال الناس به وهرب من السجن وجعلوا لمن دل عليه مائة الف

فلم يعرف له خبر . وفي هذه السنة وجه المعتصم عجيف بن عتبة في جمادي الاخرى لحرب الزط الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة وعاثوا في الارض فساداً وأخذوا الغلات من البيادر بكسكر وما يليها من البصرة فحاربهم وانتصر عليهم وقتل منهم خلقاً كثيراً فطلب الباقون منهم الامان فأمنهم

وفي ايام المعتصم قوي امر بابك الخرمي المجوسي الذي كان مبدأ ظهوره في خلافة المأمون وما زال يقوى شيئاً فشيئاً حتى استولى على جبال طبرستان مدة عشرين سنة وهزم جيوش المامون والمعتصم مراراً فلما كانت سنة ٢٢٠ هـ عقد المعتصم للافشين حيدر بن كاوس على الجبال و وجهه لحرب بابك بجيش عظيم وزوده بالأطباء لمعالجة الجرحى و بالصيادله لتركيب الادوية وكان الافشين كثير الاعتناء بجيشه يتعهد جرحاهم بنفسه فسمع مرة ان الصيادلة لا يطلب منهم شيء كان عندهم او لم يكن الا أخبروا بانه عندهم . فاختار عشرين اسما من الادوية القليلة الوجود وارسل الى الصيادلة من يطلب منهم ادوية مسماة بتلك الاسماء . فبعض منهم انكرها و بعض منهم ادعى معرفتها واخذ الدراهم من الرسل ودفع اليهم شيئاً مما في حانوته . فامر الافشين باحضار جميع الصيادلة فمن انكر معرفة تلك الاسماء ولم يكذب اذن له بالمقام في معسكره ونفى الباقين

وسار الافشين بجيشه لمحاربة بابك الخرمي فالتقيا واقتتلا قتالاً شديدا فانهزم بابك وتحصن بالبذ فحاصرها الافشين حتى افتتحها فهرب بابك بعائلته الى بلاد الروم في زى التجار . فعرفه سهل بن سنباط بطريق الارمن فأسره . فقدم بابك اليه مالاً كثيرا فدية عن نفسه وعائلته فلم يقبل منه و بعثه الى الافشين بعد ما ركب الارمن من امه واخته وامرأته الفاحشة بين يديه . لانه هكذا كان يفعل بابك المذكور بالناس اذا اسرهم مع حرمهم . وحمل الافشين بابك الى المعتصم فأمر باحضار سياف بابك نفسه فحضر فأمره ان يقطع يديه ورجليه فقطعها فسقط . فأمر بذبحه وشق بطنه . وانفذ رأسه الى خراسان . وصلب بدنه بسامرّا (التي كان بناها المعتصم وسماها «سرّ من رأى» فتصرف الناس فيه فدعيت سامرّا)

وفي سنة ٢٢٥ هـ تغير المعتصم على الافشين بوشاية الوشاة فحبسه حتى مات في السجن ٠ وفي سنة ٢٢٣ هـ خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم الى بلاد الاسلام فبلغ زبطره (مولد المعتصم) فقتل من بها من الرجال وسبى الذرية والنساء واغار على ملطية وغيرها وسبي المسلمات ومثل بمن صار في يده من المسلمين فسمل أعينهم وقطع انافهم واذانهم ٠ فبلغ المعتصم ذلك وان امرأة هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم ٠ وامعتصماه ٠ فاستعظمه وجمع العساكر وتجهز جهازاً لم يعهد قبله مثله وسار قاصداً بلاد الروم يخرب وينهب في طريقه حتى بلغ عمورية (Amorium) (مدينة في غلاطية) وكان توفيل قد حصن عمورية وقاد جيشه بنفسه (وكان في هذه المدينة مولد توفيل) فحاصر المعتصم المدينة وشدد عليها الحصار وراسله توفيل يطلب الصلح فامسك الخليفة رسله واستمر على رمي المدينة بالمجانيق فهدى أحد سكانها الخونة جيش المسلمين الى محل ضعيف فيها فدخلت عساكر المسلمين منه الى المدينة فذبحوا سكانها وأحرقت دورها وكانت أعمر مدينة في المشرق ٠ وبعد ذلك اطلق المعتصم رسل توفيل وقال لهم ٠ قولوا لمولاكم قد اخذت بثأر زبطره ٠ ثم رجع منصوراً غانماً

وفي سنة ٢٢٧ هـ خرج أبو حرب المبرقع اليماني بفلسطين وخالف على المعتصم وكان سبب خروجه أن بعض الجند أراد النزول في داره وهو غائب فمنعه بعض نسائه فضربها الجندي بسوط فاصاب ذراعها فاثر فيها فلما رجع الى منزله وشكت اليه ما فعل بها الجندي أخذ سيفه وسار نحوه فقتله ثم هرب وألبس وجهه برقعاً وقصد بعض جبال الاردن فاقام فيه وكان يظهر نهاراً متبرقعاً فاذا جاءه أحد ذاكره وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر وعيب الخليفة ٠ فاستجاب له قوم من فلاحي تلك الناحية ٠ وكان يزعم انه أموي ولما كثر أتباعه دعا أهل البيوتات فاستجاب له جماعة من رؤساء اليمانية ٠ وبلغ المعتصم خبره فأرسل اليه رجاء بن أيوب الحضاري في زهاء الف رجل فلما رأى رجاء كثرة من مع المبرقع كره مواقعته وعسكر في مقابلته حتى كان اوان الزراعة فتشتت من كان مع المبرقع

وبقي في زهاء الف او الفين وتوفي المعتصم وولي الواثق وثارت الفتنة بدمشق فأمر الواثق رجاء بقتال من أراد الفتنة والعود الى المبرقع ففعل ذلك رجاء وعاد الى المبرقع فناجزه رجاء فالتقى العسكران ودارت الدائرة على المبرقع فأخذه رجاء أسيرًا

وفي سنة ٢٢٧ هـ توفي المعتصم لثماني عشرة مضت من ربيع الاول بسامرّا وهو الثامن من خلفاء بني العباس ومدة خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية أيام وتولى وعمره ثمان وثلاثون سنة وثمانية أشهر وتوفي عن ثمانية بنين وثماني بنات . ولهذا الاتفاق الغريب ولحظ هذا الخليفة في الرقم (٨) دعي (المثمن) . وهو أول من اضاف الى اسمه اسم الله فقيل المعتصم بالله وكان طيب الاخلاق ولكنه اذا غضب لا يبالي من قتل وما فعل . وكان ضعيف القراءة والكتابة ولكنه كان لين العريكة واسع الاخلاق حكي عنه انه انفرد مرة عن أصحابه في يوم مطر فرأى شيخاً معه حمار عليه حمل شوك وقد توحل الحمار ووقع الحمل والرجل ينتظر من يمر عليه ويساعده فنزل المعتصم عن دابته وخلص الحمار ورفع الحمل عليه ثم غسل يده وركب فقال له الشيخ غفر الله لك يا شاب . ثم لحقه أصحابه فأمر له بأربعة آلاف درهم . وكان عمره حين توفي سبعاً وأربعين سنة



(ش ١٢) نقود المعتصم بالله	(عن تاريخ مصر الحديث)

٣٦ – خلافة الواثق بالله بن المعتصم

من سنة ٢٢٧ — ٢٣٢ ﻫ او من ٨٤٢ — ٨٤٧ م

هو هرون الواثق بالله بن المعتصم بويع له بالخلافة يوم وفاة ابيه المعتصم وفي بدء خلافته ثارت القيسية بدمشق وعاثوا وأفسدوا وحصروا اميرهم فأرسل اليهم الواثق بالله رجاء بن أيوب الحضاري ومن معه وكانوا معسكرين بمرج راهط فنزل رجاء بدير مران ودعاهم الى الطاعة فلم يرجعوا فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم نحو الف وخمسماية رجل وقتل من رجال رجاء ثلثماية رجل ولما صلح أمر دمشق سار رجاء بن أيوب الى فلسطين لقتال أبي حرب المبرقع الخارج فقاتله وهزمه وأخذه أسيرًا كما ذكرنا

وفي سنة ٢٣٠ ﻫ أرسل الواثق بالله بغا الكبير لقتال بني سليم الذين كانوا قد أفسدوا حول المدينة ونهبوا اسواق الحجاز ولم يقدر محمد بن صالح عامل المدينة على اخضاعهم . فحاربهم بغا الكبير وانتصر عليهم وحبس منهم الف وثلثماية رجل واطلق الباقين . وبلغ بغا ان فزارة ومرة تغلبوا على فدك فسار اليهم وارسل اليهم رسولاً يدعوهم للطاعة فخافوا من بغا وهربوا الى الشام بعد ان خلوا فدك فنزل بغا بجيفا . وانتهز المسجونون من سليم بالمدينة فرصة غياب بغا فقتلوا السجانين وحاولوا الهروب فسمعت احدى نساء المدينة صوتهم فأعلمت اهل المدينة بهم فاجتمعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم . ثم قدم بغا الى المدينة ولما علم بقتل اهل المدينة المحبوسيين شق عليه ذلك . وفي سنة ٢٣١ ﻫ كان الفدا بين المسلمين والروم على يد خاقان خادم الرشيد واجتمع المسلمون على نهر اللامس على مسيرة يوم من طرسوس وامر الواثق خاقان خادم الرشيد ان يمتحن اسارى المسلمين فمن قال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة فودي به واعطي دينارًا ومن لم يقل ذلك ترك بأيدي الروم فلما كان يوم عاشورا اتت الروم ومن معهم من الاسارى وكان الامر بين الطائفتين فكان المسلمون يطلقون الاسير فيطلق الروم اسيرًا فيلتقيان

في وسط الجسر فاذا وصل الاسير الى المسلمين كبروا واذا وصل الرومي الى الروم صاحوا كير ياليسون . حتى فرغوا . فكان عدة اسارى المسلمين اربعة آلاف واربعماية وستين نفساً والنساء والصبيان ثمانماية واهل ذمة المسلمين ماية نفس . ولما فرغوا من الفدية غزا المسلمون شاتين فاصابهم ثلج ومطر فمات منهم مايتا نفس واسر نحوهم وغرق بالبدندون خلق كثير

وفي سنة ٢٣٢ هـ مات الواثق في ذي الحجة است بقين منه وكانت علته الاستسقاء فعولج بالاقعاد في تنور مسخن فارتاح لذلك فأمرهم من الغد بالزيادة في اسخانه ففعلوا ذاك وقعد فيه اكثر من اليوم الاول فحمي عليه فأخرج منه في محفة فمات فيها ولم يشعر بموته حتى ضرب بوجهه المحفة . ولما حضرته الوفاة جعل يردد هذين البيتين

الموت فيه جميع الناس مشترك لا سوقة منهم تبقى ولا ملك
ما ضرّ اهل قليل في تفاقرهم وليس يغني عن الملاّك ما ملكوا

وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة ومدة خلافته خمس سنين وتسعة اشهر

٣٥ — خلافة المتوكل على الله بن المعتصم بالله

من سنة ٢٣٢ — ٢٤٧ هـ او من سنة ٨٤٧ — ٨٦١ م

هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بويع بالخلافة يوم وفاة اخيه الواثق بالله وكان في عزم ولاة الامور ان يبايعوا لمحمد بن الواثق فوجدوه صغيراً لا يليق لهذا المنصب الخطير فبايعوا المتوكل على الله وكان عمره حين ولي ستاً وعشرين سنة . وكان بين المتوكل على الله و بين محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق عداوة شخصية فلما ولي المتوكل الخلافة وكان محمد بن عبد الملك لا يزال وزيراً فامهله المتوكل حتى كان صفر سنة ٢٣٣ هـ فأمر ايتاخ ان يأخذه و يعذبه فذهب ايتاخ واستدعاه وهو يظن ان الخليفة يحتاجه لامر ما فلما وصلا امام منزل ايتاخ

ادخل محمد بن عبد الملك الزيات و وكل به من يحرسه وارسل ونهب كل امواله واستصفى كل ممتلكاته في جميع البلاد . وعزبه بالسهر واذا نام نخسه ثم وضعه في تنور خشب فيه مسامير حديد الى داخل التنور يمنع من يكون فيه من الحركة ولا يقدر على الجلوس فبقي كذلك اياماً ومات . وكان ابن الزيات هو الذي عمل هذا التنور وعذب فيه ابن سنباط المصري وأخذ أمواله . وقوي امر ايتاخ بعد قتل ابن الزيات وصارت اليه الامور وعظم امره جداً حتى همّ يوماً ما بقتل المتوكل ولكنه لم يفعل فاحتال عليه المتوكل بمن يحبب اليه الحج حتى رغب فيه واستأذن المتوكل فولاّه امارته فحج ورجع . وكان المتوكل قد كتب لأحد عملائه في طريق الحج بقتل ايتاخ فبينما هو راجع من الحج امسكه ذلك العامل وقتله . وفي سنة ٢٣٤ ه عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد . وهم محمد ولقبه المنتصر بالله . وابو عبد الله محمد ولقبه المعتز بالله . وابرهيم ولقبه المؤيد بالله وعقد لكل واحد منهم لوائين . احدهما اسود وهو لواء العهد . والآخر ابيض وهو لواء العمل . واقطع المنتصر افريقية والمغرب كله والعواصم وقنسرين والثغور جميعها الشامية والجزرية وديار مضر وديار ربيعة والموصل وكل الاراضي التي يرويها الدجلة ومكة والمدينة وحضرموت والبحرين والسند وسامرّا وكل توابعها . واقطع المعتز خراسان وطبرستان والفرس وارمينيا واذربيجان . واقطع المؤيد دمشق وحمص ومرج الاردن وفلسطين . وفي سنة ٢٣٥ ه امر المتوكل اهل الذمة (النصارى واليهود) بلبس الطيالسة العسلية وشد الزنانير وركوب السروج بالركب الخشب . وعمل رقعتين على لباس مماليكهم مخالفتين لون الثوب كل واحدة منهما قدر اربعة أصابع ولونها غير لون الاخرى ومن خرج من نسائهم تلبس ازاراً عسلياً ومنعهم من لباس المناطق . وامر بهدم بيعهم المحدثه وان يجعل على ابوابهم صورة شياطين من خشب ونهى ان يستعان بهم في اعمال السلطان . وامرهم ان لا يظهروا صليباً في شعانينهم . وامر بتسوية قبورهم مع الارض وكتب بذلك الى الافاق . ثم امرهم بعد ذلك ان يقتصروا في ركوبهم على البغال والحمير

وان لا يركبوا الخيل والبراذين . وفي سنة ٢٣٦ هـ امر المتوكل بهدم قبر الحسين ابن علي بن أبي طالب وهدم ما حوله من المنازل ومنع الناس من زيارته وكان شديد البغض لعلي بن أبي طالب

وفي سنة ٢٣٧ هـ ولى المتوكل يوسف بن محمد ارمينيا واذربيجان ولما وصل الى خلاط اتى بقراط بن اشوط البطريق فأمر بأخذه وتقييده وحمله الى المتوكل فأجتمع بطارقة ارمينيا مع ابن اخي بقراط وتحالفوا على قتل يوسف ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة صهر بقراط فوثبوا بيوسف واجتمعوا عليه في قلعة موش في النصف من شهر رمضان وذلك في شدة من البرد فخرج اليهم يوسف وقاتلهم فقتلوه وكل من قاتل معه . واما من لم يقاتل فقالوا له . انزع ثيابك وانج بنفسك عريانا ففعلوا ومشوا عراة حفاة وهلك اكثرهم من البرد . فلما بلغ المتوكل هذا الخبر وجه بغا الكبير اليهم طالبا بدم يوسف . فسار واباح على قتلة يوسف فقتل منهم ذهاء ثلاثين ألفا وسبى خلقا كثيرا . ثم سار الى مدينة تفليس وحاصرها ورماها بالنفط والمدينة كانت مبنية من خشب الصنوبر فاحترقت برمتها واحترق بها نحو خمسين الف انسان

وفي سنة ٢٣٨ هـ جاءت ثلثمائة مركب للروم مع ثلاثة رؤساء فاناخ احدهم في مائة مركب بدمياط وهجموا عليها وملكوها وقتلوا جمعا كثيرا وسبوا النساء والاطفال من المسلمين واهل الذمة . ومما سهل على الروم امتلاك دمياط لانها كانت خالية من الجند لان عنبسة بن اسحق عامل مصر كان امرهم بالحضور في العيد بمصر فتصادف وصول مراكب الروم في ذلك الوقت . ثم سارت جموع الروم الى اشموم تنيس وكان عليه سور وبابان من حديد قد عمله المعتصم فنهبوا ما فيه من سلاح واخذوا البابين ورجعوا ولم يعرض لهم احد لتقاعد عنبسة عن المسير اليهم . فكتب يحيي بن الفضل الى الخليفة المتوكل على الله رسالة فيها هذه الابيات

اترضى بان يوطأ حريمك عنوة وان يستباح المسلمون ويحربوا

حمار اتى دمياط والروم وثب بتانيس رأي العين منه وأقرب

مقيمون بالاشموم يبغون مثلما اصابوه من دمياط والحرب ترقب

فما رام من دمياط شبراً وما درى ما العجز ما يأتي وما يتجنب

فلا تنسـنا اذا بدار مضيعة بمصر وان الدين قد كاد يذهب

وفي سنة ٢٤١ ﻫ ثارت البجاة في النوبة وكانوا قد عاهدوا المأمون على الصلح فوجه المتوكل لحربهم محمد بن عبد الله فخرج اليهم من مصر في عدة قليلة ورجال منتخبة على المراكب في النيل فاجتمع البجاة في عدد عظيم وركبوا الابل فهاب المسلمون ذلك فبعث اليهـم محمد بن عبد الله كتاباً لفه بثوب فاجتمعوا لقراءته فحمل عليهم بعد ان وضعوا في اعناق الخيل اجراساً فانذعرت جمال البجاة ولم تثبت امام صوت الاجراس فركب المسلمون اقفيتهم واثخنوا فيهم وقتلوا كبيرهم فقام من بعده ابن اخيه وبعث يطلب الهدنة فصالحوه على شرط ان يطأ بساط امير المؤمنين فسار الى بغداد وقدم على المتوكل وصولح على اداء الادوات والبقط واشترط عليه ان لا يمنع المسلمين من العمل بالمعدن

وفي سنة ٢٤٤ ﻫ سار المتوكل الى دمشق وعزم على المقام فيها ونقل دواوين الملك اليها فقال يزيد بن محمد المهلبي في ذلك

اظن الشام يشمت بالعراق اذا عزم الامام على انطلاق

فان تدع العراق وسـاكنيه فقد تبكي المليحة بالطلاق

ثم استوبأ البلد فرجع المتوكل الى سامرا ولم يكن مقامه بدمشق الا شهرين واياماً . وكثرت الزلازل في ايام المتوكل في اماكن مختلفة فهدمت مدناً كثيرة وقتلت خلقاً عظيماً . وفي سنة ٢٤٧ ﻫ قتل المتوكل ليلة الاربعاء ثالث يوم من شوال قتله غلام تركي اسمه باغر . وكانت خلافته اربع عشرة سنة وتسعة اشهر وعمره اربعـين سنة ويقال ان ابنه المنتصر هو الذي حرض باغر على قتله ليتولى الخلافة مكانه . واخرج المتوكل قبل وفاته احمد بن حنبل من الحبس وصرفه الى بغداد وامره بترك الجدل في القرآن وان الذمة بريئة ممن يقول بخلق او بغير خلق



(ش ١٣) نقود المتوكل على الله (عن تاريخ مصر الحديث)

٣٦ - خلافة المنتصر بن المتوكل

من سنة ٢٤٧ — ٢٤٨ ﻫ او من سنة ٨٦١ — ٨٦٦ م

بايع له قتلة ابيه تلك الليلة التي قتل فيها المتوكل . فلما أصبح يوم الاربعاء حضر القواد والكتاب والجند والوجوه والجعفرية فقرأ عليهم احمد بن الخصيب كتابا يخبر فيه عن المنتصر ان الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقتله به فبايع الناس وانصرفوا وفي سنة ٢٤٨ ﻫ الحَّ وصيف وبغا وباقي الاتراك على المنتصر بخلع اخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد لخوفهم ان يموت المنتصر ثم يلي الخلافة احد اخويه من بعده فينتقم منهم . فقالوا للمنتصر اخلع المعتز والمؤيد ونحن نبايع ابنك عبد الوهاب . فتخوف من ذلك لكنهم ما زالوا به حتى اجابهم وخلعهما بالكره منه ومنهما . ثم دعاهما وقال . اتريانى خلعتكما طمعاً في ان اعيش حتى يكبر ولدي وابايع له والله ما طمعت في ذلك ساعة قط ولكن هؤلاء (وأومأ الى سائر الموالي الاتراك ممن هو قائم وقاعد) الحوا عليَّ في خلعكما . ولم تطل مدة خلافة المنتصر لانه مات يوم الاحد لخمس خلون من ربيع الاخر من هذه السنة (٢٤٨) بالذبحة التي لم تمهله اكثر من ثلاثة أيام . قيل وكان كثير من الناس حين أفضت الخلافة اليه الى ان مات يقولون : انما مدة خلافته ستة اشهر كمدة شيرويه بن كسرى قاتل ابيه . فصدق ظنهم . وكان عمره خمساً وعشرين سنة وستة اشهر ومدة خلافته ستة اشهر

٣٧ — خلافة المستعين بالله بن المعتصم

من سنة ٢٤٨ — ٢٥٢ ﻫ او من سنة ٨٦٢ — ٨٦٦ م

ولما توفي المنتصر اجتمع الموالي على الهارونية من الغد وفيهم بغا الكبير وبغا الصغير واتامش وغيرهم من قواد الاتراك والمغاربة . وتشاوروا في عدم تولية احد من ابناء المتوكل لئلا يغتالهم . واجمعوا على احمد بن محمد بن المعتصم وقالوا لا تخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم فبايعوه ليلة الاثنين لست خلون من ربيع الاخر وهو ابن ثمان وعشرين سنة ولقبوه بالمستعين بالله

وفي سنة ٢٤٩ ﻫ شغب الجند والشاكرية ببغداد لما رأوا من استيلاء الترك على امور المسلمين يقتلون من يريدون من الخلفاء ويستخلفون من أحبوا من غير ديانة ولا نظر للمسلمين فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير والشاكرية تظهر انها تطلب الارزاق . ففتحوا السجون وأخرجوا من فيها وأحرقوا احد الجسرين وقطعوا الآخر وانتهبوا دار بشر وابراهيم ابني هرون وغيرهما من دور اهل اليسار واخرجوا أموالاً كثيرة ففرقوها في من نهض لحفظ الثغور وأقبلت العامة من نواحي الجبال وفارس والاهواز وغيرها ورفعوا راية العصيان فلم يحرك ذلك المستعين ساكناً ثم امتدت الفتنة الى سامرا فثارت العامة وفتحوا السجون واطلقوا من فيها فقتل من العامة جماعة . وثار الموالي باتاش وزير المستعين فقتلوه ونهبوا من داره اموالاً جزيلة لان المستعين كان قد اطلق له ولوالدته (والدة المستعين) التصرف ببيوت المال

وفي سنة ٢٥١ ﻫ قتل وصيف و بغا باغر التركي (قاتل المتوكل) حسداً منهما لان المنتصر كان قد اقطعه قطائع كثيرة فعظم . فشغب الجند على المستعين وحصره الشاغبون مع وزيريه في قصره بسامرا فهربوا في حراقة وانحدروا الى بغداد واستقر المستعين بها . فأخرج الشاغبون المعتز بن المتوكل من السجن وبايعوه واستولى على الاموال التي كانت للمستعين ولامه بسامرا وانفق على الجند كثيراً

ثم أرسل جيشاً مع اخيه المؤيد لحرب المستعين ببغداد وجرى بين الفريقين قتال كثير وحاصروا بغداد فاتفق كبراء الدولة ببغداد على خلع المستعين واكرهوه على ذلك فخلع نفسه من الخلافة سنة ٢٥٢ هـ وخطب ببغداد للمعتز بالله بن المتوكل فلما بايع المستعين للمعتز امر هذا بتوجيه المستعين الى البصرة ومنها الى واسط ثم أمر بقتله فقتل وحمل رأسه الى المعتز وقال بعض الشعراء حين خلع المستعين

خلع الخليفة احمد بن محمد　　وسيقتل التالي له او يخلع
ويزول ملك بني ابيه ولا ترى　　احداً بملك منهم يتمتع
ايها بني العباس ان سبيلكم　　في قتل اعبدكم سبيل مهيع
رقعتم دنياكم فتمزقت　　بكم الحياة تمزقاً لا يرقع

وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر

٣٨ – خلافة المعتز بن المتوكل

من سنة ٢٥٢ هـ – ٢٥٥ هـ او من سنة ٨٦٦ – ٨٦٨ م

هكذا صارت الخلافة الى المعتز بن المتوكل واستتب له الامر بعد موت المستعين وفي أول سني خلافته خلع اخاه المؤيد من ولاية العهد وحبسه حتى مات بالسجن

وفي سنة ٢٥٣ هـ خرج عبد العزيز بن ابي دلف الخارجي بهمذان واجتمع معه اكثر من عشرين الف صعلوك فوجه اليه المعتز موسى بن بغا الكبير فحاربه وانتصر عليه وقتل وهزم جموع عبد العزيز فهرب هذا الى قلعة يقال لها زر وتحصن بها ودخل عسكر موسى مدينة كرج ونهبوا دار عبد العزيز وحرمه

وفي هذه السنة ابتدأت دولة يعقوب الصفار بهرات وسنذكر اخباره في غير هذا الموضع

وفي سنة ٢٥٤ هـ استعمل المعتز احمد بن طولون على مصر وآل أمره الى ان استولى على مصر والشام كما تراه ان شاء الله في ذكر الدولة الطولونية

وفي سنة ٢٥٥ ﻫ سار الاتراك الى المعتز يطلبون أرزاقهم فماطلهم بحقهم فلما رأوا أنه لا يحصل منه شي دخل اليه جماعة منهم وجروه برجليه الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وأقاموه فى الشمس في الدار وكان يرفع رجلاً ويضع رجلاً لشدة الحر. ثم سلموه الى من يعذبه فمنعه الطعام والشراب ثلاثة أيام ثم ادخلوه سرداباً وجصصوا عليه حتى مات وكانت خلافته اربع سنين وسبعة اشهر وعمره اربعاً وعشرين سنة . وفي خلافته استقل عيسى بن الشيخ بن السليك من ولد جساس بن مرة بالرملة ودمشق وقطع كاما ن يحمل من الشام الى الخليفة واستبد بالاموال وكان ذلك سنة ٢٥٢ ﻫ

٣٩ - خلافة المهتدى بن الواثق

من سنة ٢٥٥ — ٢٥٦ ﻫ او من سنة ٨٦٨ — ٨٦٩ م

بويع بالخلافة بعد المعتز فظهر في ايامه صاحب الزنج وهو علي بن محمد بن عبد الرحيم من ولد عبد قيس وجمع اليه الزنج وكانوا يسكنون في البصرة وادعى انه من ولد علي بن ابي طالب وكان اهل البحرين قد احلوه محل النبي وجبى الخراج ونفذ فيهم حكمه وحارب جيوش المهتدي وانتصر عليها ونهب كثيراً من البلدان وهابته الناس ولم تكن خلافة المهتدي الا احدعشر شهراً ونصفاً لانه قصد ان يقتل موسى بن بغا وكان معسكراً قبالة بعض الخوارج وكتب بقتله الى بابكيال احد مقدمي جنده ان يقتله ويصير موضعه فلم يفعل وعوضاً عن قتله موسى اتفق معه على قتل المهتدي وسارا اليه فدخل بابكيال عليه فحبسه المهتدي ثم قتله وتجهز لقتال موسى بن بغا فبينما هو في الطريق فارقه كثيرون وانقلبوا عليه ففر ودخل بعض الدور فامسكوه وداسوا خصيته وصفحوه فمات

٤٠ خلافة المعتمد بن المتوكل

من سنة ٢٥٦ – ٢٧٩ ﻫ او من سنة ٨٦٩ – ٨٩٢ م

لما امسك المهتدي احضر العباس بن احمد بن المتوكل وكان محبوساً بالجوسق فبايعه الاتراك وغيرهم ولقب المعتمد على الله ثم مات المهتدي ثاني يوم بيعة المعتمد . وفي ٢٥٦ ﻫ عزل عيسى بن الشيخ الذي كان قد استبد بدمشق وولاه ارمينية وولى في مكانه على دمشق اماجور فذهب هذا الى دمشق في الف رجل فلما قرب منها ارسل اليه عيسى بن الشيخ ولده منصوراً في عسكر جرار فقاتله فانهزم منصور بن عيسى وقتل في الحرب فخارت عزيمة أبيه عيسى وسار الى ارمينية على طريق الساحل وولي اماجور دمشق . وفي ايامه اشتدت شوكة علي بن محمد بن عبد الرحيم صاحب الزنج الذي ذكرنا خبر ظهوره في خلافة المهتدي واغار على المملكة الاسلامية فاستولى على الاهواز والبصرة وواسط وغيرها من المدن الكبيرة واعملوا فيها القتل والنهب والتخريب وهزموا جيوش المعتمد مراراً كثيرة حتى خشي منهم جداً وآخر الامر سير المعتمد اخاه الموفق بالله لحرب صاحب الزنج واصحابه وبعد وقائع كثيرة جداً استمرت سنين عديدة وكان النصر فيها متبادلاً بين الطرفين انتصر اخيراً الموفق بالله على صاحب الزنج واحرق مدينته وقطع رأسه وسيره الى بغداد وارتاحت البلاد من غاراته . ولكن كيف ترتاح البلاد والخلفاء من بني العباس صاروا مثلاً في الضعف فلا يموت مقاوم الا ويقوم اثنان ان لم يكن من الخارج فمن قلب المملكة الاسلامية حتى تجزأت المملكة الاسلامية الى ممالك ملك كلاً منها عائلات مختصة بها كما سنذكره بالتفصيل ان شاء الله في غير هذا المكان من كتابنا هذا . وفي سنة ٢٦٢ ﻫ اغار يعقوب الصفار (الذي ذكرنا خبر ظهوره في خلافة المعتز بعد ان تغلب على فارس جميعها) على الاهواز فحارب به الموفق بالله و بعد قتال شديد انتصر عليه وراجعه الى حيث اتى ولكنه عاود الكرة في السنة التالية واستولى على الاهواز .

وفي سنة ٢٦٤ هـ غزا عبد الله بن رشيد بن كاووس بلاد الروم في اربعة آلاف فارس و بينما هو راجع خرج عليه بطريق سلوقية و بطريق خرشنه واصحابهما واحدقوا بالمسلمين . فنزل المسلمون فعرقبوا دوابهم وقاتلوا فقتلوا الا خمسماية فانهم حملوا حملة رجل واحد ونجوا على دوابهم وأسر عبد الله بن رشيد وحمل الى ملك الروم . وضيق الموفق بالله على اخيه المعتمد (الخليفة) حتى انه احتاج الى ثلثمئة دينار فلم يجدها فقال

اليس من العجائب ان مثلي　　يرى ما قلّ ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً　　وما منهـا يسير في يديه

وكان المعتمد قد عهد بالخلافة من بعده لاخيه الموفق بالله فمات قبله وذلك سنة ٢٧٨ هـ وكانت علته النقرس الذي اشتد به حتى لم يقدر على الركوب فعمل له سرير عليه قبة وكان يقعد عليه وخادم يبرد له رجله بالثلج ثم صارت علة رجله داء الفيل وكان يحمل سريره أربعون رجلاً بالنوبة . فقال لهم . قد ضجرتم من حملي وما أرغب اليّ لو كنت كواحد منكم احمل على رأسي واكل وأنا في عافية . فوصل الى بيته لليلتين خلتا من صفر وشاع موته ولما مات الموفق اجتمع القواد و بايعوا ابنه ابا العباس بولاية العهد بعد عمه المعتمد ولقب المعتضد بالله . وفي هذه السنة (٢٧٨ هـ) تحرك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة وكان ابتدا أمرهم أن رجلاً فقيرًا قدم من ناحية خوزستان الى سواد الكوفة وكان يظهر الزهد والتقشف و يسف الخوص و يأكل من كسبه فاقام على ذلك مدة وكان اذا أتاه رجل ذاكره في أمر الدين وزهده في الدنيا وأعلمه انهُ يدعو الى امام من أهل بيت النبي (صلعم) فلم يزل على ذلك حتى استجاب له جمع كثير واتخذ منهم اثنى عشر نقيباً وأمرهم أن يدعو الناس الى مذهبهم . فبلغ خبره عامل تلك الناحية فاخذه وحبسه واقسم ان يقتله وأغلق باب البيت عليه وجعل المفتاح تحت وسادته واشتغل بالشرب . فسمعت جارية له بيمينه فشفقت على الرجل . فلما نام العامل اخذت المفتاح وفتحت الباب وأخرجته ثم أعادت المفتاح الى مكانه . فلما اصبح

العامل فتح الباب ليقتله فلم يجده . وشاع ذلك في الناس وافتتن به أهل تلك الناحية وقالوا رفع . ثم ظهر في ناحية أخرى ولقي جماعة من اصحابه وغيرهم فقال لهم . لا يمكن أن ينالني أحد بسوء . فعظم في أعينهم ثم خاف على نفسه فخرج الى ناحية الشام ولم يوقف له على خبر . وسمي باسم رجل كان ينزل عنده اسمه كرمتية ثم خفف فقيل قرمطة . وكان فيما حكي عن القرامطة من مذهبهم أنهم جاءوا بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم . يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانه أن المسيح تصور له في جسم انسان وقال له أنك الداعية وانك الحجة وأنك الناقة وأنك الدابة وأنك يحيى بن زكريا وأنك روح القدس وعرفه أن الصلات أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها والصوم يومان في السنة وهما المهرجان والنيروز . وان النبيذ حرام والخمر حلال ولا يؤكل كل ذي ناب ولا كل ذي مخلب . وان الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء الى غير ذلك . وفي سنة ٢٧٩ هـ توفي المعتمد على الله ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ببغداد فحمل الى سامرا ودفن فيها وكان عمره خمسين سنة وستة أشهر ومدة خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام

١٦ — خلافة المعتضد بن الموفق

من سنة ٢٧٩ — ٢٨٩ هـ او من سنة ٨٩٢ — ٩٠٢ م

في صبيحة الليلة التي مات فيها المعتمد بويع لابي العباس المعتضد بالله بن الموفق .

وفي سنة ٢٨٠ هـ سار المعتضد من بغداد يريد بني شيبان بالموضع الذي يجتمعون فيه من الجزيرة فلما بلغهم قصده جمعوا اليهم اموالهم واغار المعتضد على اعراب عند السن فنهب اموالهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم في الزاب جمع كثير وعجز الناس عن حمل ما غنموه فبيعت الشاة بدرهم والبعير بخمسة دراهم . ثم سار الى الموصل فأتى اليه بنو شيبان يسألونه العفو فامنهم

وفي سنة ٢٨١ هـ بلغ المعتضد ان حمدان بن حمدون عامل الموصل خطب لهرون

الشاري الخارجي فتجهز وسار الى الموصل · فلما بلغ الاعراب الاكراد مسير المعتضد اليهم تحالفوا على قتاله · فاوقع بهم المعتضد وقتل منهم وغرق منهم في الزاب خلق كثير ثم سار قاصداً قلعة ماردين وبها حمدان فهرب حمدان منها وخلف ابنه بها · فنازلها المعتضد وقاتل من فيها يومه ذلك فلما كان الغد ركب المعتضد وصعد الى باب القلعة وصاح يابن حمدان فاجابه فقال افتح الباب ففتحه فقعد المعتضد بالباب وامر بنقل مافي القلعة وهدمها ثم ظفر بحمدان بعد عوده الى بغداد جاءه مستامناً اليه · ثم ظفر بهرون الخارجي بعد ذلك وصلبه · وفي سنة ٢٨٢ ﻫ زفت قطر الندى بنت خماروية الطولوني صاحب مصر الى الخليفة المعتضد · وجهزها ابوها احسن جهاز · وذهبت معها عمتها العباسة ابنة احمد بن طولون مشيعة لها الى آخر اعمال مصر من جهة الشام وضربت فساطيطها و بنيت هناك قرية فسميت باسمها وقيل لها العباسة

وفي سنة ٢٨٣ ﻫ سارت الصقالبة الى الروم فحاصروا القسطنطينية وقتلوا من اهلها خلقاً كثيراً وخربوا البلاد فلما لم يجد ملك الروم منهم خلاصاً جمع من عنده من اسارى المسلمين واعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا وكشفوهم وازاحوهم عن القسطنطينية · فلما رأى ملك الروم ذلك خاف المسلمين على نفسه فاخذ سلاحهم وفرقهم في البلدان حذراً من جنايتهم عليه · وفي سنة ٢٨٥ ﻫ ظهر رجل من القرامطة يعرف بابي سعيد بالبحرين واجتمع اليه جماعة من الاعراب والقرامطة وقوي امره فقاتل ماحوله من القرى ثم سار الى القطيف واظهر انه يريد البصرة فامر المعتضد ببناء سور على البصرة فعمل · وفي سنة ٢٨٨ ﻫ وقع الوباء باذربيجان فمات منه خلق كثير الى ان فقد الناس مايكفنون به الموتى وكانوا يطرحونهم بالطريق · وفيها سارت الروم الى كيسوم فنهبوها وغنموا اموال اهلها واسروا منها نحو خمسة عشر الف انسان من رجل وصبي وامرأة وفي سنة ٢٨٩ ﻫ انتشر القرامطة بسواد الكوفة و بعد قتالهم أخذ رئيسهم وسير الى المعتضد فاحضره وقال له · اخبرني هل تزعمون ان روح الله تحل في اجسادكم · فقال له الرجل · يا هذا ان حلت روح الله فينا فما يضرك وان حلت روح ابليس فما ينفعك فلا تسأل عما لايعنيك وسل عما يخصك · فقال المعتضد وما تقول فيما يخصني · فقال · اقول ان النبي صلى الله عليه وسلم مات وابوكم العباس حي فهل طلب الخلافة ام هل بايعه احد من الصحابة علي ذلك · ثم مات ابو بكر واستخلف عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوص اليه · ثم مات عمر وجعلها شورى في ستة

آنفس ولم يوص الى العباس ولا ادخله فيهم · فبماذا تستحقون انتم الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها · فامر به المعتضد فعذب وخلعت عظامه ثم قطعت يداه ورجلاه ثم قتل · وفي ربيع الثاني من هذه السنة (٢٨٩ ﻫ) توفي المعتضد لثمانٍ بقين منه · وكان عمره سبعاً واربعين سنة ومدة خلافته تسع سنين وتسعة اشهر وكان المعتضد اسمر نحيف الجسم معتدل الخلق وكان شهما شجاعاً · مقداماً حليماً جدًّا · قال الوزير عبدالله بن سليمان · كنت عند المعتضد يوماً وخادم بيده المذبة اذ ضربت قلنسوة المعتضد فسقطت · فكدت اختلط اعظاماً للحال · ولم يتغير المعتضد · وقال هذا الغلام قد نعس · ولم ينكر عليه · فقبلت الارض وقلت · والله يا امير المؤمنين ماسمعت بمثل هذا ولا ظننت ان حلما يسعه · فقال · وهل يجوز غير هذا انا اعلم ان هذا الصبي البائس لو دار في خلده ماجرى لذهب عقله وتلف والانكار لايكون الا على المتعمد دون الساهي الخاطىء · ولما حضرته الوفاة انشد

تمتع من الدنيا فانك لاتبقى　　وخذ صفوها ماان صفت ودع الرنقا
ولا تأمننَّ الدهر اني أمنته　　فلم يبق لي خلاًّ ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم ادع　　عدوًّا ولم امهل على طغيه خلقا
واخليت دار الملك من كل نازع　　فشردتهم غرباً ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزًّا ورفعة　　وصارت رقاب الخلق اجمع لي رقا
رماني الردى سهماً فاخمد جمرتي　　فها انا ذا في حفرتي عاجلاً ألقى
ولم يغن عني ما جمعت ولم أجد　　لدى الملك والاحياء في حسنها رفقا
فياليت شعري بعد موتي ما القى　　الى نعم الرحمن أم ناره القى

٩٢ - خلافة المكتفي بالله بن المعتضد

من سنة ٢٨٩ — ٢٩٥ ﻫ او من سنة ٩٠٢ — ٩٠٨ م

لما توفي المعتضد كتب الوزير الى ابي محمد علي بن المعتضد وهو المكتفي بالله وعرفه اخذ البيعة له وكان بالرقة فلما وصله الخبر اخذ البيعة على من عنده من الاجناد ووضع لهم العطاء وسار الى بغداد فدخلها لثمان خلون من جمادى الاولى سنة ٢٨٩ ﻫ وفي سنة ٢٩٠ ﻫ اشتدت شوكة القرامطة المار ذكرهم حتى حصروا دمشق بعد ان هزموا جيش اميرها طغج بن جف (العامل عليها من قبل الدولة الطولونية بمصر) ثم اجتمعت عليهم العساكر وقتلوا مقدمهم يحيي المعروف بالشيخ فاقام القرامطة عليهم اخاه الحسين وتسمى احمد واظهر شامة في وجهه وادعى انها آية وكثر جمعه فصالحه اهل دمشق على مال دفعوه اليه فانصرف عنهم الى حمص فغلب عليها وخطب له على منابرها وتسمي بالمهدي امير المؤمنين وعهد الى عمه عبد الله ولقبه المدثر (زعماً منه انهُ المدثر الذي في القرآن) ثم سار الى حماة والمعرة وغيرهما فقتل اهلها حتى الاطفال والنساء وسار الى سلمية فاخذها بالامان ثم قتل اهلها حتى صبيان المكتب . فلما اشتد امر القرمطي خرج المكتفي من بغداد ونزل الرقة وارسل اليه الجيوش

وفي سنة ٢٩١ ﻫ واقعت جيوش المكتفي القرمطي صاحب الشامة واصحابه بتمتع (اسم قرية) فانهزم القرامطة وتبعهم عسكر الخليفة يقتلونهم وهرب صاحب الشامة وابن عمه وغلام رومي فامسكوا في البرية واحضروا الى المكتفي وهو بالرقة فاخذهم معه الى بغداد حيث قطعت رؤوسهم وطيف برأس القرمطي في اسواق بغداد

وفي سنة ٢٩٢ ﻫ بعث المكتفي الجيش الى الشام فاستولى على دمشق وكان قائد جيش المكتفي محمد بن سليمان . وما زال سائراً حتى قرب علي مصر وكان الحاكم عليها من العائلة الطولونية هرون بن خمارويه وقد ثارت عليه البلاد فلم يقدر ان يضبطها . وفي هذه الاثناء هجم محمد بن سليمان بجيشه على مصر فاخترقها حتى بلغ الفسطاط . فاستعد هرون للمدافعة ولكن بلا جدوى لان اتباعه كانوا في نقص مستمر وجيش عدوه في زيادة مستمرة . ثم التقى الجيشان فانهزم هرون واصحابه وقتل هو ايضاً في تلك الواقعة و به انقرضت الدولة الطولونية . وعادت مصر جزءاً من الخلافة العباسية كما كانت من

ذي قبل . فاقر المكتفي عيسى النوشري عاملاً له عليها . وفي الوقت الذي توجه فيه محمد بن سليمان من الشام الى مصر لقتال هرون بن خمارويه خرج بالشام خارجي يدعى ابراهيم الخلنجي وكان من قواد بني طولون وقويت شوكته فسار لقتاله احمد بن كيغلغ عامل دمشق . فطمع القرامطة في دمشق لغيبة عاملها فقصدوها واعملوا فيها نهباً وقتلاً ثم نهبوا طبرية وساروا الى جهة الكوفة فسير المكتفي اليهم جيشاً فاقتتلوا وتمت الهزيمة على جيش الخليفة وقتل منهم خلق كثير وغنم القرامطة منهم شيئاً كثيراً . ولكن انتصر عامل دمشق على الخلنجي بعد حروب متصلة وقبض عليه وحمل بمن معه الى بغداد

وفي سنة ٢٩٤ هـ هجم القرامطة على الحجاج في طريق العراق وقتلوهم عن آخرهم فكانت عدة القتلى عشرين الفاً واخذوا اموالا عظيمة وكان كبيرهم يسمى ذكرويه . فجهز المكتفي اليهم عسكراً واقتتلوا فانهزم القرامطة وقتل منهم خلق كثير واسر ذكرويه كبيرهم مجرحاً ومات بعد ستة ايام وقدم العسكر برأسه الى بغداد وطيف به

وفي سنة ٢٩٢ هـ اغار الروم على مرعش ونواحيها فهرب اهل المصيصة وطرسوس بعد ان اصيب منهم جماعة فعزل المكتفي ابا العشائر عامل الثغور عنها وولى عليها رستم ابن برد . وعلى يده صار الفداء بين الروم والمسلمين فكان جملة من فودي من المسلمين الفاً ومايتي نفس

وفي سنة ٢٩٣ هـ اغارت الروم على قورش (وقيل موارس) من اعمال حلب وقاتلهم اهلها وقتل منهم خلق كثير ودخل الروم فاحرقوا جامعها واخذوا من بقي فيها .

وفي سنة ٢٩٤ هـ غزا ابن كيغلغ الروم من طرسوس فاصاب منهم اربعة آلاف سبياً واستأمن احد بطارقة الروم واسلم . ثم عاود ابن كيغلغ فغنم وقتل كثيراً

وفي سنة ٢٩٥ هـ توفي المكتفي بالله في شهر ذي القعدة بعد ان عهد بالخلافة من بعده لأخيه جعفر بن المعتضد ولقبه المقتدر بالله . وكانت مدة خلافته ست سنين وستة اشهر وتسعة عشر يوماً وعمره ثلاثاً وثلاثين سنة

٤٣ — خلافة المقتدر بالله بن المعتضد

من سنة ٢٩٥ — ٣٢٠ ﻫ او من سنة ٩٠٨ — ٩٣٢ م

بويع بالخلافة بعد وفاة المكتفي وكان عمره اذ ذاك ثلاث عشرة سنة فاستصغره الوزير وكثر كلام الناس فيه فعزم على خلعه . وفي سنة ٢٩٦ ﻫ اجتمع القواد والقضاة مع الوزير على خلع المقتدر بالله والبيعة لابن المعتز . ثم ان الوزير رأى امره موافقاً مع المقتدر فبدا له في ذلك . فوثب به الآخرون فقتلوه وخلعوا المقتدر وبايعوا ابن المعتز ولقب المرتضي بالله فوجه الى المقتدر يأمره بالانتقال الى الدار التي كان مقيماً فيها لينتقل هو الى دار الخلافة فأجابه بالسمع والطاعة وسأله الامهال الى الليل فعاد غلمانه الى دار الخلافة (غلمان المرتضي بالله) وقاتلوا غلمان وخدم المقتدر بالله طول النهار وانصرفوا عنهم آخر النهار . فلما جن الليل سار الحسين بن حمدان (اعظم انصار المرتضي) عن بغداد باهله وماله الى الموصل لا يدرى لما فعل ذلك ولم يكن بقي مع المقتدر من القواد غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن . ولما رأى ابن المعتز ذلك ركب ومعه وزيره محمد بن داود وغلام له وساروا نحو الصحراء ظناً منهم ان من بايعهم من الجند يتبعونه . فلما لم يتبعهم احد رجعوا واختفوا ووقعت الفتنة والنهب والقتل ببغداد وثار العيارون والسفل ينهبون الدور فخرج المقتدر بالعسكر وقبض على جماعة وقتلهم وكتب الى ابي الهيجاء بن حمدان يامره بطلب اخيه الحسين فانهزم الحسين وارسل اخاه ابراهيم يطلب له الامان فاجيب الى ذلك ودخل بغداد فخلع عليه المقتدر وعقد له على قم وقاشان فسار اليها . وعاد المقتدر الى الخلافة واستتب له الامر فيها . واهم ما كان من الحوادث في ايام المقتدر ابتداء دولة الفاطميين التي قامت على انقاض دولة الاغالبة ودولة الادارسة بالمغرب والدولة الاخشيدية بمصر في سنة ٢٩٧ ﻫ بقيام عبيد الله المهدي وسنذكر اخبارها تفصيلاً فيما يلي من كتابنا هذا ان شاء الله

وفي سنة ٣٠٣ ﻫ خرج الحسين بن حمدان بالجزيرة عن طاعة المقتدر فجهز الوزير رائقاً الكبير في جيش وسيره اليه فالتقيا واقتتلا اقتتالاً شديداً فانهزم رائق وغنم الحسين سواده فسمع ذلك مؤنس الخادم فجد بالمسير نحو الحسين فهرب الحسين نحو ارمينيا مع ثقله واولاده . وتفرق عسكره عنه فادركه جيش مؤنس واسروه ومعه ابنه عبد الوهاب

وعاد مؤنس الى بغداد ومعه الحسين وابنه محبسا . واستوزر المقتدر ابا علي محمد بن يحيى ابن خاقان فتحكم عليه اولاده فكان كل منهم يسعى لمن يرتشي منه فكان يولى العمل الواحد عدة من العمال في ايام قليلة فقيل فيه

وزير قد تكامل في الرقاعة يولي ثم يعزل بعد ساعة
اذا اهل الرشا اجتمعوا لديه فخير القوم اوفرهم بضاعة
وليس يلام في هذا بحال لان الشيخ افلت من مجاعة

فلما رأى المقتدر تخليط الخاقاني وعجزه عن القيام بمهام الوزارة كما يجب عزله عنها وولى مكانه علي بن عيسى . ثم استبدل بعلي بن الفرات ثم عزله وولى مكانه حامد ابن العباس

وفي سنة ٣٠٩ ه ظهر الحسين الحلاج بن منصور وكان يظهر الزهد ويدعى ان له كرامات حتى قيل انه حرك يوماً يده فانتثر على قوم دراهم . فقال له بعض النبهاء . ممن حضر . اراك تنثر علينا دراهم من المتداولة في ايدي الناس فاذا امكنك ان تعطيني الآن درهماً عليه اسمك واسم أبيك فاني أؤمن بك ومعي كثير من الموجودين . فقال وكيف وهذا لا يصنع . فقال له . من حضر ماليس بحاضر صنع ما ليس بمصنوع . وكان قد قدم من خراسان الى العراق وسار الى مكة فاقام بها سنة في الحجر لا يستظل تحت سقف شتاءً ولا صيفاً ورئي في جبل ابي قيس على صخرة حافياً مكشوف الرأس والعرق يجري منه الى الارض . ثم سار الى بغداد في هذه السنة فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول والربوبية ثم نقل عنه الى الوزير حامد انه احيا جماعة من الموتي فاحضره الوزير وسأله عن ذلك فانكر وقال اعوذ بالله ان ادعي النبوة او الربوبية وانما انا رجل اعبد الله . فلم يتمكن الوزير من قتله حتى أمسك عليه كتاباً منه فيه . ان الانسان اذا اراد الحج ولم يمكنه افرد من داره مبيتاً طاهراً فاذا حضرت ايام الحج طاف حوله وفعل ما يفعل الحجاج بمكة ثم يطعم ثلثين يتيماً ويكسوهم ويعطى كل واحد منهم سبعة دراهم . فاحضر الوزير القضاة ووجوه الفقهاء واستفتاهم . فافتوه باباحة دمه فسلمه الوزير الى صاحب الشرطة فضربه الف سوط فما تأوه لها ثم قطع يده ثم رجله ثم رجله الاخرى ثم يده الاخرى واخيراً قتله وأحرقه والقى رماده في دجلة ونصب الراس ببغداد . وفي سنة ٣١٥ ه استشعر مؤنس الخادم خوفاً من المقتدر فامتنع من دخول دار المقتدر . فاجتمع

اليه جميع الاجناد وقالوا له لا تخف نحن نقاتل بين يديك الى ان ينبت لك لحية .
فوجه اليه المقتدر رقعة بخطه يحلف له على بطلان ما قد بلغه . فقصد دار المقتدر
في جمع من القواد ودخل اليه وقبل يده . فحلف له المقتدر على صفا نيته له

وفي سنة ٣١٧ هـ ثارت العساكر والاهالي على المقتدر بسبب استنزاف الوزراء
لاموال المملكة . وطلبوا الحرية والدستور (كأنهم من متعلمي القرن العشرين) وان
لهم الحق في تدبير المملكة كما لغيرهم . فحذرهم الخليفة المقتدر عاقبة الثورة فلم تنفع
تحذيراته لهم . وهجموا عليه وهو في دار الخلافة واخذوه وحرمه وارسلوهم الى
دار مؤنس الخادم . واحضروا محمد بن المعتضد وبايعوه بالخلافة ولقبوه بالقاهر بالله
فسار من وقته الى دار الخلافة ولم تكن ثورة العساكر الا بسبب انقطاع ارزاقهم فلما
تولى القاهر بالله الخلافة طالبوه بحقوقهم فماطلهم . فلما تحققوا منه ذلك هاجوا وماجوا
وهجموا على دار الخلافة وقتلوا كثيرين من الخدم بها وكان ابو الهيجاء بن حمدان
في ذلك اليوم هناك فقتل ايضاً وهرب القاهر بالله واختفى في البستان وخلت الدار
من الناس . اما العساكر فسارت الى بيت مؤنس الخادم طالبين المقتدر ليعيدوه الى
الخلافة فهجموا على دار مؤنس واختطفوا المقتدر وحملوه على رقابهم واتوا به الى دار
الخلافة وبايعوه ثانية ولم تكن خلافة القاهر الا يومين فقط . ثم احضر القاهر بالله الى
المقتدر فأمنه ولم يقتله بل حبسه عند والدته فاحسنت اليه واكرمته ووسعت عليه .

وفي سنة ٣٢٠ هـ سار مؤنس الخادم الى الموصل مغاضباً ووجه خادمه بشرى برسالة
الى المقتدر . فسأله الوزير عن الرسالة فقال . لا اذكرها الا للمقتدر كما امرني
صاحبي . فشتمه الوزير وشتم صاحبه وامر بضربه وصادره بثلثماية الف دينار . فلما
بلغ مؤنساً ما جرى على خادمه . وهو حين ذاك بحربى ينتظر ان يطيب المقتدر
قلبه ويعيده . سار نحو الموصل ومعه جميع القواد . فاجتمع بنو حمدان على محاربته
وجندوا له جيشاً مؤلفاً من ثلثين الف مقاتل ولما قرب مؤنس من الموصل كان في
ثمانماية فارس فالتقوا واقتتلوا فانهزم بنو حمدان واستولى مؤنس على اموالهم
وديارهم فهابته الناس واجتمع معه جيش عظيم لاستئثاره الناس باحسانه اليهم . ثم
انحدر الى بغداد ونزل بباب الشماسية . واشار اصحاب المقتدر عليه بحضور الحرب زعماً
منهم ان الناس اذا راته عادوا جميعهم اليه . فخرج وهو كاره وبين يديه الفقهاء والقراء
ومعهم المصاحف منشورة وعليه البردة والناس حوله . فوقف على تل عال بعيد عن

المعركة فارسل اليه قواده يسألونه التقدم • فلما تقدم من موضعه انهزم اصحابه قبل وصوله اليهم • فاراد الرجوع فلحقه قوم من المغاربة وشهروا عليه سيوفهم • فقال ويحكم انا الخليفة • قالوا قد عرفناك يا سفلة • وضربه واحد بسيفه على عاتقه فسقط الى الارض وذبحه بعضهم ورفعوا راسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه • واخذوا جميع ما عليه حتى سراويله وتركوه مكشوف العورة الى ان مر به رجل فستره بحشيش ثم حفر له في موضعه ودفن ولما حمل راس الخليفة الى مؤنس بكى ولطم وجهه وراسه وانفذ الى دار الخليفة من منعها من النهب وكانت خلافة المقتدر خمساً وعشرين سنة

١٩ — خلافة القاهر بن المعتضد

من سنة ٣٢٠ — ٣٢٢ هـ او من سنة ٩٣٢ ـ ٩٣٤ م

لما قتل المقتدر استعظم مؤنس قتله وقال الراي عندي ان تنصب ولده ابا العباس فانه تربيتي وهو صبي عاقل فيه دين وكرم ووفاء بما يقول فاعترض عليه اسحق النوبختي وقال • بعد الجهد استرحنا من خليفة له ام وخالة وخدم يدبرونه فنعود الى تلك الحال لا والله لا نرضى الا برجل كامل يدبر نفسه ويدبرنا • ومازال حتى رد مؤنساً عن رايه • وذكر له ابا المنصور محمد بن المعتضد • فاجابه مؤنس الى ذلك كارهاً لعلمه بشر ابي المنصور وظلمه • ومع ذلك كان النوبختي في تنصيب ابي المنصور كالباحث عن حتفه بظلفه فانه قتله كما سيأتي ذكره • وامر مؤنس باحضار محمد ابي المنصور بن المعتضد فبايعوه بالخلافة لليلتين بقيتا من شوال سنة ٣٢٠هـ ولقبوه القاهر بالله • ولما استقر الامر للقاهر استحلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه بليق ولعلي بن بليق واخذ منه كتابة بعدم التعرض لهم في ارواحهم واموالهم ثم اشتغل القاهر بالبحث عمن استتر من اولاد المقتدر وحزبه ثم احضر ام المقتدر عنده (وكانت مريضة بالاستسقاء) فسالها عن مالها فاعترفت له بما عندها من المتاع والثياب ولم تعترف بشيء من المال والجواهر فضربها ضرباً مؤلماً وعلقها برجليها وضرب المواضع الغامضة من بدنها • فاقسمت له انها لا تمتلك غير ما ذكرت وقالت • لو كان عندي لما سلمت ولدي للقتل • ولم تعترف بشيء • وصادر

القاهر جميع حاشية المقتدر واصحابه ووكل على بيع املاك المقتدر بعد ان حل وقوفها فبيع جميع ذلك . وفي سنة ٣٢١ ه استوحش مؤنس وبليق الحاجب وعلي بن بليق والوزير ابو علي بن مقلة من القاهر وضيقوا عليه ووكلوا على دار الخلافة احمد بن زيرك وامروه بتفتيش كل من يدخل الدار ويخرج منها ويكشف وجوه النساء المنقبات . ففعل ذلك وزاد عليه حتى حمل الى دار القاهر لبن فادخل يده فيه لئلا يكون فيه رقعة ولما تحقق القاهر منهم ذلك وعلم ان العتاب لا يجديه نفعاً ان لم يكن وبالاً عليه استعمل الحيلة والمكر للايقاع بهم قبل ان يوقعوا هم به . فارسل الى الساجية اصحاب يوسف بن ابي الساج يغريهم بمؤنس وبليق وحلف لهم على الوفاء وزيادة اعطياتهم . فتغيرت قلوبهم وبلغ ابن مقلة تغيير القاهر عليهم واجتهاده لعمل مكيدة يوقعهم بها فذكر ذلك لمؤنس وبليق وابنه فاتفق رأيهم على خلع القاهر الا مؤنساً فانه قال لهم . لست اشك في شر القاهر وخبثه ولقد كنت كارهاً لخلافته واشرت بابن المقتدر فخالفتموني وقد بالغتم الان في الاستهانة به وما صبر على الهوان الا لخبث طويته ليدبر عليكم فلا تعجلوا حتى تونسوه وينبسط اليكم وبعدئذ افعلوا ما بدا لكم . فقال علي بن بليق وابن مقلة . لا يحتاج هذا الامر الى المماطلة والتطويل لان الحجة لنا والدار في ايدينا ولسنا في احتياج ان نستعين في القبض عليه لانه بمنزلة طائر في قفص . واتفقوا على ان يدخل علي بن بليق على القاهر ويكون قد امر جماعة من عسكره بالركوب الى ابواب دار الخليفة فيقبض عليه . ولم يكن القاهر بالله غافلاً عن اجراآتهم هذه لانه استعمل اعيناً له تأتيه باخبارهم فحضر ظريف السكري في زي امرأة واجتمع بالقاهر وذكر له جميع ما قد عزموا عليه فاخذ في تدبير حيلة يوقعهم بها اثناء طلبهم الايقاع به فارسل الى الساجية واحضرهم وفرقهم في الدار واخفاهم وراء الدهاليز والابواب . فحضر علي بن بليق في عصر ذلك اليوم الى دار الخلافة (واثار الخمرة ظاهرة عليه) ومعه عدد يسير من غلمانه في سلاح خفيف . وطلب الاذن للدخول على الخليفة فلم يؤذن له بذلك . فغضب واساء ادبه . فخرج اليه الساجية وشتموه واباه فالقى نفسه الى طيارة وعبر الى الجانب الغربي واختفى من ساعته . وبلغ الخبر ابن مقلة فاستتر . وانكر بليق ما فعله الساجية بابنه وحضر الى دار الخليفة ليعاتبه على ذلك فلم يوصله القاهر اليه وامر بالقبض عليه وعلى ابن زيرك . وراسل القاهر مؤنساً بالحضور عنده وقال له . انت عندي بمنزلة الوالد وما احب ان اعمل شيئاً الا بعد اخذ رأيك فيه . فاعتذر مؤنس عن الحضور

بعدم استطاعة الحركه بسبب كبره وضعف جسمه فاظهر له الرسول النصح وقال · ان تأخرت طمع ولو راك نائماً ما تجاسر على ان يوقظك · فسار مؤنس الى دار الخليفة وما عتم ان دخل باب الدار حتى قبض عليه القاهر وحبسه · فلما حبسه شغب اصحاب مؤنس وتبعهم سائر الجند وطلبوا اخراجه من سجنه · ثم ظفر القاهر بعلي بن بليق فأمر بذبحه فذبح واخذوا راسه فوضعوه في طشت ثم مضي القاهر والطشت يحمل بين يديه حتى دخل على بليق فوضع الطشت بين يديه وفيه راس ابنه · فلما رآه بكي واخذ يقبله و يترشفه فامر القاهر به فذبح ايضاً وجعل راسه في الطشت وحمل بين يدي القاهر ومضى حتى دخل على مؤنس فوضعهما بين يديه فلما راى الرأسين تشهد ولعن قاتلهما · فقال القاهر جروا برجل الكاب الملعون فجروه وذبحوه وجعلوا راسه في طشت وأمر فطيف بالرؤوس في جانبي بغداد ونودى عليها · هذا جزاء من يخون الامام و يسعى في فساد دولته ثم اعيدت ونظفت وجعلت في خزانة الرؤوس كما جرت العادة · ثم ارسل الى ابي يعقوب النو بختي وهو في مجلس وزيره محمد القاسم فاخذه وحبسه ثم قتله · ثم رأى الناس من شدة القاهر ماجعلهم يندمون على مساعدتهم له ولات ساعة مندم · وفي سنة ٣٢٣ ﻫ ابتدأت دولة بني بو يه وسنذ كرها فيما بعد ان شاء الله

وفي هذه السنة خلع القاهر بالله من الخلافة وذلك ان ابن مقلة كان مستتراً والقاهر يتطلبه وكان يراسل قواد الساجية والحجرية ويخوفهم من شر القاهر و يذ كر لهم غدره ونكثه مرة بعد اخرى كقتل مونس و بليق وابنه بعد الامان لهم الى غير ذلك · وكان ابن مقلة يجتمع بسيما زعيم الساجية تارة في زي اعمى وتارةً في زي امرأة و يغربه بالقاهر · ثم ان ابن مقلة اعطى منجماً لسيما مائتي دينار حتى يقنعه ان طالعه يقتضي ان ينكبه القاهر · واعطي شيئاً لمعبر لسيما كان يعبر له المنامات حتى يحذره من القاهر · و بلغ الوزير هذه المكائد ضد القاهر فارسل اليه يعلمه الخبر ليكون على حذر فذهب الرسول فوجده نائماً وقد شرب اكثر ليلته فلم يقدر على اعلامه بذلك · فزحف الحجرية والساجية الى الدار فلما سمع القاهر الاصوات والضوضاء استيقظ وهو مخمور وطلب مهر باً · فقيل له · ان الابواب جميعها مشحونة بالرجال · فهرب الى سطح حمام · فاخذوه من هناك وحبسوه وكانت خلافته عاماً واحداً وسبعة اشهر · ثم عاش خاملاً الى ان مات سنة ٣٣٨ ﻫ

٤٥ - خلافة الراضي بالله بن المقتدر

من سنة ٣٢٢ — ٣٢٩ هـ او من سنة ٩٣٤ — ٩٤٠ م

لما قبض على القاهر كان ابو العباس احمد بن المقتدر ووالدته محبوسين فأخرجوه وبايعوه بالخلافة ولقبوه بالراضي بالله وكانت بيعته لست خلون من جمادى الاولى سنة ٣٢٢ هـ وارادوا علي بن عيسى على الوزارة فقال الراضي . ان الوقت لا يحتمل اخلاق علي وان ابن مقلة اليق بالوقت . ثم احضره واستوزره فلما استوزر احسن الى كل من اساء اليه واحسن سيرته . وفي سنة ٣٢٣ هـ عظم امر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يكبسون دور القواد والعامة وان وجدوا نبيذاً اراقوه وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء فازعجوا بغداد . وركب صاحب الشرطة ونادى في جانبي بغداد الاّ يجتمع من الحنابلة اثنان ولا يصلي منهم امام الا اذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الصبح والعشائين . فلم ينفذ فيهم . فكتب الراضي كتاباً ووقع عليه وبعث به ليقرأ على الحنابلة . ينكر عليهم فيه فعلهم ويوبخهم على اعتقاد التشبيه وغيره فمنه . انكم تارة تزعمون ان صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وتذكرون الاصابع والكف والرجلين والنعلين المذهبين والشعر القطط والصعود الى السماء والنزول الى الارض وتنسبوا شيعة آل محمد الى الكفر والضلال وتنكروا زيارة قبور الأئمة وتشنعوا على زوارها بالابتداع ومع ذلك انتم تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام وتدعون له معجزات الانبياء فلعن الله شيطاناً زين لكم هذه المنكرات وما اغواه . وامير المؤمنين يقسم بالله قسماً جهداً اليه يلزمه الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقكم ليوسعكم ضرباً وتشديداً وتبديداً وقتلاً ويستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالكم . وفي هذه السنة (٣٢٣ هـ) تولى محمد بن طغج الاخشيد مصر من جهة الراضي فضم اليها الشام واستقربها كما ستراه ان شاء الله في ذكر الدولة الاخشيدية . وفي سنة ٣٢٤ هـ قبض الحجرية والمظفر

ابن ياقوت على الوزير بن مقلة واعلموا الخليفة بذلك فاستحسنه . ثم اتفقوا على وزارة علي بن عيسى فامتنع فولوا الوزارة اخاه عبد الرحمن ولم يكن أهلاً لها فقبض عليه وولوها محمد بن قاسم الكرخي ثم عزلوه واستوزروا سليمان بن الحسين . وانقطع بعض الولاة عن حمل المال الى الراضي . فراسل الراضي محمد بن رائق وكان والياً بواسط وقلده امارة الجيش وجعله امير الامراء وهو اول من نال هذا اللقب فبطلت الوزارة من بغداد واعمالها . وامر الخليفة بان يخطب لابن رائق على المنابر

وفي زمن هذا الخليفة صارت الخلافة رسماً دينياً فقط ولم يكن له حل ولا ربط في الامور السياسية وانقسمت المملكة الاسلامية دولاً عديدة تولى على كل منها امير استقل بها ولم يبق للخليفة غير بغداد واعمالها والحكم فيها لابن رائق وليس للخليفة الا الخطبة والسكة . فكانت البصرة في يد ابن رايق المذكور وخوزستان في يد البريدي . وفارس في يد عماد الدولة بن بويه وكرمان في يد ابي علي بن الياس . والري واصفهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه ويد وشمكير ابن زيار يتنازعان عليها . والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان . ومصر والشام في يد الاخشيد . والمغرب وافريقيا في يد القايم العلوي . والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الاموي الملقب بالناصر . وخراسان وما وراء النهرين في يد نصر بن احمد بن سامان . وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد ابي طاهر القرمطي — هكذا تجزأت تلك المملكة التي باتحادها ارهبت العالم واخضعت جزءًا كبيرًا من المعمورة في مدة وجيزة . وسنفرد ان شاء الله لكل دولة منها جزءًا من هذا الكتاب خاصا بها بعد ان ننتهي من ذكر بقية خلفاء بني العباس ببغداد الذين سنقتصر عند ذكرهم بذكر اهم الحوادث المتعلقة بهم انفسهم مع ذكر اهم الحوادث المتعلقة بالمشرق في مدتهم

ولما استتب منصب امير الامراء لابن رائق تحكم على الخليفة وضيق عليه فاشار عليه ابن مقلة بان يقبض على ابن رايق ويقيم مكانه بجكم (وقيل بجكم) والي

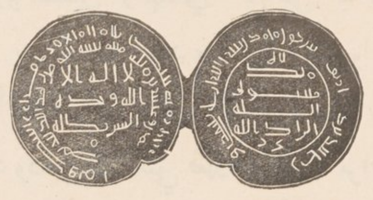
واسط . وسمع ابن رايق بوشاية ابن مقلة ضده فطلب من الخليفة ان يحبسه . فحبسه وضيق عليه جدًّا حتى مات بالحبس سنة ٣٢٨ هـ . وفي هذه السنة ٣٢٨ هـ جهز بحكم المذكور جيشاً سار فيه من واسط الى بغداد يريد خلع ابن رايق من امارة الامراء . فجهز له ابن رايق عسكرًا ايضاً . فهزمهم بحكم وهرب ابن رايق الى عكبرا واستتر . واما بحكم فدخل بغداد فاحسن الخليفة الراضي بالله صلته وخلع عليه و ولاه امارة الامراء . وكانت امارة ابن رايق سنة وعشرة اشهر . وفي سنة ٣٢٩ هـ توفي الراضي بالله في منتصف ربيع الاول وكانت خلافته ست سنين وعشرة ايام وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة وكان اديباً شاعرًا ومن شعره

كل صفو الى كدر   كل امن الى حذر
أيها الآمل الذي   تاه في لجة الغير
اين من كان قبلنا   درس العين والاثر
لادر درّ الشيب من   واعظ ينذر البشر

ومن شعره يرثي اباه المقتدر

ولو ان حياً كان قبرًا لميت   لصيرت احشائي لاعظمه قبرا
ولو ان عمري كان طوع مشيئتي   وساعدني التقدير قاسمته العمرا
بنفسي ثرى ضاجعت في تربة البلا   لقد ضم منك الغيث والليث والبرا

وكان الراضي آخر خليفة من العباسيين جالس الجلساء وآخر خليفة كانت نفقاته وجراياته وخزانته ومطابخه واموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين لان الخلافة امست لتدبير امور الدين غالباً كما ذكرنا



(ش ١٤) نقود الراضي بالله (نقلا عن تاريخ مصر الحديث)

٤٦ - خلافة المتقي بالله بن المقتدر

من سنة ٣٢٩ — ٣٣٣ ﻫ او من سنة ٩٤٠ — ٩٤٤ م

لما مات الراضي بالله بقي الامر موقوفاً انتظاراً لقدوم ابي عبد الله الكوفي كاتب بجكم امير الامراء من واسط واحتيط على دار الخلافة فورد كتاب بجكم مع ابي عبد الله الكوفي يأمر فيه ان يجتمع كل من تقلد الوزارة واصحاب الدواوين والقضاة والعباسيون ووجوه البلد مع سليمان بن الحسين وزير الراضي ويتشاوروا في من يقيمونه خليفة عليهم فاجتمعوا واتفقوا على ابراهيم بن المقتدر وبايعوه بالخلافة ولقبوه المتقي لله . فسير الخلع واللواء الى بجكم الى واسط واقر سليمان على وزارته وليس له منها الا الاسم وانما التدبير كله الى الكوفي كاتب بجكم . وفي هذه السنة (٣٢٩ ﻫ) ارسل بجكم جيشاً لقتال ابي عبد الله البريدي وسار من واسط في أثرهم فأتاه الخبر بنصرة عسكره وهرب البريدي فقصد الرجوع الى واسط فسمع عن محل يوجد به اكراد لهم ثروة عظيمة فشرهت عينه وقصدهم بجماعة قليلة وأوقع بهم فهربوا من بين يديه وجاء صبي من الاكراد من خلفه وطعنه برمح في خاصرته وهو لا يعرفه فمات من تلك الطعنة فاستولى المتقي لله على دار بجكم وأخذ منها أموالاً عظيمة . وأتى البريدي الفرج من حيث لا يحتسب وكانت مدة امارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وأياماً . فدخل البريدي بغداد فاستقبله أعيان البلد وأرسل اليه المتقي يهنئه بسلامته . ثم أرسل البريدي الى المتقي يطلب منه خمسمائة الف دينار ليفرقها في الجند فامتنع عليه . فأنفذ اليه يتهدده ويذكره بما جرى على المعتز والمستعين والمهتدي . فأرسل اليه تمام خمسمائة الف دينار . فلما حصل المال في يده لم يعط الجند منه شيئاً . فشغبوا عليه وحاربوه فهرب منهم هو وأخوه وابنه وأصحابه وانحدروا في النهر الى واسط . فاستولى كورتكين الديلمي على الامور ببغداد ودخل الى المتقي فقلده امارة الامراء وخلع عليه . وبعد قليل عاد محمد بن رايق من الشام الى بغداد وصار أمير الامراء

وفي سنة ٣٣٠ ﻫ قتل ابن رايق وقلد المتقي ناصر الدولة بن حمدان امرة الامراء وخلع على اخيه ابي الحسن علي ولقبه سيف الدولة . وبعد قليل ثار الاتراك بسيف الدولة فكبسوه ليلاً فهرب من معسكره فلما بلغ أخاه ناصر الدولة ذلك سار الى الموصل وكانت امارته ثلاثة عشر شهراً وتولى توزون (ويروى تورون) التركي امارة الامراء . وفي سنة ٣٣٢ ﻫ ظهر ببغداد لص يعرف بابن حمدي فأعجز الناس وأمنه ابن شيرزاد (وهو من أكابر قواد توزون) وخلع عليه واشترط ان يأخذ منه كل شهر خمسة عشر الف دينار مما يكون قد سرقه هو واصحابه فكان يستوفيها منه بالرواتب وهذا مالم يسمع بمثله من شره . وفي سنة ٣٣٣ ﻫ استوحش المتقي لله من توزون امير الامراء وخاف على نفسه منه . فارسل المتقي الى ناصر الدولة بن حمدان يطلب منه انفاذ جيش ليصحبوه الى الموصل فانفذهم مع ابن عمه . فخرج المتقي اليهم في حرمه واهله ووزيره وسار والى الموصل واقام المتقي بها عند ابن حمدان . ثم استوحش من ابن حمدان ايضاً وسار من الموصل الى الرقة . وانفذ رسلاً الى توزون يسأله الصلح . فحلف توزون للخليفة والوزير بالامان . وانحدر المتقي من الرقة في الفرات فلما بلغ هيت اقام بها وارسل الى توزون من يجدد اليمين . فعاد وحلف وسار عن بغداد ليستقبل الخليفة (المتقي) فالتقاه بالسندية ونزل وقبل الارض وقال . ها انا قد وفيت بيميني والطاعة لك . ثم امسك توزون المتقي ووزيره وحرمه وسمل عيني المتقي وانحدر بهم من الغد الى بغداد . فكانت خلافة المتقي ثلاث سنين وستة اشهر

٤٧ - خلافة المستكفي بالله بن المكتفي

من سنة ٣٣٣ هـ — ٣٣٤ هـ او من سنة ٩٤٤ — ٩٤٥ م

لما قبض توزون على المتقي احضر ابا القاسم عبد الله بن المكتفي وولاه الخلافة ولقبه المستكفي بالله وكانت بيعته في صفر سنة ٣٣٣ هـ وكان الذي اوصل امر أبي القاسم الى توزون امرأة عاقلة . فاتخذها المستكفي بعد ذلك قهرمانة له وسماها علم . وفي سنة ٣٣٤ هـ في المحرم مات توزون امير الامراء بداره ببغداد وكانت مدة امارته سنتين واربعة اشهر وتسعة عشر يوماً . ولما مات توزون كان ابن شيرزاد بهيت لتخليص اموالها فلما بلغه موت توزون اسرع الى بغداد فاجتمع اليه الاجناد وعقدوا له الرئاسة عليهم وحلفوا له وولاه المستكفي امرة الامراء وحلف له ايضاً .

ولما علم معز الدولة بن بويه والي الاهواز بموت توزون سار الى بغداد فلما قرب منها اختفى المستكفي وابن شيرزاد امير الامراء الذي لم تكن امارته الا ثلثة اشهر . وقدم حسن بن محمد المهلبي صاحب معز الدولة الى بغداد وسارت الاتراك عنها الى الموصل فظهر المستكفي واجتمع بالمهلبي واظهر له السرور بقدوم معز الدولة ثم وصل معز الدولة واجتمع بالمستكفي وحلف له وخلع عليه ولقبه في ذلك اليوم بمعز الدولة ولقب أخاه علياً عماد الدولة ولقب اخاه حسن ركن الدولة وامر بضرب القابهم وكناهم على الدراهم والدنانير . وبعد قليل بلغ معز الدولة ان علم قهرمانة المكتفي عازمة على ازالته . فلما كان يوم ٢٢ جمادى الاخرى من هذه السنة حضر معز الدولة والناس عند الخليفة ثم دخل رجلان من نقباء الديلم فتناولا يد المسكتفي فظن انهما يريدان تقبيلها فمدها اليهما فجذباه عن سريره وجعلا عمامته في حلقه وساقاه ماشياً الى دار معز الدولة فاعتقل بها واخذت علم القهرمانة وقطع لسانها . وكانت مدة خلافة المسكتفي سنة واربعة اشهر ولما بويع المطيع سلم اليه المسكتفي فسمل عينيه وبقي محبوساً الى ان مات سنة ٣٣٨ هـ

٤٨ – خلافة المطيع لله بن المقتدر

من سنة ٣٣٤ – ٣٦٣ ﻫ او من سنة ٩٤٥ – ٩٧٣ م

هو ابو القاسم الفضل بن المقتدر بويع له يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاخرى سنة ٣٣٤ ﻫ ولقبوه المطيع لله واحضر المستكفي عنده فسلم عليه بالخلافة وأشهد على نفسه بالخلع وازداد امر الخلافة ادباراً ولم يبق لهم من الامر شيء البتة وقد كانوا يراجعون ويؤخذ امرهم فيما يفعل والحرمة قائمة بعض الشيء فلما استولى معز الدولة امرة الامراء زال كل ذلك ولم يبق للخليفة وزير وغاية ما بقي له ان يكون له كاتب يدبر اقطاعه واخراجاته و بالجملة لم يبق بيد المطيع الا ما اقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجاته . وفي سنة ٣٣٦ ﻫ سار معز الدولة ومعه المطيع لاستخلاص البصرة من يد ابي القاسم البريدي فلما علم بقدومهم هرب وملك معز الدولة البصرة . ثم عاد الى بغداد . وفي سنة ٣٣٧ ﻫ سار معز الدولة الى الموصل لاستخلاصها من ناصر الدولة فصالحه على ان يؤدي له عن الموصل والشام كلها ثمانية آلاف الف درهم فقبل معز الدولة ذلك وعاد الى بغداد غانماً . وفي سنة ٣٤٣ ﻫ مرض معز الدولة مرضاً شديداً خاف على نفسه منه فاحضر ابنه بختيار وقلده ولاية العهد وجعله امير الامراء من بعده . وسمع عمران بن شاهين امير البطايح ان معز الدولة مات فاستولى على الاموال التي كانت محمولة لمعز الدولة ثم عوفي معز الدولة من مرضه بعد ذلك فجهز في سنة ٣٥٥ ﻫ جيشاً لمحاربة عمران بن شاهين وسار حتى وصل واسط فانفذ الجيش مع ابي الفضل العباس بن الحسن . ثم مرض معز الدولة مرضاً شديداً اضطره للرجوع الى بغداد واضطر جيشه لمصالحة ابن شاهين . فلما وصل معز الدولة الى بغداد اشتد به المرض ولما ايقن بقرب وفاته عهد الى ابنه بختيار ولقبه عز الدولة واظهر التوبة وتصدق باكثر ماله واعتق مماليكه . ثم توفي في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ ﻫ فكانت امارته احدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً و يومين وتولى بعده امرة الامراء ابنه بختيار المذكور و يلقب بعز الدولة ولكنه اساء السيرة واشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء وغير ذلك من الامور القبيحة . وفي سنة ٣٥٧ ﻫ امسك عز الدولة اخاه حبشي بن معز الدولة وكان بالبصرة وحبسه وكثرت حروب عز الدولة مع امراء البلاد المجاورة له كالموصل وغيرها وكثر شغب جنده عليه ولهم وقايع كثيرة وحوادث يطول شرحها فاغضينا النظر عنها . واستمرت خلافة المطيع لله الى سنة

٣٦٣ هـ فاعتراه مرض الفالج وقد ثقل لسانه وتعذرت الحركة عليه فخلع نفسه من الخلافة وسلمها الى ولده عبد الكريم ولقب الطايع لله وكانت مدة خلافة المطيع لله تسعاً وعشرين سنة وخمسة اشهر



(ش ١٥)　نقود المطيع لله　(عن تاريخ مصر الحديث)

٤٩　خلافة الطايع لله بن المطيع

من سنة ٣٦٣ — ٣٨١ هـ او من سنة ٩٧٣ — ٩٩١ م

بعد ان خلع المطيع نفسه من الخلافة لعجزه كما مر بويع بها ابنه عبد الكريم ولقب بالطايع لله وفي سنة ٣٦٤ هـ اغار عضد الدولة على العراق واستولى عليه ثم ارسل له بختيار يطلب منه التقدم الى بغداد لفتحها وهو يساعده على ذلك (وكان السبب في ذلك هياج الاتراك ضد بختيار لانه بدد الاموال في غير ابوابها ولم يعطهم رواتبهم) فلما سمع الفتكين (احد قواد الاتراك) بقدوم عضد الدولة الى بغداد تجهز لرده عنها فحاصره عضد الدولة ببغداد ومنع الميرة عن البلد حتى غلت الاسعار وكثر نهب العيارين المفسدين في المدينة . واضطر الفتكين في اوقات كثيرة ان يكبس البيوت لطلب الطعام فخربت بغداد من توالي هذه الفتن والحروب . ثم خرج الفتكين من بغداد لقتال عضد الدولة ليجلوه عن المدينة فحصلت بين الفريقين واقعة شديدة دارت الدائرة فيها على الاتراك فساروا عن بغداد الى تكريت فدخل عضد الدولة الى بغداد وقبض على بختيار امير الامراء لعجزه عن القيام بمهام هذه الوظيفة . وكان المرزبان بن بختيار في ذلك الوقت بالبصرة متولياً لها فلما بلغه قبض عضد الدولة على والده امتنع فيها على عضد الدولة وكاتب ركن الدولة وعمران بن شاهين وغيرهما من الامراء المجاورين له لمساعدته

على حرب عضد الدولة فحاربوه وانتصروا عليه واجلوه عن بغداد واعادوا بختيار الى امرة الامراء كما كان . ولكنه لم يلبث الاّ قليلاً حتى عاود عضد الدولة الكرة على بغداد في سنة ٣٦٧ ﻫ وارسل الى بختيار يدعوه الى طاعته وان يسير عن العراق الى اي جهة اراد الا الموصل فخرج بختيار عن بغداد عازماً على قصد الشام ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له بالملك فيها ولم يكن قبل ذلك يخطب لاحد ببغداد وضرب على بابه ثلاث نوب . ولم تجر بذلك عادة من تقدمه . اما بختيار فلما سار عن بغداد الى الحديثة اتاه ابو تغلب في عشرين الف مقاتل وساروا جميعاً نحو العراق . فبلغ ذلك عضد الدولة فسار عن بغداد نحوهما فالتقوا بنواحي تكريت فهزمهما واسر بختيار وقتله . وكانت مدة امارة بختيار احدى عشرة سنة وشهوراً

وفي سنة ٣٦٩ ﻫ راسل عضد الدولة اخويه فخر الدولة ومؤيد الدولة يدعوهما الى طاعته وموافقته اما مؤيد الدولة فاجاب راغباً واما فخر الدولة فاجاب جواب المناظر المناوئ فنقم عليه عضد الدولة ذلك وسار نحو همذان وبها فخر الدولة فخافه ذاكراً قتل ابن عمه بختيار فخرج هارباً وقصد جرجان فنزل على شمس المعالي قابوس بن وشمكير والتجأ اليه فامنه وأواه وحمل اليه فوق ما حدثته نفسه . وفي هذه السنة حدث لعضد الدولة صرع وكان هذا قد اخذه بالموصل فكتمه وصار كثير النسيان لايذكر شيئاً الا بعد الجهد وكتم ذلك ايضاً . ثم رجع عضد الدولة الى بغداد وشرع هذه السنة في عمارة بغداد وكانت قد خربت من توالي الفتن وعمر مساجدها واسواقها وفرق الاموال على الائمة والعلماء والقراء والغرباء والضعفاء الذين يأوون الى المساجد . واذن لوزيره نصر بن هرون وكان نصرانياً في عمارة البيع والاديرة واطلاق الاموال لفقرائهم وجدد ما دثر من الانهار واعاد حفرها وتسويتها . وفيها تجددت الصلة بين الطائع وبين عضد الدولة فتزوج الطايع ابنته وكان غرض عضد الدولة ان تلد ابنته ولداً ذكراً فيجعله ولي عهده فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب وكان الصداق مايةالف دينار

وفي سنة ٣٧١ ﻫ فتح المارستان العضدي غربي بغداد ونقل اليه جميع ما يحتاج اليه من الادوية . وفي سنة ٣٧٢ ﻫ اشتدت علة عضد الدولة وهو ما كان يعتاده من الصرع فضعفت قوته عن دفعه فخنقه ومات منه في ثامن شوال ببغداد وكانت ولايته بالعراق خمس سنين ونصفاً . وجلس ابنه صمصام الدولة ابو كاليجار للعزاء فاتاه الطايع معزياً . وكان عمر عضد الدولة سبعاً واربعين سنة . وكان قد سير ولده شرف الدولة

ابا الفوارس الى كرمان مالكاً لها . وكان عضد الدولة عاقلاً فاضلاً حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة ثاقب الرأي محباً للفضائل واهلها باذلاً في مواطن العطاء ومانعاً في اماكن الحزم ناظراً في عواقب الامور . وبعد وفاة عضد الدولة تولى الامر بعده ولده صمصام الدولة ابو كاليجار وخلع على اخويه ابي الحسين احمد وابي طاهر فيروزشاه فاقطعهما فارس . وكان اخوهم الآخر شرف الدولة بكرمان فسبقهما الى شيراز فملكها . وفي سنة ٣٧٣ ﻫ مات مؤيد الدولة بجرجان فعاد اخوه فخر الدولة الى مملكته واتفق مع صمصام الدولة وصارا يداً واحدة . وفي هذه السنة استولى باد الكردي الحميدي على الموصل واشتدت شوكته حتى طمع في بغداد وازالة الديلم عنها . فخافه صمصام الدولة وهمه امره وشغله عن غيره وجمع العساكر فساروا الى باد وخرج اليهم فالتقوا في صفر سنة ٣٧٤ ﻫ فاقتتلوا وانجلت الواقعة عن هزيمة باد واصحابه وملك الديلم الموصل . وفي سنة ٣٧٧ ﻫ سار شرف الدولة ابو الفوارس بن عضد الدولة من الاهواز الى واسط فملكها . فخافه اخوه صمصام الدولة وسار اليه في طيار ومعه بعض خواصه فلقيه وطيب قلبه . فلما خرج من عنده قبض عليه وسار فوصل الى بغداد في شهر رمضان واخوه صمصام الدولة معه تحت الاعتقال وكانت امارته بالعراق اربع سنين . وفي سنة ٣٧٩ ﻫ مرض شرف الدولة فلما اشتدت علته قيل له : الدولة مع صمصام الدولة على خطر فان لم تقتله فاسمله فسمله وحبسه مع اخيه ابي طاهر في بعض القلاع بفارس . وفيها في مستهل جمادى الاخرى مات الملك شرف الدولة ابو الفوارس شريزيل بن عضد الدولة مستسقياً وكانت امارته بالعراق سنتين وثمانية اشهر وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة . وولي الامر بعده اخوه بهاء الدولة ابو نصر . اما ابنه ابو علي فكان سيره الى بلاد فارس واصحبه الخزائن والعدد وجماعة كثيرة من الاتراك ولما بلغ موت شرف الدولة المرتبين في القلعة المسجون فيها صمصام الدولة واخوه ابو طاهر اطلقوهما ومعهما فولاذ . فساروا الى شيراز واجتمع على صمصام الدولة وهو اعمى كثير من الديلم واستولى على فارس وملكها . واما ابو علي بن شرف الدولة فارسل اليه عمه بهاء الدولة وطيب قلبه فسار اليه فلما وصل عنده امسكه وقتله

وفي سنة ٣٨١ ﻫ قبض بهاء الدولة على الطايع بن المطيع وحمل الى دار بهاء الدولة فحبس بها واشهد عليه بالخلع واخذ بهاء الدولة ما بدار الخلافة من الذخائر . وكان الشريف الرضي موجوداً حين القبض على الطايع لله فقال في ذلك ابياتاً منها

من بعد ماكان رب الملك مبتسماً الي ادنوه في النجوى ويدنيني
امسيت ارحم من قد كنت اغبطه لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني يا قرب ماعاد بالضراء يبكيني
هيهات اغتر بالسلطان ثانية قد ضل ولاج ابواب السلاطين

وكانت مده خلافة الطايع لله سبع عشرة سنة وثمانية شهور وستة ايام • ولما ولي القادر بالله الخلافة حمل اليه الطايع فبقي عنده الى ان توفي سنة ٣٩٣ ﻫ ولم يكن له من الحكم في ولايته ما يعرف به حال يستدل به على سيرته

٥٠ - خلافة القادر بالله بن اسحق بن المقتدر

من سنة ٣٨١ — ٤٢٢ ﻫ او من سنة ٩٩١ — ١٠٣١م

لما قبض على الطايع لله ذكر بهاء الدولة من يصلح للخلافة فاتفقوا على القادر بالله وهو ابو العباس بن اسحق بن المقتدر بن المعتضد وكان بالبطيحة • فارسل اليه بهاء الدولة خواص اصحابه ليحضروه الى بغداد ليتولى الخلافة • فلما وصل اليه الرسل وجدوه في تلك الساعة يحكي مناماً رآه تلك الليلة يدل على خلافته • فسار القادر بالله الى بغداد واستقبله بهاء الدولة واعيان الناس وساروا في خدمته حتى دخل دار الخلافة حيث بايعه بهاء الدولة والناس وخطب له ثالث عشر رمضان سنة ٣٨١ ﻫ

وفي سنة ٤٠١ ﻫ توفي بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه وولي الملك بعده ابنه سلطان الدولة ابو شجاع • وفي سنة ٤١١ ﻫ عظم امر ابي علي مشرف الدولة بن بهاء الدولة ثم ملك العراق وازال عنه اخاه سلطان الدولة • وفي سنه ٤١٥ ﻫ توفى سلطان الدولة بشيراز وتولى بعده ابنه ابوكاليجار • وفي سنة ٤١٦ ﻫ توفى مشرف الدولة ابو علي بن بهاء الدولة وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة وثلاثة اشهر وملكه خمس سنين وخمسة وعشرين يوماً • وخطب ببغداد لاخيه ابي طاهر جلال الدولة • وفي سنة ٤٢٢ ﻫ في ذي الحجة توفى الامام القادر بالله وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر وخلافته احدى واربعون سنة • وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والاتراك

فلما وليها القى الله هيبته في قلوب الخلق فاطاعوه احسن طاعة . وكان حليماً كريماً ديناً وكان يخرج من داره في زي العامة ويزور قبور الصالحين

٥١ - خلافة القايم بأمر الله بن القادر بالله

من سنة ٤٢٢ — ٤٦٧ هـ او من ١٠٣١ — ١٠٧٤ م

لما مات القادر بالله جلس في الخلافة ابنه القايم بأمر الله ابو جعفر عبدالله وجددت له البيعة وكان ابوه قد بايع له بولاية العهد سنة ٤٢١ هـ . وفي هذه السنة (٤٢٢ هـ) حصلت فتنة ببغداد بسبب انقطاع رواتب العمال لاستبداد القواد بالمال فهاجت العساكر حتى خاف جلال الدولة على نفسه وهرب الى عكبرا . وخطب الاتراك ببغداد للملك ابى كاليجار وراسلوه يسألونه القدوم الى بغداد فاستشار احد وزرائه فنهاه عن ذلك . فلما علموا امتناعه اعادوا خطبة جلال الدولة وساروا اليه وسألوه العود الى بغداد واعتذروا له عما كان منهم فعاد اليها بعد ثلاثة واربعين يوماً . وانحل امر الخلافة والسلطنة معاً ببغداد حتى ان بعض الجند خرجوا في سنة ٤٢٦ هـ الى قرية يحيي فلقيهم اكراد فاخذوا دوابهم وساروا الى قراح الخليفة القايم بأمر الله فنهبوا شيئاً من ثمرته وقالوا للعاملين فيه انتم علمتم حال الاكراد ولم تعلمونا فسمع الخليفة الحال فعظم عليه ولم يقدر جلال الدولة على أخذ اولئك الاكراد لعجزه ووهنه . واجتهد في تسليم الجند لنائب الخليفة فلم يمكنه ذلك فتقدم الخليفة الى القضاة بترك القضاء والامتناع عنه . والى الفقهاء بترك الفتوى فلما رأى جلال الدولة ذلك سأل اولئك الجنود ليجيبوا ان يحملهم الى ديوان الخلافة ففعلوا فلما وصلوا الى دار الخلافة أطلقوا . وكثرت اللصوصية ببغداد الى حد خشي معه السكن فيها لعجز السلطان عن قهرهم وانتشر العرب في البلاد فنهبوا النواحي وقطعوا الطريق وبلغوا الى اطراف بغداد حتى وصلوا الى جامع المنصور واخذوا ثياب النساء في المقابر . وفي سنة ٤٢٩ هـ لقب جلال الدولة بملك الملوك وصار يخاطب

بهذا اللقب السامي . وفي سنة ٤٣٤ هـ وقعت الوحشة بين الخليفة القايم بأمر الله
والملك جلال الدولة لأخذ الاخير اموالاً كانت مقررة للخلفاء من ذي قبل ولم
يشأ ردها . وفي سنة ٤٣٥ هـ توفي الملك جلال الدولة في بغداد في سادس شعبان
من هذه السنة وكانت مدة ملكه ببغداد ست عشرة سنة واحد عشر شهراً .
وتولى بعده ابو كاليجار ولقبه الخليفة بمحيي الدين . وفي ايامه قويت شوكة
السلجوقيين الذين كانوا قد ظهروا من مدة وامتلكوا خراسان وجرجان وكرمان
فخافهم الملك أبوكاليجار فارسل في سنة ٤٣٩ هـ الى السلطان ركن الدين طغرلبك
السلجوقي في الصلح فأجابه اليه واصطلحا وكتب طغرلبك الى اخيه يأمره بالكف
عما وراء ما بيده واستقر الحال بينهما ان يتزوج طغرلبك بابنة ابي كاليجار ويتزوج
الامير منصور بن ابي كاليجار بابنة الملك داود اخي طغرلبك وجرى العقد في
شهر ربيع الآخر من هذه السنة . وفي سنة ٤٤٠ هـ توفي الملك ابو كاليجار المرزبان
ابن سلطان الدولة رابع جمادي الاولى وكانت مدة ملكه بالعراق بعد وفاة جلال
الدولة اربع سنين وشهرين ونيفاً وعشرين يوماً . وكانت وفاته بمدينة جناب من
كرمان التي كان قصدها لفتحها . فلما بلغ خبر وفاته الى بغداد وبها ولده الملك
الرحيم ابو نصر احضر الجند واستحلفهم له . وراسل الخليفة القائم بأمر الله في معنى
الخطبة له وتلقيبه الملك الرحيم وترددت الرسائل بينهم فاجابه الخليفة الى ماطلب
ما عدا الملك الرحيم فان الخليفة امتنع من اجابته . وقال لايجوز ان يلقب
بأخص صفات الله تعالى فاستقر ملكه بالعراق والبصرة وخوزستان . وفي سنة
٤٤١ هـ ملك البساسيري الانبار ودخلها اصحابه . وفي سنة ٤٤٢ هـ ملك السلطان
طغرلبك اصفهان . وفي ٤٤٦ هـ استولى طغرلبك على اذربيجان وفي سنة ٤٤٧ هـ
وصل طغرلبك الى بغداد وخطب له . وبامتلاكه بغداد زال ملك بني بويه بعد
ان ملك الملك الرحيم اخرهم ست سنين وعشرة ايام . وفي سنة ٤٤٨ هـ زفت
ارسلان خاتون واسمها خديجة ابنة داود اخي طغرلبك الى الخليفة القائم بأمر الله .
وفي سنة ٤٥٠ هـ سار البساسيري احد عمال المستنصر بالله خليفة مصر الى بغداد

فدخلها وخطب في جوامعها للمستنصر وابعد الخليفة القائم عن بغداد وكان طغرلبك مشتغلا بقتال اخيه ابرهيم نيال فلما قتل اخاه واستراح منه عاد الى العراق لرد الخليفة القائم الى مقره وارسل الى البساسيري يقول له رد الخليفة الى مكانه وانا ارضى منك بالخطبة فلم يجب البساسيري فحاربه طغرلبك وظفر به وقتله . وفي سنة ٤٥١ هـ ورد الخليفة القايم بأمر الله وخرج طغرلبك لملاقاته واجتمع به واعتذر عن تأخره بعصيان اخيه وصحبه الى داره بكل تجلة حتى أخذ بلجام بغلة الخليفة الى ان صار على باب حجرته

وفي سنة ٤٦٣ هـ خرج رومانوس ملك الروم في مائة الف ووافى في تجمل كثير وزي عظيم فوصل الى ملاذ كرد من أعمال خلاط . وكان السلطان الب ارسلان بمدينة خونج من اذر بيجان فسار اليه في خمسة عشر الف فارس اذ لم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو . فجد في السير فلما قرب العسكران ارسل السلطان الى رومانوس الملك يطلب منه المهادنة . فقال . لا أهادن الا بالري فانزعج السلطان لذلك . فلما كان يوم الجمعة بعد الزوال صلى و بكى فبكى الناس لبكائه . وقال لهم . من أراد الانصراف فلينصرف فما هنا سلطان يأمر و ينهى والقى القوس والنشاب . وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط . ثم قال . ان قتلت فهذا كفني . وزحف الى الروم وزحف الروم اليه والتقى الفريقان واشتد القتال فصبر الشجاع وهرب الجبان وما زالا في أخذ ورد حتى انهزم عسكر الروم وأسر الملك رومانوس أسره بعض المماليك اسمه شادي . وكان قد حضر عنده مع رسول فعرفه فلما رآه نزل وسجد له وقصد به السلطان . فضربه ثلاث مقارع بيده وقال له . ألم أرسل اليك في المهادنة فأبيت . فقال . دعني من التوبيخ وافعل ما تريد . فقال السلطان . ماعزمت ان تفعل بي ان اسرتني . فقال القبيح . قال له . فما تظن انني افعل بك . قال . اما تقتلني واما أن تشهرني في بلادك والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال واصطناعي نائباً عنك . قال . ماعزمت على

غير هذا . ففداه بألف ألف دينار وان يطلق كل أسير عنده من المسلمين واستقر على ذلك وأجلسه معه على سريره وأنزله في خيمة وأرسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها وأطلق جماعة من البطارقة وخلع عليه وعليهم وسير معه معسكرًا يوصلونه الى مأمنه وشيعه فرسخًا . أما الروم فلما بلغهم خبر الواقعة وثب ميخائيل (السابع) على المملكة فملك البلاد . فلما وصل رومانوس الى قلعة دوقية و بلغه الخبر لبس الصوف وأظهر الزهد وأرسل الى ميخائيل يعرفه بما تقرر مع السلطان . وجمع رومانوس ما عنده من المال فكان مائتي الف دينار فأرسله الى السلطان وحلف له انه لا يقدر على غير ذلك . وفي أول سنة ٤٦٥ هـ قصد السلطان الب ارسلان محمد بن داود جغري بك ما وراء النهر فعقد على جيحون جسرًا وعبر عليه في نيف وعشرين يومًا وعسكره يزيد على مائتي الف فارس فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعة اسمه يوسف الخوارزمي وحمل الى قرب سريره مع غلامين فتقدم ان يضرب له أربعة أوتاد ويشد أطرافه اليها . فقال يوسف . يامخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه فخلياه . ورماه السلطان بسهم فأخطأه فوثب يوسف يريده . فقام السلطان عن السرير ونزل عنه فعثر فوقع على وجهه . فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته . ونهض السلطان فدخل في خيمة أخرى . وضرب بعض الفراشين يوسف بمرذبة على رأسه فقتله . ولما جرح السلطان . قال ما من وجه قصدته وعدو أردته الا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي « أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد عليّ » فعجزني الله تعالى بأضعف خلقه وأنا استغفر الله تعالى » وتوفي عاشر ربيع الاول من هذه السنة بعد ان أوصى بالسلطنة من بعده لابنه ملك شاه . وكان عمره أربعين سنة وشهورًا ومدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة الى ان قتل تسع سنين وستة أشهر فملك بعده ابنه ملكشاه كوصية أبيه وكان موجودًا في عسكر أبيه فحلف له جميع القواد والعساكر

بالسمع والطاعة . فسار ملكشاه متمماً مقاصد أبيه في الغزو والفتح فوصل الري . ثم سمع قاروت بك أخو السلطان الب أرسلان بموته فسار الى الري قاصداً الاستيلاء على ممالكه فكان ملك شاه سبقه اليها كما تقدم فدارت رحى الحرب بينهما فانهزم قاروت بك وأصحابه واستتب الامر للسلطان ملك شاه ثم سار الى ترمز وحصرها وطم عسكره خندقها ورماها بالمنجنيق فخاف من بها وطلبوا الامان فأمنهم . ودخل المدينة وأمر بعمارتها وتحصينها . وسار السلطان ملك شاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وأرسل يطلب المصالحة فأجيب الى ذلك واصطلحوا وعاد ملك شاه عنه الى خراسان ثم منها الى الري واقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين تكش

وفي سنة ٤٦٦ هـ زادت الدجلة زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية وجاء في الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة فغرق الجانب الشرقي من بغداد وهلك خلق كثير تحت الهدم . وفي سنة ٤٦٧ هـ ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفي القائم بأمر الله . ولما أيقن بالموت أحضر النقيبين وقاضي القضاة والوزير ابن جهير وأشهدهم على نفسه انه جعل ابن ابنه ابا القاسم عبد الله بن محمد بن القائم ولي عهده . وكان عمر القائم ستاً وسبعين سنة وثلاثة أشهر وخلافته أربعاً وأربعين سنة وتسعة أشهر

٥٣ — خلافة المقتدى بامر الله بن محمد بن القايم

من سنة ٤٦٧ — ٤٧٨ هـ او من سنة ١٠٧٤ — ١٠٩٤ م

لما توفي القايم بامرالله اجتمع العلماء والاعيان وبايعوا عبدالله بن محمد بن القايم . ولقب المقتدي بامر الله وأول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي فانه لما فرغ من غسل القايم بايعه وأنشد :

اذا سيد منا مضى قام سيد

ثم ارتج عليه فقال المقتدي :   قؤول لما قال الكرام فعول

وفي سنة ٤٦٨ ﻫ أرسل تاج الدولة تتش بن الب أرسلان أحد قواده المدعو اقسيس (بعد ان فتح الرملة و بيت المقدس وكانتا في يد العلويين أصحاب مصر) الى دمشق فحاصرها فغلت الاسعار فبيعت الفرارة باكثر من عشرين ديناراً فسلموها بالامان وخطب فيها للمقتدي العباسي وكان ذلك آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين . وفي أول سنة ٤٧٢ ﻫ سار السلطان ملكشاه الى بلاد كرمان فلما سمع صاحبها سلطان شاه بن قاروت بك (وهو ابن عم السلطان) بوصوله اليها خرج الى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة و بالغ في خدمته فأقره السلطان على بلاده وعاد عنه الى أصبهان . وفي سنة ٤٧٣ ﻫ عصي تكش على أخيه السلطان ملك شاه وانضم اليه سبعة آلاف رجل من أصحاب ملكشاه كان طردهم من خدمته فقوي أمره بهم واستولى على مرو وترمذ وطمع في جميع خراسان فلما سمع ملكشاه خبره اسرع اليه فدخل نيسابور قبل ان يستولي تكش عليها . ولما بلغ تكش قربه منها سار عنها وتحصن بترمذ فسار اليه السلطان وحاصره بها وشدد عليه الحصار حتى طلب الامان فأمنه وسار عن ترمذ . وفي سنة ٤٧٤ ﻫ زفت ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة المقتدي بالله بعد ان اشترطوا عليه شروطاً قبلها . منها أن لا يكون له زوجة ولا سرية غيرها . وفي سنة ٤٧٨ ﻫ وصل أمير الجيوش في عساكر مصر الى الشام لاستخلاص دمشق فحاصرها وبها صاحبها تاج الدولة تتش فضيق عليه وقاتله فلم يظفر منها بشيء فرحل عنها عائداً الى مصر . وفي سنة ٤٧٩ ﻫ عاد السلطان ملك شاه الى بغداد بعد ان فتح كثيراً من مدن الجزيرة والشام وأرسل هدايا كثيرة للخليفة فقبلها . وكذلك أرسل اليه نظام الملك وزير ملك شاه بهدايا فقبلها أيضاً . وفي سنة ٤٨٢ ﻫ سار السلطان ملك شاه الى ما وراء النهر و بلغ سمرقند وافتتحها بعد ان فتح كثيراً من المدن غيرها ثم رجع الى بغداد فدخلها في سنة ٤٨٤ ﻫ . وفي سنة ٤٨٥ قتل نظام الملك وزير السلطان ملك شاه بايعازه وكان عاقلاً حازماً مدبراً للامور لا يخلو مجلسه

من العلماء وأهل الخير والصلاح . فلما قتل رثاه كثير من الشعراء فمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة   يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الايام قيمتها   فردها غيرة منه الى الصدف

فولى السلطان الوزارة لتاج الدولة . وفي هذه السنة نفسها مات السلطان ملك شاه وكان سبب وفاته أنه خرج لصيد وعاد ثالث شوال مريضاً لانه اكل لحم صيد فحم فافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل في مرضه وكانت حمى محرقة فتوفي ليلة الجمعة النصف من شوال . وسترت زوجته تركان خاتون موته وكتمته وسارت من بغداد والسلطان معها محمولاً . وبذلت الاموال للامراء واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الدولة وزيرها يتولى ذلك وأرسلت الى الخليفة المقتدي في الخطبة فاجابها وخطب لمحمود وعمره أربع سنين ولقب « ناصر الدنيا والدين » وسارت تركان خاتون من بغداد الى أصفهان وبها بركيارق وهو اكبر أولاد السلطان . فخرج منها هو ومن معه من الامراء وساروا نحو الري . فسيرت تركان خاتون العساكر لقتال بركيارق فانحاز جماعة منهم الى بركيارق فقوي بهم وعاد الى أصفهان وحاصرها . وكان تاج الدولة مع عسكر خاتون فأخذ وحمل الى بركيارق فهجم النظامية عليه وقتلوه . وفي سنة ٤٨٧ هـ قدم بركيارق الى بغداد وخطب له بها بالسلطنة ولقب ركن الدولة . وفي خامس عشر محرم من هذه السنة توفي الامام المقتدي بامر الله فجاءة وقد أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه . فقرأه وتدبره وعلم . ثم قدم طعام فاكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار . فقال لها . ما هذه الاشخاص التي دخلت عليّ بغير اذن . (قالت) فالتفتُّ فلم ار شيئاً ورأيته قد تغيرت حالته وانحلت قوته وسقط الى الارض ميتاً وقلت لجارية عندي ان صحت قتلتك واحضرت الوزير فاعلمته الحال . فشرعوا في البيعة لولي العهد وجهزوا المقتدي ودفنوه . وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة وثمانية اشهر وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية اشهر

٥٣ – خلافة المستظهر بالله بن المقتدي

من سنة ٤٨٧ — ٥١٥ ه او من سنة ١٠٩٤ — ١١١٨ م

لما توفي المقتدي بأمر الله احضر ولده أبو العباس أحمد وبويع له . ولقب المستظهر بالله . وفي هذه السنة كانت الحرب بين السلطان بركيارق وعمه تتش والسبب في ذلك ان تتش بن الب أرسلان صاحب دمشق الشام لما بلغه خبر موت السلطان ملك شاه طمع في السلطنة فجمع العساكر واستولى على هيت والموصل وديار بكر واذربيجان . فلما بلغ السلطان بركيارق استيلاء تتش على اذربيجان وكان في ذلك الوقت بنصيبين سار هو من نصيبين وعبر دجلة وما زال سائراً حتى لم يبق بينه وبين عمه الا تسعة فراسخ ولم يكن معه الا الف رجل وكان عمه في خمسين الف رجل وارسل اليه عمه أحد قواده فحاربه السلطان بركيارق فانهزم السلطان بركيارق وفر هارباً مع ثلاثة من كبار قواده الى اصبهان وكانت لاخيه محمود فمنعه من الدخول اليها ثم صرح له بالدخول بعد ذلك خديعة منه ليقتله فدخل الملك بركيارق أصبهان ووضع تحت الحفظ . ومن غريب الاتفاق ان أخاه السلطان محموداً مرض بعد قليل ثم مات فاستحسن أهل أصبهان ان لا يملك عليهم أحد غريب فملكوا عليهم بركيارق . فكان هذا من الفرج بعد الشدة ثم كاتب الامراء والعراقيين والخراسانيين فاستمالهم اليه فقوي حزبه وكثر عسكره بعد ان كان مطروداً . فلما سمع تتش بملك بركيارق لاصبهان أرسل اليه أحد الامراء ليتجسس أحواله فجاء الامير وأخبر بركيارق عزم تتش فجمع بركيارق ما قدر على جمعه من العساكر وسار بهم الى عمه تتش . وانضم اليه في اثناء سيره جموع كثيرة من أماكن متعددة حتى بلغ عسكره ثلاثين الفاً فالتقوا بموضع قريب من الري فانهزم عسكر تتش وثبت هو حتى قتل . واستتب الامر بعد مقتل تتش للسلطان بركيارق . واذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه بالامس ينهزم من عمه تتش ويرحل الى اصبهان في نفر يسير فلا يتبعه أحد ولو أرسل

وراءه تتش عشرين فارساً لامكنهم أسره لانه بقي على ابواب أصبهان أياماً . ثم لما دخلها أراد به أخوه وامراؤه شرًّا فمات أخوه وملك هو بعده و بقي مدة بعد ملكه يجتهد في جزب الاحزاب اليه فلو زحف اليه عمه تتش في هذه المدة من المؤكد أنه كان ينتصر عليه لقلة جموعه وكثرة من مع تتش فلله درّ من قال

ولله سرفي علاك وانما　كلام العدا ضرب من الهذيان

وفي سنة ٤٨٩ هـ حكم المنجمون بطوفان يكون في الناس يقارب طوفان نوح . فاحضر الخليفة ابن عيسون المنجم فسأله فقال . ان طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت والآن فقد اجتمع ستة منها وليس فيها زحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن أقول ان مدينة أو بقعة من الارض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون . فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد . فاحكمت الحسنيات والمواضع التي يخشى منها الانفجار فاتفق أن الحجاج نزلوا في وادي المناقب فاتاهم سيل عظيم فاغرق اكثرهم ونجا من تعلق بالجبال وذهب المال والدواب والازواد فخلع الخليفة على المنجم . وفي سنة ٤٩٠ هـ جهز السلطان بركيارق العساكر مع أخيه الملك سنجر وسيرها الى خراسان لقتال عمه أرسلان أرغون . وفي أثناء مسيرهم اليه قتل أرسلان وكان قد قتله أحد غلمانه فقيل له . لم فعلت هذا . قال لاريح الناس من ظلمه . فلما وصل الملك سنجر ومن معه الى الدامغان بلغهم قتل عمه أرسلان أرغون فانتظروا حتى لحقهم السلطان بركيارق الى نيسابور فملكها بغير قتال وكذلك باقي البلاد الخراسانية فاقر السلطان بركيارق أخاه الملك سنجر عليها . وفي سنة ٤٩١ هـ وصلت جموع الصليبيين الى بلاد المسلمين واستخلصوا منهم كثيرا من البلاد ونظراً لما لهذه الحروب المسماة الحروب الصليبية من الاهمية في تاريخ الاسلام فساذكر السبب فيها والاستمداد باورو با لاجلها وما كان منها الى أن استولى الصليبيون على الشام وصار منهم ملك عليه مقره بيت المقدس وكل ذلك ينحصر في عمل التجريدة الاولى والثانية

الصليبية . وأما تغلب المسلمين على الصليبيين واسترجاعهم البلاد منهم الى آخر الحروب الصليبية فستذكر انشاء الله في ذكر الدولة الايوبية لانها هي التي تولت هذا الامر بقيادة بطلها الشهير الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب

٥٩ - الحروب الصليبية

(التجريدة الاولى) سبب هذه الحروب المهلكة هي التعصبات الدينية العمياء فلو اقتدى المسلمون في ذاك العصر الذي نحن بصدده بابي بكر الصديق في الرفق بالنصارى كما أوصى غزاته الاولين أو بعمر بن الخطاب اذ لم يشاء ان يصلي في كنيسة القدس لئلا يقول المسلمون بعده هنا صلى عمر . أو لو تركوا النصارى وما يدينون كما أمروا لنجا المسلمون والنصارى من غوائل الحروب التي خربت بلاد الشام مدة قرنين . ولكن قام في مصر الخلفاء العلويون ونازعوا الخلفاء العباسيين الولاية على سورية واذاقوا النصارى الامرين بعد ان كانوا يترفون بعدالة هرون الرشيد وأولاده واحفاده . وقام من العلويين الحاكم بامر الله (تجد ترجمة حياته في ذكر الدولة الفاطمية فصل ١٥٤) فعذب النصارى واليهود وبعض المسلمين أيضاً ودك معابدهم حتى أحرق كنيسة قبر المسيح . ومنعوا النصارى من ان يحجوا الى القدس الا اذا دفعوا ضريبة فاحشة . وكان النصارى في ذلك الوقت متمسكين بالتقليدات البابلوية تمسكاً أعمى حتى كان الشخص يعتقد أنه ان لم يحج الى بيت المقدس لا يدخل السماء . فدعتهم فروضهم الدينية ان يهتموا بامر بيت المقدس حتى يمكنهم ان يحجوا اليهِ بلا مانع يمنعهم في اي وقت شاؤا . ولما ظهرت الدولة السلجوقية وقوي امرها ضايقوا ملك الروم الكسيس كومنانس وانتزعوا اكثر املاكه واوشكوا ان يحصروه في قسطنطينية عاصمة ملكه فلجأ الى ملوك اوربا وأوفد اليهم وفوداً يستجير بهم ويبالغ في مضايقة المسلمين له وفي احتقارهم الدين المسيحي وسطوهم على الكنائس

والاديار و يسالهم الاخذ بناصره والانتصار لدينهم واستنقاذ قبر المخلص من أيديهم ويزين لهم كسب مافي المشرق من الكنوز والذخائر المقدسة والآثار الجليلة

وفي ذلك الوقت ظهر رجل يقال له بطرس الناسك كان متزوجاً وذا أولاد ولكن لاسباب لا يعلمها الا الله ترك عائلته وترهب وانفرد سائحاً متنسكاً و بعد مدة التصق ببعض الزوار الذين كانوا ذاهبين لزيارة الاراضي المقدسة في فلسطين فزار مدينة أورشليم (القدس) واقام فيها أياماً وزار سمعان بطريرك هذه المدينة وحدثه سائلاً اياه عن حالهم فنم اليه البطريرك ما يقاسون خاصة من مغالبة المسلمين على مدينتهم فسأله بطرس . اليس من علاج لهذه الشؤون . فقال البطريرك . اثامنا ابعدت بيننا وبين الهنا فلا يستجيب دعاءنا وكأن عقابنا لم يكمل بعد . فاشار عليه السائح ان يرفع رسائل الى الحبر الروماني وامراء النصارى في المغرب وهو يوصل رسائله اليهم و يصنع مايقدره الله عليه لاجابة سؤاله فراق هذا الكلام للبطريرك وكتب رسائله ودفعها الى بطرس السائح . فأتى رومية ودفع رسالة البطريرك الى البابا اوربانس الثاني فأجله وأبدى ارتياحه الى مساعدة نصارى المشرق . ومضى بطرس السائح يطوي الفيافي بايطاليا وفرنسا حافي القدمين مكشوف الرأس حاملاً صليباً مغرياً الكبراء والعامة ايضاً على نجدة نصارى المشرق . اما الحبر الروماني فعقد مجمعاً في بلاسنس بنرمندية اجتمع فيه ميئتا اسقف ونحو اربعة الاف اكليركي واكثر من ثلاثين الفاً من العامة وكان من ضمن الحضور وفود الكسيس ملك الروم فتضرعوا الى الحبر الروماني وامراء المغرب ان يمدوا ملكهم و ينجدوه على اعدائه حباً بخير الكنيسة والدين الذي كاد يتلاشى في المشرق فحث البابا المؤمنين على ان يمدوا ملك الروم . فاقسم كثيرون من الحاضرين ان يسيروا الى القسطنطينية لامداد الملك وعزم الحبر الروماني ان يسير الى فرنسا و يعقد فيها مجمعاً فسار اليها بحراً واستدعى الاساقفة الى الاجتماع في كلرمون باوفرينا في الثامن عشر من اكتوبر سنة ١٠٩٥م فاجتمعوا في اليوم المعين واجتمع بها معهم حشد من الناس يشذعن العد من الامراء

والسفراء والوجهاء والعامة حتى ضاقت بهم المدينة وضواحيها وبعد ان بحث المجمع في كثير من المسائل الدينية والتهذيبية وقررها . عقد المجلس العاشر في ساحة فسيحة في المدينة . فقام بطرس السائح (او هو الناسك) وخطب في الجماعة خطبة حماسية رنانة وكان فصيحاً بليغاً شديد الحجة فكان لخطبته وقع شديد في قلوب سامعيه حتى كادوا يحاولون ان يطيروا من كلرمون الى اورشليم . وخطب بعده البابا « اوربانس الثاني » وكان افرنسي المولد فحض ابنا وطنه والمسيحيين اجمع على استنقاذ الارض المقدسة بفصاحة غريبة حتى نهض السامعون اجمعون وضجوا صارخين بفم واحد Dieu le veut ! Dieu le veut (ان الله يريد ذلك . ان الله يريد ذلك) فقال البابا فليكن هذا الكلام شعاراً لكم في كل عمل صالح تأتونه وللحال عزم اكثر السامعين على المسير الى المشرق . وكان اويمر (اسقف بوي) اول من اخذ من يد البابا الصليب « شعار الصليبيين في حملاتهم الى المشرق » . ولاجل تنشيط المسيحيين عامة في اوربا وترغيبهم في الذهاب الى المشرق اشهر البابا المذكور لكل من يتجند في هذا العمل المبرور (حسب زعمه) انعامات خصوصية . وكان الانعام الاول ابطال التأديبات القصاصية المفروضة بقوانين ثقيلة على الخطاة الذين بذهابهم الى بلاد فلسطين كانوا يعفون عن ثقل وصرامة قوانين التوبة التي كانوا ملتزمين بممارستها . الانعام الثاني ان المحاربين الصليبيين يعفون من دفع الفوائد . الانعام الثالث . ان كل من يصدر منه اغتصابات غير عادلة نحو الصليبيين يكون تحت الحرم الكبير (الاناثيما) . الانعام الرابع ان جميع الصليبيين وافراد عيالهم مع كل نوع من ارزاقهم وامتعتهم يكونوا تحت حماية الكنيسة الجامعة والرسولين بطرس و بولس

فلما أخذ الاسقف أويمر الصليب من البابا تبعه جملة من رؤساء الدين ومن عامة الناس ورسموا جميعاً على صدورهم صورة الصليب بلون أحمر وجعلوا هذه الاشارة على أسلحتهم وامتعتهم وراياتهم و بنودهم فسموا لهذا السبب «الصليبيين» وحروبهم دعيت « الحروب الصليبية » فمنذ ذلك ارتحلوا (اثناء سنة ١٠٩٦ م) طالبين

القسطنطينية وكانوا اجناساً عديدة وفرقاً كثيرة من الايطاليانيين والفرنساويين والنمساويين وغيرهم من سكان أوروبا . وكان بطرس الناسك المتقدم ذكره وهو متوشح بثوبه الرهباني قائداً للفرقة الاولى فسار بهم عن طريق المانيا وهونكاريا وبلغاريا فكانوا ينهبون ويخطفون من سكان المدن والسواحل وهم سائرون فوثب عليهم الاهالي وقتلوا منهم عدداً كبيراً وبعد أن قاسوا اهوالاً شديدة انتهوا الى القسطنطينية فاذن لهم ملكها الكسيس ان يقيموا في المدينة الى ان يحضر رفقاؤهم . وقد اصاب الفرقة الثانية ما اصاب الفرقة الاولى في الطريق وقتل منها عدد وافر بسبب تعدياتهم ولكنهم وصلوا اخيراً الي القسطنطينية وانضموا مع البقية فكان عدد من سلم منهم ماية الف مقاتل فنقلهم الملك الكسيس في مراكبه الى سواحل اسيا ولما انتهوا اليها التقتهم عساكر المسلمين في نواحي نيقية (وكان اميرها حينئذ قلج ارسلان سلطان قونية من السلجوقيين) فهاجمت جيوش الصليبيين المدينة مرات عديدة بلا جدوى لان المدينة كانت حصينة جداً فرجعوا عنها خاسرين بعد ان قتل منهم المسلمون خلقاً كثيراً فهكذا كانت نهاية الواقعة الاولى

اما بطرس الناسك فكان قد رجع الى القسطنطينية قبل حدوث هذه المعركة يشتكي من عدم انتظام الصليبيين وعدم طاعتهم وانقيادهم الى رؤسائهم ولكن لما بلغته هذه الاخبار المحزنة اقسم بان لا يرجع قط عن عزمه حتى يشاهد حرباً صليبية ثانية . وفي هذه الاثناء وصلت الي القسطنطينية جيوش الصليبيين النظامية بقيادة غود فروا دوك برابانت وبوليون ورو برتس دوك نرمندية ورو برتس كنت فلاندرا وبيومند أمير تريدنتو وريموند كونت تولوز وغيرهم من القواد العظام . فاجتازوا الى شواطىء اسيا وعند وصولهم نيقية التقتهم جيوش المسلمين بقيادة قولج أرسلان وكان قد علم بقدوم النصارى الى بلاده فجمع ستين الف فارس نجدة للعساكر الموجودة في نيقية .. فتأججت نار الوغى بينه وبين الافرنج من الفجر الى المساء فانكسر وتشتت شمله وقتل من عسكره كثيرون فدخل الافرنج

المدينة . وفي ٢٥ يونيه عن سنة ١٠٩٧ م سار الافرنج بجيوشهم من نيقية منقسمين الى عسكرين أحدهما بامرة بيوموند والآخر بامرة غودفدوا . و بينما عسكر بيوموند على مقربة من دوريلا (المعروفة الآن باسكي شهر) وثب عليهم في غرة شهر يوليه قلج أرسلان سلطان قونية السلجوقي بجيش جرار لا ينقص عن ثلثمائة الف رجل واستعرت نار الحرب بين الفريقين من الصباح وانتهى جنود السلطان في احدى كراتهم الى معسكر الافرنج فقتلوا النساء والاطفال والشيوخ والمرضى واتصلوا الى ان أحاطوا بالافرنج من كل جهة وسدوا عليهم باب الهرب وكاد اليأس يستحوز عليهم فاذا طلايع العسكر الآخر الذي بأمرة غودفروا مشرفة عليهم من أعلى جبل قريب منهم فانتعشت قلوب اخوانهم وارتاع اعداؤهم وانكشفوا مرتدين فتتبع الافرنج خطاهم يقتلون منهم فتحصن السلطان قلج في قمة جبل . فاحدق الافرنج بالجبل وضيقوا عليه فانهزم السلطان قلج وهرب مخربا كل البلاد التي رأى أنه لا يستطيع الدفاع عنها . وفي ٣ يوليه سار الافرنج جيشا واحداً مفكرين أن سيرهم معاً يقيهم الغدر ولكنهم عرضوا نفوسهم للهلاك جوعاً حال مرورهم بالبلاد التي اخربها قلج أرسلان فاصابتهم مجاعة شديدة الجأتهم الى الاقتيات بحب الاشجار وأصول النبات فهلك منهم جمع كثير حتى وصلوا الى مرعش بشق الانفس . ومنها ساروا الى انطاكية وبها باغى سنان من قبل الدولة السلجوقية فحاصرت جيوش الصليبيين المدينة ثمانية أشهر وقيل تسعة أشهر ودافع باغى سنان عنها دفاعاً حسناً خلد له ذكراً حميداً . وقاست الافرنج العذابات الشديدة في اثناء حصار انطاكية لتوالي المجاعات وفتك الاوبئة والامراض بهم ولو لم يخن احد قواد المسلمين بمدينة انطاكية لما قدر الافرنج على فتحها لانهم رأوا عجزهم عنها بالقتال فاستعملوا الحيلة فاغروا احد قواد المسلمين بانطاكية ليريهم عورة المدينة و بذلوا له مالاً كثيراً فاراهم عورة في المدينة دخلوها منها وهرب باغى سنان فلحق بعضهم به وقتلوه . فلما دخل الافرنج انطاكية عكفوا على الملذات النفسانية والشهوات الجسدانية غير مبالين بعقاب الله تعالى

فضعفت عزيمتهم كثيراً وزادت كراهتهم للقتال . فلما علم كربوغا صاحب الموصل بفتح الافرنج لانطاكية جمع عسكره وسار الى الشام واقام بمرج دابق واجتمع اليه دقاق بن تتش بن ارسلان صاحب دمشق وطغتكين اتابك وصاحب حمص جناح الدولة وغيرهم من الامراء والقواد وكان بعضهم قد استقل بولايته عن الدولة السلجوقية وساروا جميعاً حتى نازلوا انطاكية وحاصروا الافرنج بها بعد ان ملكوها اثنى عشر يوماً فعظم خوفهم ولم يكن لهم ما يأكلون لان حصارهم كان بغتة فلم يكن لهم وقت يجمعون فيه الاقوات فأكلوا الحمير والخيل والبغال حتى الجلود العتيقة أيضاً وكان عند الدوك غود فروا قليل من المؤن وزعه على الآخرين ولما نفذ ما لديه لم يبق له الا ان يعزيهم و يشجعهم بكلامه . ففر بعضهم واسلم بعضهم طلباً للقوت فأستحوز اليأس والقنوط على الافرنج بانطاكية حتى اوشكوا ان يكفروا به تعالى فظهر بينهم من يدعي انه رأى رؤيا سماوية تفسيرها انهم سينتصروا على اعدائهم تشجيعاً لهم وقال بعضهم انهم في هذه الاثناء وجدوا بانطاكية الحربة التي طعن بها جنب المخلص فكانت علماً لهم فتقوّت قلوبهم نوعاً وتشجعوا قليلاً وارسلوا بطرس السائح الى كربوغا يطلبون منه الانصراف عن المدينة والا فالسيف بينهم . فاغتاظ كربوغا لهذه الجسارة وقال له . قل لاصحابك ان يسرعوا باغتنام عفوي والا أخرجتكم بالسيف من انطاكية . فرجع بطرس و بلغ الافرنج بانطاكية ما قاله له كربوغا فاستعدوا للقتال وخرجوا في اثنى عشر صفاً وفي مقدمتهم ريموند حاملاً الحربة فساروا الهوينا فلما رآهم كربوغا ظن انهم خرجوا طالبين الفرار ولكنه ما لبث حتى رآهم هاجمين هجوم المستميتين ولم تكن الا ساعة حتى انهزم جيش المسلمين شر هزيمة وفر كربوغا في مقدمة الهاربين . فارهب هذا الانتصار قلوب المسلمين حتى كانوا يأتون مصالحين وتنصر بعضهم خوفاً من سطوة الصليبيين . ومكث الافرنج بانطاكية يرسلون سراياهم للاغارة على البلاد المجاورة ريثما يأتي فصل الربيع فيذهبون لاخذ اورشليم التي هي جل مقاصدهم . فاستولوا في مناوشاتهم هذه على معرة النعمان وعرقا وصالحهم

في اثناء ذلك منقذ صاحب شيزر وجناح الدولة صاحب حلب . وفي هذه الاثناء بلغ جيش الفاطميين المصريين اسوار اورشليم و بعد قليل استولى على المدينة واستخلصها من ايدي السلجوقيين . و بعد استيلاء خليفة مصر الفاطمي على بيت المقدس ارسل وفداً الى الافرنج بانطاكية يبلغهم انه استولى على اورشليم وان ابوابها مفتوحة لكل الحجاج الذين لا سلاح لهم . فلم يجب الافرنج وفد الفاطمي بشي الاّ باسراعهم بالمسير الى اورشليم لاستخلاصها منهم . فوصلوها وحاصروها . ولما علم المسلمون بقدوم الافرنج الى بيت المقدس هاجوا وماجوا وارغوا وازبدوا ولكن بالأسف لم يكن هياجهم ليضر بالافرنج بل اقتصروا على سفك دماء المسيحيين السوريين الذين لا سلاح لهم يحميهم واحراق كنائسهم والتنكيل بهم تنكيلاً شنيعاً . وشدد الافرنج الحصار على اورشليم ونصبوا على المدينة برجين احدهما من ناحية صهيون والآخر من ناحية الشمال فاحرق المسلمون البرج الاول وقتلوا كل من به فأتاهم المستغيث بأن الافرنج دخلوا المدينة من جهة الشمال فخارت عزائمهم ولبث الافرنج يقتلون المسلمين في المدينة اسبوعاً فاحتمى كثير منهم بمحراب داود فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة ايام فبذل لهم الافرنج الامان فسلموا لهم . وغنم الافرنج غنائم جمة وكان فتح بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ او سنة ١٠٩٩ م . وسار المنهزمون من الشام الى بغداد صحبة القاضي أبي سعد الهراوي واجتمعوا بالخليفة فذكروا بالديوان حالتهم بكلام ابكى العيون واوجع القلوب . وقاموا بالجامع فاستغاثوا و بكوا ولشدة ما اصابهم افطروا في رمضان . فامر الخليفة ان يسير القاضي ابو محمد الدامغاني وابو بكر الشاشي وابو القاسم الزنجاني وغيرهم الى السلاطين السلجوقية يستمدونهم . ولكن هؤلاء السلاطين كانوا منشغلين عن ذلك بقتال بعضهم بعضاً فيحارب الاخ اخاه والاب ابنه حتى تمكن الافرنج من البلاد . وقال في ذلك المظفر الابيوردي ابياتاً منها

مزجنا دماء بالدموع السواجم   فلم يبق منا عرضة للمراحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه   اذا الحرب شبت نارها بالصوارم

وكيف تنام العين ملء جفونها على هفوات ايقظت كل نائم
واخوانكم بالشام أضحى مقيلهم ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وانتم تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد ابيحت ومن دمي تواري حياء حسنها بالمعاصم
اترضى صناديد الاعاريب بالاذى وتغضي على ذل كماة الاعاجم
فليتهم اذ لم يذودوا حمية عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

وبعد عشرة أيام من ملك الافرنج أورشليم تفاوضوا بينهم فيمن يملكونه على فتوحاتهم في فلسطين فوقع اختيارهم على غودفروا دوك لوران فملكوه عليهم فجعل اورشليم عاصمة مملكته. ولما سمع المصريون بما تم على أورشليم جمع الافضل أمير الجيوش العساكر وسار الى عسقلان سنة ٤٩٢هـ وأرسل الى الافرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويهددهم فكان جوابهم لرسوله اسراعهم بالمسير المصريين بعسقلان فوافوهم ولم يكن عند المصر يين خبر قدومهم ولم يكونوا على أهبة القتال فلما رأوا الافرنج اقتربوا منهم نادوا الى ركوب خيلهم ولبسوا اسلحتهم ولكن الافرنج لم يمهلوهم حتى يتموا استعدادهم فاعجلوهم وشتتوهم شذر مذر فمضى المنهزمون واستتروا بشجر الجميز فاحرقه عليهم الافرنج فهلك كثير منهم وفر الافضل بمن بقي معه الى مصر وحاصر الافرنج عسقلان فبذل لهم أهلها قطيعة اثني عشر الف دينار وقيل عشرين الفاً. واظهر الافرنج في هذه المعركة شجاعة عجيبة حتى أن أمير الرملة المسلم دهش من حمية الافرنج وباح بدهشته للملك غودفروا واقسم على انه يتنصر حباً بهذا الدين الذي يولي مثل الشجاعة. ولما استتب الامر للافرنج رجع كثير منهم الى بلادهم وابتدأ غودفروا بتوسيع حدود مملكته فاستولى على طبرية وغيرها. وما زال ملكاً حازماً عاقلاً حتى توفي في ١٧ يوليه سنة ١١٠٠ م فخلفه أخوه بودوين الاول الذي كان والياً على أورفا وفي أيامه اتسعت مملكة سورية الافرنجية حتى صارت حدود مملكتهم شمالاً الاسكندرونة وجنوباً ديار مصر ولم يبق مع المسلمين سوى حمص وحماة ودمشق وحلب مع بعض

القرى الحقيرة وحكم بودوين ببسالة ونشاط الى ان أدركته الوفاة سنة ١١١٨ م فخلفه ابن عمه بودوين الثاني الذي كان والياً على ولاية اورفا في زمن بودوين الاول . والآن نقف لهذا الحد لنعود لذكر ما كان من الاحداث في أيام خلافة المستظهر وسنذكر ان شاء الله باقي حوادث الصليبيين وما كان منهم الى آخر التجريدة الثانية في ذكر أيام الخلفاء الذين حصلت في ايامهم تلك الحوادث كل ما حصل في أيامه

(عود) وفي سنة ٤٩٣ ﻫ جرى حرب بين السلطان بركيارق وبين أخيه السلطان محمد وانهزم بركيارق وتنقل في البلاد الى اصفهان ولم يدخلها وسار الى خوزستان وخطب للسلطان محمد ببغداد . وفي سنة ٤٩٤ ﻫ كان المصاف الثاني بين السلطان بركيارق وأخيه السلطان محمد وكان مع بركيارق خمسون الفاً ومع اخيه السلطان محمد خمسة عشر الفاً فالتقوا واقتتلوا فانهزم السلطان محمد وسار طالباً خراسان الى أخيه الملك سنجر وهما لأُم واحدة فاقام بجرجان واتاه الملك سنجر في عساكر الدامغان وخرب العسكر البلاد وعم الغلاء تلك الاصقاع حتى اكل الناس بعضهم بعضاً بعد فراغهم من اكل الميتة والكلاب واما الملك بركيارق فبعد ان انتصر على اخيه محمد قويت شوكته وكثرت جموعه فرجع الى بغداد واعاد خطبته بها ولكنه لم يلبث طويلاً حتى وافاه اخوه السلطان محمد بعدان امده اخوه الملك سنجر كما مر فهرب بركيارق عن بغداد لما علم بقدوم اخيه السلطان محمد بجموع كثيرة فدخل السلطان محمد بغداد واستبشر به الخليفة واعاد خطبته بها . وبعد ان دامت الحرب بين السلطانين الاخوين مدة هلك في اثنائها جمع كثير من عسكرهما اصطلحا سنة ٤٩٧ ﻫ وتقررت القاعدة ان بركيارق لا يعترض اخاه محمداً في الطبل وان لا يذكر معه على منابر البلاد التي صارت له وهي ديار بكر والجزيرة والشام . وفي سنة ٤٩٧ ﻫ توفي السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد مرض بأصفهان بالسل والبواسير فلما يئس من نفسه خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ اربع سنين وثمانية اشهر واحضر جماعة الامراء واعلمهم انه قد جعل ابنه

ولي عهده في السلطنة وجعل الامير اياز أتابكه (مربيه) فأجابوه كلهم بالسمع والطاعة وخطب لملكشاه بجوامع بغداد

وفي سنة ٤٩٩ هـ (وقيل سنة ٤٩٨ هـ) سار السلطان محمد من اذربيجان الى الموصل ليأخذها من جكرميش صاحبها وحصرها . فقاتل اهل البلد اشد قتال وكانت الرجال تخرج ويكثرون القتل في العسكر ودام القتال من صفر الى جمادى الاولى . فوصل الخبر الى جكرميش بوفاة السلطان بركيارق فارسل الى محمد يبذل له الطاعة . ودخل اليه وزير السلطان محمد وقال له . المصلحة ان تحضر الساعة عند السلطان فانه لايخالفك في جميع ماتلتمسه منه . وأخذ بيده وقام وسار معه جكرميش فلما رآه اهل الموصل قد توجه الى السلطان جعلوا يبكون ويضجون ويضعون التراب على رؤوسهم فلما دخل على السلطان محمد اقبل عليه واكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال . ارجع الى رعيتك فان قلوبهم اليك وهم متطلعون الى عودتك . فقبل الارض وعاد وعمل من الغد سماطاً بظاهر الموصل عظيماً وحمل الى السلطان الهدايا والتحف ولوزيره اشياء جليلة المقدار . وفي سنة ٥٠٠ هـ سار الجاولي سقاو الى الموصل محارباً في الف فارس وخرج اليه جكرميش صاحبها في الفي فارس . فلما اصطفوا للحرب حمل الجاولي من القلب على قلب جكرميش فانهزم من فيه وبقي جكرميش وحده لايقدر على الهزيمة لفالج كان به فهو لايقدر يركب وانما يحمل في محفة فأسر وأحضر عند الجاولي فامر بحفظه وحراسته . ولما بلغ الخبر الموصل اقعدوا في الامر زنكي بن جكرميش . ثم ان الجاولي حصر الموصل وامر ان يحمل جكرميش كل يوم على بغل وينادي اصحابه بالموصل ليسلموا البلد ويخلصوا صاحبهم مما هو فيه ويأمرهم هو بذلك فلا يسمعون منه . وكان يسجنه في جب فأخرج يوماً ميتاً . فكتب اصحابه الى الملك قلج ارسلان بن سليمان بن قتلميش السلجوقي صاحب مدينة قونية يستدعونه اليهم ليسلموا البلد اليه فسار في عسكره . فلما سمع جاولي بوصوله رحل عن الموصل فتوجه قلج ارسلان الى الموصل وملكها ونزل بالمعروفة (ويقال بالمغرقة) واسقط خطبة السلطان محمد وخطب لنفسه

واحسن الى العسكر ورفع الرسوم المحدثة في الظلم ثم سار عنها الى جاولي وهو بالرحبة والتقيا عند نهر الخابور فهزم اصحاب جاولي اصحاب قلج ارسلان والقى قلج ارسلان نفسه في نهر الخابور وحمى نفسه من نشاب اصحاب جاولي فانحدر به الفرس الى ماء عميق فغرق. وظهر بعد ايام فدفن بالشمسانية. وسار جاولي الى الموصل وملكها. وفي سنة ٥٠٢ هـ استولى عسكر السلطان محمد على الموصل واخذوها من اصحاب جاولي وفي سنة ٥١١ هـ مرض السلطان محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان فلما يئس من نفسه احضر ولده محموداً وقبله وبكيا. وامره ان يخرج ويجلس على تخت السلطنة وعمره اذ ذاك قد زاد على اربع عشرة سنة فقال لوالده انه يوم غير مبارك. يعني من طريق النجوم. فقال صدقت ولكن على ابيك واما عليك فمبارك بالسلطنة. فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين وكان السلطان محمد عظيم الهيبة عادلاً حسن السيرة شجاعاً واول ما دعي له بالسلطنة ببغداد سنة ٤٩٢ هـ وقطعت خطبته عدة دفعات. فلما توفي أخوه بركيارق اجتمع الناس عليه اثنى عشرة سنة. وفي ٥١٢ هـ توفي الامام المستظهر بالله وكان عمره احدى واربعين سنة وخلافته اربعاً وعشرين سنة. وخطب في ايامه لثلاث سلاطين وهم تاج الدولة تتش بن الب ارسلان والسلطان بركيارق والسلطان محمد ابنا ملكشاه

٥٥ — خلافة المسترشد بالله بن المستظهر

من سنة ٥١٢ — ٥٢٩ هـ او من سنة ١١١٨ — ١١٣٤ م

لما توفي المستظهر بالله بويع بالخلافة ولده ابو المنصور الفضل ولقب المسترشد بالله وكان ولي عهد قد خطب له ثلاثاً وعشرين سنة فبايعه اخواه وعمومته بني المقتدى بامر الله. وفي سنة ٥١٣ هـ عصى الملك طغرل على اخيه السلطان محمود والسبب في ذلك ان الملك طغرل كان قد اقطعه والده زنجان وغيرها فلما توفي

والده وآلت السلطنة الى اخيه محمود خشي امره وخاف عصيانه فارسل اليه هدايا وتحف مع الامير كنتغدي وعرفه ان يحسن الى اخيه الملك طغرل المجيء اليه (الى السلطان محمود) فلما ذهب كنتغدي الى الملك طغرل عكس معنى مأموريته وحسن لطغرل العصيان على اخيه محمود فسمع السلطان محمود بذلك فسار اليهما في عشرة آلاف فارس الى مدينة سميران فهرب طغرل وكنتغدي الى قلعة سرجهان ولحقا بكنجة فقصدها اصحابها فقويت شوكتهما . اما السلطان محمود فدخل سميران ونهب من مال اخيه ثلثمائة الف دينار فتمكنت الوحشة بينهما . وفي هذه السنة كانت الحرب بين السلطان محمود وعمه الملك سنجر صاحب خراسان والسبب في ذلك انه لما سمع الملك سنجر بوفاة اخيه السلطان محمد اعتدى على بلاد ابن اخيه السلطان محمود وافتتح كثيراً منها فارسل اليه السلطان محمود يطالب منه التنازل عما فتح وان يدفع مائتي الف دينار سنوياً كجزية . فلما بلغت هذه الرسالة الملك سنجر استعد اكثر من ذي قبل وعزم على الذهاب الى الري . فلما سمع السلطان محمود باستعداد عمه لقتاله جمع عساكره وسار نحوه فالتقيا واقتتلا قتالاً شديداً فانهزم السلطان محمود وهرب الى اصبهان ثم دارت المخابرات الودية بينهما للصلح على ما يرضي الفريقين فانتهى الامر بينهما على ان السلطنة في خراسان تكون للملك سنجر حالاً ومن بعده لابن اخيه السلطان محمود واعاد سنجر البلاد التي افتتحها الى السلطان محمود ما عدا الري . وفي سنة ٥١٤ ﻫ كانت الحرب بين السلطانين الاخوين محمود ومسعود فانهزم مسعود وتشتت شمله . وفي هذه السنة خرج الكرج الى بلاد المسلمين فاجتمع على قتالهم الملك طغرل والامير ايلغازي ودبيس بن صدقة وساروا الى الكرج حتى قاربوا تفليس وكان المسلمون في عسكر كثير يبلغون ثلاثين الفاً فالتقوا واصطفت الطائفتان للقتال فخرج من الكرج مائتا رجل فظن المسلمون انهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم . فدخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب جيش صف المسلمين وظن من وراءهم انها هزيمة فانهزموا ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضاً فقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكرج

عشرة فراسخ يقتلون و يأسرون فقتل اكثرهم وأسر اربعة الاف رجل ونجا الملك طغرل وايلغازي ودبيس وعاد الكرج وحاصروا مدينة تفليس واشتد قتالهم لمن بها وعظم الامر وتفاقم الخطب على اهلها ودام الحصار الى سنة ٥١٥ ﻫ فملكوها عنوة. وفي سنة ٥١٥ ﻫ اقطع السلطان محمود مدينة الموصل واعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الامير اقسنقر البرسقي. وفي هذه السنة عصى سليمان بن ايلغازي بن ارتق على ابيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة فسمع والده الخبر فسار اليه مجدًّا لوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذرًا فامسك عنه وقتل الذين حرضوه على العصيان واراد قتل ابنه سليمان فمنعه رقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق. واستناب ايلغازي بحلب سليمان بن اخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين. وفي هذه السنة ايضًا اقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للامير ايلغازي بن ارتق وفي سنة ٥١٦ ﻫ توفي الامير ايلغازى بن ارتق بميافارقين وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميافارقين وكان بحلب ابن اخيه بدر الدولة سليمان ابن عبد الجبار فبقي بها الى ان اخذها منه ابن عمه. وفي سنة ٥١٧ ﻫ كانت الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دبيس بن صدقة والسبب في ذلك ان دبيسًا ارسل الى الخليفة يطلب منه ارسال البرسقي اليه ويهدده بالقتل ان لم يفعل. فأمر الخليفة البرسقي بتجهيز العساكر لقتال دبيس فالتقوا واقتتلوا فانهزم دبيس وهرب الى الملك طغرل واحتمى به. وفي هذه السنة ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة حران وسمع هناك بضعف بدر الدولة صاحب حلب وعدم مقدرته على مقاومة الافرنج فسار الى حلب وضيق على من بها فتسلمها بالامان. وفي سنة ٥١٨ ﻫ قبض بلك بن بهرام على حسان البعلبكي صاحب منبج وسار اليها فحاصرها وملك المدينة وحاصر القلعة فامتنعت عليه و بينما هو يقاتل من بها اتاه سهم فقتله واضطرب عسكره وتفرقوا وملك اقسنقر البرسقي حلب وقلعتها. وفي سنة ٥٢٠ ﻫ قتل قسيم الدولة اقسنقر البرسقي صاحب الموصل بمدينة الموصل قتله

الباطنية يوم الجمعة بالجامع وملك بعده بالموصل ابنه عز الدين مسعود ولم يختلف عليه احد . وفي هذه السنة كان الاختلاف بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان محمود والسبب في ذلك ان السلطان ولى شحنكية بغداد شخصاً يدعى يرنقش فاختلف مع نواب الخليفة لاسباب كثيرة فهدده الخليفة بالقتل ان لم يرجع عن اختلافه مع نوابه . فخاف على نفسه وهرب الى السلطان محمود واقنعه بالمسير لقتال الخليفة وانه قد قويَ امره وصار له عسكر وحضر القتال وان لم يؤخذ على غرة وفي بداية قوته ربما لم يتمكن من اخضاعه فيما بعد ان لم يطمع هو في استرجاع حقوق الخلافة كما كانت قبلاً . فسار السلطان محمود بعساكره الى بغداد وجمع الخليفة عساكره ودارت بين الفريقين مناوشات كاد يظفر الخليفة فيها لولا خيانة بعض قواده الذي انحاز بعسكره الى السلطان محمود فعند ذلك دارت المخابرات السلمية بين الطرفين واصطلحا على ما يرضيهما واستسمح السلطان محمود خاطر الخليفة ودفع الخليفة الاموال التي تقررت عليه . وفي سنة ٥٢١ هـ اسند السلطان محمود شحنكية بغداد الى اتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر . وفيها توفي عز الدين مسعود بن اقسنقر وتولى اخوه عماد الدين زنكي الموصل واعمالها . وفي سنة ٥٢٢ هـ ملك عماد الدين زنكي بن اقسنقر مدينة حلب وقلعتها وبعد سنة ملك مدينة حماة . وفي ٥٢٥ هـ في شوال توفي السلطان محمود بن السلطان محمد بهمذان وكان عمره نحو سبع وعشرين سنة وولايته ثلثا وعشرين سنة وكان حكيماً كريماً عاقلاً يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه مع المقدرة . قليل الطمع في اموال الرعايا عفيفاً عنها كافاً لاصحابه عن التطرق الى شيء منها . وملك ابنه داود بعده وفي سنة ٥٢٦ هـ كاتب السلطان سنجر عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة وامرهما بقصد العراق فسارا ونزلا بالمنارية من دجيل . وعبر الخليفة المسترشد بالله الى الجانب الغربي فنزل بالعباسية والتقى العسكران بحصن البرامكة فابتدأ زنكي فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدين اقبال فانهزموا منه وحمل نصر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم

دبيس وعماد الدين وقتل من عسكرهما جماعة واسر جماعة . وفي سنة ٥٢٧ ﻫ ارسل المسترشد الشيخ بهاء الدين ابا الفتوح الاسفراييني الواعظ الى عماد الدين زنكي برسالة فيها خشونة وزادها ابو الفتوح ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة . فقبض عليه زنكي واهانه ولقيه بما يكره فسمع الخليفة فسار عن بغداد في ثلاثين ألف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها اتابك زنكي في بعض عسكره وترك الباقي بها مع نائبه نصير الدين ونازلها الخليفة في رمضان وقاتلها وضيق عليها فتواطأ جماعة من الجصاصين بالموصل على تسليم البلد فسمى بهم فصلبوا . وبقي الحصار على الموصل نحو ثلاثة اشهر ولم يظفر منها بشيء ولا بلغه عمن بها وهن ولا قلة ميرة وقوت فرحل عنها عائداً الى بغداد . وفي سنة ٥٢٨ ﻫ تقرر الصلح بين الخليفة المسترشد واتابك زنكي . وفي سنة ٥٢٩ ﻫ سار الخليفة المسترشد لقتال السلطان مسعود ومعه جماعة من امراء الاكابر فواقعهم السلطان مسعود عاشر رمضان فانحازت ميسرة الخليفة مخامرة عليه الى السلطان واقتتلت ميمنة وميسرة السلطان قتالاً ضعيفاً ودار به عسكر السلطان وهو ثابت لم يتغير من مكانه وانهزم عسكره واخذ اسيراً فانزله السلطان مسعود في خيمة ووكل به من يحفظه وقام بما يجب من الخدمة وترددت الرسل بينهما بالصلح وتقرير القواعد على مال يؤديه الخليفة وان لا يعود يجمع العساكر ولا يخرج من داره واجاب السلطان الى ذلك واركب الخليفة وحمل الغاشية بين يديه ولم يبق الا ان يعود الى بغداد فوصل الخبر بقدوم رسول من السلطان سنجر وخرج الناس والسلطان محمود للقائه وفارق الخليفة بعض من كان موكلاً به وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصده اربعة وعشرون رجلاً من الباطنية ودخلوا عليه فقتلوه بعد أن جرحوه مايزيد على عشرين جراحة ومثلوا به وجدعوا انفه واذنيه وتركوه عرياناً وكان قتله يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة على باب مراغة و بقي حتى دفنه اهل مراغة وكان عمره لما قتل ثلاثاً واربعين سنة وخلافته سبع عشرة سنة وسبعة اشهر

٥٦ — احوال الصليبين فى هذه المدة

انتهينا في كلامنا عن الصليبيين فيما مضى بوفاة الملك بودوين الاول واقامة بودوين الثاني كنت الرها ملكاً على اورشليم ولم ينته الافرنج من حفلات الملك الجديد الا وقد تألبت جموع من المسلمين من فارس والجزيرة وسورية وزحفوا الى عدوة العاصي بأمرة ايلغازي بن ارتق والي ماردين الذي كان قد تولى على حلب . وعلم بتجمعهم روجه بن ريشار امير انطاكية فاستمد ملك اورشليم وكنت الرها وكنت طرابلس ولم ينتظر وصولهم بل عاجل المسلمين بالقتال فقتـل هو وتشتت شمله واسر كثيرون من عسكره فعظم ايلغازى في اعين المسلمين بسبب هذا الانتصار ومدحه غير واحد فمن ذلك قول العظيمي

قـل ما تشاء فقولك المقبول　　وعليك بعد الخالق التعويل

واستبشر القرآن حين نصرته　　وبكى لفقد رجاله الانجيـل

وفي سنة ٥١٥ ﻫ كانت الحرب بين بلك بن بهرام ابن اخي ايلغاري وبين جوسلين صاحب الرها فحاصر بلك مدينة الرها ولما لم يفده حصارها بطائل سار عنها فقصده جوسلين صاحب الرها وسروج فانتصر بلك على الافرنج وقتل منهم كثيرين واسر جوسلين . ولما استولى بلك على حلب من ابن عمه سليمان كما ذكرنا ذلك قبلاً سلم سليمان حصن الاثارب الى الافرنج ليهادنوه على حلب واستولى الافرنج على خرتبرت وخلصوا جوسلين ثم سار بلك اليها واسترجعها من الافرنج . وتألب المصريون وساروا الى صحراء عسقلان قاصـدين ان يزيحوا الافرنج عن فلسطين واستعد الافرنج للدفاع فاقتتلوا شديداً وانهزم المصريون وتتبع الافرنج اثارهم من صحراء عسقلان الى ان دخلوا اسوار عسقلان وكانت صور الى ذلك الحين في ايدى الخلفاء العلويين بمصر وكان الوالي عليها من قبلهم فسمع بتأهب الافرنج لاخذ مدينة صور وعلم ان لا مقدرة له على دفعهم فارسل الى الخليفة الآمر بذلك فرأى ان يرد ولاية صور الى طغتكين صاحب دمشق وارسل

اليه بذلك فملك طغتكين صور ورتب بها الجند وغيرهم ما ظن فيه الكفاية . فسار الافرنج في سنة ٥١٨ هـ الى صور ونازلوا أهلها وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الاقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين الى بانياس ليقرب منهم ويذب عن البلد ولعل الافرنج اذا رأوه قريباً منهم رحلوا فلم يتحركوا ولزموا الحصار حتى أشرف أهلها على الهلاك . فراسل طغتكين الافرنج بتسليمهم المدينة على شرط ان يصرحوا لاهلها بالخروج منهم بأمتعتهم فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت أبواب المدينة وفارقها أهلها وتفرقوا في البلاد ودخلها الافرنج . وكان فتح صور وهناً عظيماً على المسلمين لانها كانت أحصن مدنهم . وانتشر خبر انتصار الافرنج علي صور فسمع صدى التهليل والشكر لله في كل مدن النصارى ولا سيما اورشليم وتوفي الملك بودوين الثاني في ٢١ أغسطس سنة ١١٣٠ م بعد ان حكم ثلاث عشرة سنة

٥٧ — خلافة الراشد بالله بن المسترشد

من سنة ٥٢٩ — ٥٣٠ هـ او من سنة ١١٣٤ — ١١٣٥ م

لما قتل المسترشد بالله بويع ولده أبو جعفر المنصور ولقب الراشد بالله . وفي ٥٢٩ هـ قتل دبيس بن صدقة صاحب الحلة على باب سرادقه بظاهر خونج وكان السلطان أمر غلاماً أرمنياً بقتله فوقف على رأسه وهو ينكث الارض بأصبعه فضرب رقبته وهو لا يدري . وفي سنة ٥٣٠ هـ اجتمع الملوك وأصحاب الاطراف ببغداد وخرجوا عن طاعة السلطان مسعود وسار الملك داود بن السلطان محمود في عسكر اذربيجان الى بغداد ووصل اتابك عماد الدين زنكي بعده من الموصل وخطب للملك داود ببغداد . فلما بلغ السلطان مسعوداً الخبر جمع العساكر وسار الى بغداد وحاصرها نيفاً وخمسين يوماً ولم يظفر بها فعزم على العود الى همذان فوصله طرنطاي صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها فاختلفت كلمة الامراء المجتمعين ببغداد

فعاد الملك داود الى بلاده وتفرق الامراء . وكان عماد الدين زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الخليفة الراشد وسار معه الى الموصل في نفر يسير من أصحابه ودخل السلطان مسعود الى بغداد واستقر بها وجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التي حلف بها الراشد له وفيها بخط يده : انني متى جندت أوخرجت أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان مسعود بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر: فافتوا وخلع وقطعت خطبته من بغداد وسائر البلاد وكانت خلافته احد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً

٥٨ - خلافة المقتفي لامر الله بن المستظهر

من سنة ٥٣٠ — ٥٥٥ هـ او من سنة ١١٣٥ — ١١٦٠ م

لما قطعت خطبة الراشد بالله استشار السلطان جماعة من أعيان بغداد في من يصلح للخلافة فقال الوزير أحد عمومة الراشد وهو رجل صالح ولكني لا أقدر أن أفصح باسمه لئلا يقتل . فتقدم السلطان بعمل محضر في خلع الراشد فعملوا محضراً ذكروا فيه ما ارتكبه من أخذ أموال وأشياء تقدح في الامامة . ثم كتبوا فتوى . ما تقول العلماء في من هذه صفته هل يصلح للامامة أم لا . فأفتوا ان من هذه صفته لا يصلح أن يكون اماماً فلما فرغوا من ذلك . أحضروا القاضي أبا طاهر الكرخي فشهدوا عنده بذلك فحكم بفسقه وخلعه . ثم ذكر الوزير للسلطان أبا عبد الله الحسين بن المستظهر بالله ودينه وعقله وعفته ولين جانبه . فأحضر المذكور وأجلس في الميمنة . ودخل السلطان والوزير وتحالفا وقرر الوزير القواعد بينهما . وخرج السلطان من عنده وحضر الامراء والقضاة والفقهاء وبايعوه ثاني عشر ذي الحجة سنة ٥٣١ هـ ولقب المقتفي لامر الله . وفي سنة ٥٣١ هـ فارق الراشد المخلوع أتابك زنكي من الموصل وسار الى همذان وبها الملك داود . ثم رحل الى أصفهان فلما كان آخر رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا في خدمته

فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان في أعقاب مرض قد بريء منه ودفن بظاهر أصفهان بشهرستان وكان عمره أربعين سنة. وفي سنة ٥٣٢ ھ كانت الحرب بين السلطان مسعود والملك داود وكان قد اجتمع مع الملك داود كثير من الامراء لاستشعارهم بالخوف من السلطان مسعود. فسار السلطان مسعود اليهم فالتقوا بپنجن كشت فاقتتلوا فهزمهم السلطان مسعود ثم تفرق عسكره للسلب والنهب وعلم الملك داود ومن معه بتفرق عسكر السلطان مسعود عنه فهجموا عليه وهو في قلة من رجاله فهزموه. وهذا من غريب الاتفاق. فقصد السلطان مسعود اذربيجان وقصد الملك داود همذان. وفي هذه السنة (٥٣٢ ھ) وصل اتابك زنكي صاحب الموصل الى حماة وارسل الي شهاب الدين صاحب دمشق يخطب اليه امه ليتزوجها واسمها زمرد خاتون ابنة جاولي وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق على نهر بردى فتزوجها وتسلم حمص مع قلعتها. وحمله على التزوج بها ما رآه من تحكمها في دمشق فظن أنه يملك البلد بالاتصال اليها فلما تزوجها خاب أمله ولم يحصل على شيء فأعرض عنها. وفي هذه السنة أيضاً ملك حسام الدين بن تمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردين قلعة الهتاخ اخذها من بعض بني مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر وهذا آخر من بقي منهم له ولاية

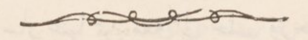
وفي سنة ٥٣٣ ھ ملك اتابك زنكي بن اقسنقر بعلبك. وفي سنة ٥٣٤ ھ ملك زنكي المذكور شهرزور واعمالها. وفي سنة ٥٤٠ ھ لخمس مضين من ربيع الآخر قتل اتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة جعبر قتله جماعة من مماليكه ليلاً غيلة وهربوا الى قلعة جعبر. فصاح من بها من اهلها الى العسكر يعلمونهم بقتله فاظهروا الفرح. فدخل اصحابه اليه فادركوه وبه رمق وفاضت روحه لوقته وكان قد زاد عمره على ستين سنة وقد وخطه الشيب وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته عظيم السياسة وكانت الموصل قبل ان يملكها اكثرها خراب بحيث يقف الانسان قريب محلة الطبالين ويرى الجامع العتيق والعرصة ودار السلطان ليس بين ذلك عمارة. وكان الانسان لا يقدر على المشي

في الجامع العتيق الا ومعه من يحميه وهو الآن في وسط العمارة . وكانت الموصل من اقل بلاد الله فاكهة فصارت في ايامه و بعدها من اكثر البلاد فواكه ورياحين . ولما قتل اتابك زنكي اخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده وكان حاضراً معه وسار الى حلب وملكها . وكان سيف الدين غازي اخوه بمدينة شهرزور وهي اقطاعه . فارسل اليه زين الدين على كوجك نائب ابيه عمادالدين زنكي بالموصل يستدعيه الى الموصل فحضر واستقر ملك سيف الدين على البلاد وبقي اخوه نور الدين بحلب وهي له . وفي سنة ٥٤٤ هـ توفى سيف الدين غازي ابن اتابك زنكي صاحب الموصل بها من مرض حاد فلما اشتد مرضه ارسل الى بغداد واستدعى اوحد الزمان ابا البركات فحضر عنده ورای شدة مرضه فعالجه فلم ينجع الدواء وتوفي آخر جمادي الأخرى . وكانت ولايته ثلاث سنين . وولي امر الموصل والجزيرة بعده اخوه قطب الدين مودود . وكان اخوه الاكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة فسار الى سنجار وملكها ولم يحاققه اخوه قطب الدين ثم اصطلحا واعاد نور الدين سنجار الى قطب الدين وتسلم هو مدينة حمص والرحبة فبقيت الشام له وديار الجزيرة لأخيه

وفي سنة ٥٤٧ هـ توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمذان وكان عهده الى ملكشاه ابن اخيه السلطان محمود فخطب له الامير خاصبك بالسلطنة ورتب الامور وقررها بين يديه . ثم قبض عليه وارسل الى اخيه الملك محمد وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده ان يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة . فسار اليه محمد فاجلسه على التخت وخطب له بالسلطنة . ثم شعر محمد بخبث خاصبك فثاني يوم وصوله لما دخل اليه قتله ومعه زنكي الجاندار والقى رأسيهما و بقيا حتى اكلتهما الكلاب واستقر محمد في السلطنة . وفي هذه السنة توفي حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين وميافارقين . وكانت ولايته نيفاً وثلاثين سنة وولي بعده ابنه نجم الدين البى وفي سنة ٥٤٩ هـ ملك نور الدين محمود بن زنكى بن اقسنقر مدينة دمشق واخذها من صاحبها مجير الدين

أبق بن محمد بن بورى بن طغدكين اتابك . وفي ٥٥٢ ه في رجب كانت بالشام
زلازل كثيرة قوية أخربت كثيراً من البلاد فخرب منها حمص وحماة وشيزر
وكفرطاب والمعرّة وافامية وحصن الاكراد وعرقه واللاذقية وطرابلس وانطاكية
واما كثرة القتلى فيكفي فيها ان معلماً كان بمدينة حماة وذكر انه فارق المكتب لمهم
عرض له فجاءت الزلزلة فخرب البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم (قال المعلم)
فلم يأت احد يسأل عن صبي كان له . وفيها في ربيع الاول توفي السلطان سنجر
ابن ملك شاه بن الب ارسلان اصابه قولنج ثم بعده اسهال وكان مولده سنة ٤٧٩ ه
وخطب له على اكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحو اربعين سنة وكان قبلها يخاطب
بالملك عشرين سنة . وفي سنة ٥٥٤ ه ثامن ربيع الآخر كثرت الزيادة في
دجلة وخرج القورج فوق بغداد فامتلأت الصحارى وخندق البلد ووقع بعض
السور فغرق بعض القطيعة وباب الازج والمأمونة ودب الماء تحت الارض الى
اماكن فوقعت واخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربي . فبغلت المعبرة عدة
دنانير ولم يكن يقدر عليها ثم نقص الماء فكثر الخراب وبقيت المحال لا تعرف وانما
هي تلول فأخذ الناس حدود دورهم بالتخمين

وفي هذه السنة في ذي الحجة توفى السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه
وملك بعده عمه سليمان شاه بن محمد . وفي سنة ٥٥٥ ه ثاني ربيع الاول توفى
الخليفة المتقي لامر الله وكانت خلافته اربعاً وعشرين سنة وعمره ستاً وستين سنة .
وهو اول من استبد بالعراق منفرداً عن سلطان وحكم على عساكره واصحابه من
حين تحكم المماليك على الخلفاء ومن عهد المنتصر الى الآن



٥٩ - احوال الصليبيين فى هذه المدة

بعد موت بودوين الثاني اجتمع الرؤساء والاعيان فاختاروا خليفة له في مملكة اورشليم . فولك كنت انجو وهو صهر بودوين الثاني زوج ابنته . وفي سنة ٥٢٤ هـ سار زنكي من الموصل الى الشام وقصد حصن الاثارب القريب من حلب وكان اهله الافرنج يضايقون اهل حلب . وجمع الافرنج فارسهم وراجلهم وقصدوا زنكي فرحل عن الاثارب وسار الى ملتقاهم فاقتتل الفريقان اشد القتال فانهزم الفرنج وقتل منهم كثيرون واسر بعض فرسانهم ثم عاد زنكي الى الاثارب واخذه عنوة وقتل واسر كل من فيه وخرب زنكي الحصن ولا يزال خراباً

وفي سنة ٥٢٧ هـ سار شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق على غفلة من الافرنج فملك قلعة بانياس وقتل واسر من كان بها من الافرنج . وفي سنة ٥٣٢ هـ او ١١٣٧ م طمع الملك يوحنا كومنانس ملك الروم بالقسطنطينية بالاستيلاء على انطاكية وكانت هذه الامارة وقتئذ في يد ابنة عمرها ثلاث سنين اسمها قسطنا وقد خطبت لريموند بن كونت بواتيا . فعلم ريموند المذكور ان ملك الروم يجهز حملة على انطاكية فاستنجد رئيس عصابة من الارمن وجهز بعض الجنود فلم يجده ذلك نفعاً بل فتح ملك الروم ترسيس وادنة وما جاورهما ثم حاصر عين زربة فقاومه اهلها شديد المقاومة ولكنهم التزموا ان يستسلموا اليه فامنهم وهزم الارمن من المواضع التي كانت بيدهم وبعد ان استحوز على كيليكيا كلها خيم على ابواب انطاكية فارتاع ريموند صاحبها واستنجد فولك ملك ارشليم لكن هذا الملك كان احوج منه لمن ينجده على زنكي امير الموصل وحلب فلم ير ريموند مناصاً من ان يسلم المدينة الى ملك الروم ويقر بسيادته . وفي هذه السنة (٥٣٢ هـ) سار ملك الروم المذكور الى بزاغة وهي على بعد ستة فراسخ من حلب وحاصرها وملكها بالامان ثم غدر باهلها واسر وسبي فتنصر قاضيها وار بعماية نفس من اهلها واقام فيها عشرة ايام ثم سار عنها بمن معه الى حلب وزحف اليها وجرى بينه وبين اهلها قتال كثير فلم يتمكن من فتحها فعاد عنها خاسراً وسار الى الاثارب وملكها . فخرج الامير اسوار نائب زنكي بحلب واوقع بمن في الاثارب من الروم واستفك اسرى المسلمين وسار ملك الروم الى شيزر وحصرها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقاً فارسل صاحب

شيزر الى زنكي يستنجده فسار زنكي ونزل على العاصي بين حماة وشيزر بحيث يراهم الروم ٠ واقام ملك الروم محاصراً شيزر اربعة وعشرين يوماً ثم رحل عنها من غير ان ينال منها غرضاً وسار زنكي في اثر الروم فظفر بكثير ممن تخلف منهم ٠ ثم عاد ملك الروم الى انطاكية ودخلها باحتفال عظيم وبعد ايام استوحش ريموند صاحب انطاكية من ملك الروم فاوعز لاهلها بالثورة فثاروا عليه فسكن ملك الروم هياجهم ورحل عن انطاكية الى القسطنطينية وفي قلبه حزازات من اهل انطاكية ٠ وبعد اربع سنين من هذه الحادثة اي سنة ١١٤٢ م عاد ملك الروم الى سورية ومعه عمانوئيل اصغر ابنائه وبلغ اسوار انطاكية وأمر جنوده ان ينهبوا بلادها فاندفعوا ينهبون ويقطعون الاشجار ويتلفون الحصاد والاثمار ويحرقون المزارع والقرى ، وكان يؤمل ان يستحوذ على انطاكية بهذه الوسيلة فزاد الناس كرهاً له ودار في خلده ان يسير الى اورشليم ويقضي بها فصل الشتاء فسير رسلاً الى الملك فولك يستاذنه بان يزور الاماكن المقدسة ويعده بان ينجده على اعدائه فلم يثق باخلاص ملك الروم ووجس من دخوله اورشليم فاجابه انه يسر بقبوله لكنه يخشى ان القحط الحاصل في بلاده لا يمكنه من تقديم الازودة الكافية لجيشه فان شاء يحضر بعشرة آلاف رجل فقط احتفى بلقياه وتكريم مثواه ٠ فادرك ملك الروم سبب رفض قبوله مع جيشه ولم يشأ ان ينفصل عن جيشه فاعاد رسل اورشليم اليه وارسل معهم هدايا نفيسة وقفل الى كيليكية يتوقع سنوح فرصة اخرى لاتمام مانوى الا انه بينما كان يوماً يروح نفسه بالصيد جرح بسهم مسم من جعبته لدى عراكه لاحد الضواري ومات من جرحه في ٨ ابريل سنة ١١٤٣ م وأوصى رؤساء جيشه ان يملكوا بعده ابنه عمانوئيل المذكور فملكوه وعاد الى القسطنطينية

وفي سنة ١١٤٤ م توفي فولك ملك اورشليم عن ابنين هما بودوين وأموري ٠ وبعد وفاته انتخب ابنه بودوين ملكاً على اورشليم تحت اسم بودوين الثالث وكان عمره عند ارتقائه سدة الملك ثلاث عشرة سنة وكان حسن الاخلاق حميد الصفات الا ان المملكة في ايامه بلغت من الضعف مالم تبلغه في ايام من تقدمه من الملوك فتوالت هجمات المسلمين عليها مرة بعد اخرى

وفي سنة ٥٣٩ هـ (سنة ١١٤٥ م) سار عماد الدين زنكي قاصداً مدينة الرها وعلم انه اذا سار توا اليها تجتمع عليه جموع الفرنج مالا طاقة له عليه فيتعذر عليه فتحها فاشتغل بديار بكر ليوهم الفرنج انه غير قاصد بلادهم فرأوا انه منشغل بغيرهم فاطمأنوا

وفارق جوسلين صاحب الرها مدينته وهو جوسلين الثاني بن جوسلين الاول وكان عاكفاً على ملاذه متقاعداً عن الاهتمام بشؤون امارته • واقام في طوربال على عدوة الفرات • فبلغ زنكي الخبر فنادى في عسكره بالرحيل وان لا يتخلف أحد عن الرها في يومه • فساروا الى الرها وهاجم زنكي المدينة بغتة واقام عليها الحصار ولم تنجدها ارملة فولك ملك أورشليم التي كانت تدبر المملكة لصغر ابنها • وكان ريموند امير انطاكية عدواً لجوسلين فلم يشاء ان يناصره • فانفرد اهل الرها بمناصبة زنكي آملين ان تنجدهم أمة الفرنج ودافعوا عن المدينة دفاعاً حسناً فتسارع اهلها كباراً وصغاراً حتى الرهبان ايضاً الى اسوار المدينة للذب عنها وكانت النساء يحملن الى المحاربين الحجارة والماء والزاد • وعرض عليهم زنكي عند ثقب الاسوار والابراج ان يسلموا اليه فابوا معللين نفوسهم بوصول جوسلين وملك اورشليم واستمروا على ذلك ثمانية وعشرين يوماً فلم يكن منجد ولا معين وفتح عسكر زنكي منافذ في اسوار المدينة ودخلوها ونهب الناس المدينة وقتلوا اهلها • واعجبت المدينة زنكي فلم يشاء خرابها وامر برد ما اخذ منها وجعل فيها عسكراً يحفظها وفتح مدينة سروج وسائر الاماكن التي كانت بيد الافرنج شرقي الفرات الا البيرة فانه حاصرها ولم يقدر ان يأخذها حينئذ

٦٠ — التجريدة الصليبية الثانية

بعد اخذ المسلمين مدينة الرها سار اسقف جبلة الى البابا اوجانيوس الثالث يلتمس المساعدة لكنيسة المشرق وكان يروى اخبار اخذ المسلمين مدينة الرها وتتفجر من عينيه الدموع • فارسل البابا رسالة الى لويس السابع ملك فرنسا يحضه فيها على امداد الافرنج الذين بسورية فجمع الملك لويس اعيان وأمراء بلاده وكاشفهم بقصده لامداد الافرنج بسورية • فتألب جموع كثيرة العدد يرأسها الملك لويس ومعه كثيرون من ولاة افرنسة واعيانها • وكذلك كونراد ملك المانيا ومعه كثيرون من ولاة مملكته فسار الملكان بجموعهما حتى وصلا الى القسطنطينية فاحتفى بهما ملكها احتفاء كذباً خوفاً من غارتهما على بلاده • ولم يستطع الملك كونراد الاقامة بالقسطنطينية بل طلب من ملكها ان يعطيه الادلاء يهدوه الطريق فاعطاه ما طلب بعد

ان اوصى الادلاء ان يضلوه الطريق بدل هدايته ركتب سلطان قونية ليغتالهم • فسار الملك كونراد بجموعه تحت هداية اولئك الخونة فاقتادوه وجيشه في طرق وعرة خشنة ثم هربوا ولم يبق من يهدي العسكر الالماني السبيل فتوغلوا في بلاد صعبة المسالك • فجمع سلطان قونية عساكر المسلمين وقصد جموع الالمان وهم في تلك الطرق الوعرة فدهمهم من كل جهة وهم تائهون تعبون لا زاد معهم ولا علف لخيلهم فرجع الالمان القهقرى فتتبعهم الاتراك وفتكوا بهم وكل من تصدى للدفاع واصاب كونراد نفسه سهمان وهو بين فرسانه وظل القتلى والجرحى والمرضى على قارعة الطريق • وكان جيش المحاربين من الالمانيين نحو سبعين الفاً عدا من اتبعهم فلم ينج منهم الا عشرهم وانهزم الملك كونراد وعاد الى نيقية فالتقى هناك بلويس ملك فرنسا فعانق احدهما الآخر وبكيا ورافق ملك فرنسا الى افسس وعاد الى القسطنطينية ليقيم فيها فصل الشتاء • اما ملك فرنسا فسار في طريق افسس وسارت الملكة اليونورا امرأته في مقدمة الجيش فدخلوا في مضيق فلما تخلصت الملكة من ذلك المضيق رأت سهلاً رحباً اسرعت اليه في من معها لتخيم فيه فوثب الاتراك على قلب الجيش حيث كان الضعفاء والانزال وجهاز العسكر واعملوا سيوفهم باولئك الضعفاء وكان الملك في ساقة الجيش فسمع الصراخ فاسرع بفرسانه والحم القتال مع الاتراك فنجا من بقي من قلب الجيش • واستمر الملك والاعداء مشتبكين بالقتال الى ان اخذ الملك باغصان شجرة من أعلى جواده ورمى بنفسه على صخر وكان يرد النبال المرشوقة عن بعد بترسه وسيفه عامل بمن دنا منه فانقذته شجاعته وظلام ذلك الليل • ثم لحق بعسكره فوجدهم يبكون على فقده • ثم ساروا نحو اضالية وحصلت مناوشات بينهم وبين المسلمين كان الظفر فيها للفرنسيس ولكن اخرب الاعداء القرى في طريقهم فاصابتهم مجاعة ذبحوا فيها خيولهم وبعد مسيرة اثني عشر يوماً وصلوا اضالية وكان سكانها من الروم (وهي من املاك الروم) فاغلقوا باب المدينة ومنعوا الفرنج من الدخول • فتقدم لويس السابع لفتح اضالية عنوة فخاف واليها عاقبة اصراره فخرج الى الملك وعرض عليه ان يقدم لهم سفناً يسيرون بها الى انطاكية فقبل منه ذلك فقدم له سفناً لم تكف لكل جيشه فنزل هو ومن اختارهم من العسكر وترك للوالي مبلغاً عظيماً من المال لينفقهُ على المرضى من جيشه وعلى تسيير باقي الجيش الى انطاكية • على انه من غداة سفر الملك راسل الوالي الرومي المسلمين لاهلاك الافرنج

الذين عنده فساروا اليه في جيش عظيم فدافع الافرنج عن نفوسهم مدافعة الابطال ولكن انهكهم التعب والجوع فذهبوا ضحية خيانة الوالي الرومي والله يعلم كم قتل منهم وهرب من بقي منهم تائهين في كيليكية

اما الملك لويس السابع ومن سار معه الى انطاكية فلما وصلوا اليها نسوا ما اصابهم ولم يبالوا بمن خلفوهم باضالية وعكفوا على الملذات والملاهي وكانت الملكة اليونورا علة ذلك لانها كانت تحب القصف واللهو غير راسخة في الادب • ثم سار الملك لويس من هناك الى اورشليم فتلقاه الملك بودوين الثالث ملك اورشليم باحتفاء عظيم ثم وصل اليها ايضاً الملك كونراد ملك الالمان متنكراً في هيئة الحجاج وبعد ان اتم الملكان زيارتهما الدينية تفاوضا فيما يجريانه فاتفقا على حصار دمشق • وفي سنة ٥٤٣ هـ (سنة ١١٤٨ م) تقدمت جيوش الافرنج الى دمشق وحاصرتها وصبر المسلمون على القتال ببسالة • وكان صاحب دمشق في ذلك الوقت مجير الدين أبق بن محمد بن بوري وليس له من الامر شيء انما الحكم لمعين الدين انز مملوك جده طغتكين وضيق الافرنج على المدينة جداً وضعفت نفوس المسلمين وايقنوا بعجزهم عن الدفاع وهموا ان يخلوا المدينة والقوا على ابوابها ومداخل الافرنج حجارة عظيمة ليتيسر لهم الفرار بعيالهم واموالهم قبل ان يدركهم الافرنج • وتيقن الافرنج امتلاك المدينة ولم يبق هم لرؤسائهم الا ان يعرفوا لمن تكون الولاية على دمشق بعد فتحها • ورجح كونت فلاندرا على مزاحميه فاخذت الغيرة اشراف الفرنج في سورية من تفضيله عليهم واخذ بعضهم يعملون على احباط مسعاهم وأشاروا على رؤساء الجيش ان يتركوا موقفهم ويرتحلوا الى جهة أخرى قاحلة والاسوار تجاهها منيعة • وبينما الاختلافات قائمة بين امراء الافرنج اذ ورد الخبر بقدوم جيش عظيم من المسلمين بأمرة امير الموصل وامير حلب مدداً لدمشق بناء على طلب صاحبها • فلم يخجل الافرنج وملك فرنسا والمانيا ان يرحلوا عن دمشق الى فلسطين • وهناك تحادثوا بان يحاصروا عسقلان فلم يتفق رأيهم • وعاد ملك المانيا الى بلاده خجلاً اسفاً • وبقي ملك فرنسا في اورشليم الى عيد الفصح سنة ١١٤٩ م ثم عاد الى فرنسا ولم يصنع شيئاً يذكر فلم تكن النتيجة من هذه الحملة غير اشتداد الضغائن بين ملوك الافرنج وملك الروم وزيادة قوة المسلمين وجراءتهم ووهن النصارى وذلهم وعلة كل ذلك الحسد والطمع واختلاف الاراء الناشيء عن ذلك

وفي سنة ٥٤٨ ﻫ (سنة ١١٥٤ م) فتح الملك بودوين الثالث ملك اورشليم عسقلان وكانت الى ذلك الحين من جملة مملكة الظافر بالله العلوي المصري وكانت عسقلان باباً لهم يدخلون منه كلما شأوا الى مملكة اورشليم براً وبحراً • وكان للوزراء الحكم بمصر والخلفاء معهم الاسم لا معنى تحته فكان هؤلاء الوزراء يرسلون الى عسقلان كل سنة من الذخائر والاسلحة والاموال والرجال من يقوم بحفظها فلما كانت هذه السنة قتل ابن السلار الوزير واختلفت الاهواء في مصر وولي عباس الوزارة • فاغتنم بودوين الثالث هذه الفرصة وهمّ بفتح عسقلان فسار اليها في جموعه فارتاع منهم اهل عسقلان وهربوا الى المدينة فحاصرها الفرنج براً وبحراً وصنعوا برجاً من خشب ارفع من الاسوار فالقى العسقلانيون ليلاً بين البرج والسور كثيراً من المواد المحرقة فالهبوها فهب هواء حوّل اللهيب نحو المدينة حتى اصبحت حجارة السور كلساً فسقط بعض السور وتسارع فرسان الهيكل من الفرنج ودخلوا المدينة واقاموا خفراً على الثلمة في السور لئلا يدخل احد غيرهم فيشاطرهم الغنيمة والفخر ولما رأى حامية المدينة واهلها عدد الداخلين قليلاً وقد اشتغلوا بالنهب عن القتال وثبوا بهم فقتلوا منهم وهزموا باقيهم وسدوا الثلمة فاستولى الكدر والاسف على الفرنج وعادوا الى معسكرهم واستدعي الملك الاعيان والاساقفة للمشاورة فرای بعضهم الرحيل عن الحصار ورای غيرهم العود اليه • وبينما المحاورات والمناقشات دائرة بين الافرنج اختلف اهل عسقلان فيما بينهم وادعى كل طائفة منهم ان النصرة كانت من جهته وعظم الخلاف حتى قتل من الفريقين قتلى • وبينما اهل عسقلان يفنون بعضهم بعضاً قرّ راي الافرنج على معاودة الهجوم عليها فهجموا على المدينة هجوماً شديداً ولم يقدر اهل عسقلان على حفظها فدخلها الفرنج بعد ان صرحوا لاهلها بالخروج منها باموالهم واثقالهم

وفي سنة ٥٤٩ ﻫ (سنة ١١٥٥ م) اخذ نور الدين محمود بن زنكي مدينة دمشق من صاحبها مجير الدين انز بن محمد بن بوري فراسل هذا الاخير الافرنج ليرجعوا اليه دمشق ويعطيهم مقابل ذلك حصن بعلبك • وكانت هذه المراسلة اثنا محاصرة نور الدين دمشق • فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا قاصدين دمشق ليزيحوا عنها نور الدين ولكن قبل وصولهم فتح نور الدين دمشق ورجع الفرنج بخفي حنين

وفي سنة ١١٦٢ م سار بودوين الثالث ملك اورشليم الى انطاكية فاصابته

حمى شديدة فحملوه الى طرابلس ثم الى بيروت فتوفي بها في ١٣ من شهر فبراير واخذت جثته الى اورشليم فدفنت في مدافن اسلافه الملوك وحزن عليه الفرنج كثيراً لانه كان عادلاً حليماً شجاعاً صبوراً على الاتعاب ورعاً ولم يكن له ولد فخلفه اخوه اموري

٦١ - خلافة المستنجد بالله بن المقتفي

من سنة ٥٥٥ هـ — ٥٦٦ هـ او من سنة ١١٦٠ — ١١٧٠ م

لما اشتد مرض المقتفي كان ولي عهده ابنه يوسف وكانت المقتفي حظية هي ام ولده ابي علي فارادت الخلافة لابنها واحضرت عدة من الجواري واعطتهن السكاكين وامرتهن بقتل ولي العهد يوسف المذكور اذا دخل على والده . وكان ليوسف خصي صغير يرسله كل وقت يتعرف اخبار والده فرأى الجواري بأيديهن السكاكين فعاد الى يوسف وأخبره فاستدعى استاذ الدار واخذه معه وجماعة من الفراشين ودخل الدار وقد لبس الدرع وأخذ بيده السيف فلما دخل ثار به الجواري فضرب واحدة منهن فجرحها وكذلك اخرى وصاح فدخل استاذ الدار ومعه الفراشون فهرب الجواري . واخذ اخاه ابا علي وامه فسجنهما واخذ الجواري فقتل منهن وغرق منهن . فلما توفي المقتفي جلس يوسف ابنه للبيعة فبويع له ولقب المستنجد بالله وخطب له في ربيع اول سنة ٥٥٥ هـ . وفي سنة ٥٥٦ قتل السلطان سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملكشاه وكان كثير التهور مغرماً بشرب الخمر حتى شربها في رمضان نهاراً فابغضه عسكره وقتلوه وتولى السلطنة بعده ارسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه فخطب له على منابر بغداد

وفي سنة ٥٥٧ هـ اشترى الخليفة المستنجد بالله قلعة الماهكي من صاحبها بخمسة عشر الف دينار ، ودامت خلافة المستنجد الى سنة ٥٦٦ التي توفي فيها

تاسع ربيع الاخر وكانت خلافته احدى عشرة سنة وعمره ستاً وخمسين سنة ٠
وكان من احسن الخلفاء سيرة مع الرعية عادلاً ٠ قبض مرة على انسان كان يسعى
بالناس فاطال حبسه فشفع فيه بعض اصحابه المختصين بخدمته وبذل عنه عشرة آلاف
دينار فقال المستنجد ٠ انا اعطيك عشرة آلاف دينار على ان تحضر لي انساناً آخر
مثله احبسه فاكف شره عن الناس ٠ ولم يطلقه ٠ وكان سبب موته انه كتب الى
وزيره مع طبيبه ابن صفية يأمره بالقبض على استاذ الدار وقطب الدين قايماز
وصلبهما ٠ وكان قد اشتد مرضه فاجتمع الطبيب بهما واوقفهما على الخط ٠ فقالا له ٠
عد اليه وقل له ٠ اني اوصلت الخط الى الوزير ففعل ذلك ٠ ثم دخل المذكوران
على المستنجد ومعهما اصحابهما فحملوه وهو يستغيث الى الحمام والقوه واغلقوا الباب
عليه وهو يصيح الى ان مات

٦٢ – احوال الصليبيين فى هذه المدة

بعد وفاة بودوين الثالث ملك اورشليم اختير للملك في اورشليم اخوه أموري
ويسمى ايضاً الماريك وتوّج في ١٨ من شهر فبراير سنة ١١٦٢ م ومن الاحداث
في ايامه انه في سنة ٥٥٨ هـ سنة ١١٦٤ م قصد نور الدين بن زنكي طرابلس
ونزل في البقعة تحت حصن الاكراد فكبسه الافرنج فانهزم منهم الى بحيرة حمص
وتلاحق به من سلم من المسلمين ٠ وفي سنة ٥٥٩ هـ استنجد شاور المصري الملك
أموري على اخراج شيركوه من ارض مصر فارسل أموري عسكراً الى مصر
واجتمع معهم شاور بعسكر مصر وحصر شيركوه ببلبيس ودام الحصار ثلاثة
اشهر ٠ فاغتنم نور الدين فرصة غياب عساكر الفرنج بمصر فجمع جيوشه وهجم بهم
على حصن حارم ففتحه بعد ان قتل واسر كثيرين وكان من جملة الاسرى البرنس
صاحب انطاكية وكونت طرابلس ٠ ولما بلغت هذه الاخبار الفرنج وهم محاصرون
بلبيس راسلوا شيركوه في الصلح وفتحوا له فخرج ومن معه الى سورية ورجع الفرنج

ايضاً . وبعد ان فتح نور الدين حارم سار الى حصن بانياس وفتحه

وفي سنة ١١٦٨ م استنجد شاور الفرنج مرة اخرى على شيركوه فساروا الى مصر وحاصروا صلاح الدين بن ايوب بالاسكندرية (ابن اخ شيركوه) وكان شيركوه قد تملك الجيزة فسار الى الاسكندرية واتفق مع المصريين والفرنج على اخلاء الاسكندرية نظير دفع مال معلوم ويعود شيركوه الى الشام . فتسلم المصريون الاسكندرية وعاد شيركوه بابن اخيه صلاح الدين المذكور وعسكره . واستقر الصلح بين الافرنج والمصريين على ان يكون للفرنج بالقاهرة شحنة وتكون ابوابها بيد فرسانهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة الف دينار . فتقوى الفرنج بهذه الشروط وتحكموا بمصر وحاربوا مدينة بلبيس وملكوها قهراً ونهبوها وقتلوا اهلها وأسروهم ونزلوا علي القاهرة وحاصروها فخاف شاور وقوعها في ايديهم فامر باحراق مصر القديمة فبقيت النار تحرقها اربعة وخمسين يوماً . واخيراً صالح شاور الفرنج على الف الف دينار يحملها اليهم وحمل اليهم مائة الف دينار وسألهم الرحيل عن القاهرة ليقدر على جمع المال المطلوب فرحلوا

اما باقي اخبار الصليبيين الى اخر التجريدة التاسعة فسنذكرها عند ذكر الدولة الايوبية ودولة المماليك لان ذكرها في اخبار تينك الدولتين اوفى من هنا سياقاً للحديث

٦٣ — خلافة المستضيء بامر الله بن المستنجد

من سنة ٥٦٦ — ٥٧٥ هـ او من سنة ١١٧٠ — ١١٧٩ م

ولما ظهر موت المستنجد احضر ابنه ابو محمد الحسن وبايعه اهل بيته البيعة الخاصة يوم توفي ابوه اي تاسع ربيع الاخر سنة ٥٦٦ هـ وبايعه الناس من الغد بيعة عامة ولقب المستضيء بامر الله . واظهر من العدل اضعاف ما عمل ابوه وفرق اموالاً جليلة المقدار

وكان قد مات في سنة ٥٦٥ هـ قطب الدين مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب

الموصل . فلما اشتد مرضه اوصى بالملك لابنه الاكبر عماد الدين زنكي ثم عدل عنه الى ابنه الاخر سيف الدين غازي والسبب في ذلك ان القيم بامور الدولة كان خادماً يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين لانه كان طوع عمه نور الدين وكان نور الدين يبغض عبد المسيح فاتفق عبد المسيح وخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش ابن ايلغازي وهي والدة سيف الدين على صرف الملك عن عماد الدين الى سيف الدين ورحل عماد الدين الى عمه نور الدين مستنصراً به ليعينه على اخذ الملك لنفسه فلما كانت سنة ٥٦٦ ﻫ وكان عماد الدين وصل الى عمه نور الدين صاحب دمشق وابلغه وفاة والده وتملك اخيه سيف الدين وتحكم فخر الدين عبد المسيح عليه انف لذلك وسار بجريدة في قلة من العسكر وعبر الفرات عند قلعة جعبر وملك الرقة والخابور ونصيبين وحاصر سنجار وملكها وسلمها الى عماد الدين ابن اخيه واتى مدينة بلد (مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل واسمها بالفارسية شهراباذ) وعبر دجلة عندها مخاضة الى الجانب الشرقي ونزل على حصن نينوى . ومن العجب انه يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة فارسل فخر الدين عبد المسيح الى نور الدين في تسليم البلد اليه على ان يقره بيد سيف الدين و يطلب لنفسه الامان ولماله واهله فأجيب الى ذلك وشرط ان فخر الدين يأخذه معه الى الشام و يعطيه عنده اقطاعاً مرضية . فتسلم البلد ودخل القلعة وامر بعمارة الجامع النوري وسلم الموصل الى سيف الدين وسنجار لعماد الدين وعاد الى الشام واستصحب معه فخر الدين عبد المسيح وكان مقامه بالموصل اربعة وعشرين يوماً

وفي سنة ٥٦٨ ﻫ غزا عز الدين قلج ارسلان ملطية وسيواس وافتتحها فهرب صاحبها ذو النون الى نور الدين ملك الشام واحتمى به فاحتفى بمقابلته واكرمه اكرام الملوك ووعده النصرة والسعي في ردّ ملكه اليه . ثم ارسل الى قلج ارسلان يتشفع في اعادة ملكه فلم يجبه الى ذلك فسار نور الدين اليه وملك كيسون وبهنسي ومرعش ومرزبان ثم سير بعضاً من عسكره الى سيواس فتملكوها فاضطرب عز الدين قلج ارسلان وارسل الى نور الدين يطلب الصلح واعادة سيواس الى ذي النون فقبل نور الدين ذلك

وفي سنة ٥٦٩ ﻫ توفي نور الدين محمود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعاء حادي عشر شوال ولم يكن في سير الملوك احسن منه سيرة ولا اكثر تحرياً للعدل منه وكان لا ياكل ولا يلبس الاَّ من ملك كان له قد اشتراه من سهمه في الغنيمة . ولقد شكت اليه زوجته الضائقة فاعطاها ثلثة دكاكين في حمص

كانت له يحصل منها في السنة نحو العشرين ديناراً . فلما استقلتها قال . ليس لي الا هذا وجميع ما بيدي انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك . ولما مات ملك بعده ابنه الملك الصالح وكان عمره احدي عشرة سنة واطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكة باسمه . وفي هذه السنة لما سمع سيف الدين صاحب الموصل بوفاة نور الدين خلع الطاعة وملك نصيبين والخابور وحران والرها وغيرها من اعمال الجزيرة . وفي سنة ٥٧٠ ﻫ خاف امراء دمشق من سيف الدين لئلا يعبر اليهم فسيروا الملك الصالح ومعه العساكر الى حلب ليصد سيف الدين عن العبور الى الشام فلما خلت دمشق عن السلطان والعساكر سار اليها صلاح الدين يوسف بن ايوب (وكان قد عصي على الملك الصالح واستقل بمصر واستولى على كثير من بلاد الشام كما ستراه بالتفصيل في ذكر الدولة الايوبية ان شاء الله) فملكها وملك بعدها حمص وحماة وبعلبك وسار الى حلب فحصرها . فركب الملك الصالح وهو صبي عمره اثنتا عشرة سنة وجمع اهل حلب وقال لهم « قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان ابي اليه ياخذ بلدي ولا يراقب الله والخلق » . وقال من هذا كثيراً وبكى فابكى الناس واتفقوا على القتال دونه . فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل جوشن ولا يقدر على القرب من البلد فرحل عنه

وفي سنة ٥٧٥ ﻫ توفي الامام المستضيء بامر الله وكانت خلافته تسع سنين وعمره تسعاً وثلاثين سنة وكان عادلاً حسن السيرة في الرعية قليل المعاقبة على الذنوب محباً للعفو فعاش حميداً ومات سعيداً

٦٤ - خلافة الناصر لدين الله بن المستضيء

من سنة ٥٧٥ ﻫ — ٦٢٢ ﻫ او من سنة ١١٧٩ — ١٢٢٥ م

لما توفي المستضيء بويع ابنه ابو العباس احمد ولقب الناصر لدين الله . وفي سنة ٥٧٦ ﻫ مات سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وولى بعده عز الدين الموصل فاعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده معز الدين سنجر شاه واعطي قلعة شوش لابنه الصغير ناصر الدين كبك . وكان المدير لدولة عز الدين مجاهد الدين قيماز واستقرت الامور ولم يختلف عليه اثنان

وفي سنة ٥٧٧ توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب بها وعمره نحو تسع عشرة سنة . فلما ايس من نفسه احضر الامراء واوصاهم بتسليم البلد الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي . فتسلم حلب ثم سلمها لاخيه عماد الدين واخذ عوضاً عنها مدينة سنجار . وفي سنة ٥٧٨ ه بعد ان ملك صلاح الدين ديار الجزيرة سار الى الموصل وبها عز الدين صاحبها ونائبه مجاهد الدين قد جمعا بها العساكر الكثيرة من فارس وراجل واظهرا من السلاح والات الحصار ما حارت له الابصار . فلما قرب صلاح الدين من البلد رأى ما هاله وملأ صدره وصدور اصحابه ومع ذلك نزل عليها وانشب القتال . وخرج اليه يوماً بعض العامة فنال منه واخذ لالكة من رجله فيها المسامير الكثيرة ورمى بها اميراً يقال له جاولي الاسدي (وهو مقدم الاسدية وكبيرهم) فاصاب صدره فوجد لذلك ألماً شديداً وأخذ اللالكة وعاد عن القتال الى صلاح الدين وقال . قد قابلنا اهل الموصل بحماقات ما رأينا مثلها بعد . والقى اللالكة وحلف انه لا يعود يقاتل عليها انفة حيث ضرب بها . فلما رأى صلاح الدين انه لا ينال من الموصل غرضاً ولا يحصل على غير العناء والتعب سار عنها الى سنجار وملكها . وفي سنة ٥٧٩ ه سار صلاح الدين الى حلب فنزل بجبل جوشن واظهر انه يريد بناء مساكن له ولاصحابه وعساكره . فمال عماد الدين زنكي الى تسليم حلب واخذ العوض عنها . فتقرر الصلح على ان يسلم حلب الى صلاح الدين ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين وخابور والرقة وسروج وجرت اليمين على ذلك فباعها بابخس الاثمان اعطى حصناً مثل حلب واخذ عوضها قرى ومزارع فقبح الناس كلهم ما اتى

وفي سنة ٥٨٠ ه مات قطب الدين بن ايلغازي بن نجم الدين البي تمرتاش صاحب ماردين وملك بعده ابنه حسام الدين يولق ارسلان وهو طفل وكان شاه ارمن صاحب خلاط خال قطب الدين فحكم في دولته بعد موته فرتب نظام الدين التقش (ويقال البقش) مع ولده وقام بتربيته وتدبير مملكته وكان ديناً خيراً فاحسن تربية الولد وتزوج امه فلما كبر الولد لم يمكنه النظام من مملكته لخبط وهوج كان فيه ولم يزل الامر على ذلك الى ان مات الولد وله اخ اصغر منه لقبه قطب الدين فرتبه النظام في الملك وليس له منه الاّ الاسم والحكم الى النظام ومملوك له اسمه لؤلؤ فبقي كذلك الى سنة ٦٠١ ه فمرض التقش النظام فاتاه قطب الدين يعوده فلما خرج من عنده خرج معه لؤلؤ فضربه قطب الدين بسكين معه فقتله . ثم دخل الى النظام فقتله

ايضاً وخرج وحده ومعه غلام له والتقى الرأسين الى الاجناد فاذعنوا له بالطاعة واستولى على قلعة ماردين وقلعة البارعية والصور وحكم فيها وحزم في افعاله

وفي سنة ٥٨١ ه حصر صلاح الدين الموصل مرة اخرى فسيَّر اتابك عز الدين صاحبها والدته اليه ومعه ابنة عمه نور الدين محمود وغيرها من النساء وجماعة من الاعيان يطلبون المصالحة · وكل من عنده ظنوا انهن اذا طلبن منه الشام اجابهن الى ذلك لا سيما ومعهن ابنة مخدومه وولي نعمته نور الدين · فلما وصلن اليه انزلهن واعتذر باعذار غير مقبولة واعادهن خائبات · فبذل العامة نفوسهم غيظاً وحنقاً لرده النساء · فندم صلاح الدين على رد النساء وجاءته كتب القاضي الفاضل وغيره يقبحون فعله و ينكرونه · وكان عامة الموصل يعبرون دجلة فيقاتلون من الجانب الشرقي من العسكر و يعودون · فعزم صلاح الدين على قطع دجلة عن الموصل الى نينوى ليعطش اهلها فيملكها بغير قتال · ثم علم انه لا يمكنه قطعه بالكلية وان المدة تطول والتعب يكثر فاعرض عنه ورحل الى ميافارقين فصالحه اهلها

وفي سنة ٥٩٤ ه توفى عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقة وملك بعده ابنه قطب الدين محمد وملك نور الدين نصيبين · وفي سنة ٥٩٧ ه في شهر رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان مدينة ملطية وكانت لاخيه معز الدين قيصر شاه فسار اليه وحصره اياماً وملكها وسار منها الى ارزن الروم وكانت لولد الملك محمد صلتق (وهم بيت قديم قد ملكوا ارزن الروم) فلما قاربها ركن الدين خرج صاحبها اليه ثقة به ليقرر معه الصلح على قاعدة يوثرها ركن الدين فقبض عليه واعتقله عنده واخذ البلد وهذا كان آخر اهل بيته الذين ملكوا

٦٥ — ابتداء دولة المغول

وفي سنة ٥٩٩ ه ابتدأت دولة المغول او المغل وهي قبيلة من التتر كانت تقيم حوالي بحيرة بيكال في جنوبي سيبيريا وتاريخهم القديم مظلم لانهم لم يظهروا الا بظهور جنكزخان وكان والده اميراً على ١٣ قبيلة من المغول تحت رعاية

الخان الاكبر المدعو اونك خان بعهود متبادلة بينهما . ولد جنكز خان سنة ٥٤٨ ه فسموه تموجين وهو اسمه الذي كان يعرف به في نشأته الاولى وبعد اربع عشرة سنة توفي ابوه فاستخف رؤساء القبائل بتموجين وتمردوا عليه واصبح كل منهم يطلب السيادة لنفسه . وكان تموجين شديد البطش من حداثته فجمع رجاله وحارب الثائرين وتغلب عليهم فهابه الناس . على انه لم يستغن عن استنجاد الخان الاكبر فانجده واكرمه وثبته في امارة ابيه وازوجه ابنته . وكان تموجين قد شب على ظهور الخيل وتعلم رمي النشاب وضرب السيف واتقن الفروسية بسائر فروعها وكان قوي البدن شجاعاً صبوراً على التعب والجوع والبرد والألم وعوّد رجاله على ذلك فاجتمعت كلمتهم على نصرته وانقادوا لامره ولما علت منزلة تموجين عند الخان هاجت عوامل الحسد في اعضاء اسرته وغيرهم من رجال الدولة وكان تموجين قد اغرى الخان باولئك الامراء فضيق الخان عليهم فاوغرت صدورهم فثاروا عليه (على الخان الاكبر) وشقوا عصا الطاعة وحاربوه وغلبوه فاستنجد تموجين فانجده واعاده الى كرسيه ومثل باعدائه حتى القى سبعين رجلاً منهم في الماء الغالي وهم احياء . فلما ظهر تموجين واظهر القسوة والشدة خافه حموه وحسده فادرك تموجين ذلك فسعى في اصلاح ما بينهما بالحسنى فلم ينجح وعزم الخان الاكبر اونك خان على اغتيال تموجين والقبض عليه . فانضم الى تموجين غلامان من غلمان اونك خان واعلماه القضية وعينا له الليلة التي يريد فيها اونك خان كبسه . وفي الحال امر تموجين اهله باخلاء البيوت من الرجال وتركها على حالها منصوبة وكمن هو مع الرجال بالقرب من البيوت . وفي وقت السحر لما هجم اونك خان واصحابه على بيوت تموجين لقيها خالية . وكر عليه تموجين واصحابه من الكمين واوقعوا بهم وناوشوهم القتال واثخنوهم وهزموهم . وحاربوهم مرتين حتى قتلوا (الخان الاكبر) اونك خان وابطاله وسبوا ذراريه . وبعد قتل الخان الاكبر تولى تموجين عرش المغول . وحارب تموجين بعد ذلك حروباً فاز فيها فازداد امراؤه تعلقاً به فاحتفلوا بتهنئته احتفالاً عظيماً في سهل على ضفاف سلنكا فاجتمع الامراء والخانات فخطب فيهم وكان قوي العارضة فابدع . ثم جلس على لبادة سوداء فرشوها له هناك (واصبحت تلك اللبادة اثراً مقدساً عندهم من ذلك الحين) ثم وقف بعض الحضور وكان من اهل التقوى والنفوذ فقال « مهما بلغ من قوتك فانها من الله وهو سيأخذ بيدك ويشد ازرك فاذا انحطت في سلطانك صرت اسود مثل هذه اللبادة ونبذك رجالك نبذ النواة » وفي هذا القول من حرية البداوة والجراءة مثلما كان

يحصل من جرأة العرب على خلفائهم وامرائهم في صدر الاسلام · ثم تقدم سبعة امراء انهضوه باحترام وساروا بين يديه حتى اجلسوه على عرشه ونادوا به ملكاً على المغول · وكان في جملة الحضور شيخ يعتقدون فيه الكرامة والقداسة فتقدم وليس عليه كساء وقال « يا اخوتي قد رأيت في منامي كأن رب السماء على عرشه الناري تحدق به الارواح وقد اخذ بمحاكمة اهل الارض فحكم ان يكون العالم كله لمولانا تموجين وان يسمى جنكزخان اي الملك العام » ثم التفت الى الملك تموجين وقال « لبيك ايها الملك فانك تدعي من الآن جنكزخان بامر الاله » ولم يعد يعرف بعد ذلك الا بهذا الاسم · هكذا كانت بداءة دولة المغول وظهور جنكزخان

(عود تابع فصل ٦٤) وفي سنة ٦٠٠ هـ توفي السلطان ركن الدين صاحب قونية وملك ابنه قلج ارسلان وكان صغيراً وكان غياث الدين كيخسرو اخو ركن الدين يومئذ بقلعة من قلاع القسنطنطينية ولما سمع بموت اخيه سار الى قونية وقبض على ابن اخيه الصبي وملكها وجمع الله له البلاد جميعها وعظم شانه وقوي امره وكان ذلك في رجب سنة ٦٠١هـ · وفي سنة ٦٠٩ هـ قصد ثلاثة نفرمن تجار البخار بين ديار التاتار ومعهم البضائع من الثياب المذهبة والكرباس وغيرها مما يليق بالمغول بما سمعوا ان للمتاع عندهم قيمة وافرة وان الطرق آمنة لان جنكزخان قد اقام بها جماعة يسمونهم قراقجية اي مستحفظين يخفرون المترددين اليهم فقوي عزمهم على ذلك فساروا نحوهم · ولما وصلوا الى نواحيهم وافاهم المستحفظون ووقفوا على ما معهم من السلع فرأوا قماش واحد منهم اسمه احمد لائقاً للخان فسيروه مع صاحبيه اليه · فعرض احمد متاعه على الحجاب وطلب في ثمن كل ثوب كان مشتراه عليه عشرة دنانير الى عشرين ديناراً ثلاثة بواليش · فغضب لذلك جنكزخان وقال · هذا الغافل كانه يظن اننا ما ما رأينا ثياباً قط · وأمر الخازن فاراه من الاقمشة التي أهداها اليه ملوك الخطا اشياء نفيسة · وتقدم ان يكتب ما معه وانهبه لمن حضر من الحاشية واعتقل احمد · وطلب صاحبيه فعرضا عليه متاعهما برمته وقالا · هذا كله انما اتينا به لنقدمه خدمة للخان لا لنبيعه عليه · فالحوا عليهما ان يثمناه فلم يفعلا · فامر جنكزخان ان يعطيا لكل ثوب مذهب باليش من ذهب ولكل كرباسين باليش من فضة وعوّض لاحمد مثلما اعطاهما · وتقدم الى الاولاد والخواتين والامراء ان ينفذوا معهم جماعة من اصحابهم ومعهم بواليش الذهب والفضة ليجلبوا لهم من طرائف البلاد ونفائسها فامتثلوا ما امرهم به فاجتمع معهم ماية وخمسون تاجراً من

مسلم ونصراني وتركي وارسل معهم رسولاً الى السلطان محمد خوارزم شاه يقول له · ان التجار وصلوا الينا وقد اعدناهم الى مامنهم سالمين غانمين وسيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من ظرائف تلك الاطراف فينبغي ان يعودوا الينا آمنين ليتأكد الوفاق بين الجانبين وتنحسم مواد النفاق من ذات البين : فلما وصل التجار الى مدينة اترار طمع اميرها غاير خان فيما معهم من الاموال فارسل الى محمد خوارزم شاه يعلمه بوصول هؤلاء وكثرة ما معهم ويطمعه فيهم · فارسل اليه خوارزم شاه يامره بقتلهم واخذ ما معهم من الاموال وانفاذه اليهِ فقتلهم وسير ما معهم وكان شيئاً كثيراً ولكن نجا واحد من التجار المذكورين هرباً من السجن · ولما رأى ما جرى على اصحابه هرب الى بلادالتاتار واعلمهم بالمصيبة فعظم ذلك على جنكزخان وتاثر منه تأثراً شديداً اهجره النوم وصار يحدث نفسه ويفتكر فيما يفعله · وقيل انه صعد على رأس تل عال وكشف رأسه وتضرع الى الباري تعالى طالباً نصره على من باداه بالظلم وبقي هناك ثلاثة ايام بلياليها صائماً · وفي الليلة الثالثة رأى في منامه راهباً عليه السواد وبيده عكازه وهو قائم على بابه يقول له : لا تخف افعل ما شئت فانك مؤيد : فانتبه مذعوراً ذعراً مشوباً بالفرح وعاد الى منزله وحكى حلمه الى زوجته ابنة اونك خان (وكان ابوها نصرانياً على ما يقال) فقالت له : هذا زي اسقف كان يتردد الى ابي ويدعو له ومجيئه اليك دليل انتقال السعادة اليك : فسال جنكزخان من في خدمته من نصارى الايغور : هل هنا احد من الاساقفة : فقيل له عن الاسقف دنحا · فلما طلبه ودخل عليه بالبيرون الاسود قال · هذا زي من رأيت في منامي لكن شخصه ليس ذاك · فقال الاسقف · يكون الخان قد رأى بعض قديسينا : ومن ذلك الوقت صار يميل الى النصارى ويحسن الظن بهم ويكرمهم · ثم ابتدأ جنكزخان في الاستعداد ليغزو بلاد المسلمين وتيقن السلطان محمد (خوارزمشاه) ان ما فعله من قتل التجار ليس صواباً وربما يهيج التاتار فيحضروا الى بلاده فارسل الجواسيس ليتجسس احوال التاتار وعددهم فطال غيابهم واخيراً حضروا واعلموه بكثرة جموعهم وعظم صبرهم في الحروب · وعلموا باستعدادهم لغزو بلاد المسلمين

وفي سنة ٦١٦ هـ قصد جنكزخان بلاد السلطان محمد وارسل اليه رسولاً يقول له : تقتلون اصحابي وتاخذون اموالهم استعدوا للحرب فاني واصل اليكم بجمع لا قبل لكم به : فامر خوارزمشاه بقتل رسول جنكزخان فقتل وحلق لحى الذين معه وقال لهم :

اذهبوا واخبروا صاحبكم بما فعلت برسوله وقولوا له ان خوارزمشاه يقول لك : انا سائر اليك ولو كنت في آخر الدنيا حتى انتقم وافعل بك كما فعلت بالرسول : وتجهز خوارزمشاه وسار مبادراً ليسبق خبره ليكبسه فسار حتى بلغ مدينة التاتار فلم يجد بها الاّ النساء والصبيان والاطفال (لان جنكزخان ورجاله كانوا مشغولين بحرب ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان) فاوقع خوارزمشاه بهم وسبى الجميع وغنم النساء والذرية ٠ ولم يكد يفرغ خوارزمشاه من اخذ هذه الغنيمة الباردة حتى كانت الاخبار قد وصلت جنكزخان بما فعله السلطان محمد (خوارزمشاه) بمدينته فسير بعضاً من جيشه بقيادة احد اولاده لادراك السلطان محمد فادركه قبل ان يخرج من مدينتهم فدارت رحى الحرب واستمر القتال سجالاً ثلاثة ايام والمسلمون صابرون لانهم ايقنوا انهم لو انهزموا لم يبق منهم التاتار احداً ٠ وجرت الدماء على الارض كالانهار وكلّ الفريقان من القتال فلما كانت الليلة الرابعة اوقد التاتار نيرانهم كالعادة وتركوها عائدين الى ملكهم جنكزخان ٠ اما السلطان محمد ومن بقي معه من جيش المسلمين فساروا الى بخارا وهناك قال السلطان محمد لعساكره ٠ قد رأيتم قوة التاتار وشدة بطشهم ونحن مع كثرتنا لم نقدر علي سرية من سراياهم فكم بالحرى اذا جاء ملكهم جنكزخان بجموعهم لا يقدر احد على الوقوف امامهم والرأي الآن ان اذهب انا الى خراسان وخوارزم واجمع العساكر وأتيكم سريعاً ٠ وترك ببخارا عشرين الفاً و بسمرقند خمسين الفاً وسار هو الى خراسان بعد ان اوصى عساكره بالصبر في الحرب وحفظ ما بأيديهم الى ان ياتيهم (بالترياق من العراق)

وفي سنة ٦١٧ هـ نزل جنكزخان بعساكره على مدينة بخارا وبها من عساكر المسلمين العشرون الف رجل الذين تركهم بها خوارزمشاه وهم بقيادة كوك خان فحاصر جنكزخان المدينة وشدّد عليها الحصار فلما تحقق عساكر المسلمين عجزهم عن مقاومة التاتار خرجوا من الحصار بعد الغروب فادركهم المحافظون من عساكر المغول على نهر جيحون فاوقعوا فيهم وقتلوهم كافة ولم يبقوا منهم اثراً ٠ فلما فارق المقاتلون المدينة لم يبق لاهلها حيلة الا التسليم والخروج وطلب الامان فخرج الأئمة والاعيان الى جنكزخان يتضرعون اليه ويطلبون حقن دمائهم ٠ فتقدم باخراج كل من بالمدينة الى ظاهرها فخرجوا ودخل هو وولده (تولي) الى المدينة فوقف على باب الجامع وقال : هذا دار السلطان ٠ فقالوا له ٠ بل خانه يزدان اي بيت الله

فنزل ودخل الجامع وصعد الى المنبر وقال لاكابر بخارا • ان الصحراء خالية من العلف فانتم اشبعوا الخيل مما عندكم في الانبار • ففتحوها وصاروا ينقلون ما فيها من الغلات ورموا ما في الصناديق من الكتب وجعلوها اواري للخيل واحضروا الطعام والشراب هناك (بالجامع) واكلوا وشربوا وطربوا • ثم خرج جنكزخان الى منزله وجمع الائمة والمشايخ والسادات والعلماء وقال لهم : ان الله ملك الكل وضابط الكل ارسلني لاطهر الارض من بغي الملوك الجائرة الفسقة الفجرة وذكر لهم ما فعله اميرانرار باذن السلطان محمد بالتجار الى غير ذلك • ثم امرهم ان يعتزلوا الاغنياء واصحاب الثروة بمعزل عن الفقراء فعزلوهم وكانوا مايتي الف وثمانين الفاً • فقال لهم • ان الاموال التي فوق الارض لا حاجة بنا الى استعلامها منكم وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي تحت الارض • فقبلوا بالسمع والطاعة • ووكلوا مع كل قوم باسقاقاً يستخرج المال واشار سراً الى المستخرجين ان لا يكلفوهم مالا يطيقونه ويرفقوا بهم وذلك لما رأى من حسن اجابتهم الى ما أمروا به • وكان بعض عساكر المسلمين قد دخلوا قلعة بخارا وتحصنوا بها • فاحاط بهم جنكزخان من كل الجوانب وشدد عليهم • ثم امر جنكزخان بطم خندق المدينة فطموه بالاخشاب والتراب وغير ذلك حتى ان التاتار كانوا يأخذون المنابر وربعات القرآن فيلقونها في الخندق • ثم تابعوا الزحف الى القلعة وبها نحو اربعماية فارس من المسلمين فبذلوا جهدهم ومنعوا القلعة اثني عشر يوماً يقاتلون جموع التاتار فلم يزالوا كذلك حتى وصل النقابون الى سور القلعة فنقبوه واشتد القتال • ومن بها من المسلمين يقاتلون بكل ما يجدونه من احجار ونار حتى قتلوا عن آخرهم • فاحترقت المدينة باسرها من النيران التي كانوا يرمون بها التاتار لان جل عمائر المدينة كان من خشب فبقيت عرصة بخارا قاعاً صفصفاً وتفرق اهلها متنزحين الى خراسان • وفي ربيع الاول من هذه السنة نزل جنكزخان على مدينة سمرقند وكان قد رتب بها السلطان محمد خمسين الفاً واجتمع اليهم من اهل المدينة ستون الفاً فصار جملة عساكر المسلمين بسمرقند ماية الف وعشرة آلاف فلما نازلها منع اصحابه عن المقاتلة وانفذ سنتاي نوين ومعه ثلاثون الف محارب في اثر السلطان محمد • وغلاق نوين ويسور نوين الى جانب الطالقان • واحاط باقي العسكر بالمدينة وقت السحر فبرز اليهم مبارزوا الخوارزمية ونازعوهم القتال وجرحوا جماعة كثيرة من التاتار واسروا جماعة وأدخلوهم المدينة • فلما كان الغد ركب جنكزخان

بنفسه ودار على العسكر وحثهم على القتال فاشتد القتال ذلك اليوم بينهم ودام النهار كله من اوله الى اول الليل ووقف الابطال من المغول على ابواب المدينة ولم يمكنوا احداً من المجاهدين من الخروج • فحصل عند الخوارزمية فتور كثير ووقع الاختلاف بين اكابر المدينة وتلونت الآراء فبعضهم مال الى المصالحة وبعضهم لم يأمن على نفسه وان اؤمن خوفاً من غدر التاتار • فقوي عزم القاضي وشيخ الاسلام على الخروج فخرجا الى خدمة جنكزخان وطلبا الامان لهما ولاهل المدينة فلم يجبهما الا الى أمان انفسهما ومن يلوذ بهما • فدخلا الى المدينة وفتحا ابوابها فدخل المغول واشتغلوا ذلك اليوم بتخريب مواضع من السور وهدم بعض الابرجة ولم يتعرضوا لاحد الى ان هجم الليل فدخلوا الى المدينة وصاروا يخرجون من الرجال والنساء ماية ماية بالعدد الى الصحراء وقتلوهم ولم يبقوا الا على القاضي وشيخ الاسلام ومن التجأ اليهما فاحتمى بهما نيف وخمسون الفاً من الخلق • ولما أصبح الصباح شرع المغول في نهب المدينة وقتل كل من لحقوه مختبئاً في المغاير ومتوارياً بالستائر • ومن هناك سار جنكزخان الى خوارزم

قد ذكرنا تسيير جنكزخان بعضاً من جيشه لاقتفاء اثر خوارزمشاه فعند ما سيرهم قال لهم • اطلبوا خوارزمشاه اين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه • وهذه الطائفة تسمى التتر (اوالتاتار) المغربة لانها سارت غرباً نحو خراسان • فلما امرهم جنكزخان بالمسير ساروا وقصدوا موضعاً يسمى بنج اب ومعناه خمس مياه • فلما وصلوا اليه لم يجدوا هناك سفينة فعملوا من الخشب مثل الاحواض الكبار والبسوها جلود البقر لئلاّ يدخلها الماء • ووضعوا فيها سلاحهم وامتعتهم والقوا الخيل في الماء وامسكوا اذنابها وتلك الحياض التي من الخشب مشدودة اليهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض المملوء من السلاح وغيره وبهذه الوسيلة عبروا دفعة واحدة فلم يشعر خوارزمشاه الا وقد صاروا معه على ارض واحدة • وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعباً وخوفاً فلما رأوهم لم يقدروا على الثبات فتفرقوا ايدي سبا • ورحل خوارزمشاه لا يلوى على شيء في نفر من خاصته وقصدوا نيسابور فلما دخلها اجتمع اليه بعض العسكر لكنه لم يستقر حتى ادركه اولئك التتر فلما سمع بقربهم رحل الى مازندران فتعقبوه من بلدة الى اخرى حتى عاد الى قلعة مازندران مرة أخرى متخفياً فلما وصلها مات فيها مقهوراً (وكانت مدة ملك خوارزمشاه

(السلطان محمد) احدى وعشرين سنة وشهوراً تقريباً) وعظم ملكه واطاعه العالم باسره ولم يملك احد بعد السلجوقية مثل ملكه وبعد وفاته خلفه على الملك ابنه السلطان جلال الدين • اما هذه الفرقة من التاتار التي تتبعت آثار السلطان محمد لما آيست من احضاره حياً الى جنكزخان كطلبه وجهت التفاتها الى الغزو والفتح فملكوا مازندران مع حصانتها ومناعتها في مدة وجيزة ثم ساروا الى الري وهمذان واذربيجان ومراغة وملكوها واعملوا في اهلها قتلاً ونهباً وسبياً مما لم يسمع بمثله فكانت هذه اعظم مصيبة اصيب بها الاسلام من ظهوره الى ذلك الوقت

اما جنكزخان وباقي جموع التاتار فقد ذكرنا مسيرهم بعد أخذهم سمرقند الى نواحي خوارزم فلما قرب اليها ارسل الى اهلها يدعوهم الى الأَلِيَّة (أي القسم) والدخول في طاعته وشغلهم بالوعد والوعيد والتأميل والتهديد الى ان تم جيشه فرتب آلات الحرب من منجنيق وما يرمى بها ولان صقع خوارزم لم يكن فيه حجر كان المغول يقطعون من اشجار التوت قطعاً كالحجارة ويرمون بها • وملأوا الخندق بالتراب والخشب والهشيم وانشبوا الحرب والقتال على المدينة من جميع جوانبها حتى عجز من فيها عن المقاومة فملكوا سورها وأضرموا النار في محالها فاتت على اكثر دورها وما فيها فأيس المغول من الانتفاع بشيء من غنائمها فاعرضوا عن الحريق وصاروا يملكون محلة محلة لان اهلها كانوا يمتنعون فيها اشد الامتناع ولم يزالوا كذلك حتى ملك المغول كل المحال واخرجوا الخلائق كافة الى الصحراء وفرزوا الصناع والمحترفين الى ناحية وكانواماية الف وأسروا البنين والبنات والنساء اللواتي ينتفع بهن وقسموا الباقي من الرجال والنسا العجائز على العسكر ليقتلوهم فقتل كل واحد منهم اربعاً وعشرين شخصاً

وفي اوائل سنة ٦١٨ ﻫ عبر جنكزخان نهر جيحون وقصد مدينة بلخ فخرج اليه اعيانها وبذلوا الطاعة وحملوا الهدايا وانواعاً من الترغو (المأكل والمشرب) فلم يقبل عليهم بسبب ان السلطان جلال الدين بن السلطان محمد كان في تلك النواحي يهيء اسباب الحرب ويستعد للقتال فامر بخروج اهل بلخ ليعدوهم كالعادة فلما خرجوا بأسرهم رمى فيهم السيف • ومن هناك توجه نحو الطالقان وقتل اكثر اهلها وأسر من صلح للاسر وابقى البعض وسار الى الباميان فعصى اهلها وقاتلوا قتالاً شديداً واتفق ان أصيب بعض اولاد جقطاي بسهم فقضى نحبه وكان من أحب احفاد

جكنزخان اليه فعظمت المصيبة بذلك واضرمت النيران في قلوب المغول وجدّوا في القتال الى ان فتحوها وقتلوا كل من فيها حتى الدواب والبقر والاجنة في بطون الحوامل ايضاً ولم يأسروا منها أحداً قط وتركوها قفراً ولم يسكنها احد قط الى اليوم وسموها ماوباليغ اي قرية بؤس

ولما فرغ جنكزخان من تخريب بلاد خراسان سمع بان السلطان جلال الدين قد استظهر بالعراق فسار نحوه ليلاً ونهاراً بحيث ان المغول لم يتمكنوا من طبخ لحم اذا نزلوا . فحين وصلوا الى غزنة اخبروا بان جلال الدين من خمسة عشر يوماً رحل عنها وهو عازم على ان يعبر نهر السند فلم يستقر جنكزخان ورحل في الحال وحمل على نفسه بالسير حتى لحقه في اطراف السند فطاف به العسكر من قدامه ومن خلفه وداروا عليه دائرة وراء دائرة كالقوس الموتورة ونهر السند كالوتر وهو في وسط . وبالغ المغول في المكافحة وتقدم جنكزخان ان يقبض عليه حياً . ووصل جقطاي واقطاي ايضاً من جانب خوارزم . فلما رأى جلال الدين انه يوم عمل شهم وضرغم ابطال المغول وتطلب اطلابهم وحمل عليهم حملات وشق صفوفهم مرة بعد مرة وطال الامر بمثل ذلك لامتناع المغول عن رميه بالنشاب ليحضروه حياً بين يدي جنكزخان امتثالاً لمرسومه . فكانوا يتقدمون اليه قليلاً قليلاً . فلما عاين تضييق الحلقة عليه نزل فودع اولاده بل اكباده من نسائه وخواصه باكياً كئيباً ثم رمى عنه الجوشن وركب جنيبه وهو كالاسد الغيور وهم بالعبور واقحم فرسه النهر فاقتحم وعام وخلص الى الساحل وجنكزخان واصحابه ينظرون اليه و يتاملونه حيارى . ولما شاهد ذلك جنكزخان وضع يده على فمه متعجباً والتفت الى ولديه وقال لهما : من اب مثل هذا ينبغي ان يولد : اذا نجا من هذه الواقعة فوقائع كثيرة تجري على يديه . ومن خطبه لا يغفل من يعقل . واراد جماعة من البهادورية ان يتبعوه في الماء فمنعهم جنكزخان قائلاً : انكم لستم من رجاله لانه كان يرامي المغول بالسهام وهو في وسط الشط . فلمافاتهم اخذوا امر الخان باحضار حرمه واولاده وتقدم بقتل جميع الذكور حتى الرضع . ولان جلال الدين عند ما أراد الخوض في النهر القى جميع ما كان صحبته من آنية الذهب والفضة والنقرة فيه . امر الغواصين فاخرجوا منها ما امكن اخراجه . وبعد فرار جلال الدين من ايدي التاتار رجعوا الى مدينة غزنة وملكوها وملكوا غيرها فترى انهم في اقل من سنة ملكوا جزءاً من المعمور عظيماً لم يتيسر لاحد ملكه في مثل هذه المدة

وفي سنة ٦٢٢ ھ في آخر شهر رمضان توفي الخليفة ابو العباس احمد الناصر بن المستضيء بعد ان عجز عن الحركة ثلاث سنين من آخر عمره وذهبت احدى عينيه وضعف بصر الاخرى · وكان عمره سبعين سنة ومدة خلافته ستاً واربعين سنة واحد عشر شهراً

٦٦ — خلافة الظاهر بامر الله بن الناصر لدين الله

من سنة ٦٢٢ — ٦٢٣ ھ او من سنة ١٢٢٥ — ١٢٢٦ م

لما توفى الامام الناصر لدين الله بويع ابنه الظاهر بامر الله عدة الدين ابو نصر محمد في ثاني شوال سنة ٦٢٢ ھ

وكان والده قد بايع له بولاية العهد سنة ٥٨٥ وخطب له بها مع ابيه على سائر المنابر ومضت على ذلك مدة ثم نفر منه بعد ذلك وخافه على نفسه فانه كان شديداً قوياً ايداً عالي الهمة فاسقط اسمه من ولاية العهد في الخطبة واعتقله وضيق عليه ومال الى اخيه الصغير الامير علي الا انه توفى سنة ٦١٢ ھ في حياة ابيه · فعلم الناصر انه لم يبق له ولد تصير الخلافة اليه من بعده غير ابنه ابي نصر فعهد اليه و بايع له الناس وهو في الحبس مضبوط عليه · وكانت عامة اهل بغداد يميلون اليه فلما توفي الامام الناصر اخرجه ارباب الدولة وبايعوه بالخلافة · واظهر من العدل والاحسان ما حمد منه فازال مكوساً كثيرة وفرق في الناس اموالاً جزيلة واملاكاً جليلة · وارتفع عن الناس ما كانوا لقوه من الخوف في زمان والده فاظهروا نعمتهم · وامتنع المفسدون من السعايات لكن لم تطل مدة خلافته لانه توفي في رابع عشر من شهر رجب سنة ٦٢٣ ھ وكانت خلافته تسعة اشهر

٦٧ — خلافة المستنصر بالله بن الظاهر بامر الله

من سنة ٦٢٣ — سنة ٦٤١ ھ او من سنة ١٢٢٦ — ١٢٤٣ م

ولما توفي الامام الظاهر بامر الله بويع ابنه ابو جعفر المنصور ولقب المستنصر بأمر الله واظهر من العدل وحسن السيرة اضعاف ما فعل ابوه وافاض من الصدقات ما اربى

على من تقدمه وانشأ المدرسة المعروفة بالمستنصرية فعمرت على احسن وصف في صورتها وآلاتها واتساعها وزخرفها وكثرة فقهائها ووقوفها . ورتب لها من الخبز والطعام ما يكفي من فيها ويزيد الى غير ذلك من الامور الضرورية كالاطباء والصيادلة . الاَّ انه وجد الدولة اختلفت والاعمال قد انتقضت والجباية قد انتقصت اوعدمت فضاقت عن ارزاق الجند فاسقط كثيراً من الجند واختلفت الاحوال . وهو الذي اعاد له محمد بن يوسف ابن هود الدعوة العباسية بالاندلس آخر دولة الموحدين بالمغرب فولاه عليها وذلك في سنه ٦٢٩ ه كما سنذكره في اخبارهم ان شاء الله . وفي ايامه استولى التاتار (المغول) على كثير من بلاد المسلمين حتى وصلوا في بعض غزواتهم الى بغداد فردتهم عساكر المسلمين على الاعقاب . واستمرت خلافة المستنصر بالله الى سنة ٦٤١ ه التي توفى فيها وكانت خلافته نحو ثماني عشرة سنة

٦٨ — خلافة المستعصم بالله بن المستنصر

من سنة ٦٤١ — ٦٥٦ ه او من سنة ١٢٤٣ — ١٢٥٨ م

ولما توفي الامام المستنصر بالله بويع ابنه عبد الله ولقب المستعصم بالله وكان صاحب لهو وقصف وشغف بلعب الطيور واستولت عليه النساء . وكان ضعيف الرأي قليل العزم كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول وكان اذا نبه الى ما ينبغي ان يفعله في امر التاتار اما المداراة والدخول في طاعتهم وتوخي مرضاتهم او تجييش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق فكان يقول . انا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها عليَّ اذا تنازلت لهم عن باقي البلاد ولا يهجمون عليَّ وانا بها وهي بيتي ودار مقامي . فهذه الخيالات الفاسدة وامثالها عدلت به عن الصواب فاصيب بمكاره لم تخطر بباله لان التاتار بعد ان ملكوا الري واصبهان وهمذان واغلب العراق تقدموا في سنة ٦٥٥ قاصدين مدينة بغداد وهم بقيادة القائد الشهير هولاكو . فلما بلغ الخليفة قصدهم احضر خواصه ليتشاوروا في الامر . فاشار عليه الوزير ان يبذل الاموال والهدايا والتحف لهولاكو وخواصه ويسترضوا خواطرهم فقال الدويدار الصغير لاصحابه : ان الوزير انما يدبر شأن نفسه مع التاتار وهو

يروم تسليمنا اليهم فلا نمكنه من ذلك • فابطل الخليفة بهذا السبب انفاذ الهدايا الكثيرة واقتصر على شيء نذر لا قدر له وارسله الى هولاكو فغضب وعزم على الاسراع الى بغداد • وفي هذه الاثناء حصلت فتنة ببغداد بين السنية والشيعة (وكان الوزير وهواذ ذاك ابن العلقمي شيعياً) فامر الخليفة بنهب دور الشيعة فنهبت ولم يراع فيه ذمة الوزير فشق عليه ذلك وتربص بالدولة وارسل الى هولاكو يهوّن عليه فتح بغداد واذا أراد الله امراً هيأ أسبابه • فلما كانت سنة ٦٥٦ ﻫ نزل هولاكو بجموع التاتار على بغداد وحاصرها من جميع الجوانب ورماها بالمنجنيق والنفط فلما رأى الخليفة في نفسه العجز عن المقاومة ارسل الوزير ابن العلقمي الى هولاكو لطلب الصلح فاستأمن لنفسه وأخذ اماناً للمستعصم منه انه يبقى على خلافته • فخرج المستعصم لمقابلة هولاكو ومعه الفقهاء والاعيان فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه ثم قتل المستعصم ضرباً بالعمد ووطأ بالاقدام جثته • وركب الى بغداد فاستباحها واتصل العيث بها اياماً وخرج النساء والصبيان وعلى رؤوسهم المصاحف والالواح فداستهم العساكر وماتوا جميعاً وكانت مصيبة عظيمة على المسلمين ويقال ان الذى احصى ذلك اليوم من القتلى الف الف وستمائة الف نسمة وان يكن هذا النقل من مبالغة المؤرخين الاقدمين فلا أقل من كونه يفيد ان الخسارة كانت جسيمة جداً • ونهبت العساكر من قصور الخلفاء وخزائنها أموالاً وذخائر لا تعد ولا تحصى والقوا جميع كتب العلم في نهر دجلة وكانت عدداً عظيماً • وانقرض بهذه الحادثة أمر الخلافة الاسلامية لبني العباس ببغداد فكانت دولة بني العباس من يوم بويع للسفاح سنة ١٣٢ ﻫ الى ان قتل المستعصم بالله سنة ٦٥٦ ﻫ خمسماية سنة واربعاً وعشرين سنة وعدد خلفائهم ببغداد سبعة وثلاثون خليفة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين • انتهى

٦٩ — دولة بني امية بالاندلس

(تمهيد) لا يخفى على القارىء الكريم ان بلاد الاندلس (اسبانيا) فتحها المسلمون سنة ٩٢ هـ في ايام الوليد بن عبد الملك راجع ما كتب (بالفصل ١٦) ومن ذلك الحين الى سنة ١٣٩ هـ كان يتولاها امراء من قبل الخلافة العظمى من بني أمية أولاً ثم من بني العباس ثانياً . واول من وليها موسى بن نصير عامل افريقيا الذي فتحها مولاه طارق ثم هو تمم فتحها ثم عزل وولي بعده ابنه عبد العزيز فضبطها وحمى ثغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة وكان خيراً فاضلاً وبقي والياً عليها الى سنة ٩٧ هـ وقيل ٩٨ هـ فقتل بها . فبقيت الاندلس بلا وال ستة اشهر ثم اتفقوا على حبيب ابن ايوب اللخمي وهو ابن أخت موسى بن نصير فكان يصلي بهم لصلاحه وتحول الى قرطبة وجعلها دار الامارة في اول سنة ٩٨ هـ وقيل ٩٩ هـ ثم ان سليمان بن عبد الملك (فصل ١٧) استعمل بعده الحر بن عبد الرحمن الثقفي فقدمها سنة ٩٨ هـ واقام والياً عليها سنتين وتسعة اشهر فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة (فصل ١٨) استعمل على الاندلس السمح بن مالك الخولاني وامره ان يميز أرضها ويخرج منها ما كان عنوة ويأخذ منه الخمس ويكتب اليه بصفة الاندلس وكان رأيه اقفال اهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين فقدمها السمح سنة ١٠٠ هـ في شهر رمضان وفعل ما أمره عمر وقتل عند انصرافه من دار الحرب سنة ١٠٢ هـ . ثم وليها بعد السمح عنبسة بن سحيم الكلبي سنة ١٠٣ هـ وتوفي في شعبان سنة ١٠٧ هـ ثم وليها بعده يحيي بن سلمى الكلبي في ذي القعدة سنة ١٠٧ هـ فبقى عليها والياً سنتين وستة اشهر ثم وليها حزيفة بن الابرص الاشجعي سنة ١١٠ هـ ولم تكن ولايته الا ستة اشهر وعزل . ثم وليها عثمان ابن ابي نسعة الختعمي سنة ١١٠ هـ وعزل سنة ١١١ هـ وكانت ولايته خمسة اشهر . ثم وليها الهيثم بن عبيد الكناني فقدمها في المحرم سنة ١١١ هـ واقام والياً عليها عشرة اشهر واياماً ثم توفي في ذي الحجة فقدم اهل الاندلس على انفسهم محمد بن عبد الله الاشجعي وكانت ولايته شهرين وولي بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي في صفر سنة ١١٢ هـ واستشهد برمضان سنة ١١٤ هـ . ثم وليها عبد الملك بن قطن الفهري فاقام عليها سنتين وعزل ثم وليها بعده عقبة بن الحجاج السلولي دخلها سنة ١١٦ هـ فوليها خمس سنين وثار اهل الاندلس به فخلعوه وولوا بعده عبدالملك بن قطن وهي

ولايته الثانية . ثم والى ابلج بن بشر القشيري بايعه اصحابه فهرب عبد الملك ولحق بداره وهرب ابناه قطن وأمية فلحق احدهما بماردة والآخر بسرقسطة . ثم ثارت اليمنية على بلج وسألوه قتل عبد الملك بن قطن فلما خشي فسادهم امر به فقتل وصلب وكان عمره تسعين سنة . فلما بلغ ابنيه قتله حشدا من ماردة الى اربونة فاجتمع اليهما ماية الف (على ما يقال) وزحفوا الى بلج ومن معه بقرطبة فخرج اليهم بلج فلقيهم بمن معه من اهل الشام بقرب قرطبة فهزمهما ورجع الى قرطبة فمات بها بعد ايام يسيرة فاراد اليمانية ان يولوا بدلاً عنه ابا الخطار وامتنعت مضر ورأسهم الصميل بن حاتم بن شمر وافترقت الكلمة فاقامت الاندلس اربعة اشهر بغير امير . ثم قدموا عبد الرحمن بن كثير اللخمي للاحكام فلما تفاقم الامر اتفق رأيهم على يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن ابي عبيدة الفهري فوليها يوسف سنة ١٢٩ ﻫ واستقر الامر ان يلي سنة ثم يرد الامر الى اليمن فيولون من احبوا من قومهم فلما انقضت السنة اقبل اهل اليمن باسرهم يريدون ان يولوا رجلاً منهم فبيتهم الصميل فقتل منهم خلقاً كثيراً (وهي وقعة شقنده المشهورة) وفيها قتل ابو الخطار واقتتلوا بالرماح حتى تقطعت وبالسيوف حتى تكسرت ثم تجاذبوا بالشعور وكان ذلك سنة ١٣٠ ﻫ واجتمع الناس على يوسف ولم يعترضه احد (وقيل غير ذلك) ثم توالى القحط على الاندلس وجلا اهلها عنها وتضعضعت الى سنة ١٣٦ ﻫ وفيها اجتمع تميم بن معبد الفهري وعامر العبدري بمدينة سرقسطة وحاربهما الصميل ثم حاربهما يوسف الفهري فقتلهما . وبقي يوسف على الاندلس الى ان غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام على ما سنذكره ان شاء الله

---

٧٠ – عبد الرحمن بن معاوية

من سنة ١٣٩ ﻫ – ١٧٢ ﻫ او من سنة ٧٥٦ – ٧٨٨ م

لما نزل ما نزل ببني امية بالمشرق وغلبهم بنو العباس على الخلافة وازالوهم عن كرسيها وقتل عبد الله بن علي مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفائهم سنة ١٣٢ ﻫ وتتبع العباسيون آثارهم يقتلون من يجدونه منهم حيث وجدوه فطلبوا بطن الارض

وكان ممن افلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك هرب ومعه بدر مولاه فقصدا بلاد المغرب بافريقيا فنزلا على قوم من زناتة فاحسنوا قبولهما . ثم سار عبد الرحمن الى ان لحق بمليلة . و بعث بدراً مولاه الى من بالاندلس من موالي المروانيين واشياعهم فاجتمع بهم و بثوا له بالاندلس دعوة ونشروا له ذكراً ووافق ذلك ما قدمناه من الفتنة بين اليمنية والمضرية فاجتمعت اليمنية على امره ورجع اليه بدر مولاه ومعه بعض روسائهم فوصلوا اليه وابلغوه طاعتهم له واخذوه ورجعوا الى الاندلس وذلك في سنة ١٣٨ ﻫ في خلافة ابي جعفر المنصور (من بني العباس) فاتاه جماعة من اهل اشبيلية و بايعوه ثم سار الى كورة رحب فبايعه عاملها عيسى بن ميسور ثم الى شدونة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي ثم اتى مورور فبايعه ابن الصباح ونهز الى قرطبة فاجتمعت عليه اليمنية ونمي خبره الى والي الاندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري وكان غازياً ببلاد الاسبان فجمع عساكره ورجع الى قرطبة لقتال عبد الرحمن بن معاوية واشار عليه وزيره الصميل بن حاتم بالتلطف له والمكر بهِ فلم يتم له مراده . اما عبد الرحمن فسار الى مالقة واحتلها و بايعه من بها من الجند ثم برندة فبايعه جندها ثم بشريش كذلك فتوافت عليه الامداد والامصار وتسايلت المضرية اليه حتى اذا لم يبق مع يوسف الفهري غير الفهرية والقيسية لمكان الصميل منه زحف اليه حينئذٍ عبد الرحمن بن معاوية وناجزهم الحرب بظاهر قرطبة فانكشف ورجع الى غرطانة فتحصن بها واتبعه الامير عبد الرحمن بن معاوية فنازله ثم رغب اليه يوسف في الصلح فعقد له على ان يسكن قرطبة واقفله معه ثم نقض يوسف عهده وخرج سنة ١٤١ ﻫ ولحق بطليطلة واجتمع اليه زهاء عشرين الفاً من البربر . وقدم الامير عبد الرحمن للقائه عبد الملك بن عمر المرواني (وكان قد وفد عليه من المشرق) وسار يوسف اليهما وخرجا اليه فلقياه فتناجز الفريقان ودارت الدائرة على يوسف فهرب واغتاله بعض اصحابه بناحية طليطلة واحتز راسه وتقدم به الى الامير عبد الرحمن فاستقام امره واستقر بقرطبة و بنى القصر والمسجد الجامع انفق عليه ثمانين الف دينار ومات قبل تمامه . و بنى مساجد اخرى ووفد عليه جماعة من اهل بيته

من المشرق وكان يدعو للمنصور ثم قطعها لما تم له الملك بالاندلس ومهد امرها وخلد لبني مروان السلطان بها وجدد ماطمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها. واستلحم الثوار في نواحيها وقطع دعوة العباسيين من منابرها وسدّ المذاهب منهم دونها ومات سنة ١٧٢ هـ. وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل لانه اول داخل للاندلس من ملوك بني مروان

وكان ابو جعفر المنصور يسميه صقر بني امية لما رأى ما فعل بالاندلس وما ركب اليها من الاخطار وانه جاءها من انأى ديار المشرق من غير عصابة ولا قوة ولا انصار فغلب على اهلها وعلى اميرها وتناول الملك من ايديهم واورثه عقبه. وكان عبد الرحمن هذا يلقب بالامير وعليه جرى بنوه فلم يدع احد منهم بامير المؤمنين حتى كان عبد الرحمن الناصر وهو الثامن منهم على ما نذكره ان شاء الله فتسمى بامير المؤمنين وتوارث ذلك بنوه

وفي سنة ١٤٩ هـ خالف عليه هشام بن عبد ربه الفهري بطليطلة واعاد بها دعوة بني العباس فسير اليه عبد الرحمن بن معاوية مولاه بدرًا فحاصره ومعه حيوة ابن الوليد الحصبي وحمزة بن عبد الله بن عمر فهزمهم وجاء بهم الى قرطبة وصلبوا بها. وفي هذه السنة (١٤٩ هـ) سار من افريقيا الى الاندلس العلاء بن مغيث اليحصبي ونزل باجة من بلاد الاندلس داعيًا لأبي جعفر المنصور واجتمع اليه خلق فسار اليه الامير عبد الرحمن ولقيه بنواحي اشبيلية فقاتله اياماً ثم انهزم العلاء وقتل في سبعة آلاف من اصحابه وبعث عبد الرحمن برؤوس كثيرة منهم الى القيروان ومكة فأُلقيت في اسواقها سرًا ومعها اللواء الاسود وكتاب المنصور للعلاء

وفي سنة ١٥٦ هـ سار الامير عبد الرحمن لقتال رجل بشرق الاندلس يعرف بشقنا بن عبد الواحد وكان قد استخلف على قرطبة ابنه سليمان فاتاه كتابه يخبره بخروج اهل اشبيلية مع عبد الغفار وحيوة بن ملابس عن طاعته وعصيانهم عليه واتفق من بها من اليمانية معها فرجع عبد الرحمن ولم يدخل قرطبة وهاله ما سمع من اجتماعهم وكثرتهم فقدّم ابن عمه عبد الملك بن عمر وكان شهاب آل مروان

وبقي عبد الرحمن خلفه كالمدد له فلما قارب عبد الملك اهل شبيلية قدّم ابنه امية ليعرف احوالهم فرآهم متيقظين فرجع الى ابيه . فلامه ابوه على اظهار الوهن وضرب عنقه وجمع اهل بيته وخاصته وقال لهم : طُردنا من المشرق الى اقصى هذا الصقع ونُحسد على لقمة تبقي الرمق اكسروا جفون السيوف فالموت اولى او الظفر : ففعلوا وحمل بين ايديهم فهزم اليمانية وأهل اشبيلية فلم تقم بعدها لليمانية قائمة . وجرح عبد الملك في اثناء هذه الواقعة . وبلغ الامير عبد الرحمن خبر هذا الانتصار المبين . فاتى الى عبد الملك وجرحه يجري دماً وقبله بين عينيه وشكرها له وجزاه خيراً ووصله بالصهر وولاه الوزارة . ونجا عبد الغفار وحيوة ابن ملابس الى اشبيلية فسار الامير عبد الرحمن سنة ١٥٧ ﻫ اليها فقتلهم وقتل خلقاً ممن كان معهم . وفي سنة ١٦١ﻫ غدر بشقنا رجلان من اصحابه وجاء برأسه الى عبد الرحمن . وفي سنة ١٦٢ ﻫ سار عبد الرحمن بن حبيب الفهري من افريقيا الى الاندلس مظهراً للدعوة العباسية ونزل بتدمير واجتمع اليه البربر وكان سليمان ابن يقظان عاملاً على برشلونة فكتب اليه يدعوه الى امره فلم يجبه . فسار اليه في البربر ولقيه سليمان فهزمه وعاد الى تدمير وزحف اليه عبد الرحمن بن معاوية من قرطبة فاعتصم بجبل بلنسية فبذل عبد الرحمن فيه الاموال فاغتاله رجل من اصحابه البربر وحمل رأسه الى الامير عبد الرحمن بن معاوية . وفي سنة ١٦٨ ﻫ خرج ابو الاسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن فلقيه بقسطلونة وهزمه واثخن في اصحابه ثم لقيه ثانية سنة ١٦٩ ﻫ وهزمه ثم هلك ابو الاسود سنة ١٧٠ ﻫ في اعمال طليطلة وقام مكانه اخوه قاسم وغزاه عبد الرحمن فحاصره فجاء بغير أمان فقتله

وفي سنة ١٧٢ ﻫ توفي الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بقرطبة وكان فصيحاً لسناً شاعراً حليما عالماً حازماً سريع النهضة في طلب الخارجين عليه لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ولا ينفرد في الامور برأيه شجاعاً مقداماً بعيد الغور شديد الحذر سخياً جواداً وكان

يكثر لبس البياض وكان يقاس بالمنصور في حزمه وشدته وضبط المملكة . وبنى الرصافة بقرطبة تشبيهاً بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام ولما سكنها رأى فيها نخلة منفردة فقال

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي بالتغرب والنوى ... وطول التنائي عن بنيّ وعن اهلي
نشأت بارض انت فيها غريبة ... فمثلك في القصاء والمنتاي مثلي

وكانت مدة ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة

٧١ - هشام بن عبد الرحمن

من سنة ١٧٢ هـ — ١٨٠ هـ او من سنة ٧٨٨ — ٧٩٦ م

كان عبد الرحمن قد عهد الى ابنه هشام ولم يكن اكبر ولده فان سليمان اكبر منه وانما كان يتوسم فيه الشهامة والاضطلاع بهذا الامر فلهذا عهد اليه ولما توفي ابوه كان هو بماردة متولياً لها وكان اخوه سليمان وهو اكبر منه بمدينة طليطلة وكان يروم الامر لنفسه ويحسد اخاه هشاماً على تقديم والده له عليه وأضمر له الغش والعصيان . وكان اخوه عبدالله المعروف بالبلنسي (او المسكين) حاضراً بقرطبة عند والده فلما توفي جدد البيعة لاخيه هشام بعد ان صلى على والده وكتب الى اخيه هشام يعرفه موت والده والبيعة له فسار من ساعته الى قرطبة فدخلها في ستة ايام واستولى على الملك . ولم يكد يستولي على كرسي المملكة حتى اظهر اخوه سليمان العصيان عليه فاظهر الخلاف بطليطلة ولحق به اخوه عبدالله ايضاً و بعث هشام في اثره فلم يلحق به وسار هشام في العساكر فحصرهما بطليطلة وكان سليمان قد جمع وحشد خلقاً كثيراً فلما حاصرهما هشام سار سليمان من طليطلة وترك ابنه واخاه عبدالله يحفظان البلد وسار هو الى قرطبة ليملكها فلم يظفر بشيء منها . و بقي هشام محاصراً طليطلة شهرين واياماً ثم عاد عنها بعد ان قطع

اشجارها وسار الى قرطبة فأتاه اخوه عبد الله بغير امان فاكرمه وحسن اليه فلما دخلت سنة ١٧٤ هـ سير هشام ابنه معاوية في جيش كثيف الى تدمير وفيها سليمان فحاربه وخربوا اعمال تدمير ودوخوا اهلها ومن بها وبلغوا البحر فخرج سليمان من تدمير هاربا فلجأ الى البرابرة بناحية بلنسية فاعتصم بتلك الناحية الوعرة المسالك فعاد معاوية الى قرطبة . ثم استقر الصلح بين هشام وسليمان ان يأخذ سليمان اهله واولاده وامواله ويفارق الاندلس واعطاه هشام ستين الف دينار مصالحة عن تركة ابيه عبد الرحمن فسار الى بلد البرابرة واقام بها . وفي سنة ١٧٢ هـ خرج عليه سعيد بن الحسين الانصاري بطرسوسة من شرق الاندلس ودعا اليه اليمانية وتعصب لهم فاجتمع اليه خلق كثير وملك مدينة طرسوسة واخرج عامل هشام يوسف القيسي منها فعارضه موسى بن فرتون وقام بدعوة هشام ووافقته مضر فاقتتلا فانهزم سعيد وقتل

وفيها أيضاً خرج مطروح بن سليمان بن يقظان بمدينة برشلونة وخرج معه جمع كثير وملك مدينة سرقسطة ومدينة وشقة وكان هشام في شغل بامر اخويه فلما فرغ منهما بعث ابا عثمان عبيد الله بن عثمان بالعساكر الى مطروح فحاصره بسرقسطة اياماً ثم افرج عنه ونزل بطرسوسة قريباً . ثم غدر بمطروح بعض اصحابه وجاء برأسه الى ابي عثمان فبعث به الى هشام . وبعد ان فرغ هشام من اخويه والخوارج القائمين عليه وجه التفاته الى الغزو والفتح فغزا الاسبان مراراً متعددة وانتصر عليهم في عدة وقائع وغنم منهم كثيراً ورجع سالماً ظافراً . وفي سنة ١٨٠ هـ توفي توفي هشام بن عبد الرحمن وكانت امارته سبع سنين وسبعة اشهر واياماً وكان عاملاً حازماً ذا رأي وشجاعة وعدل محباً لاهل الخير والصلاح شديداً على الاعداء راغباً في الجهاد ولكثرة مناقبه الحسنة شبهوه بعمر بن عبد العزيز (فصل ١٨)

٧٣ - الحكم بن هشام

من سنة ١٨٠ - ٢٠٦ هـ او من سنة ٧٩٦ - ٨٢١ م

لما توفي هشام تولى ابنه الحكم . وكان الحكم صارماً حازماً وهو اول من استكثر من المماليك بالاندلس وارتبط الخيل ببابه وتشبه بالجبابرة . وكان يباشر الامور بنفسه وكان فصيحاً شاعراً . ولاول ولايته خرج عليه عماه سليمان وعبد الله وكانا في بلاد المغرب الاقصى من افريقيا فعبر اولا عبد الله البلنسي فتولى بلنسية . وتبعه اخوه سليمان واقبلا يؤلبان الناس على الحكم ويثيران الفتنة فتحاربوا مدة فظفر الحكم بعمه سليمان وقتله واما عبد الله فاقام ببلنسية وقد كف عن الفتنة . واغتنم الاسبان الفرصة فقدموا في جموعهم الى مدينة برشلونة وهزموا عنها جيوش المسلمين وملكوها وكان ذلك سنة ١٨٥ هـ وفي سنة ١٨١ هـ خالف بهلول بن مرزوق المعروف بابي الحجاج بناحية الثغر ودخل سرقسطة وملكها . وفيها ايضاً خالف عبيدة بن حميد بطليطلة فامر الحكم القائد عمروس بن يوسف وهو بمدينة طابيرة ان يحارب اهل طليطلة فاكثر قتالهم وضيق عليهم واخيراً كاتب رجالاً من اهل طليطلة يعرفون ببني مخشي واستمالهم فوثبوا على عبيدة ابن حميد وقتلوه وحملوا رأسه الى عمروس فسير الرأس الى الحكم وما زال عمروس يقاتل اهل طليطلة الى ان استقامت تلك الناحية فجعل ابنه يوسف عليها . فاغتاظ لذلك اهل طليطلة وساروا الى بلاد الاسبان واغروهم على غزو طليطلة وسهلوا عليهم فتحها فلما كانت سنة ١٨٧هـ سار جيش الاسبان قاصداً طليطلة وحاصرها وضيق عليها ولم يقدر من بها على الدفاع فافتتحها الاسبان واسروا يوسف بن عمروس وسجنوه بصخرة قيس . فلما بلغ عمروس هذا الخبر سار الى مدينة سرقسطة ليحفظها من تقدم الاسبان عليها ثم جمع عساكره وسيرهم مع ابن عم له فالتقى بالاسبان واقتتلوا قتالا شديداً فانهزم الاسبان هزيمة شنعاء وولوا الادبار بعد ان قتل منهم خلق كثير . وسار جيش عمروس الى صخرة قيس فحصروها وافتتحوها ولم يقدر الاسبان على منعها لما نالهم من الوهن بالهزيمة ولما فتحها المسلمون خلصوا يوسف بن عمروس امير الثغر وسيروه الى ابيه فذاع صيت عمروس بسبب هذا الانتصار وخافه الاعداء جداً واقام بالثغر اميراً عليه

وفي هذه السنة (١٨٧ هـ) اوقع الحكم باهل قرطبة . والسبب في ذلك ان الحكم

كان في صدر ولايته يتظاهر بشرب الخمر والانهماك في اللذات وكانت قرطبة دار علم وبها فضلاء في العلم والورع . فاجتمع العلماء وانكروا فعله ورجموه بالحجارة وارادوا قتله فامتنع منهم بمن حضر من الجند وسكن الحال . ثم بعد ايام اجتمع وجوه اهل قرطبة وفقهاؤها وحضروا عند محمد بن القاسم القرشي المرواني عم هشام بن حمزة واخذوا له البيعة على اهل البلد وعرفوه ان الناس قد ارتضوه كافة فاستنظرهم ليلة ليرى رأيه ويستخير الله سبحانه وتعالى فانصرفوا . فحضر عند الحكم واطلعه على الحال واعلمه انه على بيعته فطلب الحكم التحقق من الامر فتنكر وحضر المجلس معهم فعلم حقيقة الامر وعرف كل من له دخل في هذه الثورة الخفية فامر بالجماعة فحبسوا جميعاً ثم امر بهم بعد ايام فصلبوا عند قصره وكانوا اثنين وسبعين رجلاً فكان يوماً شنيعاً وتمكنت عداوة الناس للحكم

وفي سنة ١٩١ هـ اوقع الامير الحكم بأهل طليطلة (وهي وقعة الحفرة الشهيرة) والسبب في ذلك ان اهل طليطلة كانوا قد طمعوا في الامراء وخلعوهم مرة بعد اخرى وقويت نفوسهم بحصانة بلدهم وكثرة اموالهم فلم يكونوا يطيعون امراءهم طاعة مرضية فلما اعيا الحكم شأنهم اعمل الحيلة في الظفر بهم فاستعان في ذلك بعمروس بن يوسف المعروف بالمولد فاستحضره عنده واكرمه وبالغ في ذلك ثم اطلعه على عزمه في اهل طليطلة وواطاه على التدبير عليهم فولاه طليطلة وكتب الى اهلها يقول : اني قد اخترت لكم فلاناً وهو منكم لتطمئن قلوبكم اليه واعفيتكم ممن تكرهون من عمالنا وموالينا ولتعرفوا جميل رأينا فيكم : فمضى عمروس اليهم ودخل طليطلة فآنس به اهلها واطمئنوا اليه وأحسن عشرتهم . وكان اول ما عمل عليهم من الحيلة ان اظهر لهم موافقتهم على بغض بني امية وخلع طاعتهم فمالوا اليه ووثقوا بما يفعله . ثم قال لهم ان سبب الشر بينكم وبين اصحاب الامير انما هو اختلاطهم بكم وقد رأيت ان ابني بناء اعتزل فيه انا واصحاب السلطان رفقاً بكم فاجابوه الى ذلك فبنى في وسط البلد ما اراد . فلما مضى لذلك مدة كتب الامير الحكم الى عامل له على الثغر الاعلى سرًّا يأمره ان يرسل اليه يستغيث من جيوش الاسبان وطلب النجدة ففعل العامل ذلك فأمر الحكم بالحشد فأتته الجيوش من كل ناحية واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن وحشد معه قواده ووزراءه فسار الجيش واجتاز بمدينة طليطلة ولم يعرض عبد الرحمن لدخولها . فاتاه وهو عندها من ذلك العامل ان جيوش الاسبان تفرقت وكفى الله شرها . فتفرق العسكر وعزم عبد الرحمن الى العود الى قرطبة . فعند ذلك قال عمروس

لاهل طليطلة قد ترون نزول ولد الحكم الى جانبي وانه يلزمني الخروج اليه وقضاء حقه فان نشطتم لذلك والا سرت اليه وحدى فخرج معه وجوه اهل طليطلة فاكرمهم عبد الرحمن واحسن اليهم • ثم تفكر عمروس في كيف تكون الحيلة على اهل طليطلة فاشار على اعيان اهلها بان يسألوا عبد الرحمن الدخول اليهم ليرى هو وعسكره كثرتهم ومنعتهم وقوتهم • فظنوه ينصحهم • ففعلوا ذلك وادخلوا عبد الرحمن البلد ونزل مع عمروس في داره واتاه اهل طليطلة ارسالا يسلمون عليه • واشاع عمروس ان عبد الرحمن يريد ان يتخذ لهم وليمة عظيمة وشرع في الاستعداد لذلك • ووعدهم يوماً ذكره وقرر معهم انهم يدخلون من باب ويخرجون من آخر ليقل الزحام • فقبلوا ذلك فلما كان اليوم المذكور اتاه الناس افواجاً فكان كلما دخل فوج اخذوا وحملوا الى جماعة من الجند على حفرة كبيرة في ذلك القصر فضربت رقابهم الى ان قتل معظمهم وفطن الباقون فنفروا وحسنت طاعتهم من بعد ذلك الى ايام الفتنة كما سنذكره ان شاء الله • وفيها عصي اصبغ بن عبد الله بماردة واخرج عامل الحكم فسار اليه الحكم وحاصره وجاءه الخبر بعصيان اهل قرطبة فرجع مبادراً وقاتلهم ثم استنزل امر اصبغ من بعد ذلك لمتابعة ارسال الحكم الجيوش اليه ومفارقة اصحابه له فضعفت نفسه فطلب الامان فأمنه • وكثر عبث الاسبان في هذه الاثناء وتابعوا الغزو في بلاد المسلمين فسار اليهم الحكم سنة ١٩٦ هـ وقاتلهم وانتصر عليهم وشتت شملهم • وفي سنة ٢٠٦ هـ توفى الحكم بن هشام وكانت مدة امارته سبعاً وعشرين سنة

---

٧٣ - عبد الرحمن بن الحكم

من سنة ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ او من سنة ٨٢١ - ٨٥٢ م

لما مات الحكم بن هشام قام بالملك بعده ابنه عبد الرحمن ويكنى بالمطرف فلما ولي خرج عليه عم ابيه عبد الله البلنسي وطمع بموت الحكم وخرج من بلنسية يريد قرطبة فتجهز له عبد الرحمن فلما بلغ ذلك عبد الله خاف وضعفت نفسه فعاد الى بلنسية ثم مات في اثناء ذلك ووقى الله عبد الرحمن شره وبموته خلصت

الامارة بالاندلس لولد هشام بن عبد الرحمن · وفي هذه السنة (٢٠٦ هـ) وفد على عبد الرحمن من العراق زرآب المغني مولى المهدي ومعلم ابراهيم الموصلي واسمه علي بن نافع فركب لتلقيه وبالغ في اكرامه واقام عنده بخير حال · واورث صناعة الغناء بالاندلس · وفي سنة ٢٠٧ هـ كانت فتنة بين اليمانية والمضرية فاقتتلوا بلورقة وكان بينهم وقعة تعرف بيوم المضارة قتل منهم ثلاثة الف رجل ودامت الحرب بينهم سبع سنين فوكل الامير عبد الرحمن بكفهم ومنعهم يحيى ابن عبدالله بن خالد وسيره في جميع الجيش فكانوا اذا احسوا بقرب يحيى تفرقوا وتركوا القتال واذا عاد عنهم رجعوا الى الفتنة والقتال · وفي هذه السنة كانت بالاندلس مجاعة شديدة ذهب فيها خلق كثير · وفي سنة ٢١٣ هـ انتقض عليه اهل ماردة وقتلوا عامله فبعث اليهم العساكر فافتتحوها وعاودوا الطاعة واخذوا برهائنهم ورجعوا عنهم · ثم امر الامير عبد الرحمن بنقل حجارة سور ماردة الى النهر فعاود اهلها الخلاف واسروا العامل واصلحوا السور فسار اليهم عبد الرحمن سنة ٢١٤ هـ وحاصرهم فامتنعوا عليه ثم بعث العساكر سنة ٢١٧هـ فحاصرها فامتنعوا ايضاً · فحاصرها سنة ٢٢٠ هـ وافتتحها · وفي سنة ٢١٥ هـ خرج بمدينة طليطلة هاشم الضراب واشتدت شوكته واجتمعت اليه الخلق واوقع باهل شنت برية فبعث عبد الرحمن العساكر لقتاله فلم يصيبوا منه · ثم بعث عساكر اخرى فقاتلوه بنواحي دورقة فهزموه وقتل هو وكثير من اصحابه · واستمر اهل طليطلة على الخلاف فبعث عبد الرحمن ابنه امية ليحاصرها فحاصرها مدة ثم افرج عنها ونزل قلعة رياح فكمن لهم فاوقعوا به فاغتم لذلك ومات بعد ايام قليلة · وبعث عبد الرحمن العساكر لحصارها ثانية فلم يظفروا بشيء · ثم بعث عبد الرحمن اخاه الوليد في العساكر سنة ٢٢٢ هـ لحصارها وقد اشرفوا على الهلكة وضعفوا عن المدافعة فافتتحها عنوة وسكن اهلها واقام بها اخر سنة ٢٢٣ هـ ورجع · وفي سنة ٢٢٤ هـ بعث عبد الرحمن عبيد الله بن البلنسي لغزو بلاد البة وقلاع الاسبان فلقي العدو فهزمهم وكثر السبي والقتل

وفي سنة ٢٢٦ ﻫ ارسل عبد الرحمن موسي بن موسى عامل طليطلة غازياً في بلاد الاسبان فظفر وغنم ورجع سالماً . وكان لموسى في هذه الغزاة مقام محمود الا انه وقعت بينه و بين بعض قواد عبد الرحمن ملاحاة فاغلظ له القائد . فكانت هذه سبباً لعصيان موسى على عبد الرحمن فانتقض عليه . فارسل عبد الرحمن الجيوش مع الحرث بن بزيغ فقاتله موسى وانهزم وقتل ابن عمه ورجع الحرث الى سرقسطة ثم زحف الى طليطلة وحاصر بها موسى حتى نزل عنها على الصلح الى اربط واقام الحرث بطليطلة اياماً ثم سار لحصار موسى في اربط فاستنصر موسى بملك الاسبان فجاءه وزحف الحرث واكمنوا له فلقيهم على نهر بلبة فخرجت عليه الكمائن بعد ان اجاز النهر واوقعوا به واسروه وقد فقئت عينه . فاغتاظ الامير عبد الرحمن عند سماعه خبر هذه الواقعة . وبعث ابنه محمداً في العساكر سنة ٢٢٧ ﻫ وحاصر موسى بطليطلة حتى صالحه وتقدم الى ينبلونة . واوقع بجيوش الاسبان عندها وقتل ملكهم . ثم عاود موسى الخلاف فزحفت اليه العساكر فرجع الى المسالمة و رهن ابنه عند عبد الرحمن على الطاعة وقبله عبد الرحمن وولاه تطيلة فسار اليها واستقرت على عمالته

وفي سنة ٢٣١ ﻫ ارسل عبد الرحمن عساكره لغزو بلاد الاسبان فوصلوا الى مدينة لسبون وحاصروها ولم يقدروا على فتحها فعادوا . وفي سنة ٢٣٢ ﻫ كان بالاندلس مجاعة شديدة وقحط عظيم فهلك فيه خلق كثير ويبست الاشجار ولم يزرع الناس شيئاً . وفي سنة ٢٣٨ ﻫ توفي عبد الرحمن بن الحكم بن هشام وكانت مدة ولايته احدى وثلاثين سنة وثلاثة اشهر وكان اديباً شاعراً عالماً بعلوم الشريعة وغيرها من علوم الفلاسفة وكانت ايامه بوجه الاجمال ايام عافية وسكون وكثرت الاموال عنده وكان بعيد الهمة واخترع قصوراً ومنتزهات كثيرة و بنى الطرق وزاد في الجامع بقرطبة رواقين و بنى جوامع كثيرة بالاندلس

٧٩ - محمد بن عبد الرحمن بن الحكم

من سنة ٢٣٨ — ٢٧٣ ﻫ او من سنة ٨٥٢ — ٨٨٦ م

لما توفي الامير عبد الرحمن بن الحكم تولى بعده ابنه محمد فجري على سيرة والده في العدل . وهو اول من اقام ابهة الملك بالاندلس ورتب رسوم المملكة وعلا عن التبذل للعامة فكان يشبه بالوليد بن عبد الملك (فصل ١٦) في ابهة الملك وهو اول من جلب الماء العذب الى قرطبة وادخله اليها وجعل يفصل للماء مصنعاً كبيراً يرده الناس . واول عمل باشره ارساله العساكر مع اخيه الحكم الى قلعة رياح لاصلاح اسوارها وكان اهل طليطلة خربوها فرمها اصلح حالها وتقدم الى طليطلة فافسد في نواحيها وشعثها ثم سير جيشاً آخر الى طليطلة ايضاً فلما قاربوها خرجت عليهم الجنود من المكامن فانهزم العسكر واصيب اكثر من فيه وذلك سنة ٢٣٩ ﻫ . وفي سنة ٢٤٠ ﻫ سار محمد بن عبد الرحمن في جيوشه قاصداً مدينة طليطلة فلما سمع اهلها بذلك كاتبوا ملوك الاسبان واستمدوهم فأمدوهم بالعساكر الكثيرة . فلما سمع محمد بذلك وكان قد قارب طليطلة عبى اصحابه وقد كمن لهم الكمناء بناحية وادي سليط وتقدم اليهم وهو في قلة من العساكر فلما علم اهل طليطلة بذلك اعلموا الاسبان بقلة من مع محمد فسارعوا لقتاله وطمعوا فيه . فلما تراءى الجمعان وانتشب القتال خرجت الكمناء من كل جهة على الاسبان واهل طليطلة فقتل منهم ما لا يحصى وبقيت جثث القتلى بوادي سليط مدة طويلة . ثم سار اليهم سنة ٢٤٣ ﻫ فاوقع بهم ثانية واثخن فيهم وخرب ضياعهم فصالحوه ثم نكثوا . وفي سنة ٢٤٥ ﻫ خرج الافرنج من بلادهم في مراكب كثيرة قاصدين بلاد الاندلس فنزلوا باشبيلية والجزيرة واحرقوا مسجدها ثم عادوا الى تدمير فانهزم اهل تدمير ودخلوا حصن اريولة . ثم انصرفوا فلقيتهم مراكب الامير محمد فقاتلوهم فاحرقوا مركبين من مراكب الافرنج وغنموا مركبين ايضاً فعند ذلك جد الافرنج في القتال فانهزم المسلمون وعاد الافرنج من حيث اتوا .

وفي سنة ٢٦٠ ه ظهر موسى بن ذي النون الهواري بشنت برية واغار على اهل طليطلة فخرجوا اليه في عشرين الفاً فلقيهم وهزمهم وانهزم معهم مطرف بن عبد الرحمن وقتل من اهل طليطلة خلق وكان مطرف بن عبد الرحمن فرداً في الشجاعة . فقوي امر موسى بن ذي النون وهابته الناس . وفي سنة ٢٦١ ه انتقض أسد بن الحرث بن بديع بتاكرتا فبعث اليهم الامير محمد العساكر وحاصروهم حتى استقاموا على الطاعة . وفي سنة ٢٦٣ ه اغزى الامير محمد ابنه المنذر الى دار الحرب وجعل طريقه ماردة وكان بها ابن مروان الجليقي . ومرت طائفة من عسكر المنذر بماردة فخرج عليهم ابن مروان ومعه جمع من الاسبان استظهر بهم فقتل تلك الطائفة عن آخرها . وفي سنة ٢٦٤ ه بعث ابنه المنذر ثانية الى بلد ينبلونة وسرقسطة فقاتل اهلها ثم تقدم الى تطيلة وعاث في نواحيها وخرب بلاد بني موسى ثم مضى لوجهه الى ينلبونة فدوخها ورجع . وفي سنة ٢٦٦ ه امر الامير محمد بانشاء المراكب بنهر قرطبة ليدخل بها الى البحر المحيط ليأتي بلاد الاسبان من ورائها فلما تم انشاؤها وجرت في البحر اصابها ريح فغرقت ولم يسلم منها الاَّ القليل . وفي سنة ٢٦٧ ه انتقض عمر بن حفصون بحصن بشتر من جبال مالقة وزحف اليه عساكر تلك الناحية فهزمهم وقوي امره . وجاءت عساكر الامير محمد فصالحهم ابن حفصون واستقام امر الناحية . وفي سنة ٢٦٨ ه بعث الامير محمد ابنه المنذر لقتال اهل الخلاف فقصد سرقسطة وحاصرها وعاث في نواحيها وفتح حصن ريطة ثم تقدم الى دير بروجة وفيه محمد بن لب بن موسى ثم قصد مدينة لاردة وقرطجنة . وفي سنة ٢٧٠ ه سار هاشم بن عبد العزيز بالعساكر لحصار عمر بن حفصون بحصن بشتر واستنزله الى قرطبة فاقام بها . وفيها شرع اسماعيل بن موسى ببناء مدينة لاردة فجمع صاحب برشلونة (وهي برسلون) لمنعه من ذلك وسار اليه فهزمه اسمعيل وقتل اكثر رجاله . وفي سنة ٢٧١ ه سار هاشم بن عبد العزيز في العساكر الى سرقسطة فحاصرها هاشم وافتتحها ونزلوا جميعاً على حكمه وفي سنة ٢٧٣ ه توفي الامير محمد بن عبد الرحمن

ابن الحكم بن هشام وكان عمره نحوًا من خمس وستين سنة وكانت ولايته اربعاً وثلاثين سنة واحد عشر شهرًا وكان ذكيًا فطنًا بالامور المشتبهة متعانيًا منها

٧٥ – المنذر بن محمد بن عبد الرحمن

من سنة ٢٧٣ – ٢٧٥ هـ او من سنة ٨٨٦ – ٨٨٨ م

لما توفي الامير محمد بن عبد الرحمن تولى الملك بعده ابنه المنذر واول عمل باشره قتله هاشم بن عبد العزيز وزير ابيه . وفي سنة ٢٧٤ هـ سار في العساكر لحصار ابن حفصون فحاصره بحصن بشتر وافتتح جميع قلاعه وحصونه ومنها رية وهي مالقة وقبض على واليها من قبله عيشون فقتله ولما اشتد الحصار على ابن حفصون سأل الصلح فاجابه وافرج عنه . ثم نكث فرجع لحصاره سنة ٢٧٥ هـ فتوفي المنذر وهو محاصرًا لابن حفصون فأتي ابن حفصون الفرج من حيث لا يحتسب وكانت ولاية المنذر سنتين الأ نصف شهر

٧٦ – عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

من سنة ٢٧٥ – ٣٠٠ هـ او من سنة ٨٨٨ – ٩١٢ م

ولما توفي المنذر بن محمد تولى الملك بعده اخوه عبدالله بن محمد فرجع بالعساكر الى قرطبة وانتقضت عليه الاندلس جميعها وصار في كل جهة متغلب . فمن ذلك ان محمد بن تاكيت من مصمدة خرج على عبدالله وتبعه جمع كثير فسار الي ماردة وملكها فزحفت اليه عساكر الامير عبدالله من قرطبة فجاء عبد الرحمن بن مروان مددًا له فحاصروهم اشهرًا ثم اقلعوا وكان بماردة جموع من العرب وكتامة واقاربهم فاخرجهم واستقل بماردة هو وقومه ولكنه لم يلبث ان اختلف عليه عبد الرحمن ابن مروان وحاربه وهزمه مرارًا فأستجاش محمد بن تاكيت بسعدون السرساقي

فلم يغثه . وعظم شأن عبد الرحمن بن مروان واثخن في البرابرة المجاورين الا انه هلك بعد مدة قريبة فكفي الله شره . وممن انتقض عليه ايضاً لب بن محمد بن لب فحاصر تطيلة ولم يقدر عليها فرجع خائباً . ومنهم ابن حفصون الذي ذكرنا خبر انتقاضه في ايام المنذر فما زال مخالفاً حتى قوي امره واستولى على غرب الاندلس. فلما قوي امره كاتب ابن الاغلب صاحب افريقيا وهاداه واظهر الدعوة العباسية بالاندلس . لكن ابن الاغلب تثاقل عن اجابته لاضطراب افريقيا . ثم سار اليه الامير عبدالله بن محمد وافتتح كثيراً من بلاده وحصونه وحاصره اياماً ورجع عنه فاتبعه ابن حفصون فكرَّ عليه الامير عبد الله وهزمه واثخن فيه وافتتح البيرة من اعماله ووالى عليه الحصار في كل سنة . ثم ارسل اليه الوزير احمد بن ابي عبيدة لحصاره فاستنجد بابراهيم بن حجاج الثائر بأشبيلية ولقياه فهزمهما وراجع ابن حجاج الطاعة وعقد له الامير عبدالله على اشبيلية و بعث ابن حفصون بطاعتهِ للشيعة عندما تغلبوا على القيروان من يد الاغالبة واظهر بالاندلس دعوة عبيدالله المهدي ثم راجع طاعة بني أمية

ثم خرج باشبيلية عدة من الخوارج فتغلب عليهم الامير عبد الله ولاشاهم

(قتل الامير محمد واخيه المطرف ابن الامير عبدالله) كان المطرف قد اكثر السعاية في اخيه محمد عند ابيهما حتى اذا تمكنت سعايته وظهر سخطه على ابنه محمد لحق حينئذٍ ببلد ابن حفصون ثم استأمن ورجع و بالغ المطرف في السعاية الى ان حبسه ابوه في بعض حجر القصر . وخرج الامير عبدالله لبعض غزواته واستخلف ابنه المطرف على قصره فقتل اخاه في محبسه مفتاتاً بذلك على ابيه وحزن الامير عبدالله على ابنه محمد وضم ابنه عبدالرحمن الى قصره وهو ابن يوم فربي مع ولده. ثم بعث الامير عبدالله ابنه المطرف بالصائفة سنة ٢٨٣ هـ ومعه الوزير عبد الملك ابن أمية ففتك المطرف بالوزير لعداوة بينهما . فاغتاظ ابوه لذلك وسطا عليه وقتله شر قتلة . وفي سنة ٣٠٠ هـ توفي الامير عبدالله بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل وكان عمره اثنتين وار بعين سنة ومدة حكمه خمساً وعشرين

سنة واحد عشر شهرًا

٧٧ – عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله

من سنة ٣٠٠ – ٣٥٠ ﻫ اومن سنة ٩١٢ – ٩٦١ م

لما توفى الأمير عبد الله بن محمد تولى الملك بعده حفيده عبد الرحمن بن محمد قتيل أخيه المطرف ومن الغريب انه تصدي للولاية بوجود اعمامه واعمام ابيه ومن هم احق بها منه شرعاً والها دونهم . وكان شاباً حازماً فوجد الاندلس مضطربة فسكنها وقاتل المخالفين حتى أذعنوا واستنزل الثوار ومحا اثر ابن حفصون كبيرهم وحمل اهل تطلية على الطاعة وكانوا مشهورين بالخلاف والانتقاض فاستقامت الاندلس وسائر جهاتها في نيف وعشرين سنة من ايامه ودامت ايامه نحواً من خمسين سنة استفحل فيها ملك بني أمية بتلك النواحي وهو اول من تسمي بأمير المؤمنين عند ماتلاشى امر الخلافة بالمشرق واستبد الموالي الترك على بني العباس . وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب الى ان انهزم سنة ٣٢٧ ﻫ في وقعة الخندق فقعد عن الغزو بنفسه وصار يردد الصوائف كل سنة فاوطأ عساكر المسلمين من بلاد الفرنج مالم يطأه قبل في أيام سلفه . ثم سما الى ملك العدوة (المغرب الاقصى) فتناول سبتة من ايدي أهلها سنة ٣١٧ ﻫ واطاعه بنو ادريس أمراء العدوة وملوك زناتة البربر . ولاول ولايته امر بتخفيف المغارم عن الرعايا واستحجب موسى بن محمد بن يحيي واستوزر عبد الملك بن جهور . وهو أول من تلقب من بني أمية اقتداء ببني العباس فتلقب بالناصر لدين الله

وفي سنة ٣٠٨ ﻫ سعى محمد بن عبد الجبار بن الامير محمد (وعبد الجبار هو عم ابي الناصر) عند الناصر في اخيه القاضي بن محمد وانه يريد الخلاف والبيعة لنفسه وسعى القاضي في محمد بن عبد الجبار وانه يروم الانتقاض فاستطلع الناصر على جلية الخبر وتحقق نقضهما فقتلهما . وفي سنة ٣١٣ ﻫ فتك الناصر بأبنه عبدالله

والسبب في ذلك انه وشح ابنه الحكم ولاية العهد وآثره على جميع أولاده وكان اخوه عبد الله يساميه في الرتبة فغص لذلك واغراه الحسد بالنكثة. فنكث وداخل من في قلبه مرض من اهل الدولة فاجابوه وكان منهم ياسر الفتى وغيره ونمي الخبر بذلك الى الناصر فاستكشف أمرهم حتى وقف على الجلي فيه وقبض على ابنه عبد الله وعلى ياسر الفتى وعلى جميع من داخلهم وقتلهم اجمعين

(مباني الناصر) لما استفحل ملك الناصر صرف نظره الى تشييد المباني والقصور وكان جده الامير محمد وابوه عبد الرحمن وجده الحكم قد اختلفوا في ذلك و بنوا قصورهم على اكمل الاتفاق والضخامة وكان منها المجلس الزاهر والبهو الكامل والقصر المنيف فبنى هو الى جانب الزاهر قصره العظيم وسماه دار الروضة وجاب الماء الى قصورهم من الجبل واستدعى عرفا المهندسين والبنائين من كل قطر فوفد عليه حتى من بغداد والقسطنطينية. ثم اخذ في بناء المتنزهات فاتخذ مينا الناعورة خارج القصور وساق اليها الماء من أعلى الجبل على بعد المسافة واختط مدينة الزهراء واتخذها منزله وكرسياً لملكه فأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين مايفوق الوصف. واتخذ فيها مجالات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياح ومسارح الطيور مظللة بالشباك. واتخذ فيها دار الصناعة والات من الات السلاح للحرب والحلى للزينة وغير ذلك من المهن وامر بعمل المظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس. وفي سنة ٣٥٠ ه توفي الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد وهو أعظم أمراء بني امية بالاندلس بلا مراء وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة ومدة ملكه خمسين سنة وستة اشهر

٧٨ - المستنصر الحكم بن عبد الرحمن الناصر

من سنة ٣٥٠ — ٣٦٦ ه او من سنة ٩٦١ — ٩٧٦ م

لما توفي عبد الرحمن الناصر بن محمد تولى الملك بعده ابنه الحكم ولقب المستنصر بالله ولاول ولايته طمع الاسبان في استخلاص البلاد منه فغزاهم الحكم بنفسه واستباحهم وقفل . فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه وقوي الحكم وكثرت فتوحاته وكان من اعظمها فتح قلهرة من بلاد البشكنس على يد مولاه غالب

وفي سنة ٣٥٤ ه سار غالب الى بلاد البة ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون فاخذ حصن غرماج ودوّخ بلادهم . ثم كانت وفادة اردون بن الفونس من ملوك الاسبان فتهيا الحكم لاستقباله واعد المعدات لذلك شيء يفوق الوصف ذكره المقري في تاريخه نفح الطيب في الصحيفة ١٨٢ و١٨٣ في الجزء الاول منه فوصل الى الحكم ومثل بين يديه بتخشع ولا تخشع العبيد لاسيادهم وهذا مما يدلّ على عظم دولة بني امية بالاندلس ايام الحكم . فاجلسه الحكم ووعده النصر على عدوه ووصف عبد الملك بن سعيد المرادي وفادة اردون على الحكم فقال ابياتاً منها

ملك الخليفة آية الاقبال	وسعوده موصولة بنوال
القت بايديها الاعاجم نحوه	متوقعين لصولة الريبال
هذا اميرهم اتاه آخذاً	منه او اصر ذمة وحبال
متواضعاً لجلاله متخشعاً	متبرعاً لما يرع بقتال
سينال بالتاميل للملك الرضا	عزّاً يعم عداه بالاذلال
لا يوم اعظم للولاة مسرة	واشده غيظاً على الاقيال
من يوم اردون الذي اقباله	امل المدى ونهاية الاقبال
ملك الاعاجم كلها ابن ملوكها	والى الرعاة الى الاعاجم والي
ان كان جاء ضرورة فلقداتى	عن عز مملكة وطوع رجال
فالحمد لله المنيل امامنا	حط الملوك بقدرة المتعالي

ثم ارسل الحكم عساكره الى بلاد العدوة (المغرب الاقصى) وتلقى دعوته ملوك

زناتة من مغراوة ومكناسة فبثوها في اعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد عليه ملوكهم من آل خرز وبني ابي العافية فاجزل صلتهم واكرم وفادتهم واحسن منصرفهم . واستنزل بني ادريس من ملكهم بالعدوة في ناحية الريف واجازهم البحر الى قرطبة ثم اجلاهم الى الاسكندرية . وكان الحكم محباً للعلوم مكرماً لاهلها جماعة للكتب في انواعها جمع منها مالم يجمعه احد قبله حتى قيل انها كانت اربعمائة الف مجلد وكان عالماً نبيهاً صافي السريرة ومما ينسب اليه في النظم قوله

الى الله اشكو من شمائل مسرف عليَّ ظلوم لا يدين بما دنتُ
نأت عنه داري فاستزاد صدوده واني على وجدي القديم كما كنت
ولو كنت ادري ان شوقي بالغ من الوجد ما بلغته لم اكن بنتُ

وما زال ملكه مؤيداً منصوراً الى أن توفي سنة ٣٦٦ هـ لست عشرة سنة من من خلافته وكان اصابه الفالج فلزم الفراش الى ان توفي

٧٩ – هشام المؤيد بن الحكم المستنصر

من سنة ٣٦٦ — ٣٩٩ هـ او من سنة ٩٧٦ — ١٠٠٨ م

لما توفي الحكم المستنصر تولى من بعده ابنه هشام صغيراً مناهز الحلم وكان الحكم قد استوزر له محمد بن ابي عامر نقله من خطة القضاء الى وزارته وفوض اليه اموره فاستقل وترقت حاله عند الحكم . فلما توفي الحكم بويع هشام ولقب المؤيد بعد ان قتل ليلتئذ المغيرة اخو الحكم المرشح لامره تناول الفتك به محمد بن ابي عامر هذا بممالأة جعفر بن عثمان المصحفي حاجب ابيه وغالب مولى الحكم وتمت البيعة لهشام . ثم سما لابن ابي عامر امل في التغلب على هشام لمكانه في السن وثاب له رأي في الاستبداد فمكر باهل الدولة وضرب بين رجالها وقتل بعضاً ببعض . فعظم امر ابن ابي عامر وغلب على هشام المؤيد ومنع الوزراء من الوصول اليه الا في النادر من الايام يسلمون و ينصرفون . وارضخ الجند بالعطاء واعلى مراتب العلماء فكأني به قد مثل على مرسح الاندلس الرواية التي مثلها موالي الخلفاء من بني العباس ببغداد كما مر ذكر ذلك في تاريخهم . فلم يبق لهشام المؤيد من الامر شيء الا الخطبة والسكة . اما الحكم والامر والنهي فكل ذلك كان مرجعه الى محمد بن ابي عامر . فلما خلا له الجو تلقب بالملك المنصور ثم تجرد لرؤساء الدولة

ممن عانده وزاحمه فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم وقتل بعضاً ببعض كل ذلك عن امر هشام وخطه وتوقيعه حتى استاصل بهم وفرق جموعهم . وأول ما بدأ بالصقالبة الخصيان الخدام بالقصر فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم فنكبهم واخرجهم من القصر وكانوا ثمانماية او يزيدون . ثم اصهر الى غالب مولي الحكم و بالغ في خدمته والتنصح له واستعان به على المصحفي فنكبه ومحا اثره من الدولة . ثم استعان على غالب بجعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة النازع الى الحكم اول الدولة بمن كان معه من زناتة والبربر ثم قتل جعفر عماله ابن عبد الودود وابن جوهر وابن ذي النون وامثالهم من اولياء الدولة من العرب وغيرهم . ثم لما خلا الجو من اولياء الخلافة والمرشحين للرياسة رجع الى الجند فاستدعى اهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة فرتب منهم جنداً واصطنع اولياء وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة و بني يفرن و بني برزال ومكناسة وغيرهم فتغلب على هشام وحجره واستولى على الدولة وملأ الدنيا وهو في جوف بيته مع تعظيم الخلافة والخضوع لها ورد الامور اليها وترديد الغزو والجهاد . وقدم رجال البرابرة زناتة وأخر رجال العرب واسقطهم عن مراتبهم فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالامر وابتنى لنفسه مدينة فنزلها وسماها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة وقعد على سرير الملك وامر ان يحيا تحية الملوك واستكثر من العبيد للاستيلاء على تلك الرغبة وقهر من يطاول اليها من الغلبة فظفر من ذلك بما اراد وردد الغزو بنفسه الى دار الحرب فغزا اثنتين وخمسين غزوة انتصر في جميعها . فعظم ملكه و بعد صيته وقد امتدحه كثيراً مؤرخو الاسلام وعلى ظني ان السبب الوحيد الذي جعلهم يمدحونه هو التعصب الديني الذي جعلهم يمدحون كل من غزا النصارى واثخن فيهم غير عالمين ان هذا النازع وامثاله كانوا السبب الوحيد في القضاء على الدولة الاسلامية بالاندلس وغيرها بكثرة مشاغبهم وحروبهم الداخلية التي ادت الى ضعف الدولة حتى استولى عليها اعداؤهم وهم ينظرون . وفي سنة ٣٩٣ هـ توفى الملك المنصور محمد بن ابي عامر بينما كان راجعاً من بعض غزواته بعد ان ملك سبعاً وعشرين سنة فدفن بمدينة سالم حيث توفي وكتب على قبره

آثاره تنبيك عن اخباره حتى كانك بالعيان تراه
تالله لا ياتي الزمان بمثله ابداً ولا يحمي الثغور سواه

ولما توفي المنصور قام بالأمر بعده ابنه عبد الملك وتلقب بالملك المظفر فجرى على سنن ابيه في السياسة والغزو وكانت ايامه اعياداً دامت مدة سبع سنين وكانت تسمي

بالسابع تشبيهاً بسابع العروس ولم يزل مثل اسمه مظفراً الى ان توفي سنة ٣٩٩ هـ ثم قام بالأمر بعده اخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وجرى على سنن ابيه واخيه في حجر الخليفة هشام والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ثم ثاب له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد ان يوليه عهده فاجابه الى ذلك وكتب بذلك واشهد عليه كبار دولته . فلما حصل عبد الرحمن الناصر على ولاية العهد نقم ذلك الامويون والقرشيون وعصوا أمره واتفقوا على تحويل الامر جملة من المضرية الى اليمانية فاجتمعوا لشأنهم و وثبوا بصاحب الشرطة وفتكوا به بمقعده من قصر الخلافة بقرطبة سنة ٣٩٩ هـ وخلعوا هشاماً و بايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار امير المؤمنين الناصر لدين الله من اعياص الملك واعقاب الخلفاء ولقبوه المهدي . وطار الخبر الى عبد الرحمن الناصر بمكانه وكان غازياً فقفل الى قرطبة وقبيل وصوله اليها تسلل عنه الجند ووجوه البربر ولحقوا بقرطبة و بايعوا المهدي القائم بالأمر واغروه بعبد الرحمن الناصر فأرسل اليه من قبض عليه واحتز رأسه وحمله الى المهدي والى الجماعة و بموته ذهبت دولة العامريين

٨٠ — المهدي محمد بن هشام

من سنة ٣٩٩ — ٤٠٠ هـ او من سنة ١٠٠٨ — ١٠٠٩ م

هكذا آلت الخلافة بالاندلس الى المهدي واستتب امره بعد موت عبد الرحمن الناصر ولحق به رؤساء البربر وزناتة لما راوا من سوء تدبير عبد الرحمن وانتقاض امره وكانت الاموية تعتد عليهم (على البربر وزناتة) لما كان من مظاهرتهم العامريين و بنسب تغلب المنصور وغيره على الدولة اليهم فسخطتهم القلوب وخزرتهم العيون ولو لا مالهم من العصبية لأستأصلهم الناس . وتحدث الناس بكراهتهم فنبذهم المهدي ايضاً وامرهم ان لا يركبوا ولا يتسلحوا ورد بعض رؤسائهم في بعض الايام من باب القصر فانتهبت العامة دورهم فشكا بعضهم الى المهدي ما اصابهم فاعتذر وقتل من اتهم من العامة في امرهم وهو مع ذلك مظهر لبغضهم مجاهر بسوء الثناء عليهم . و بلغهم انه يريد الفتك بهم فهاجوا وماجوا وارادوا تقديم هشام بن سليمان وفشا في الخاصة حديثهم فعوجلوا عن مرامهم ذلك واغري بهم السواد الاعظم فثاروا بهم وازعجوهم عن المدينة

وقبض على هشام واخيه ابي بكر واحضرا بين يدي المهدي فقتلهما . فلحق سليمان ابن اخيهما الحكم بجنود البربر وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتآمروا فبايعوه ولقبوه المستعين بالله فخرج اليهم المهدي بعسا كره وقاتلهم فانهزم البربر والمستعين ودخلوا الى الجزيرة الخضراء فتبعهم المهدي الى هناك فكروا عليه فانهزم المهدي ومن معه واتبعهم سليمان المستعين والبربر فخشي اهل قرطبة من اقتحامهم ففتحوا ابواب المدينة للمستعين فدخلها سنة ٤٠٠ ﻫ

٨١ — سليمان المستعين بالله بن الحكم

من سنة ٤٠٠ — ٤٠٠ ﻫ او من سنة ١٠٠٩ — ١٠٠٩ م

ولما دخل المستعين قرطبة واستولى عليها خالفه محمد بن هشام المهدي فسار الى تطلية واستجاش بابن الفونس ملك الاسبان فنهض معه الى قرطبة وهزم سليمان المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهرها في اخر باب سبتة ودخل المهدي قرطبة وملكها ثانية من المستعين وذلك سنة ٤٠٠ ﻫ

٨٢ — المهدى محمد بن هشام ثانية

من سنة ٤٠٠ — ٤٠٠ ﻫ او من سنة ١٠٠٩ — ١٠٠٩ م

ولما دخل المهدي قرطبة خرج المستعين الى البرابرة وتفرقوا في البسايط والقرى ينهبون و يقتلون ولا يبقون على احد ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فاتبعهم المهدي وابن الفونس فانتصر المستعين عليهم واتبعهم المستعين والبرابرة اثناء ذلك يحاصرونهم حتى خشي الناس من اقتحام البرابرة عليهم فاخرجوا اهل القصر وحاجبه المدبر بالمهدي وان الفتنة انما جاءت من قبله فقتلوا المهدي محمد بن هشام واجتمعت العامة على تجديد البيعة لهشام المؤيد ليعتصموا به من معرة البرابرة وما يسومونهم به ملوكهم من سوء العذاب

٨٣ — هشام المؤيد بن الحكم المستنصر من جديد

من سنة ٤٠٠ — ٤٠٣ ھ او من سنة ١٠٠٩ — ١٠١٢ م

وعاد هشام الى خلافته واقام واضح العامري (من موالي المنصور بن ابي عامر) لحجابته واستمر البرابرة على حصار قرطبة والمستعين بينهم . وارسل المستعين والبرابرة الى ابن الفونس يستقدمونه لمظاهرتهم فبعث اليه هشام المؤيد حاجبه واضحاً يكفونه بان ينزلوا له عن ثغور قشتالة التي كان المنصور افتتحها فسكن عزمه عن مظاهرتهم . وشدّد المستعين الحصار على قرطبة مراراً ولا يقدر على فتحها حتى كانت سنة ٤٠٣ ھ حاصرها حصاراً شديداً وافتتحها عنوة وفتك بهشام المؤيد ودخل المستعين قرطبة ولحق بأهلها من البرابرة في نسائهم ورجالهم و بناتهم وابنائهم ومنازلهم

٨٤ — سليمان المستعين بالله بن الحكم ثانية

من سنة ٤٠٣ — ٤٠٧ ھ او من سنة ١٠١٢ — ١٠١٦ م

وظن المستعين انه قد استحكم امره . ولكن توثبت البرابرة والعبيد على الاعمال فتولوا المدن العظيمة وتقلدوا الاعمال الواسعة . فلما افترق شمل جماعة قرطبة وتغلب البرابرة على الأمر كان علي بن حمود واخوه قاسم من عقب ادريس قد اجازوا معهم من العدوة فدعوا لانفسهم وتعصب معهم الكثير من البربر فحاصروا قرطبة سنة ٤٠٧ ھ وملكوها وقتلوا سليمان المستعين

٨٥ — ملك بني حمود بالاندلس

من سنة ٤٠٧ — ٤١٤ ھ او من سنة ١٠١٦ — ١٠٢٣ م

فملك بنو حمود قرطبة ومحوا ملك بني امية منها واستمر ملكهم سبع سنين ثم رجع الملك الى بني امية لان اهل قرطبة خالفوا على قاسم بن حمود وحاربوه وانتصروا عليه واتفقوا على ردّ الامر الى بني امية

٨٦ — المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام

سنة ٤١٤ هـ او سنة ١٠٢٣ م

لما قطع اهل قرطبة دعوة الحموديين واتفقوا على رد الامر لبني أمية اختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام فبايعوه ولقبوه المستظهر . ثم ثار على المستظهر لشهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر كان المنصور بن ابي عامر قتل اباه عبد الرحمن لسعيه في الخلاف فثار الآن محمد هذا وتبعه جمع وفتك بالمستظهر

٨٧ — المستكفي محمد بن عبد الرحمن

من سنة ٤١٤ — ٤١٥ هـ او من سنة ١٠٢٣ — ١٠٢٤ م

لما فتك محمد بن عبد الرحمن بالمستظهر عبد الرحمن بن هشام اشتغل بامر قرطبة وتلقب بالمستكفي . وبعد ستة عشر شهراً من بيعة المستكفي اتى يحيى بن علي بن حمود واستخلص قرطبة منه وفر المستكفي ومات في مفره

٨٨ — ملك بني حمود ثانية

من سنة ٤١٥ — ٤١٨ هـ او من سنة ١٠٢٤ — ١٠٢٧ م

لما فرّ المستكفي من قرطبة استولى عليها يحيى بن علي بن حمود و بايعه الناس وتلقب بالمعتلي . ثم خلع اهل قرطبة المعتلي ثانياً سنة ٤١٧ هـ واجمعوا على مبايعة هشام بن محمد من بني أمية

٨٩ – المعتمد هشام بن محمد

من سنة ٤١٨ – ٤٢٢ هـ او من سنة ١٠٢٧ – ١٠٣٠ م

كان هشام بن محمد في ثغر لاردة عند ابن هود ولما بلغه خبر البيعة له انتقل الى البرنث واستقر عند المتغلب عليها محمد بن عبد الله وبايعه الجماعة سنة ٤١٨ هـ جهاراً وتلقب المعتمد بالله واقام متردداً في الثغر ثلاثة اعوام واشتدت الفتن بين رؤساء الطوائف واتفقوا على ان ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جمهور والجماعة ونزلها آخر سنة ٤٢٠ هـ واقام يسيراً ثم خلعه الجند سنة ٤٢٢ هـ وفر الى لاردة فهلك بها سنة ٤٢٨ هـ وانقطعت الدولة الاموية والله غالب على امره

٩٠ – دولة الادارسة بمراكش

(تمهيد) ذكرنا في خلافة الهادي بن المهدي (فصل ٢٩) انه ظهر في سنة ١٦٩ هـ الحسين بن علي بن الحسين من آل علي بن ابي طالب وذكرنا خبر انهزامه وقتله وكان مع الحسين في تلك الواقعة عماه ادريس ويحيى ابنا عبد الله . اما يحيى ففر من الواقعة المذكورة الى بلاد الديلم في جهة الشرق ودعا الناس الى بيعته فبايعوه واشتدت شوكته ثم ان الرشيد جهز اليه الفضل بن يحيى البرمكي في جيش كثيف فكاتبه الفضل وبذل له الامان ثم حبسه الرشيد عند جعفر بن يحيى واطلقه جعفر وكان اطلاقه من اعظم الاسباب التي جعلت الرشيد ينكب البرامكة لو يذكر القارئ الكريم . ثم امسكه الرشيد وحبسه الى ان مات في حبسه . واما ادريس فانه فرّ من الواقعة المذكورة ولحق بمصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور ويعرف بالمسكين . وكان واضح يتشيع لآل البيت فعلم شأن ادريس وأتاه الى الموضع الذي كان مستخفياً به . ولم ير شيئاً افضل من ان ينقله على البريد الى المغرب ففعل ولحق ادريس بالمغرب الاقصى (مراكش) هو ومولاه راشد فنزل بمدينة وليلى سنة ١٧٢ هـ وبها يومئذ اسحق بن محمد ابن عبد الحميد امير اوربة من البربر البرانس فاجاره واكرمه وجمع البربر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية وكشف القناع في ذلك وانتهى الخبر الى هرون الرشيد بما فعله واضح في شأن ادريس فقتله وصلبه

٩١ ادريس بن عبد الله بن الحسن

من سنة ١٧٢ ـ ١٧٧ هـ او من سنة ٧٨٨ ـ ٧٩٣ م

هو ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وقد رأيت كيف اتى مدينة وليلي من المغرب الاقصى فلما استقر عند كبيرها اسحق بن محمد اقام عنده ستة اشهر فلما دخل شهر رمضان سنة ١٧٢ هـ جمع ابن عبد الحميد عشيرته من اوربة وعرفهم بنسب ادريس وقرابته من رسول الله (صلعم) وقرر لهم فضله ودينه وعلمه واجتماع خصال الخير فيه . فقالوا الحمد لله الذي اكرمنا به وشرفنا بجواره وهو سيدنا ونحن العبيد فما تريد منا . قال تبايعونه . فبايعوه يوم الجمعة رابع رمضان سنة ١٧٢ هـ وكان اول من بايعه قبيلة اوربة ثم مغيلة وصدنية ثم وفدت عليه قبائل زناتة والبربر فبايعوه ايضاً ودخلوا في طاعته فاستتب امره وتمكن سلطانه وقويت شوكته ولحق به اخوه سليمان بن عبد الله فلما استتب امر ادريس اتخذ له جيشاً كثيفاً من وجوه زناتة واوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم وخرج غازياً بلاد تامسنا ثم زحف الى بلاد تادلا ففتح معاقلها وحصونها وكان اكثر اهل هذه البلاد لا زالوا على دين اليهودية والنصرانية وانما الاسلام بينهم قليل فاسلم جميعهم على يده وقفل الى مدينة وليلى مؤيداً منصوراً وذلك في اواخر ذي الحجة سنة ١٧٢ هـ

وفي سنة ١٧٣ هـ خرج ادريس بالعساكر بعد ان استراحت لغزو وفتح الحصون والمعاقل التي ما زالت بايدي اصحابها من اليهود والنصارى فلم يزل ادريس يجاهدهم في حصونهم و يستنزلهم حتى دخلوا في الاسلام طوعاً وكرهاً ومن ابى الاسلام منهم اباده قتلاً وسبياً ثم عاد الى مدينة وليلي فدخلها في النصف من جمادى الاخرى سنة ١٧٣ هـ ومكث ريثما استراحت عساكره ثم خرج منتصف رجب من السنة المذكورة برسم غزو مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوة و بني يفرن فانتهى اليها ونزل خارجها فنزل اليه صاحبها محمد بن خزر من ولد صولات المغراوي مستامناً ومبايعاً له فأمنه ادريس وقبل بيعته ورجع الى مدينة وليلى

ولما حصل لادريس ما حصل من التمكن والظهور اتصل خبر ذلك بالخليفة ببغداد وهو هرون الرشيد العباسي و بلغه ان ادريس قد استقام له امر المغرب وانه قد استفحل

امره وكثرت جنوده وقدفتح مدينة تلمسان و بنى مسجدها وانه عازم على غزو افريقية ٠
فخاف الرشيد عاقبة ذلك وانه ان لم يتدارك امره الآن ربما عجز عنه في المستقبل مع ما
يعلم من فضل ادريس خصوصاً ومحبة الناس في آل البيت عموماً فقلق الرشيد لذلك
واستشار وزيره يحيي بن خالد البرمكي وقال له ٠ ان الرجل قد فتح مدينة تلمسان وهي
باب افريقية ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار وقد هممت ان ابعث اليه جيشاً
ثم فكرت في بعد الشقة وعظم المشقة فرجعت عن ذلك ٠ ثم وقع اختيارهما على رجل من
موالي المهدي والد الرشيد اسمه سليمان بن جرير و يعرف بالشماخ فاحضره واعلمه بما يريد
منه ووعده على قتل ادريس الرفعة والمنزلة العالية عند الرشيد وزوده مالاً وطرفاً
يستعين بها على امره واصحبه الرشيد كتاباً منه الى واليه على افريقية ابراهيم بن الاغلب فلما
وصل الشماخ الى والي افريقية بكتاب الرشيد اجازه الى المغرب وقدم الشماخ على ادريس
فظن النزوع اليه فيمن نزع اليه من وحدان العرب متبرئاً من الدعوة العباسية منتحلاً
للدعوة الطالبية ٠ فاختصه ادريس وعلت منزلة الشماخ عنده وكان الشماخ ممتلئاً من
الادب والظرف والبلاغة عارفاً بصناعة الجدل ٠ فكان اذا جلس الامام ادريس الى
رؤساء البربر ووجوه القبائل تكلم الشماخ فذكر فضل اهل البيت وعظيم بركتهم على الامة
و يقرر ذلك و يحتج لامامة ادريس وانه الامام الحق دون غيره فكان ذلك يعجب ادريس
و يقع منه الموقع الحسن ٠ فاستولى الشماخ عليه حتى صار من ملازميه ولا يأكل الا معه ٠ وكان
راشد كالئاً لادريس ملازماً له ايضاً قلما ينفرد عنه لانه كان يخاف عليه من مثل ماوقع فيه
لكثرة اعداء آل البيت يومئذ ٠ وكان الشماخ يترصد الغرة من راشد و يترقب الفرصة في
ادريس الى ان غاب راشد ذات يوم في بعض حاجاته فدخل الشماخ على ادريس
فجلس بين يديه على العادة وتحدث ملياً ولما لم ير الشماخ راشداً بالحضرة انتهز الفرصة
في ادريس ٠ فقيل انه كانت مع الشماخ قارورة من طيب مسموم فاخرجها وقال
لادريس ٠ هذا طيب كنت استصحبه معي وهو من جيد الطيب فرأيت ان الامام
اولى به مني وذلك من بعض ما يجب عليّ له ٠ ثم وضع القارورة بين يديه ٠ فشكره
ادريس وتناول القارورة ففتحها واشتم ما فيها فصعد السم الى خياشيمه وانتهى الى
دماغه فغشي عليه ٠ اما الشماخ فقام للحين كأنه يريد حاجة الانسان فخرج واتي منزله
فركب فرساً له كان قد اعده لذلك وذهب لوجهة يريد المشرق ٠ وافتقد الناس الامام
ادريس فاذا هو مغشي عليه لا يتكلم ولا يعلم احد ما به ٠ فلما ٠ اتصل خبر ادريس

بمولاه راشد اقبل مسرعاً ودخل عليه وهو يحرك شفتيه لا يبين كلاماً قد اشرف على الموت فجلس عند رأسه متحيرًا لا يدرى ما دهاه واستمر ادريس على حالته تلك الى غشي النهار فتوفي في مستهل ربيع الآخر سنة ١٧٧ ﻫ وتفقد راشد الشماخ فلم يره فعلم انه الذي اغتال ادريس ثم جاء الخبر ان الشماخ قد لقي على اميال من البلد فركب راشد في جمع من البربر واتبعوه وتقطعت الخيل في النواحي وطلبوه ليلتهم الى الصباح فلحقه راشد بوادي ملوية فشدّ عليه راشد بالسيف وضربه ضربات قطع في بعضها يمناه وشجه في رأسه شجاجاً ونجا الشماخ بجريعا الذقن واعيا فرس راشد عن اللحاق به فرجع عنه . ويقال ان الشماخ رؤي بعد ذلك ببغداد وهو مقطوع اليد .
ولما رجع راشد الى منزله اخذ في تجهيز الامام ادريس بن عبد الله وصلى عليه ودفنه بصحن رابطة عند باب وليلى

٩٣ - ادريس ابن ادريس

من سنة ١٧٧ – ٢١٣ ﻫ أو من سنة ٧٩٣ – ٨٢٨ م

لما توفي الامام ادريس لم يترك ولدًا الا حملاً من امة له بربرية اسمها كنزة فلما فرغ راشد من جهازه ودفنه جمع رؤساء البربر ووجوه الناس وقال لهم . ادريس لم يترك ولدًا الا حملاً من امته كنزة وهي الآن في الشهر السابع من حملها فان رأيتم ان تصبروا حتى تضع هذه الجارية حملها فان كان ذكرًا احسنا تربيته حتى اذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تمسكاً بدعوة آل البيت وتبركاً بذرية رسول الله وان كان جارية نظرتم لانفسكم . فقالوا له . ايها الشيخ المبارك مالنا رأي الا ما رأيت فانك عندنا عوضاً من ادريس تقوم بامورنا كما كان ادريس يقوم بها وتصلي بنا وتقضي بيننا بكتاب الله وسنة رسوله ونصبر حتى تضع الجارية حملها ويكون ما أشرت به على انها ان وضعت جارية كنت احق الناس بهذا الامر لفضلك ودينك وعلمك . فشكرهم راشد ودعا لهم وانصرفوا . فقام راشد بأمر البربر تلك المدة . ولما تمت للجارية اشهر حملها وضعت غلاماً اشبه الناس بابيه

فاخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه فقالوا هذا ادريس بعينه كأنه لم يمت فسماه راشد ادريس . وكانت ولادته يوم الاثنين ثالث رجب سنة ١٧٧ ﻫ فكفله راشد مولى ابيه وقام بأمره احسن قيام فأقرأه القرآن وعلمه الحديث والسنة والفقه ورواه الاشعار واطلعه على سير الملوك وعرفه الناس ودربه على ركوب الخيل حتى اذا بلغ من العمر احدى عشرة سنة ترشح للامر واستحق لان يبايع فبايعه البربر بجامع مدينة وليلى وهذه ليست بيعته الاولى لانهم بايعوه حملاً ثم رضيعاً ثم فصيلاً الى ان شب فبايعوه هذه البيعة سنة ١٨٨ ﻫ

وفي سنة ١٨٦ ﻫ دس ابن الاغلب صاحب افريقيا الى بعض البربر الاموال حتى قتلوا راشداً وحملوا اليه رأسه وقام بكفالة ادريس بعده ابو خالد يزيد بن الياس العبدي ولم يزل على ذلك الى ان بايعوا لادريس فقاموا بأمره وجددوا لانفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته . فلما استقام امر المغرب لادريس بن ادريس وتوطد ملكه وعظم سلطانه وكثرت جيوشه واتباعه وفدت عليه الوفود من البلدان وقصد الناس حضرته من كل صقع ومكان فاستمر بقية سنة ١٨٨ ﻫ يستقبل الوفود ويبذل الاموال ويستميل الرؤساء والاقيال ولما دخلت سنة ١٨٩ ﻫ وفدت عليه وفود العرب من افريقية والاندلس نازعين اليه وملتفين عليه فسرّ ادريس بوفادتهم واحسن صلتهم . فلما كثرت الوفود من العرب وغيرهم على ادريس وضاقت بهم مدينة وليلى اراد ان يبني لنفسه مدينة يسكنها هو وخاصته ووجوه دولته . وبعد بحث طويل على بقعة مناسبة تفي بالغرض المطلوب انتهى الى موضع مدينة فاس اليوم فبناها وسكنها هو وقومه . ومن محاسن مدينة فاس ان نهرها يشقها نصفين وتتشعب جداوله في دورها وحماماتها وشوارعها واسواقها وتطحن به ارجاؤها ثم يخرج منها وقد حمل اقذارها وازبالها الى غير ذلك من عيون الماء التي تنبع بداخلها وتنفجر من بيوتها وهي تجاوز الحصر كثرة وقد مدحها الفقيه ابو الفضل بن النحوي بقوله

يا فاس منك جميع الحسن مسترق   وساكنوك ليهنهم بما رزقوا

هذا نسيمك ام روح لراحتنا   وماؤك السلسل الصافي ام الورق
ارض تخللها الانهار داخلها   حتى المجالس والاسواق والطرق

ولما فرغ ادريس من بناء مدينة فاس وانتقل اليها بمجالسه واستوطنها بحاشيته وارباب دولته واتخذها دار ملكه اقام بها سنة ١٩٧ ﻫ ثم خرج غازيًا بلاد المصامدة فانتهى اليها واستولى عليها ودخل مدينة نفيس ومدينة اغمات وفتح سائر بلاد المصامدة وعاد الى فاس فاقام بها الى سنة ١٩٩ ﻫ وفيها خرج في المحرم برسم غزو قبائل نفزة من اهل المغرب الاوسط ومن بقي هناك على دين الخارجية من البربر فسار حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان فنظر في احوالها واصلح سورها وجامعها واقام بها ثلاث سنين ثم رجع الى مدينة فاس وقد انتظمت لادريس كلمة البربر وزناتة ومحا دعوة الخوارج منهم واقتطع المغربين عن دعوة العباسيين من لدن السوس الاقصى الى وادي شاف ودافع ابراهيم بن الاغلب عن حماه بعد ما ضايقه بالمكائد واستفساد الاولياء حتى قتلوا راشدًا مولاه وارتاب ادريس بالبربر فصالح ابن الاغلب وسكن من غربه وضرب السكة باسمه وعجز الاغالبة بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الادارسة ودافعوا خلفاء بني العباس بالمعاذير الباطلة وصفا ملك المغرب لادريس واستمر بدار ملكه من فاس ساكنًا الى ان توفاه الله ثاني جمادي الاخرى سنة ٢١٣ ﻫ وعمره نحو ست وثلاثين سنة وقيل في سبب وفاته انه اكل عنبًا فشرق بحبة منه فمات وخلف من الولد اثنى عشر ذكرًا

٩٣ ــ محمد بن ادريس

من سنة ٢١٣ ــ ٢٢١ ﻫ او من سنة ٨٢٨ ــ ٨٣٥ م

لما توفي ادريس بن ادريس قام بالامر بعده ابنه محمد بعهد منه اليه ولما ولي قسم بلاد المغرب بين اخوته وذلك بأشارة جدته كنزة أم ادريس . واقام محمد

ابن ادريس بفاس دار ملكه واخوته ولاة بلاد المغرب قد قبضوا اعمالها وسدوا ثغورها وأمنوا وحسنت سيرته في ذلك . الاّ ان هذه القسمة كانت سبباً في خروج بعض اخوته عليه . فخرج عليه اخوه عيسى بن ادريس بمدينة آزمور ونبذ طاعته وطلب الامر لنفسه . فكتب محمد الى اخيه القاسم صاحب طنجة يأمره بحرب عيسى فامتنع من ذلك . فكتب محمد الى اخيه عمر صاحب تيكساس بمثل ما كتب به الى القاسم فأمتثل أمره وزحف الى عيسى في قبائل البربر وأمده محمد بالف فارس من زناتة فاوقع عمر بعيسى وهزمه وطرده عن عمله وكتب الى الامير محمد بالفتح . فشكره على ذلك وولاه على ما فتحه من عمل عيسى وأمره مع ذلك بالمسير الى قتال القاسم الذي عصي أمره أولاً . فزحف عمر الى القاسم ونزل عليه بظاهر طنجة فخرج اليه القاسم ودارت بينهما حرب شديدة هزم فيها القاسم واستولي عمر على ما بيده من البلاد فصار الريف البحري كله في عمل عمر من تيكساس و بلاد غمارة الى سبتة ثم الى طنجة وهذا ساحل البحر الرومي ثم ينعطف الى آصيلا والعرايش ثم الى سلا ثم آزمور و بلاد تامسنا وهذا ساحل البحر المحيط . وتزهد القاسم بعد هذه الحرب فبنى مسجداً بساحل البحر قرب اصيلا بموضع يعرف . بتاهدارت . على ضفة النهر هناك واعرض عن الدنيا واقام يعبد الله الى ان مات . واتسعت ولاية عمر بن ادريس وخلصت طويته لاخيه الامير محمد الى ان توفي عمر سنة ٢٢٠ ﻫ بموضع يعرف بفج الفرس من بلاد صنهاجة فحمل الى فاس وصلى عليه الامير محمد ودفن مع ابيه . وعمر هذا هو جد الاشراف الحموديين المالكين للاندلس بعد بني امية . وبعد موته ولي الامير محمد على عمله ابنه علي بن عمر

وأقام الامير محمد بن ادريس بعد وفاة اخيه سبعة اشهر وتوفي بمدينة فاس في ربيع الثاني سنة ٢٢١ ﻫ بعد ان عهد بالامر لابنه علي بن محمد المعروف بحيدرة .

٩٤ – علي بن محمد بن ادريس

من سنة ٢٢١ – ٢٣٤ هـ او من سنة ٨٣٥ – ٨٤٨ م

لما توفي محمد بن ادريس بايع الناس لابنه علي بن محمد بعهد منه ويلقب علي هذا بحيدرة على لقب علي بن ابي طالب . وكان عمره حين وليَ تسع سنين فقام بأمره الاولياء والحاشية من العرب واوربة وسائر البربر وصنايع الدولة فقاموا بأمره واحسنوا كفالته . وكانت ايامه خير ايام . وظهر لعلي هذا من الذكاء والفضل مايقتضيه شرفه وسار بسيرة ابيه وجده في العدل فكان الناس في ايامه في امن ودعة الى ان توفيَ في شهر رجب سنة ٢٣٤هـ بعدان عهد بالامر لاخيه يحيي بن محمد

٩٥ – يحيى بن محمد بن ادريس

من سنة ٢٣٤ هـ – او من سنة ٨٤٨ م

لما توفي علي بن محمد تولى الامر بعده يحيي بن محمد بن ادريس فامتد سلطانه وعظمت دولته وحسنت اثار ايامه واستجدت فاس في العمران وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار وبنيت الارباض ورحل اليها الناس من الثغور القاصية واتفق ان نزلتها امرأة من اهل القيروان تسمى ام البنين بنت محمد الفهري وكانت مثرية بموروث افادته من ذويها واعتزمت على صرفه في وجوه الخير فاختطت المسجد الجامع بعدوة القرويين وشرعت في حفر اساس المسجد وبناء جدرانه يوم السبت فاتح رمضان سنة ٢٤٥ هـ قالوا . ولم تزل ام البنين هذه صائمة من يوم شرع في بنائه الى ان تم وصلت فيه شكراً لله تعالى . ثم اوسع في خطة المسجد المذكور الملك المنصور بن ابي عامر صاحب الاندلس (راجع فصل ٧٩) واعد له السقاية والسلسلة بباب الحفاة ثم اوسع في خطته علي بن يوسف اللمتوني ثم ملوك الموحدين وبنو مرين واستمرت العمارة به وانصرفت هممهم الى تشييده والمنافسة في الاحتبال به

فبلغ الاحتفال فيه ماشاء حسبما هو مذكور بتواريخ المغرب . وفي ايام يحيي بن محمد صاحب الترجمة وذلك سنة ٢٣٧ ﻫ قام رجل مؤذن بناحية تلمسان يدعي النبوة وتأول القرآن على غير وجهه فاتبعه خلق كثير من الاوباش وكان من بعض شرايعه انه ينهى عن قص الشعر وتقليم الاظافر ونتف الابطن والاستحداد واخذ الزينة ويقول لاتغيير لخلق الله فأمر امير تلمسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر من مرسى هنين الى الاندلس فشاع بها أيضاً خبره وتبعه من سفهاء الناس امة عظيمة فبعث اليه ملك الاندلس فاستتابه فلم يتب فقتله وصلبه وهو يقول . اتقتلون رجلا يقول ربي الله . ثم توفي يحيي بن محمد ولم يعلم بالتحقيق سنة وفاته

٩٦ يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس

لما توفي يحيي بن محمد تولى الامر بعده ابنه يحيي بن يحيي فاسأ السيرة وكثر عيثه في الحرم . ودخل على جارية من بنات اليهود في الحمام وكانت بارعة الجمال فراودها عن نفسها فاستغاثت وبادر الناس اليه بالانكار وثارت العامة عليه وتولى كبر ذلك عبد الرحمن بن ابي سهل الجذامي . وكانت زوجة يحيي عاتكة بنت علي بن عمر بن ادريس فاشارت عليه بالاختفاء في عدوة الاندلس ريثما تسكن الفتنة فتواري بها فمات من ليلته آسفاً على ما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار . واستولى عبد الرحمن بن ابي سهل على فاس وقام بأمرها فكتبت عاتكة بنت علي الى ابيها تعلمه بالخبر وتستدعيه . واستدعاه مع ذلك اهل الدولة من العرب والبربر والموالي فجمع حشمه وجيشه وجاء الى فاس فاستولى عليها وانقطع الملك من عقب محمد بن ادريس وصار بعد هذا تارة يكون في عقب عمر ابن ادريس وتارة يكون في عقب القاسم بن ادريس الزاهد الذي سنأتي على ذكره ان شاء الله

٩٧ – علي بن عمر بن ادريس

لما دخل علي بن عمر بن ادريس مدينة فاس واستقر بها بايعه الناس ودخلت الكافة في طاعته وخطب له على جميع منابر المغرب واستقام له الامر الى ان ثار عليه عبد الرزاق الفهري الخارجي واصله من وشقة (بلد بالاندلس) فقام بجبال مديونة من اعمال فاس على مسيرة يوم ونصف منها فتبعه خلق كثير من البربر من مديونة وغيانة وغيرهم فبني قلعة منيعة ببعض جبال مديونة وسماها وشقة باسم بلده . ثم زحف الى قرية صفرون فدخلها وبايعه كافة البربر الصفرونية ثم زحف بهم الى فاس فخرج اليه علي بن عمر بن ادريس في عسكر ضخم فكانت بينهم حرب شديدة كان الظفر في آخرها لعبد الرازق فانهزم علي بن عمر وقتل خلق كثير من جنده . وفر بنفسه الى بلاد اوربة فدخل عبد الرازق مدينة فاس وملك عدوة الاندلس وخطب له بها وامتنع منه اهل عدوة القرويين وبعثوا الى يحيى بن القاسم الزاهد وكان ما نذكره ان شاء الله

٩٨ – يحيى بن القاسم بن ادريس

لما فرّ علي بن عمر من فاس واستولى عبد الرازق الصفري على عدوة الاندلس بعث اهل فاس الى يحيى بن القاسم بن ادريس المعروف بالعوام (وقيل الطرم) فوصل اليهم فبايعوه وولوه على انفسهم . ولما استقل يحيي بن قاسم بالامر قاتل عبد الرازق حتى اخرجه من عدوة الاندلس فدخلها وبايعه اهلها وجميع من نزل بها من اهل الاندلس الربضيين . واستعمل يحيي بن القاسم عليهم ثعلبة بن محارب بن عبد الله الازدي من ولد المهلب بن ابي صفرة وهو ربضي ايضاً فلم يزل والياً على عدوة الاندلس الى ان توفي فاستعمل يحيي مكانه ولده عبد الله بن ثعلبة المعروف بعبود الى ان توفي ايضاً . فاستعمل الامير يحيي مكانه ولده محارب بن عبود بن ثعلبة وخرج الامير يحيي بن القاسم الى قتال الصفرية فكانت له معهم حروب ووقائع كثيرة ولم يزل اميراً على فاس واعمالها حتى اغتاله الربيع بن سليمان سنة ٢٩٢ هـ

٩٩ – يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس

من سنة ٢٩٢ — ٣٠٩ ﻫ او من سنة ٩٠٤ — ٩٢٦ م

لما قتل يحيي العوام في التاريخ المتقدم ولي الامر بعده يحيي بن ادريس بن عمر فبايعه اهل عدوتي فاس • وخطب له بهما وامتد ملكه على جميع اعمال المغرب وخطب له على سائر منابره • وكان يحيي هذا اعلى الادارسة قدراً وابعدهم ذكراً واكثرهم عدلاً واغزرهم فضلاً واوسعهم ملكاً لم يبلغ احد من الادارسة مبلغه في الدولة والسلطان الى ان طما على ملكه عباب العبيديين القائمين بافريقية فاغرقه • وبيان ذلك انه في اواخر المابة الثالثة ظهرت دعوة عبيد الله المهدي واستولى على افريقية في خبر طويل تجده مفصلا في ذكر الدولة الفاطمية • ثم سمت همته الى تملك المغرب الاقصى فاغزاه قائدة مصالة بن حبوس المكناسي صاحب تاهرت والمغرب الاوسط فزحف مصالة الى المغرب الاقصى سنة ٣٠٥ ﻫ وانتهى الى فاس فبرز اليه يحيي بن ادريس لمدافعته في جموع العرب والبربر والموالي • فالتقوا بقرب مكناسة فانهزم يحيى وعاد مفلولا الى فاس • ثم تقدم مصالة الى فاس وحاصرها الى ان صالحه يحيي على مال يؤديه اليه وعلى البيعة لعبيد الله المهدي فقبل يحيى الشرط وخرج عن الامر وانفذ بيعته الى المهدي وابقى عليه مصالة في سكنى فاس وعقد له على عملها خاصة • وعقد لابن عمه موسى بن ابي العافية المكناسي على ما سوى ذلك في بلاد المغرب (وكان موسى هذا صاحب تسول وبلاد تازا وكان كبير مكناسة بالمغرب الاقصى على الاطلاق وكان قد خدم مصالة حين قدم المغرب وتعرف اليه وهاداه وقاتل معه في جميع حروبه بالمغرب فحسنت منزلته لديه وولاه بلاد المغرب كلها عدا فاساً واعمالها فانه تركها للامير يحيى كما قلنا) وصار المغرب الاقصى في ملك العبيديين واندرجت دولة الادارسة في دولتهم • وكان موسى بن ابي العافية بعد ذهاب مصالة كلما اراد الظهور بالمغرب والاستبداد به غمره يحيى بن ادريس بحسبه ونسبه وفضله ودينه فقطع به كلما كان يريده • فكان على قلب موسى منه حمل ثقيل فلما قدم مصالة المغرب في كرته الثانية سنة ٣٠٩ ﻫ سعى موسى بن ابي العافية عنده بيحيى بن ادريس حتى اوغر صدره عليه • فلما قرب مصالة من فاس خرج يحيى للقائه والسلام عليه في

جماعة من وجوه دولته فقبض مصالة عليهم وقيد يحيى بالحديد وتقدم الى فاس فدخلها ويحيي بين يديه موثقاً على جمل ثم عذبه بانواع العذاب حتى استصفى امواله وذخائره ثم نفاه الى نواحي آصيلا وقد ساءت حاله وانفضّ جمعه فاقام عند بني عمـه ببلاد الريف مدة فاعطوه مالاً ووصلوه بما يقيم به اوده ويستعين به على امره فلم يرض ذلك وارتحل عنهم يريد افريقية فعرض له موسى بن ابي العافية في طريقه فقبض عليه وسجنه بمدينة آلكاي وذلك سنة ٣٢٠ ﻫ ثم اطلقه بعد ذلك فخرج الى افريقية وهو في فقر وذلة قد بلغ سوء الحال منه كل مبلغ فوصل الى المهدية على تلك الحال فوافق بها فتنة ابي زيد مخلد بن كيداد اليفرني وحصاره اياها ٠ فمات بها جايعاً غريباً سنة ٣٣٢ ﻫ

١٠٠ — الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس

من سنة ٣٠٩ — ٣١١ ﻫ او من سنة ٩٢١ — ٩٢٣ م

لما قبض مصاله على يحيى بن ادريس واستصفى امواله كما قلنا استعمل على فاس ريحان الكتامي وعاد الى القيروان فقام ريحان عاملاً على فاس نحو ثلاثة اشهر وثار عليه الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس المعروف بالحجام ٠ فأتى فاس في جمع من شيعته وانصاره وكان مقداماً شجاعاً فدخلها على حين غفلة من اهلها فاستولى عليها وقتل ريحان واجتمع الناس على بيعته ودخل في طاعته اكثر قبائل البربر بالمغرب وملك عدة مدن مثل مدينة لواتة وصفرون ومدين ومدائن مكناسة والبصرة واستقام له امر المغرب ٠ وفي سنة ٣١١ ﻫ خرج الامير الحسن الحجام الى قتال موسى بن ابي العافية فالتقى معه بفحص الزاد على مقربة من وادي المطاحن فاوقع الحجام بابن ابي العافية وقعة عظيمة لم تقع في دولة الادارسة مثلها قتل فيها من عسكر ابن ابي العافية نحو الفين وثمانية رجل من جملتهم ابنه منهال بن موسى بن ابي العافية وقتل من عسكر الحجام نحو سبعمائة رجل ثم كانت العاقبة لموسى على الحجام فانفض عسكر الحجام وعاد مغلولا الى فاس فعجل الحجام ودخل فاساً وحده وترك عسكره خارج المدينة فغدر به عامله عليها حامد بن حمدان دخل عليه ليلا

في داره فقيده واخذه الى موسى بن ابي العافية فاستولى موسى بن ابي الغافية على المغرب واورثه بنيه كما تراه مفصلا في ذكر دولة آل ابي الغافية وانقضت دولة الادارسة ثم تجددت لهم دولة ببلاد الريف

١٠١ — دولة الاغالبة بتونس

(تمهيد) لما استتب الامر للعرب في مصر سار عبدالله بن سعد بن ابي سرح بأمر الخليفة عثمان بن عفان الى سبيطلة عاصمة افريقية (تونس) وكان صاحبها غريغور تابعاً لصاحب القسطنطينية فخرج له في مائة وعشرين الفاً من الروم والبربر فهزمهم عبدالله بن سعد حتى صالحوه على الجزية . وفي سنة ٤٥ ﻫ بعث معاوية بن ابي سفيان الى افريقية معاوية بن حديج في عشرة آلاف فسير صاحب قسطنطينية في البحر جيشاً لدفاعهم فهزموه قرب الاجم وفتح عبدالله بن الزبير سوسة . وفي خلافة عبدالملك بن مروان وجه اسطولاً مؤلفاً من مائتي مركب الى صقلية (سيسيليا) ففتحها وعاد معاوية بن حديج لولاية مصر فولى مكانه عقبة بن نافع الفهري الذى اختط القيروان سنة ٥٠ ﻫ وبنى فيها الجامع الاعظم وشرّد البربر ثم عزله معاوية وولى مصر وافريقية مسلمة بن مخلد فاناب عنه في افريقية احد المقربين عنده وهو ابو المهاجر دينار فلما وصل الى القيروان خربها ببناء مدينة قربها لشيء بينه و بين عقبة . وكان احد امراء البربر واسمه كسيلة قد اسلم ثم ارتد فلما ولي الخلافة يزيد بن معاوية اعاد عقبه بن نافع الى ولاية افريقيا فعمر القيروان وخرج للجهاد مستخلفاً عليها زهير بن قيس البلوي وسار حتى بلغ البحر المحيط ثم كرّ راجعاً فحض كسيلة المذكور قومه على الثورة والايقاع بعقبة لقلة جنوده فداهموه في الزاب وقتلوه وثلثماية من جماعته . ولا يزال قبرة يزار هناك . وبلغ هذا الخبر زهيراً فاستفز اهل القيروان للقتال فلم يتبعوه ودخل كسيلة القيروان وعظم امره فيها خمس سنوات . وهال هذا الامر الخليفة عبدالملك فكتب الى زهير باستخلاصها من يده فعاد زهير

ابن قيس البلوى وقتل كسيلة سنة ٦٩ هـ ولكنه خاف الفتنة بما صار اليه من الملك
فارتحل الى الشرق وكان الروم يقاتلون برقة فاستصرخوا به فقتله الروم . وولى
بعده حسان بن نعمان بعهد من الخليفة عبدالملك في سنة ٧٨ هـ فسار في اربعين الفاً
فاستولى على القيروان و بنزرت وقرطاجة ثم أخبر عن الكاهنة دهياء وكانت في جمع
محتشد لمقاومته فهزمته وقتلت كثيراً من جيشه . فكاتب عبدالملك في شأنها فاجابه
بانتظار الرد في برقة . واستقلت الكاهنة بافريقية واقتلعت الاشجار حتى لا يطمع
العرب في البلاد ولكن لم تمض خمس سنين حتى عاد بعدد وافر فقتلها في الاجم
بعدمقاومة عنيفة . وكان اصحابها يشيرون عليها بالفرار فاجابتهم . انما الملكة من
تعرف كيف تموت . ومن هذا العهد دخل البربر افواجاً في الاسلام ثم ولى
عبد الرحمن موسى بن نصير فسلك مسلك المستقل عن مصر وعقد لعياش بن
اخيل على اسطوله فاستولى على سرقوسة . وفي سنة ٩٢ هـ اغزى مولاه طارق
ابن زياد الاندلس فافتتحها ولحق هو به فكمل افتتاحها (راجع فصلى ١٦ و٦٩)
ثم عاد الى القيروان ومنها الى الشرق بعد ان خلف ابنه عبد العزيز على الاندلس
وابنه عبد الله على افريقيا . ووافى علماء مصر واشرافها بالهدايا وتوفى بمكة
سنة ٩٨ هـ بالغاً من العمر تسعاً وسبعين سنة . وكان الوليد توفى قبل وفاته
وخلفه سليمان بن عبدالملك فعهد بولاية افريقيا الى محمد بن يزيد الذي استأصل
اموال موسى وبنيه سلباً وقتلاً . ولما توفى سليمان استخلف عمر بن عبد العزيز على
افريقية اسماعيل بن عبدالله فوصلها سنة ١٠٠ هـ وبث الدعاة بين البربر ليفقهوهم
في الدين . ولما بويع يزيد بن عبد الملك وجه ابن ابي مسلم فدخل افريقية
سنة ١٠٢ هـ وسار بالظلم في الناس فهاج الناس وقلدوا الامر لمحمد بن يزيد السالف
الذكر . وكان غازياً في صقلية . فاخبر الخليفة بالامر فولى بشر بن صفوان
فقدم افريقية سنة ١٠٣ هـ وغزا صقلية بنفسه ايام هشام وتوفي سنة ١٠٩ هـ ثم ولى
عبيدة بن عبد الرحمن وعزل بعد اربع سنوات ونصف لتعذيبه عمال بشر وخلفه
عبيد الله بن الحجاب فقدم سنة ١١٠ هـ فبنى جامع الزيتون ودار الصناعة وغذا

السودان وصقلية ولكن انتقض عليه البربر واهل المغرب لظلم عماله فخذلوه فعزله هشام واقام مكانه كلثوم بن عياض فجاء بجيش لقتال خالد بن حميد من المخالفين فهزمه خالد وقتله ونجا بعض اصحابه الى الاندلس و بقتله ولى هشام مكانه حنظلة ابن صفوان فما استقر في القيروان حتى جاءه عكاشه الصفري وعبد الواحد بن يزيد الهواري في خوارج البربر فخرج حنظلة اليهما وقتل الاول واسر الثاني وقد تحسنت الاحوال في عهده ثم ساءت لخفوت صوت الخلافة في المشرق . وكان بين اللاجئين الى الاندلس عقب واقعة كلثوم رجل اسمه عبد الرحمن بن حبيب وقد حاول التغلب عليها فلما لم ينجح عاد الى تونس سنة ١٢٧ هـ فالتف حوله قوم من اهلها . وكان حنظلة يريد حقن الدماء فبعث اليه جماعة يدعونه للطاعة فاعتقلهم عنده ثم اقبل معهم الى القيروان متهدداً بقتلهم اذا رماه أحد بحجر . فارتحل حنظلة الى المشرق . واستلم عبد الرحمن الفهري مقاليد الامور فقاتل الثوار والمخالفين وغزا تلمسان وصقلية وسردانية ودوّخ المغرب . وفي وقته قامت الدولة العباسية فكتب له الخليفة المنصور يدعوه للطاعة فأجاب اولاً ثم نزع يده واستقل بافريقية نحو احدى عشرة سنة الى ان اغتاله الياس بن حبيب وكان عاملاً من قبل اخيه على تونس فذهب مرة لعيادته في مرضه فقتله على فراشه واقصى ابنه حبيباً الى قفصة ثم اركبه مع عمه عمران الى الاندلس الاّ ان قاصفاً من الريح ردّهم الى طبرقة فكتب الى الياس في شأنهما فامر بطردهما ولكن موالي عبد الرحمن واهل طاعته تسامعوا الخبر بأبن مولاهم فالتفوا عليه فخرج الياس لقتالهم فبرز له حبيّب وقال له . تعال للبراز فأينا غلب ملك . فصوّب العسكران رأيه فقتل حبيب الياس ودخل القيروان . ولما وليَ حبيب كثرت الفتن من الثوار والبربر فخرج لقتالهم بعد ان استخلف على القيروان عبد الملك ابن ابي الجعد ولما فاز عليهم واراد العود خرج له عبد الملك وقتله سنة ١٤٠ هـ وقد بلغ المنصور امر هذه الفوضى فولى محمد بن الاشعث الخزاعي على مصر وامره باطفاء الفتنة في افريقية فسار اليها في اربعين الفاً ودخل القيروان ونظم

الاحوال الا ان عيسى بن موسى احد جنده ثار عليه واخرجه من القيروان سنة ١٤٨ ﻫ وبلغ الامر المنصور فولى الاغلب بن سالم وكان ذا رأي وعدل وقد ثار عليه الحسن بن حرب الكندي فكاتبه الاغلب يرغبه في الطاعة فأبى فخرج اليه وهزمه ولكنه عاد ثانياً فخرج له الاغلب أيضاً فاصابه سهم قتله وذلك سنة ١٥٠ ﻫ فوجه المنصور عمر بن حفص فحاصره في القيروان ابو حاتم الاباضي في جموع عظيمة من الثوار وطال الحصار حتى اكل المحصورون الميتة وبلغ عمراً ان المنصور وجه لاستنقاذه يزيد بن حاتم في ستين الفاً فأنف وقال . لا خير في الحياة بعد أن يقال اخرجه يزيد من الحصار انما هي رقدة ثم أبعث الى الحساب ثم خرج وقاتل حتى قتل سنة ١٥٤ ﻫ ثم وصل يزيد بن حاتم وهو المعروف بالسخاء والنجدة والذي قيل فيه

لشتان ما بين اليزيدين في الندى　　يزيد سليم والاغر بن حاتم

فمهد امور القيراون وجدد بناء جامعها وفتك بالمخالفين الى ان توفي سنة ١٧١ ﻫ ثم خلفه ابنه داود وكانت له مع البربر حروب وابث في الولاية تسعة اشهر ونصف خلفه بعدها روح بن حاتم بعهد من الرشيد فسار بالعدل وصدعت شوكة البربر واطاعوا للدين ولما دنا اجله عهد الرشيد بالولاية الى نصر ابن حبيب المهلبي وكان روح بن حاتم قد توفي سنة ١٧٤ ﻫ وبايع الملاء ابنه قبيصة فلما وصل نصر امتثلوا لأمره وسار بين الناس بالعدل . وفي سنة ١٧٧ ﻫ جاء كتاب الرشيد بعزله وولاية الفضل بن روح . فارسل المغيرة ابن اخيه عاملاً على تونس فاوغر على نفسه صدور الرعية لسوء سيرته . ثم ولى الرشيد هرثمة ابن اعين ثم استقال ورحل الى المشرق سنة ١٨١ ﻫ فخلفه محمد بن مقاتل بامر هرون الرشيد فقدم القيروان في رمضان سنة ١٨١ ﻫ فأساء السيرة فاختلف عليه الجند وقدموا مخلد بن مرّة الازدي فبعث اليه العساكر فهزم وقتل ثم خرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي سنة ١٨٣ ﻫ واجتمع اليه الناس وسار الى القيروان فخرج اليه محمد بن مقاتل ولقيه فانهزم امامه ورجع الى القيروان وتمام في اتباعه

الى ان دخل عليه القيروان وامنه تمام على ان يخرج عن افريقية فسار محمد الى طرابلس وبلغ الخبر الى ابراهيم بن الاغلب بمكانه من الزاب فانتقض لمحمد وسار بجموعه الى القيروان وهرب تمام بين يديه الى تونس وملك القيروان واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس واعاده الى امارته بالقيروان آخر سنة ١٨٣ ﻫ وزحف تمام لقتالهم فخرج اليه ابراهيم بن الاغلب باصحابه فهزمه وسار في اتباعه الى تونس واستأمن له تمام فأمنه وجاء به الى القيروان وبعث به الى بغداد فاعتقله الرشيد

١٠٣ – ابراهيم بن الاغلب

من سنة ١٨٤ – ١٩٦ ﻫ او من سنة ٨٠٠ – ٨١١ م

لما استوثق الامر لمحمد بن مقاتل كره اهل البلاد ولايته وداخلوا ابراهيم بن الاغلب في ان يطلب من الرشيد الولاية عليهم فكتب ابراهيم الى الرشيد في ذلك على ان يترك المائة الف دينار التي كانت من مصر الى افريقية وعلى ان يحمل هو من افريقية اربعين الفاً . وبلغ الرشيد غناؤه في ذلك واستشار اصحابه فاشار هرثمة بولايته فكتب له بالعهد الى افريقية منتصف سنة ١٨٤ ﻫ فقام ابراهيم بالولاية وضبط الامور . ورجع ابن مقاتل الى المشرق . وسكنت البلاد بولاية ابن الاغلب وابتنى مدينة العباسية قرب القيروان وانتقل اليها بجملته . وفي سنة ١٨٦ ﻫ خرج عليه بتونس حمديس من رجالات العرب ونزع السواد فسرح اليه ابن الاغلب عمران بن مجالد في العساكر فقاتله وانهزم حمديس وقتل من اصحابه عشرة آلاف. ثم صرف همه الى تمهيد المغرب وقد ظهرت فيه دعوة العلوية بادريس بن عبد الله وتوفي ونصب البرابرة ابنه الاصغر وقام مولاه راشد بكفالته وكبر ادريس واستفحل امره (كما مرّ ذلك مفصلاً) فلم يزل ابراهيم يدس الى البربر ويسرب فيهم الاموال حتى قتل راشد وسيق رأسه اليه ثم قام بأمر ادريس بعده بهلول بن

عبدالرحمن المظفر من روس البربر فاستفحل امره ولم يزل ابراهيم يتلطفه ويستميله بالكتب والهدايا الى ان انحرف عن دعوة الادارسة الى دعوة العباسية فصالحه ادريس وكتب اليه يستعطفه بقرابته الى رسول الله فكف عنه

وفي سنة ١٨٩ هـ خالف اهل طرابلس على ابراهيم بن الاغلب ونادوا بعاملهم سفيان بن المهاجر واخرجوه من داره الى المسجد وقتلوا عامة اصحابه ثم امنوه على ان يخرج من طرابلس فخرج سفيان لشهر من ولايته واستعملوا عليهم ابراهيم بن سفيان التميمي فبعث اليهم ابراهيم بن الاغلب العساكر وهزمهم ودخل عسكره طرابلس ثم استحضر ابراهيم الذين تولوا كبر ذلك فحضروا في ذي الحجة آخر السنة وعفا عنهم واعادهم الى بلدهم . وفي سنة ١٩٥ هـ انتقض عمران بن مجالد الربعي وكان بتونس واجتمع معه علي ذلك قريش بن التونسي وكثرت جموعهما وسار عمران الى القيروان فملكها وقدم عليه قريش التونسى من تونس وخندق ابراهيم على نفسه بالعباسية فحاصروه سنة كاملة كانت بينه وبينهم حروب كان الظفر في اخرها لابن الاغلب . ثم بعث الرشيد الى ابراهيم بالمال فنادى في الناس بالعطأ ولحق به اصحاب عمران وانتقض امره ولحق بالزاب فاقام به الى ان توفي ابن الاغلب . وفي سنة ١٩٦ هـ بعث ابراهيم بن الاغلب ابنه عبدالله على طرابلس فثار عليه الجند وحاصروه بداره ثم امنوه على ان يخرج عنهم فخرج واجتمع اليه الناس وبذل العطأ واتاه البربر من كل ناحية فزحف الى طرابلس وهزم جندها ودخل المدينة ثم عزله ابوه وولى سفيان بن المضاء فثارت هوارة بطرابلس وهجموا الجند . فلحقوا بابراهيم بن الاغلب واعاد معهم ابنه عبدالله في ثلاثة عشر الفا من العساكر ففتك بهوارة واثخن فيهم وجدد سور طرابلس و بلغ الخبر الي عبد الوهاب بن عبدالرحمن ابن رستم فجمع البربر وجاء الى طرابلس وحاصرها وسد عبد الوهاب باب زناتة وكان يقاتل من باب هوارة . ثم جاء عبد الله الخبر بوفاة ابيه فصالحهم على ان يكون البلد والبحر لعبدالله واعمالها لعبد الوهاب وسار الى القيروان . وفي سنة ١٩٦ هـ توفي ابراهيم بن الاغلب وعهد بالامارة من بعده لابنه عبد الله

١٠٣ - ابو العباس بن ابراهيم

من سنة ١٩٦ — ٢٠١ هـ او من سنة ٨١١ — ٨١٦ م

لما توفي ابراهيم بن الاغلب كان ابنه عبد الله غائباً بطرابلس والبربر يحاصرونه كما ذكرنا فأخذ اخوه زيادة الله بن ابراهيم له العهود على الجند وسير الكتاب الى اخيه عبد الله يخبره بموت ابيه وبالامارة له . فلما وصله الخبر صالحهم كما ذكر وسار الى القيروان فلقيه الناس وتسلم الامر . ولم يرع حق اخيه في ما فعله . واتبع خطة الجور والظلم حتى انه حدَّد على كل فدان في عمله ثمانية عشر ديناراً فضاق الناس لذلك . ونصحه كثير من العلماء والصالحين فلم ينتصح . ومع ذلك كانت كل ايام امارته ايام سكون ودعة بما مهد له ابوه الامر حتى توفي سنة ٢٠١ هـ وكانت امارته خمس سنين ونحو شهرين

١٠٤ - زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب

من سنة ٢٠١ — ٢٢٣ هـ او من سنة ٨١٦ — ٨٣٧ م

لما توفي ابو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب وليَ مكانه اخوه زيادة الله بن ابراهيم وجاءه التقليد من قبل المأمون . وكتب اليه يامره بالدعاء لعبد الله بن طاهر على منابره فغضب من ذلك وبعث مع الرسول بدنانير من سكة الادارسة يعرض له بتحويل الدعوة

وفي سنة ٢٠٧ هـ خرج عليه زياد بن سهل المعروف بابن الصقلبية وجمع جمعاً كثيراً وحصر مدينة باجة فسير اليه زيادة الله العساكر فازالوه عنها وقتلوا من وافقه على المخالفة

وفي سنة ٢٠٨ هـ بلغ زيادة الله ان منصور بن نصير الطنبذي يريد المخالفة عليه بتونس وهو يسعى في ذلك ويكاتب الجند فلما تحققه سير اليه قائداً اسمه محمد بن حمزة في ثلثماية فارس وامره ان يخفي خبره ويجد السير الى تونس فلا يشعر به منصور حتى ياخذه فيحمله اليه فسار محمد ودخل تونس فلم يجد منصوراً بها لانه كان قد توجه

الى قصره بطنبذة . فارسل اليه محمد قاضي تونس ومعه اربعون شيخاً يقبحون له الخلاف وينهونه عنه ويامرونه بالطاعة . فساروا اليه واجتمعوا به وذكروا له ذلك . فقال منصور . ما خالفت طاعة وانا سائرٌ معكم الى محمد . فلما امسى المساء اعتقل القاضي ومن معه وسار مجداً باتباعه الى تونس ودخلها على حين غفلة من اهلها وقتل من كان مع محمد ولم يسلم منهم الا من نجا سباحة في البحر . وكان عامل زيادة الله على تونس اسمعيل بن سفيان فاحضره منصور وقتله ليستخلص له طاعة الجند . فلما سمع زيادة الله الخبر سير العساكر من القيروان مع غلبون ابن عمه واسمه الاغلب بن عبد الله ابن الاغلب وهو وزيره وتهددهم بالقتل ان انهزموا . فهزمهم منصور وخشوا على انفسهم ففارقوا الوزير غلبون وافترقوا على افريقية واستولوا على باجة والجزيرة وصطفورة والاربس وغيرها واضطربت افريقية ثم اجتمعوا الى منصور فسار بهم الى القيروان فملكها . وحاصر زيادة الله في العباسية اربعين يوماً وعمروا سور القيروان الذي خربه ابراهيم بن الاغلب . ولما ضاق زيادة الله من الحصار خرج اليه مستميتاً فقاتله وهزمه ولحق بتونس وأخرب زيادة الله سور القيروان . ولحق قواد الجند بالبلاد التي تغلبوا عليها فلحق منهم عامر بن نافع الازرق بسبيبة .

وفي سنة ٢٠٩ ﻫ سير زيادة الله جيشاً مع محمد بن عبد الله بن الاغلب الى سبيبة فهزمهم عامر وعادوا بالخيبة فعظم الامر على زيادة الله . ورجع منصور الى تونس ولم يبق على طاعة زيادة الله من افريقية الاَّ تونس والساحل وطرابلس ونفزاوة . وبعث الجند الى زيادة الله بالامان على ان يرتحل عن افريقية فضاق به وغمه الامر فقال له سفيان بن سوادة مكني من عسكرك لاختار منهم مائتي فارس واسير بهم الى نفزاوة فقد بلغني ان عامر بن نافع يريد قصدهم فان ظفرت كان الذي تحب وان تكن الاخرى عملت برأيك . فامره بذلك فاخذ مائتي فارس وسار الى نفزاوة ودعا برابرتها الى نصرته فاجابوه . واقبل عامر بن نافع في عساكره واقتتلوا فانهزم عامر ومن معهم وكثر القتل فيهم ورجع عامر الى قسطيلة فجبى اموالها ليلاً ونهاراً في ثلاثة ايام وسار عنها واستخلف عليها من يضبطها فهرب منها ايضاً خوفاً من اهلها . فارسل اهل قسطيلة الى سفيان بن سوادة وسألوه ان يجيء اليهم . فسار اليها وملك قسطيلة وضبطها فاستقام امر زيادة الله واسترجع كثيراً من المدن

(فتح جزيرة صقلية (سيسليا) وفي سنة ٢١٢ ﻫ جهز زيادة الله اسطولاً عظيماً

وسيره الى جزيرة صقلية واستعمل عليه اسد بن الفرات قاضي القيروان • وكان السبب في ارسال هذا الاسطول ان جزيرة سيسيليا (صقلية) كانت تابعة لمملكة الروم الشرقية وكان ملك القسطنطينية يرسل اليها عمالاً من عنده فلما كانت سنة ٢١١ هـ استعمل على هذه الجزيرة شخصاً يدعى قسطنطين وكانت بينه وبين فيمي قائد اسطول الروم منافسة فوشى به الى الملك فامره باعتقاله وقتله • فبلغ الخبر الى فيمي فعصى ورفع راية المخالفة ووافقته جنوده وسار الى مدينة سرقوسة وملكها واخرج قسطنطين منها واستقام له امر الجزيرة وخوطب بالملك ثم ثار عليه بعض قواده وابن عم له اسمه ميخائيل وازاحوه عن سرقوسة فهرب فيمي بحراً الى افريقية وارسل الى زيادة الله يستنجده ويعده بملك جزيرة صقلية فسير معه جيشاً في ربيع الاول سنة ٢١٢ هـ كما ذكرنا • فنزلوا بمدينة مازر والتقوا بجموع الروم فهزموهم وغنموا اموالهم واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة حتى وصلوا الى قلعة الكرات وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فخادعوا القاضي اسد بن الفرات في المراودة على الصلح واداء الجزية حتى استعدوا للحصار ثم امتنعوا عليه فحاصرهم وبث سراياه في نواحي الجزيرة فغنموا كثيراً • ثم حاصروا سرقوسة براً وبحراً واتاهم المدد من افريقية • فضيق المسلمون على سرقوسة • حتى اتى اهلها المدد من القسطنطينية وكان المسلمون قد وهنوا لانهم اصابهم سنة ٢١٣ هـ وباء شديد أمات منهم خلقاً كثيراً ومات به كبيرهم اسد بن الفرات وولي الامر على المسلمين بعده محمد بن ابي الجواري • فلما رأى المسلمون شدة فتك الوباء بهم وحضور المدد للروم نزلوا في مراكبهم ليرجعوا الى افريقية • فوقف الروم بمراكبهم على باب المرسي ليمنعوا المسلمين الخروج • فلما رأى المسلمون ذلك وايقنوا بالهلاك على أية حالة فضلوا ان يموتوا على شفرات السيوف فاحرقوا مراكبهم ورجعوا حتى وصلوا مدينة مينا فحصروها ثلاثة ايام فتسلموا الحصن • وسارت منهم طائفة الى حصن جرجنت فقاتلوا اهله وملكوه • واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وساروا الى مدينة قصريانة فهزمهم الروم • ثم توالت انتصارات الروم على المسلمين مرات عديدة حتى حصروهم اخيراً في معسكرهم وطال عليهم الحصار وكادوا يشرفون على الهلاك حتى دخلت سنة ٢١٤ هـ فوصلت اليهم امداد زيادة الله من افريقية واتتهم مراكب من الاندلس خرجت بقصد الجهاد حتى اجتمع منهم ثلاثمائة مركب فنزلوا الجزيرة وخلصوا

اخوانهم المحصورين ثم ساروا في سنة ٢١٧ هـ الى مدينة بليرم ففتحوها بالامان ٠
وفي سنة ٢١٩ هـ سارت عساكر المسلمين الى مدينة قصريانة وقاتلوا الروم قتالاً شديداً فانهزم الروم ورجعوا الى معسكرهم
وفي سنة ٢٢٠ هـ توفي محمد بن عبد الله امير المسلمين بصقلية ٠ فسير زيادة الله من افريقية الى صقلية ابا الاغلب بن ابراهيم بن عبد الله اميراً عليها فخرج اليها فوصلها في منتصف رمضان ٠ فسير اسطولاً فالتقى باسطول للروم فغنمه وقتل كل من فيه ٠ وارسل سرية الى جبل النار والحصون التي في نواحيها فملكوا مدناً وحصوناً كثيرة وغنموا غنائم وسبوا سبايا كثيرة وعادوا سالمين ٠ وفي سنة ٢٢١ هـ سير الاغلب سرية الى قسطلياسة فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم وسير سرية الى مدينة قصريانة فقاتلهم الروم حتى انهزم المسلمون واصيب منهم جماعة وتوالت الحروب بينهم والنصر متبادل حتى دخل فصل الشتاء فعثر بعض المسلمين على عوزة في قصريانة فدل المسلمين عليها فدخلوا من ذلك الموضع وملكوا ربضه وتحصن الروم بالحصن ثم طلبوا الامان فامنوهم واستلم المسلمون المدينة والحصن وغنموا منها غنائم وعادوا الي بليرم ٠ وفي سنة ٢٢٣ هـ جاءت الروم امدادات عظيمة وكان المسلمون محاصرين جفلوذي وقد طال حصارها فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها وجرت بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة ٠ ثم وصل الخبر بوفاة زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افريقية فوهن المسلمون ثم تشجعوا وضبطوا انفسهم ٠ وكانت وفاة زيادة الله ابن ابراهيم منتصف سنة ٢٢٣ هـ لاحدى وعشرين سنة ونصف من ولايته

١٠٥ — ابو عقال الاغلب بن ابراهيم الاغلب

من سنة ٢٢٣ — ٢٢٦ هـ أو من سنة ٨٣٧ — ٨٤٠ م

لما توفي زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب تولى اخوه الاغلب بن ابراهيم ويكني ابا عقال فأحسن الى الجند وازال المظالم وزاد العمال في ارزاقهم وكفهم عن الرعية وخرج عليه بقسطيلة خوارج فبعث اليهم العساكر وقتلهم واستأصلهم ٠
وفي سنة ٢٢٦ هـ استأمن للمسلمين بصقلية عدة حصون فأمنوهم وفتحوها صلحاً ٠

وفي سنة ٢٢٦ هـ المذكورة توفي الاغلب بن ابراهيم وكانت مدة ولايته سنتين وسبعة اشهر

١٠٦ – ابو العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم

من سنة ٢٢٦ – ٢٤٢ هـ او من سنة ٨٤٠ – ٨٥٦ م

لما توفي ابو عقال الاغلب ولي بعده ابنه ابو العباس محمد ودانت له افريقية وشيد مدينة بقرب تاهرت وسماها العباسية وذلك سنة ٢٢٧ هـ واحرقها افلج بن عبد الوهاب بن رستم وكتب الى صاحب الاندلس يتقرب اليه بذلك فبعث اليه بمائة الف درهم جزاء له على فعله . وتوفي محمد بن الاغلب يوم الاثنين غرة المحرم سنة ٢٤٢ هـ وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وعشرة ايام

١٠٧ – ابو ابراهيم احمد بن ابي العباس

من سنة ٢٤٢ – ٢٤٩ هـ او من سنة ٨٥٦ – ٨٦٣ م

لما توفي ابو العباس محمد بن ابي عقال ولي مكانه ابنه ابو ابراهيم احمد فاحسن السيرة مع الرعية واكثر العطأ للجند وكان مولعاً بالعمارة فبنى بافريقية نحواً من عشرة الاف حصن بالحجارة والكلس وابواب الحديد . وفي ايامه فتحت قصريانة من مدن صقلية في شوال سنة ٢٤٤ هـ وبعث بفتحها الى المتوكل واهدى له من سبيها . ولم يكن في ايامه ثائر يزعجه ثم توفي يوم الثلاثا لثلاث عشرة بقيت من ذى القعدة سنة ٢٤٩ هـ وكانت ولايته سبع سنين وعشرة اشهر واثني عشر يوماً وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة

١٠٨ ـ زيادة الله بن ابي ابراهيم احمد

من سنة ٢٤٩ — ٢٥٠ ﻫ او من سنة ٨٦٣ — ٨٦٤ م

لما توفي ابو ابراهيم احمد ولي مكانه ابنه زيادة الله ويعرف بزيادة الله الاصغر فجرى على سنن سلفه ولم تطل ايامه فتوفي يوم السبت لاحدى عشرة بقيت من ذي القعدة سنة ٢٥٠ ﻫ وكانت ولايته سنة واحدة وستة ايام

١٠٩ ـ ابو الغرانيق بن ابي ابراهيم احمد

من سنة ٢٥٠ — ٢٦١ ﻫ او من سنة ٨٦٤ — ٨٧٤ م

ولما توفي زيادة الله الاصغر تولى بعده اخوه محمد ويلقب بابي الغرانيق فغلب عليه اللهو والشراب وكانت في ايامه حروب وفتن وفتح جزيرة مالطة سنة ٢٥٥ ﻫ وتغلب الروم على مواضع من جزيرة صقلية وبنى محمد حصوناً ومحارس على ساحل البحر بالمغرب على مسيرة خمسة عشر يوماً من برقة الى جهة المغرب . ثم توفي ابو الغرانيق منتصف سنة ٢٦١ ﻫ لاحدى عشرة سنة من ولايته . وقبل الانتقال الى ذكر من ولي بعده يجدر بنا ذكر بعض اخبار جزيرة صقلية في هذه المدة فنقول

في سنة ٢٢٨ ﻫ سار الفضل بن جعفر الهمذاني في البحر ونزل مرسى مسينا وحاصرها فامتنعت عليه وبث السرايا في نواحيها فغنموا ثم بعث طائفة من عسكره وجاءوا الى البلد من وراء جبل مطل عليه وهم مشغولون بقتاله فانهزموا وسلموا المدينة وفي سنة ٢٣٢ ﻫ حاصر مدينة لسي فكاتب اهلها امير صقلية الرومي يستمدونه فاجابهم واعطاهم العلامة بايقاد النار على الجبل وبلغ ذلك الفضل بن جعفر فاوقد النار على الجبل واكمن لهم من ناحيته فخرجوا واستطرد لهم حتى جاوزوا الكمين فخرجوا عليهم فلم ينج منهم الا القليل وسلموا البلد على الامان . وفي سنة ٢٣٣ ﻫ

توفى امير صقلية محمد بن عبدالله بن الاغلب واجتمع المسلمون بعده على ولاية العباس بن الفضل بن يعقوب وكتب له محمد بن الاغلب بالعهد على صقلية . فلما جاءه كتاب الولاية ردد البعوث والسرايا في نواحي صقلية فافتتح حصوناً جمة وهزم اهل قصريانة ودله بعضهم على عورة يدخل منها المدينة فدخلها واعمل السيف في اهلها وغنم منها غنائم جمة . و بلغ ملك الروم فتح المسلمين قصريانة فسير اسطولاً الى الجزيرة لاستخلاصها من المسلمين فنزلوا ميناء سرقوسة . فجاءهم العباس من بليرم فقاتلهم وهزمهم حتى اقلعوا الى بلادهم . ثم رجع العباس الى قصريانة فحصنها وانزل بها الحامية . ثم سار سنة ٢٤٧ ﻫ الى سرقوسة فغنم ورجع واعتل في طريقه فهلك منتصف سنته ودفن نواحي سرقوسة . ولما توفي العباس اجتمع الناس على ابنه عبدالله وكتبوا لصاحب افريقية . وبعث عبدالله السرايا ففتح القلاع الكثيرة . و بعد خمسة اشهر من ولايته وصل خفاجة بن سفيان من افريقية على صقلية في منتصف سنة ٢٤٨ ﻫ واخرج ابنه محموداً في سرية الى سرقوسة فعاث في نواحيها وخرج اليهم الروم فقاتلهم وظفر ورجع . ثم فتح مدينة نوطوس سنة ٢٥٥ ﻫ ثم سار الى سرقوسة وجبل النار واستأمن اليه اهل طرميس ثم غدروا فسرح ابنه محمداً في العساكر وسبى اهلها . ثم سار خفاجة الى رغوس وافتتحها واصابه المرض فعاد الى بليرم . وفي سنة ٢٥٢ ﻫ سار الى سرقوسة وقطانية فخرب نواحيها وافسد زرعها و بعث سراياه في ارض صقلية فأمتلات ايديهم من الغنائم . وفي سنة ٢٥٥ ﻫ بينما كان خفاجة راجعاً من بعض غزواته اغتاله بعضهم وقتله في الطريق فولى الناس عليهم ابنه محمداً وكتبوا الى محمد بن احمد امير افريقية فأقره على الولاية و بعث اليه بعهده

١١٠ ـ ابراهيم بن احمد بن ابي العباس

من سنة ٢٦١ — ٢٨٩ هـ أو من سنة ٨٧٤ ـ ٩٠١ م

ولما توفي ابو الغرانيق ولي اخوه ابراهيم . وقد كان عهد لابنه ابي عقال واستحلف اخاه ابراهيم ان لا ينازعه ولا يتعرض له بل يكون نائباً عنه الى ان يكبر . فلما مات اتي اهل القيروان ابراهيم وسالوه ان يتولى امرهم لحسن سيرته وعدله فلم يفعل اولاً ثم اجاب طلبهم وانتقل الى قصر الامارة و باشر الامور واقام فيها قياماً مرضياً . واختلف المؤرخون في سيرته فبعضهم قال انه كان عادلاً حازماً . وبعضهم قال انه كان ظلوماً غشوماً سفاكاً للدماء وانه اصابه في آخر عمره ماليخوليا اسرف بسببها في القتل فقتل من خدمه ونسائه وبناته ما لا يحصى . وفي سنة ٢٦٥ هـ خالف العباس بن احمد بن طولون على ابيه صاحب مصر وسار الى المغرب فملك برقة من يد محمد بن قهرب قائد ابن الاغلب ثم ملك لبده ثم حاصر طرابلس واستمد ابن قهرب قومه فأمدوه ولقيَ العباس بن طولون بقصر حاتم سنه ٢٦٧ هـ فهزمه ورجع الى مصر . وفي سنة ٢٦٩ هـ خالفت عليه وزداجة ومنعو الرهن وفعلت مثل ذلك هوارة ثم لواتة وقتل ابن قهرب في حروبهم فسرح ابراهيم ابنه ابا العباس عبدالله اليهم في العساكر فاثخن فيهم . وفي سنة ٢٨٠ هـ كثر الخوارج عليه ففرق العساكر اليهم فاستقاموا . وفي سنة ٢٨١ هـ انتقل الى سكن تونس واتخذ فيها القصور . وفي سنة ٢٨٣ هـ تحرك الى مصر لمحاربة ابن طولون فاعترضته نفوسة فهزمهم واثخن فيهم ثم انتهى الى سرت فانفضت عنه الجنود فرجع . وفي سنة ٢٨٧ هـ بعث ابنه ابا العباس على صقلية فوصل اليها في مائة وستين مركباً وحصر طرابة وانتقض عليه بليرم واهل كبركيت فهزمهم وشتت جموعهم واستباحهم وفي سنة ٢٨٩ هـ جاء رسول المعتضد بعزل الامير ابراهيم لشكوى اهل تونس به فارتحل الى صقلية مظهراً الغزو والجهاد فوصلها وفتح بها عدة حصون واستأمن اليه كثير من المدن بها ثم اصابه الذرب واشتدت به العلة فتوفي ليلة السبت لاحدى عشرة بقيت من ذي القعدة سنة ٢٨٩ هـ فاجمع اهل الرأي من العسكر ان يولوا امرهم ابا مضر بن ابي العباس عبدالله ليحفظ العساكر والاموال والخزائن الى ان يصل الى ابنه بافريقية وجعلو الامير ابراهيم في تابوت وحملوه الى افريقية ودفنوه في القيروان وكانت

ولايته خمساً وعشرين سنة ٠ وفي ايامه ظهر ابو عبدالله الشيعي بكتامة يدعو للرضاء من آل محمد و يبطن الدعوة لعبيد الله المهدي من ابناء اسمعيل الامام واتبعه كتامة ٠ وكان ابراهيم قد اسرّ لابنه ابي العباس في شأن الشيعي ونهاه عن محاربته وان يلحق به الى صقلية ان ظهر عليه

١١١ - ابو العباس عبد الله بن ابراهيم

من سنة ٢٨٩ — ٢٩٠ ﻫ او من سنة ٩٠١ — ٩٠٢ م

لما توفي ابراهيم بن احمد تولى مكانه ابنه ابو العباس عبدالله وكان اديباً لبيباً شجاعاً احد الفرسان المعدودين وفي ايامه عظم امر ابى عبدالله الشيعي فارسل اخاه الاحول لقتاله ٠ فلما بلغ الشيعي حركتهم خرج اليهم في جموع كثيرة والتقوا عند كموشة فقتل بينهم خلق كثير وانهزم الاحول ولحق بتونس ٠ وفي هذه السنة اعتقل ابو العباس ابنه زيادة الله لما بلغه عنه من اعتكافه على اللذّات واللهو وانه يروم التوثب عليه ٠ وكان زيادة الله وقتئذ عاملاً لابيه على صقلية فعزله عنها واعتقله وولى مكانه محمد بن السرقوسي وفي سنة ٢٩٠ ﻫ في ليلة الاربعاء اخر شعبان قتل ابو العباس قتله ثلاثة نفر من خدمه الصقالبة بوضع من ولده وحملوا رأسه الى ولده واطلق زيادةالله من اعتقاله

١١٢ - ابو مضر زيادة الله بن ابي العباس عبد الله

من سنة ٢٩٠ — ٢٩٦ ﻫ او من سنة ٩٠٢ — ٩٠٨ م

لما قتل ابو العباس عبدالله اجتمع اهل الدولة واطلقوا ابنه زيادة الله من الاعتقال وبايعوا له فقتل الخصيان الذين قتلوا اباه ٠ وعكف على الملذات والشهوات وملازمة الندماء والمضحكين ٠ واهمل امور المملكة والرعية ٠ و يوم تولى ارسل كتاباً الى عمه الاحول عن لسان ابيه يستعجله الحضور اليه و يحثه على السرعة ٠ فسار مجدّاً ولم يكن يعلم بقتل ابي العباس ٠ فلما وصل قتله ابو مضر وقتل كل من قدر عليه من عمومته واخوته ٠ وفي ايامه قوي امر الشيعي وكان الاحول قبالته و يناوشه فلما قتل

صفت له البلاد ودانت له الامصار والعباد فسير اليه زيادة الله جيشاً مع ابراهيم بن ابي الاغلب (وهو من بني عمه) بلغت عدتهم اربعين الفاً سوى من انضاف اليه فهزمه ابو عبدالله الشيعي . فلما علم زيادة الله خبر هذا الانهزام علم انه لا مقام له لان هذا الجمع هو آخر ما انتهت اليه قدرته . فجمع ما عزّ عليه من اهل ومال وغير ذلك وعزم علي الهرب الى بلاد المشرق . فمنعه كثير من اهل دولته عن هذا العزم فابى الا ذلك . فسار نحو الشرق ووصل طرابلس واقام بها سبعة عشر يوماً ثم سار ووجهته مصر فلما وصلها منعه عاملها عيسى النوشري عن الدخول اليها الا بامر الخليفة وانزله بظاهر البلد ثمانية ايام ثم انصرف عنها حتى وصل الرقة ومنها ارسل الى ابن الفرات وزير المقتدر يستاذن له في الدخول . فاتاه كتابه بالمقام في الرقة حتي ياتيه راي المقتدر فاقام بها سنة . ثم جاءه كتاب المقتدر بالرجوع الى افريقية وامر النوشري عامله بمصر بامداده بالرجال والمال لاسترجاع الدعوة العباسية بافريقية وازاحة الشيعة عنها . فرجع حتي اذا وصل الى مصر اصابته علة مزمنة مات بها وتفرق بنو الاغلب وانقطعت ايامهم سنة الله في خلقه

١١٣ — الدولة الطاهرية بخراسان

(تمهيد) لما توفي الخليفة هرون الرشيد واختلف ابناه الامين والمأمون كان طاهر بن الحسين من قواد المأمون وهو الذي فتح بغداد وامر بقتل الامين كما ذكرنا ذلك في حينه مفصلاً (راجع فصل ٣١) فلما دانت البلاد للمأمون واستتب الامر له ولى طاهر بن الحسين الشرطة بجانبي بغداد وكان طاهر يتردد على الخليفة المأمون في مجلسه العام والخاص فدخل مرة على المامون وهو يشرب النبيذ وحسين الخادم يسقيه فامره بالجلوس . فقال طاهر ليس لصاحب الشرطة ان يجلس عند سيده . فقال المأمون . ذلك في مجلس العامة واما في مجلس الخاصة فله ذلك . ثم تذكر المأمون شيئاً ابكاه بحضور طاهر . فقال طاهر . يا امير المؤمنين لمَ تبكي لا ابكى الله عينك والله لقد دانت لك البلاد واذعن لك

العباد وصرت الى المحبة في كل امرك . فقال المامون . ابكي لامر ذكره ذل وستره حزن ولن يخلو احد من شجن . وانصرف طاهر وهو قلق البال مفكراً فيما ابكى المأمون ثم تذكر طاهر منزلة حسين الخادم عند المامون فاعطاه ثلثماية الف درهم على ان يسأل المأمون عن سبب بكائه . فسأله . فقال له بعد ان استوثق منه ان لا يزيعه . انه لما دخل طاهر تذكرت اخي محمد الامين وما ناله من الذل والقتل بامر طاهر فخنقتني العبرات فبكيت . فأخبر حسين الخادم طاهراً بما قاله المأمون فخاف على نفسه واسرع الى احمد بن ابي خالد ليحمل المأمون على توليته خراسان . فقال له احمد سأفعل . وركب احمد الى المأمون فلما دخل عليه قال له . ما نمت البارحة . قال ولم . قال لانك وليت غسان خراسان وهو ومن معه أكلة رأس . واخاف ان تخرج عليه خارجة من الترك فتهلكه . فقال المأمون . لقد فكرت انا ايضاً فيما فكرت انت فيه فمن ترى . قال . طاهر بن الحسين . قال . ويلك هو والله خالع . قال انا الضامن له . فقال فولّه اذاً . فدعا طاهراً من ساعته وعقد له عليها وسار من بغداد قاصداً خراسان مقر ولايته الجديدة لليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٢٠٥ ﻫ

---

١١٤ – طاهر بن الحسين

من سنة ٢٠٥ – ٢٠٧ ﻫ او من سنة ٨٢٠ – ٨٢٢ م

لما عقد المامون لطاهر بن الحسين على خراسان كما ذكرنا سار من بغداد لليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٢٠٥ ﻫ قاصداً مقر ولايته الجديدة . ولما سار اليها ولى المامون ابنه عبدالله بن طاهر على الشرطة ببغداد مكان ابيه . وفي سنة ٢٠٦ ﻫ ولى المأمون عبدالله بن طاهر من الرقة الى مصر وامره بحرب نصر بن شبت فارسل اليه والده طاهر بن الحسين كتاباً جمع فيه كلما يحتاج اليه الامراء من السياسة والآداب والحث والتحريض مما يدل على غزارة علمه وعظم فضله .

وفي سنة ٢٠٧ ﻫ مات طاهر بن الحسين من حمى اصابته فوجد في فراشه ميتاً . قال كلثوم بن ثابت بن ابي شعيد كنت علي بريد خراسان فلما كانت سنة ٢٠٧ ﻫ حضرت الجمعة فصعد طاهر المنبر فخطب فلما بلغ الى ذكر الخليفة امسك عن الدعاء له وقال (اللهم اصلح امة محمد بما اصلحت به اولياءك واكفنا موءنة من بغى علينا . وحشد فيها بلم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين) قال . فقلت في نفسي انا اول مقتول لاني لا اكتم الخبر . قال . فانصرفت فاغتسلت غسل الموتى وتكفنت وكتبت الى المأمون . فلما كان العصر دعاني وحدث به حادث في جفن عينه وسقط ميتاً . فخرج اليّ ابنه طلحة وقال . هل كتبت بما كان . قلت نعم . قال فاكتب بوفاته و بقيام طلحة بأمر الجيش . فلما وصل الخبر الاول الى المأمون دعا احمد بن ابي خالد وقال له . سر وأتني بطاهر كما زعمت وضمنت . فاسترضاه حتى يبيت وفي الصباح يذهب الى خراسان ليأته بطاهر فلم يات الليل حتى وصلهم الخبر بوفاته . فكتب المأمون بتولية ابنه طلحة مكانه

١١٥ — طلحة بن طاهر بن الحسين

من سنة ٢٠٧ – ٢١٣ او من سنة ٨٢٢ – ٨٢٨ م

لما توفى طاهر بن الحسين تولى مكانه ابنه طلحة وارسل له المأمون عهد الولاية فاستمر والياً علي خراسان حتى توفي سنة ٢١٣ ﻫ وكانت ولايته سبع سنين تقريباً .

١١٦ – عبد الله بن طاهر بن الحسين

من سنة ٢١٣ – ٢٣٠ هـ او من سنة ٨٢٨ – ٨٤٤ م

لما توفي طلحة بن طاهر استعمل المأمون على خراسان اخاه عبدالله بن طاهر . وكان عبدالله عاقلاً لبيباً عارفاً بمجاري الامور خدم المامون وصدق الخدمة فاضاف اليه المأمون علاوة على خراسان طبرستان وكرمان والري فارسل اليها عمالاً من قبله وجبى اموالها واتسعت احواله . وكان اهل نيسابور قد قحطوا فمطروا قبل وصول عبدالله اليهم بيوم واحد فقام اليه رجل وقال

قد قحط النـاس في زمانهم حتى اذا جئت جئت بالدُرَرِ
غيثان في ساعة لنا قدمـا فمرحبـا بالامير والمطر

ولما وصل عبدالله خراسان كان الخوارج قد اوقعوا بها فقاتلهم حتى اخلدوا الى السكينة . وفي سنة ٢٢٤ هـ خالف على عبدالله بطبرستان شخص يدعى مازيار . والسبب الذي الجأه الى المخالفة هو ان الافشين لما تغلب على بابك الخرمي وقتله طمع في ولاية خراسان واعمل الحيلة حتى جعل مازيار يخالف ليس على عبدالله ابن طاهر فقط بل وعلى المعتصم ايضاً ظناً منه انه اذا فعل ذلك سير المعتصم عبدالله بن طاهر لقتال مازيار وولى الافشين خراسان عوضاً عنه . فلما خالف مازيار اعتصم بجبال طبرستان . فارسل عبدالله بن طاهر جيشاً كثيفاً فحاربوا اصحاب مازيار وافتتحوا منهم الجبل ومازيار في قصره فلم يشعر الا والخيل على باب قصره فاخذوه اسيراً ووجهوه الى عبدالله بن طاهر . فلما دخل عليه طلب منه الكتب التي ارسلها له الافشين ووعده ان هو اظهرها له انه يسأل المعتصم ليصفح عنه فاقر مازيار بذلك واظهر الكتب عند عبدالله بن طاهر . فاعطى عبدالله الكتب لاسحق بن ابراهيم وسير مازيار معه وامره ان لا يسلمها الا من يده ليد المعتصم ففعل اسحق ذلك . فسأل المعتصم مازيار عن الكتب فانكرها فضرب به حتى مات . وفي سنة ٢٣٠ هـ مات عبدالله بن طاهر بنيسابور في ربيع

الاول وعمره ثمان واربعون سنة

١١٧ ــ طاهر بن عبد الله بن طاهر

من سنة ٢٣٠ ــ ٢٤٨ هـ او من سنة ٨٤٤ ــ ٨٦٢ م

لما توفي عبد الله بن طاهر استعمل الواثق على أعماله كلها ابنه طاهر بن عبد الله وفي ايامه سنة ٢٣٧ هـ ابتدأ امر يعقوب بن الليث والسبب في ذلك انه في هذه السنة تغلب انسان من اهل بست اسمه صالح بن النضر الكناني على سجستان ومعه يعقوب بن الليث . فعاد طاهر بن عبد الله امير خراسان واستنقذها من يده ثم ظهر رجل اسمه درهم بن الحسين من المتطوعة فتغلب عليها وكان غير ضابط لعسكره وكان يعقوب بن الليث هو قائد عسكره فلما رأى اصحاب درهم ضعفه وعجزه اجتمعوا على يعقوب بن الليث وملكوه امرهم لما رأوا من تدبيره وحسن سياسته وقيامه بأمورهم فلما تبين ذلك لدرهم لم ينازعه في الامر وسلمه اليه واعتزل عنه فاستبد يعقوب بالامور وضبط البلاد وقويت شوكته وقصدته العساكر من كل ناحية

وفي سنة ٢٤٨ هـ توفي طاهر بن عبد الله بن طاهر بخراسان في رجب فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر على خراسان ولمحمد بن عبد الله بن طاهر على العراق

١١٨ ــ محمد بن طاهر بن عبد الله

من سنة ٢٤٨ ــ ٢٥٩ هـ او من سنة ٨٦٢ ــ ٨٧٢ م

لما توفي طاهر بن عبد الله استعمل المستعين على خراسان ابنه محمد بن طاهر وكان محمد بن عبد الله ضعيف الرأي قليل الدراية بالامور السياسية فادبرت دولتهم في ايامه كما سنبينه

قد ذكرنا في ولاية طاهر بن عبد الله ظهور يعقوب بن الليث وهو الملقب بالصفار رأس الدولة الصفارية . فلما كانت ايام محمد بن طاهر قوي امر يعقوب واشتدت شوكته واستولى على فارس . وفي سنة ٢٥٧ هـ تقدم يعقوب الصفار الى مدينة بوشنج واستولى عليها وقبض على الحسين ابن طاهر بن الحسين عامل محمد ابن طاهر عليها فارسل اليه محمد بن طاهر وسأله اطلاق الحسين فلم يفعل وبقي في يده . وفي هذه السنة (٢٥٧ هـ) قصد الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان جرجان . فلما علم محمد بن طاهر عزم الحسن على قصد جرجان ارسل اليها العساكر لحفظها فقاتلهم الحسن وانتصر عليهم واستولى على جرجان . وضعف حينئذ امر محمد ابن طاهر وانتقض عليه كثير من الاعمال التي كان يجبي خراجها فلم يبق معه الا بعض خراسان فلما تحقق يعقوب بن الليث الصفار ضعف محمد بن طاهر عن دفعه تقدم سنة ٢٥٩ هـ الى نيسابور وبها محمد بن طاهر واستولى عليها ولم يقدر محمد بن طاهر على مناجزته ثم قبض يعقوب الصفار على محمد وقيده وحفظه عنده وقبض على اهل بيته وكانوا نحوًا من مائة وستين رجلاً وحملهم الى سجستان واستولى على خراسان ورتب في الاعمال نوابه وانقرض امر الدولة الطاهرية بعد ان ملك محمد ابن طاهر احدى عشرة سنة وشهرين وعشرة ايام . ولله في خلقه شؤون

١١٩ — الدولة العلوية بطبرستان

(تمهيد) كان ابو جعفر المنصور قد اختص من العلوية من بني الحسن السبط حافده الحسن بن زيد بن الحسن وولاه المدينة وهو الذي امتحن الامام مالكاً كما هو مشهور وهو الذي أغرى المنصور من قبل ببني حسن واخبره بدسيسة محمد المهدي وابنه عبد الله في شأن الدعاء لهم حتى قبض عليهم وحملهم الى العراق وكان له عقب بالري منهم الحسن بن زيد بن اسمعيل بن الحسن والي المدينة ولما حدث بين عامل طبرستان وبين محمد بن اوس الكافل بها لسليمان بن عبد الله

ابن طاهر نائباً عن محمد بن طاهر صاحب خراسان و بين محمد وجعفر من بني رستم من اهل نواحي طبرستان حادث فتنة اغروا به اهل تـلك النواحي و بعثوا الى الديلم ليستنجدوا بهم عليه وكانوا على المجوسية يومئذ فاجابوا ابني رستم الى حربه و بعث ابنا رستم الى محمد بن ابرهيم بطبرستان لتكون الدعوة له فامتنع ودلهم على الحسن ابن زيد بالري فاستدعوه بكتاب من محمد بن ابرهيم فشخص اليهم . وقد اتفق الديلم وابنا رستم واهل ناحيتهم على بيعته فبايعوه وانضم اليهم اهل جبال طبرستان

١٣٠ — الحسن بن زيد العلوي

من سنة ٢٥٠ — ٢٧٠ ھ او من سنة ٨٦٤ — ٨٨٣ م

هو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقد تقدم كيف استدعاه اهل طبرستان و بايعوه . فلما استتب امره زحف الى آمد فقاتله ابن اوس دونه وخالفه الحسن بن زيد في جماعة الى آمد فملكها ونجا محمد بن اوس الى سليمان بن عبدالله بن طاهر بسارية . واستولى الحسن بن زيد على آمد وكثر جمعه و بعد ان مكث اياماً بآمد سار قاصداً سارية لقتال سليمان بن عبدالله فخرج سليمان اليه واقتتلوا خارج مدينة سارية و بينما الحرب قائمة سار بعض قواد الحسن الى مدينة سارية فدخلها . فلما سمع سليمان الخبر انهزم هو ومن معه وترك اهله وعياله وثقله وامواله بسارية . واستولى الحسن على سارية وغنم كل اموال سليمان اما الحرم والاولاد فجعلهم الحسن في مراكب وسيرهم الى سليمان بجرجان . فلما اجتمعت طبرستان للحسن وجه جنداً الى الري مع رجل اسمه الحسن بن زيد ايضاً وهو من اهله فملكها وطرد عنها عامل الطاهرية واستخلف بها رجلاً من العلويين اسمه محمد بن جعفر وانصرف عنها و بلغ الخليفة المستعين الخبر ومدبر امره يومئذٍ وصيف وكاتبه احمد بن صالح فوجه اسمعيل بن فراشة في جند الى همذان وامره بالمقام بها ليمنع خيل الحسن عنها واما ما عداها

فالى محمد بن عبدالله بن طاهر وعليه الذب عنه . ووجه محمد بن طاهر قائداً من عنده اسمه محمد بن ميكال في جمع من الجند الى الري لاستخلاصها من محمد بن جعفر عامل الحسن عليها . فالتقى الجيشان وانهزم محمد بن جعفر واسر ودخل ابن ميكال الري فلما بلغ الحسن استيلاء ابن ميكال على الري ارسل جنداً بقيادة شخص اسمه واجن فلما قارب الري خرج اليه محمد بن ميكال فاقتتلا شديداً حتى انهزم ابن ميكال والتجاء الى الري معتصماً بها فاتبعه واجن واصحابه حتى قتلوه وصارت الري الى اصحاب الحسن بن زيد . وفي سنة ٢٥١ ﻫ زحف سليمان بن عبدالله ابن طاهر من جرجان في جيش كثيف قاصداً طبرستان . فاجفل الحسن بن زيد عن طبرستان الى الديلم . ودخلها سليمان ثم سار الى سارية فاتاه اهل آمد وغيرهم طالبين الامان ومظهرين الندم فلقيهم بما ارادوا . ثم سار محمد بن طاهر الى لقاء الحسن فهزمه وقتل من اعيان اصحابه ثلثماية واربعين رجلاً . وفي سنة ٢٥٣ ﻫ زحف موسى بن بغا لقتال الحسن فلقيهم الحسن على قزوين فانهزم وسار الى الديلم واستولى موسى بن بغا على قزوين . وفي سنة ٢٥٦ ﻫ رجع الحسن فاستولى على الري . وفي سنة ٢٥٧ ﻫ استولى على الكرخ وتقدم الى جرجان فبعث محمد بن طاهر صاحب خراسان العساكر فهزمهم الحسن وغلبهم عليها ثم انتقض امر الدولة الطاهرية واستولى يعقوب بن الليث الصفار على خراسان فارسل العساكر سنة ٢٦٠ ﻫ لقتال الحسن بن زيد فانهزم الحسن ولحق بارض الديلم . واستولى يعقوب على آمد وسارية وجبى اموالها وسار في طلب الحسن فتعلق بجبال طبرستان واعترضت الامطار والاوحال يعقوب الصفار فلم يخلص الاّ بمشقة عظيمة . وفي سنة ٢٦١ ﻫ رجع الحسن الى طبرستان وغلب عليها اصحاب الصفار . وفي سنة ٢٧٠ ﻫ في شهر رجب توفي الحسن بن زيد العلوي وكانت مدة ولايته عشرين سنة تقريباً

١٣١ — محمد بن زيد العلوى

من سنة ٢٧٠ — ٢٨٧ هـ او من سنة ٨٨٣ — ٩٠٠ م

لما توفى الحسن بن زيد ولي مكانه اخوه محمد بن زيد . وكان قيامهم اولاً على ابن طاهر ثم غلب يعقوب الصفار على خراسان وانتقض عليه احمد السجستاني وملكها من يده ثم مات يعقوب الصفار سنة ٢٦٥ هـ وقام بالامر بعده اخوه عمرو . فزحف عمرو الى خراسان وقاسم السجستاني فيها وكانت بينهما حروب . وكان الحسن بن زيد داعي طبرستان يقابلهما جميعاً الى ان هلك وولي مكانه اخوه محمد الذي نحن بصدده . وكانت قزوين تغلب عليها اثناء ذلك عساكر الموفق ووليها اذكوتكين من مواليهم فزحف الى الري سنة ٢٧٢ هـ وزحف اليه محمد بن زيد في عالم كثير من الديلم واهل طبرستان وخراسان فانهزم محمد وقتل من عسكره ستة آلاف واسر الفان وغنم اذكوتكين عسكره جميعاً وملك الري وفرق عماله في نواحيها . ثم مات السجستاني وقام بامره في خراسان رافع بن الليث من قواد الطاهرية فحارب محمد بن زيد وانتصر عليه ونزع من يده طبرستان وجرجان ولحق محمد بن زيد بالديلم . وفي سنة ٢٨٢ هـ صالح رافع بن الليث محمد بن زيد وخطب له على ان ينجده على عمرو بن الليث فلما تحارب عمرو بن الليث ورافع انتصر عمرو ولكنه لم يتعرض لمحمد بن زيد بسوء

وفي سنة ٢٨٧ هـ حارب اسمعيل بن احمد الساماني عمرو بن الليث الصفار وانتصر عليه واسره فلما اتصل بمحمد بن زيد اسر عمرو الصفار خرج من طبرستان نحو خراسان ظناً منه ان اسمعيل الساماني لا يتجاوز عمله ولا يقصد خراسان وانه لا دافع له عنها فلما سار الى جرجان ارسل اليه اسمعيل الساماني وقد استولى على خراسان يقول له . الزم عملك ولا تقصد خراسان ووعده اذا لزم السكون انه يترك له جرجان فأبى ذلك محمد فندب اليه اسمعيل الساماني محمد بن هرون فجمع محمد جمعاً كثيراً وسار نحو محمد بن زيد فالتقوا على باب جرجان

واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم محمد بن هرون اولاً ثم رجع وقد تفرق اصحاب محمد بن زيد في الطلب فلما رأوه قد رجع اليهم ولوا هاربين وقد قتل منهم بشر كثير واصابت محمد بن زيد ضربات واسر ابنه زيد وغنم محمد بن هرون معسكره . ثم مات محمد بن زيد بعد ايام من جراحاته التي اصابته . وكان محمد بن زيد فاضلاً اديباً شاعراً قال بعضهم . كنت اورد على محمد بن زيد اخبار العباسيين فقلت له انهم قد لقبوا انفسهم فاذا ذكرتهم عندك اسميهم او القبهم . فقال . الامر موسع عليك سمهم ولقبهم باحسن القابهم واسمائهم واحبها اليهم . آه .

---

١٣٢ – (الاطروش) الحسن بن علي

من سنة ٢٨٧ — ٣٠٤ ه او من سنة ٩٠٠ — ٩١٦ م

هو الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب . دخل الى الديلم بعد مقتل محمد بن زيد واقام فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى الاسلام ويأخذ منهم العشر ويدافع عنهم ابن حسان ملكهم فاسلم منهم خلق كثير واجتمعوا عليه وبنى في بلادهم مساجد وحملهم على رأي الزيدية فدانوا به . ثم دعاهم الى المسير معه الى طبرستان وكان عاملها محمد بن نوح من قبل احمد بن اسمعيل الساماني وكان كثير الاحسان اليهم فلم يجيبوا الاطروش الى البغي عليه فاتفق ان الامير احمد الساماني عزل ابن نوح عن طبرستان وولاها سلاماً فلم يحسن سياسة اهلها وهاج عليه الديلم فقاتلهم وهزمهم واستقال عن ولايتها فعزله الامير احمد واعاد ابن نوح فصلحت البلاد معه الى ان مات بها . فاستعمل عليها ابو العباس محمد ابن ابراهيم صعلوكاً فاساء السيرة وتنكر لرؤساء الديلم فانتهز الحسن بن علي الفرصة وهيج الديلم عليه ودعاهم الى الخروج معه فاجابوه وخرجوا معه . فسار اليهم صعلوك ولقيهم بشاطىء البحر على مرحلة من سالوس فانهزم صعلوك وقتل من اصحابه نحو من اربعة الاف وحصر الاطروش بقيتهم في سالوس حتى استأمنوا اليه فامنهم وسار عنهم الى آمد فجاء صهره الحسن بن قاسم فقتل اولئك المستأمنين عن آخرهم لانه لم يكن أمنهم

ولا عاهدهم . واستولى الاطروش على طبرستان وتسمى الناصر وذلك سنة ٣٠١ ﻫ ولحق صعلوك بالري وسار منها الى بغداد . وفي سنة ٣٠٢ ﻫ زحف الناصر فخرج عن امد ولحق بسالوس وبعث اليه صعلوك العساكر فهزمهم الحسن الداعي وهو الحسن بن قاسم . ثم زحفت اليه عساكر خراسان وهي للسعيد نصر بن احمد فقتلوه سنة ٣٠٤ ﻫ

١٢٣ — الحسن بن قاسم

من سنة ٣٠٤ — ٣١٦ ﻫ او من سنة ٩١٦ — ٩٢٨ م

لما قتل الاطروش حسن بن علي قام بالامر بعده صهره الحسن بن قاسم ويعرف بالداعي فاستولى على الري واخرج منها اصحاب السعيد بن احمد الساماني . استولى على قزوين وزنجان وابهر وقم . وكان قائد جيوشه شخصاً من الديلم اسمه ماكان بن كالي الديلمي . واستتب الامر للحسن بن قاسم وكان عادلاً عفيفاً فنهى اصحابه عن ظلم الرعية وشرب الخمور ولكن طباع اصحابه كانت ضد طباعه فلم ترق في عيونهم اوامره وانتظروا سنوح الفرصة لخلع طاعته . ثم ظهر في ايامه اسفار بن شيرويه الديلمي وعظم امره وقويت شوكته فاستولى على طبرستان بمساعدة مرداويج بن زيار . ولما استولى عليها كان الحسن بن قاسم الداعي العلوي بالري فلما بلغه استيلاء اسفار على طبرستان سار نحوه بجموعه فالتقوا هم واسفار عند سارية فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم الحسن وماكان ابن كالي وقتل الحسن في هذه الواقعة وذلك سنة ٣١٦ ﻫ وكان السبب الاكبر لهذه الهزيمة هو ان اصحاب الحسن لم يصدقوا القتال بل انهزموا حالاً لانحرافهم عن الحسن للاسباب التي قدمناها . فلما استولى اسفار على طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وابهر وقم اقام بسارية واستعمل على آمد شخصاً يدعى هرون بن بهرام . وكان ضلع بهرام مع العلوية واراد ان يخطب لابي جعفر العلوي ولم تخف مقاصده على اسفار بل كان عالماً بها حتى لما زاد تخوفه من العاقبة دعا اليه هرون بن بهرام وامره ان يتزوج الى احد اعيان آمد ويحضر عرسه ابا جعفر وغيره من روساء العلويين . ففعل ذلك في يوم ذكره له اسفار . ثم سار اسفار من سارية مجدًّا فوافى آمد وقت الموعد وهجم دار هرون على حين غفلة وقبض على ابي جعفر وغيره من اعيان العلويين وحملهم الى بخارا واعتقلهم بها وتلاشى امر العلوية بطبرستان والبقاء لله وحده

١٣٤ - الدولة الصفارية بسجستان

(تمهيد) كان يعقوب بن الليث واخوه عمرو يعملان الصفر بسجستان و يظهران الزهد والتقشف وكان في ايامهما رجل من اهل سجستان يظهر التطوع بقتال الخوارج يقال له صالح المطوعي فصحبه يعقوب وقاتل معه فحظي عنده فجعله صالح مقام الخليفة عنده . ثم هلك صالح وقام مقامه انسان آخر اسمه درهم فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح قبله ثم ان صاحب خراسان احتال لدرهم لما عظم شانه وكثر اتباعه حتى ظفر به وحمله الى بغداد فحبسه بها . ثم اطلق وخدم الخليفة ببغداد . وعظم امر يعقوب بعد اخذ درهم وصار متولي امر المتطوعة مكان درهم وقام بمحاربة الشراة فظفر بهم واكثر القتل فيهم حتى كاد يفنيهم وخرب قراهم . واطاعه اصحابه لحسن سياسته ودرايته طاعة لم يطيعوها احداً كان قبله . واشتدت شوكته فغلب على سجستان واظهر التمسك بطاعة الخليفة وكاتبه وصدر عن امره واظهر انه هو امره بقتال الشراة . وملك سجستان وضبط الطرق وحفظها وامر بالمعروف ونهي عن المنكر فكثر اتباعه فخرج عن حد طلب الشراة وصار يتناول اصحاب امير خراسان محمد بن طاهر كما سنذكره ان شاء الله

١٣٥ - يعقوب بن الليث الصفار

من سنة ٢٥٣ — ٢٦٥ او من سنة ٨٦٧ — ٨٧٨ م

هكذا كانت بداية امر يعقوب بن الليث الصفار فلما قوي أمره سار سنة ٢٥٣ هـ من سجستان الى هرات من خراسان ليملكها وكان أمير خراسان وقتئذ محمد بن طاهر و عامله على هرات محمد بن أوس فلما قرب يعقوب من هرات خرج اليه محمد بن أوس في جيش عظيم فتحاربا و بعد قتال شديد انهزم ابن أوس وملك يعقوب هرات و بوشنج . فهابه أمير خراسان وغيره من اصحاب الاطراف . وفي سنة ٢٥٥ هـ استولى يعقوب الصفار على كرمان والسبب في ذلك ان علي بن الحسين ابن شبل كان علي فارس فكتب للخليفة المعتز يطلب كرمان و يذكر عجز الطاهرية

وان يعقوب الصفار غلبهم على سجستان . فكتب اليه المعتز بولاية كرمان . وكتب الى يعقوب بن الليث بولايتها أيضاً بقصد اغراء كل واحد منهما بصاحبه ليسقط موءنة الهالك عنه وينفرد بالآخر . وكان كل منهما يظهر طاعة لاحقيقة لها والمعتز يعلم ذلك منهما . فارسل على بن الحسين طوق بن المفلس الى كرمان وسار يعقوب اليها فسبقه طوق واستولى عليها واقبل يعقوب حتى بقي بينه وبين كرمان مرحلة فاقام هناك شهرين يترقب خروج طوق اليه فلم يخرج اليه أحد فلما طال عليه الامر اظهر الارتحال الى سجستان فارتحل قليلاً وبلغ طوقاً ارتحاله فظن انه خاف منه حتى انه ترك كرمان فوضع آلة الحرب وقعد للاكل والشرب واللهو . واتصل ذلك بيعقوب فكر راجعاً ودخل كرمان على اهون سبيل وحبس طوقاً . وبلغ علي بن الحسين بن شبل بفارس مافعله يعقوب بطوق فأيقن بمسيره اليه وكان علي بشيراز فجمع جيشه وسار الى مضيق خارج شيراز من احد جانبيه جبل لا يسلك ومن الجانب الآخر نهر لا يخاض فاقام علي رأس المضيق وهو ضيق الممر لا يسع مرور اكثر من واحد واقبل يعقوب حتى نزل قبالته وبعد أعمال الفكرة في كيف الوصول الى علي بن الحسين واصحابه امر يعقوب اصحابه باقتحام النهر فاقتحمه هو واصحابه وقاتلوا علياً واصحابه حتى هزموهم شر هزيمة واسروا علي بن الحسين ودخل يعقوب الصفار شيراز واستولى على فارس وبعد ان جبى خراجها سار عنها الى سجستان ومعه علي وطوق في اعتقاله فلما فارق فارس بعث المعتز اليها عماله

وفي سنة ٢٥٧ هـ سار يعقوب بن الليث الصفار الى فارس فارسل اليه المعتز ينكر ذلك عليه وبعث اليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان فملكها وخرب المباني التي بناها داود بن العباس بظاهر بلخ وتسمى باساديانج ثم سار الي كابل عليها وارسل رسولاً الى الخليفة ومعه هدية جليلة المقدار منها اصنام اصابها في كابل ثم رجع الى سجستان

وفي سنة ٢٥٩ هـ في شهر شوال دخل يعقوب الصفار نيسابور وكان سبب مسيره اليها ان شخصاً يدعى عبدالله السجزى نازع يعقوب على سجستان فغلب عليه

يعقوب فهرب منه الى نيسابور واحتمى بمحمد بن طاهر . فارسل يعقوب الى محمد ابن طاهر يطلب منه ان يسلمه عبدالله فلم يفعل فسار نحوه الى نيسابور ودخلها وقبض على محمد بن طاهر وجميع اهل بيته وكانوا نحواً من مائة وستين رجلاً وحملهم جميعاً الى سجستان وانقرض ملك الطاهرية واستولى الصفار على خراسان ورتب في الاعمال نوابه

وفي سنة ٢٦١ هـ اضاف الخليفة المعتمد اعمال فارس الى موسى بن بغا فوجه موسى عبدالرحمن بن مفلج والياً من قبله عليها وكان المتغلب على فارس يومئذ محمد بن واصل . فلما علم ابن واصل بقرب مجيء ابن مفلج والياً على فارس استعد لقتاله ولما حضر قاتله واسره وغنم ما معه وخلصت له بلاد فارس فلما اتصل خبرهما الى يعقوب الصفار بسجستان تجدد طمعه في ملك بلاد فارس واخذ الاموال والسلاح والذخائر التي غنمها ابن واصل من ابن مفلج . فسار لا يلوي على شيء قاصداً بلاد فارس فلما علم ابن واصل بقدومه استعد لمقابلته والمدافعة عن البلاد احسن استعداد . ولما قرب الصفار من ابن واصل ارسل اليه رسلاً في معنى تسليم فارس اليه فاعتقل الرسل وجدّ السير ظناً منه ان الصفار لا يعلم حركته ولكن كان ذلك اليوم شديد الحرّ فمات من اصحاب ابن واصل خلق كثير والذين بقوا معه لم يقووا على دفع الصفار وهذا لما علم الخبر اسرع نحوهم وهزمهم واخذ منهم جميع ما غنموه من ابن مفلج . واستولى الصفار على بلاد فارس ورتب بها اصحابه واصلح احوالها

ولما ملك الصفار خراسان من يد ابن طاهر وقبض عليه وملك فارس من يد ابن واصل طمع في الاستيلاء على الاهواز وغيرها . فنهاه المعتمد عن ذلك فلم ينته . فصرح المعتمد انه لم يوله ولا فعل ما فعل بأذنه

فسار الصفار الى الاهواز سنة ٢٦٢ هـ فلما بلغ الخليفة المعتمد اقباله ارسل اليه بولاية طبرستان وخراسان وجرجان والري وفارس والشرطة ببغداد مضافاً الى سجستان وكرمان . فكتب يقول . لابد من الحضور بباب المعتمد . فلما سمع

المعتمد رسالة يعقوب خرج من سامرّا في عساكره وسار الى بغداد ثم الى الزعفرانية فنزلها وقدم اخاه الموفق . وسار يعقوب الصفار في عسكر مكرم الى واسط فدخلها است بقين من جمادى الاخرى سنة ٢٦٢ ﻫ ثم سار منها الى دير العاقول . و بعث المعتمد اخاه الموفق لمحاربته وعلى ميمنته موسى بن بغا وعلى ميسرته موسى البلخي فقاتله منتصف رجب فانهزمت ميسرة الموفق ثم تزاحموا واشتدت الحرب ثم جاء للموفق محمد بن أوس والدراني مدداً من المعتمد ففشل اصحاب الصفار لما رأوا مدد الخليفة وانهزموا وهرب الصفار وتبعهم اصحاب الموفق وغنموا من معسكرهم غنائم عظيمة . وسار الصفار الى خوزستان فنزل بجنديسابور وراسله صاحب الزنج على الرجوع الى بغداد ووعده المساعدة فكتب له . قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون (السورة) وكان ابن واصل قد خالف الصفار الى فارس وملكها فكتب اليه المعتمد بولايتها . و بعث اليه الصفار جيشاً مع عمر بن السري من قواده فاخرجه عنها . ورجع المعتمد الى سامرّاً واما ابو احمد الموفق فانه سار الى واسط ليتبع الصفار وامر اصحابه بالتجهز لذلك فاصابه مرض فعاد الى بغداد

(الخجستاني وخروجه على الصفار) كان احمد بن عبد الله الخجستاني من خجستان وهي من جبال هرات من باذغيش وكان من اصحاب محمد بن طاهر . فلما استولى يعقوب الصفار على نيسابور وخراسان انضم احمد هذا الى اخيه علي ابن الليث وكان شركب الحمال قد تغلب على مرو ونواحيها سنة ٢٥٩ ﻫ بدعوة يعقوب بن الليث وكان لشركب هذا ثلاثة بنين ابرهيم وهو اكبرهم وابو حفص يعمر وابو طلحة منصور . وكان ابرهيم بن شركب قد ابلى بين يدي يعقوب عند مواقعة الحسن بن زيد بجرجان فقدمه الصفار وخلع عليه خلعة حسنة فحسده الخجستاني وخوفه غدر يعقوب به وزين له الهرب وكان يعمر بن شركب اخوه محاصراً لبعض بلاد بلخ فاتفق ابرهيم واحمد الخجستاني في الخروج الى يعمر وسبقه ابرهيم الى الموعد ولم يلقه فسار الى سرخس ولما عاد الصفار الى سجستان سنة ٢٦١ ﻫ ولى ولى هرات اخاه عمرو بن الليث فاستخلف عليها طاهر بن حفص وجاء الخجستاني

الى علي بن الليث وزين له ان يقيمه نائباً عنه بخراسان فطلب ذلك من اخيه يعقوب فاذن له . فلما ارتحلوا عن خراسان جمع احمد الخجستاني جمعاً واخرج علي ابن الليث من بلده واستولى على قومس واعاد دعوة بني طاهر وملك نيسابور سنة ٢٦٢ ﻫ واستقدم رافع بن هرثمه من قواد بني طاهر وجعله صاحب جيشه وسار الى هرات فملكها من يد طاهر بن حفص وقتله ثم قتل يعمر بن شركب واستولى على بلاد خراسان ومحا منها دعوة الصفارية

ثم توفي يعقوب الصفار في شوال سنة ٢٦٥ ﻫ

١٣٦ - عمرو بن الليث الصفار

من سنة ٢٦٥ — ٢٨٧ ﻫ او من سنة ٨٧٨ — ٩٠٠ م

لما مات يعقوب بن الليث الصفار قام بالامر بعده اخوه عمرو بن الليث وكتب الى المعتمد بطاعته فولاه الموفق اعمال اخيه وهي خراسان واصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد وبعث اليه بالخلع فولى عمرو بن الليث على الشرطة ببغداد من قبله عبيد الله بن عبدالله بن طاهر وولى على اصبهان من قبله احمد بن عبد العزيز ابن ابي ولف . وولى على طريق مكة والحرمين محمد بن ابي الساج

وفي هذه السنة (٢٦٥ ﻫ) سار عمرو بن الليث الى خراسان واستولى على هرات ومنها الى نيسابور بقصد استخلاصها من الخجستاني فقاتله الخجستاني وهزمه فرجع عمرو الى هرات . وفي سنة ٢٦٧ ﻫ سار الخجستاني قاصداً هرات وحاصر عمرو بن الليث بها ولكنه لم يظفر منها بشيء فعاد الى نيسابور . وكان اهل نيسابور يتشيعون لعمرو بن الليث لان الخليفة ولاه عليهم فانتهزوا فرصة غيابه بهرات وعصوه واخرجوا عامله منها فلما رجع قاتلهم وانتصر عليهم وملكها وما زالت تحت تصرفه حتى سنة ٢٦٨ ﻫ التي قتله فيها بعض خدمه فكفى الله الصفار شره . وفي سنة ٢٧١ ﻫ عزل الموفق عمرو بن الليث عن سائر اعمال خراسان وقلدها محمد بن طاهر وهو مقيم ببغداد فاستخلف عليها رافع بن هرثمة وارسل صاعداً بالعساكر لقتال عمرو بن الليث واخراجه عن فارس .

فاستعد الصفار لقتالهم ثم التقوا واقتتلوا فانهزم عمرو الصفار وغنم جيش الخليفة معسكره ٠ ثم عاد الموفق سنة ٢٧٤ ﻫ وسار بنفسه الى فارس لحرب عمرو بن الليث فبلغ الخبر الى عمرو فسير العباس بن اسحق في جمع كبير من العسكر الى سيراف وانفذ ابنه محمد ابن عمرو الى ارجان وسير ابا طلحة بن شركب صاحب جيشه على مقدمته فاستأمن ابو طلحة الى الموفق بغير قتال وسمع عمرو ذلك فتوقف عن قصد الموفق ٠ ثم ان ابا طلحة عزم على العود الى عمرو فبلغ الموفق خبره فقبض عليه بقرب شيراز وسار يطلب عمرًا الصفار فعاد عمرو الى كرمان ومنها الى سجستان على المفازة فتوفي ابنه محمد بها واتبعه الموفق ولم يقدر على اخذ كرمان وسجستان منه فعاد عنه

وفي سنة ٢٧٦ ﻫ رضي المعتمد على عمرو بن الليث وولاه الشرطة ببغداد وكتب اسمه على الاعلام ٠ وفي سنة ٢٧٩ ﻫ ولى المعتمد عمرًا الصفار ولاية خراسان وعزل عنها رافع بن هرثمة وامر ابن الليث بقتله لانه كان قد اظهر العصيان فقاتله عمرو حتى ظفر به وقتله وسير رأسه الى المعتمد ٠ فعظمت منزلة عمرو عند الخليفة فولاه سنة ٢٨٤ ﻫ الري مضافة الى خراسان وانفذ اليه الالوية والخلع ٠ ثم كتب عمرو بن الليث الى الخليفة يطلب منه ان يوليه ما وراء النهر فولاه اياها ووجه اليه الخلع واللواء بذلك وهو بنيسابور ٠ وكان ما وراء النهر لاسمعيل بن احمد الساماني فوجه عمرو محمد بن بشير قائد جيوشه لمحاربة اسمعيل الساماني ٠ فلما انتهى الى آمد عبر اسمعيل جيحون وهزمهم وقتل محمد بن بشير وغيره من القواد وعاد الى بخارى ٠ وبلغ المنهزمون الى عمرو ابن الليث وهو بنيسابور فتجهز عمرو لقصد اسمعيل ٠ فلما وصل الى بلخ ارسل اليه اسمعيل يقول ٠ انك قد وليت دنيا عريضة فاترك لي هذا الثغر ٠ فابى عمرو الانتقال فعبر اسمعيل اليه وقطع عليه خط الرجعة وحاصره من جميع الجهات فلما شعر بالخطر ندم وطلب المصالحة فابى اسمعيل وكان ذلك سنة ٢٨٧ ﻫ ولما وقع عمرو اسيرًا في يدي اسمعيل خيره اسمعيل فيما يرغب ان يفعل به فطلب ان يسيره الى الخليفة ففعل ودخل بغداد سنة ٢٨٨ ﻫ وحبس بها ٠ وبعث المعتضد بولاية خراسان الى اسمعيل الساماني

١٢٧ - طاهر بن محمد بن عمرو

من سنة ٢٨٧ — ٢٩٦ ﻫ او من سنة ٩٠٠ — ٩٠٨ م

لما اسر عمرو بن الليث قام بالامر بعده بسجستان وكرمان حافده طاهر بن محمد ابن عمرو (وهو الذي مات ابوه بمفازة سجستان عندما هرب عمرو بن الليث امام الموفق) وفي سنة ٢٩٠ ﻫ ارسل طاهر بن محمد الي الخليفة المكتفي يطلب المقاطعة على فارس بمال يحمله فعقد له المكتفي عليها وانهمك طاهر بن محمد بالصيد والقنص واللهو واللعب وترك امور المملكة فغلب على الامر بفارس الليث بن علي بن الليث عمه وسبكري مولى جده عمرو فعارضهما ابو قابوس قائد طاهر بن محمد في اجراآتهما ثم استوحش منهما فلحق بالخليفة المكتفي سنة ٢٩٤ ﻫ فاحسن وفادته واكرم صلته ٠ فكتب طاهر بن محمد الى الخليفة يدعي ان ابا قابوس جبى اموال فارس وهرب بها ويطلب من الخليفة رده او خصم قيمة ما سلبه (حسب زعمه) من خراج فارس ٠ فلم يفعل ٠ ثم اختلف سبكري والليث ابن علي بطاهر فخاف الليث علي نفسه ولحق بطاهر ابن عمه ٠ وخلصت فارس لسبكري ٠ وفي سنة ٢٩٦ ﻫ تجهز طاهر بن محمد لقتال سبكري واستخلاص فارس منه فلما تلاقيا واقتتلا انهزم طاهر بن محمد ووقع اسيرًا في يد سبكري فبعث به واخيه يعقوب بن محمد الي المقتدر مع كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي فادخلا بغداد اسيرين فحبسا وكان سبكري قد تغلب على فارس كما ذكرنا ولكن بغير امر الخليفة فلما وصل كاتبه الى بغداد الان قرر امره على مال يحمله

١٢٨ - الليث بن علي بن الليث

من سنة ٢٩٦ — ٢٩٧ ﻫ او من سنة ٩٠٨ — ٩٠٩ م

لما أسر طاهر بن محمد قام بالامر بعده بسجستان ابن عمه الليث بن علي فتجهز لمحاربة سبكري وسار في سنة ٢٩٧ ﻫ من سجستان الى فارس فقاتل سبكري وانتصر عليه واخذ منه فارس واستولي عليها وهرب سبكري عنها الي ارجان فلما بلغ الخبر الخليفة المقتدر جهز مؤنسا الخادم وسيره الي فارس معونة لسبكري فاجتمعا بارجان وبلغ

خبر اجتماعهما الليث فسار اليهما فاتاه الخبر بسير الحسين بن حمدان من قم الي البيضا معونة لمؤنس فسير اخاه في بعض جيشه الى شيراز ليحفظها . ثم سار هو في بعض جنده في طريق مختصر ليواقع الحسين بن حمدان فتاه به الدليل فهلك اكثر دوابه ولقيَ هو واصحابه مشقة عظيمة فقتل الدليل وعدل عن ذلك الطريق فاشرف على عسكر مؤنس . فظنه هو واصحابه انه عسكره الذي سيره مع اخيه الى شيراز فكبروا فسار اليهم مؤنس وسبكري في جندهما فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم عسكر الليث وأخذ هو اسيرًا . ثم عاد مؤنس ومعه الليث الي بغداد

١٣٩ — المعدل بن على بن الليث

من سنة ٢٩٧ — ٢٩٨ او من سنة ٩٠٩ — ٩١٠ م

لما أسر الليث بن علي بن الليث قام بالامر بعده بسجستان اخوه المعدل بن علي . وفي سنة ٢٩٨ ﻫ ارسل ابو نصر احمد بن اسمعيل الساماني عسكره الى سجستان فلما بلغ المعدل خبر مسيرهم اليه سير اخاه ابا علي محمد بن علي الى بست والرخج ليحمي اموالها ويرسل منها الميرة الى سجستان . فسار الامير احمد بن اسمعيل الى بست وقاتل ابا على وأخذه اسيرًا وعاد به الى هرات . اما جيشه الذي سيره الى سجستان فحاصر المعدل وضيق عليه . ولما بلغه ان اخاه ابا علي أخذ اسيرًا وهن واستأمن . فاستولى جيش ابن الساماني على سجستان وانقرض امر بني الصفار منها . ثم ظهر خلف بن احمد بن علي بن الليث سنة ٣٥٠ ﻫ وكان ملوك السامانية قد استولاهم الضعف فملك سجستان واستولى على كرمان ايضاً من ايدي بني بويه ثم استرجعوها ثانياً . وما زال خلف والياً على سجستان حتى سنة ٣٩٠ ﻫ فتخلي عن الملك وتنازل عنه الى ابنه طاهر . وكان طاهر عقوقاً سيء السيرة فنفرت منه عساكره واستدعوا محمود بن سبكتكين وولوه عليهم وانقرض ملك الصفارية من سجستان . وما شاء الله كان

١٣٠ - الدولة الطولونية بمصر

(تمهيد) قد ذكرنا فيما تقدم فتح مصر على يد عمرو بن العاص (راجع فصل ٦) فلما فتحها ولاه عليها عمر بن الخطاب. ثم توفي عمر بن الخطاب وعلى مصر اميران ابن العاص على الوجه البحري وعبد الله بن سعد على الوجه القبلي . فلما استخلف عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد على مصر كلها سنة ٢٥ ﻫ فانتقل عمرو بن العاص الى المدينة وفي نفسه من عثمان امر كبير وجعل يؤلب الناس عليه . وكره اهل مصر عبدالله بن سعد وكان هو مشتغلاً عنهم بقتال اهل الغرب وفتح افريقية وبلاد البربر . وفي هذه الاثناء ظهرت بمصر طائفة من ابناء الصحابة يؤلبون الناس على حرب عثمان والانكار عليه في عزله عمراً واجتمع منهم الف شخص وساروا الى المدينة ليعزل عنهم عبد الله ويولي محمد ابن ابي بكر ففعل وبينما هم راجعون وجدوا رسول عثمان الى عبدالله بالتنكيل والمثلة بهم فعادوا وحاصروا عثمان وقتلوه كما ذكرنا ذلك قبلاً (راجع فصل ٧). فلما تولى علي بن ابي طالب الخلافة عزل عبدالله بن سعد عنها وولاها قيس بن سعد بن عبادة فاستقامت البلاد الا قرية يقال لها خربتا فيها اناس قد اعظموا قتل عثمان . وفي اثناء ذلك قام معاوية بالشام يطالب بدم عثمان واراد ان يستميل قيس بن سعد اليه فلم يجبه الى ذلك فاحتال في الوشاية به عند علي بن ابي طالب فصدق الوشاية وعزله عن مصر وولاها محمد بن ابي بكر ولم يزل محمد بن ابي بكر بمصر قائم الامر مهيبا حتى كان وقعة صفين بين علي ومعاوية وانتهى الامر بينهما الى التحكيم فطمع اهل مصر في محمد بن ابي بكر وبارزوه العداوة . وكان اهل الشام لما انتهى امر التحكيم سلموا على معاوية بالخلافة وقوي امرهم جداً فعند ذلك جمع معاوية امراءه واستشارهم في المسير الى مصر فاجابوه وعين نيابتها لعمرو بن العاص اذا فتحها . فسار عمرو بن العاص الى مصر في ستة آلاف من اشداء اصحابه ودخلها واجتمع اليه حزب العثمانية الذين بخربتا وكانوا عشرة آلاف مقاتل فحارب بهم محمد بن

ابي بكر وانتصر عليه وقتله واحرق جثته وافتتح مصر لمعاوية كما افتتحها لعمر ابن الخطاب وصار والياً عليها من قبل معاوية . واقام عمرو بن العاص اميرًا على مصر الى ان توفي سنة ٤٣ ﻫ فلما توفي عمرو بن العاص ولى معاوية على ديار مصر ابنه عبدالله بن عمرو ثم عزله بعد شهرين من ولايته . وولاها عتبة بن ابي سفيان اخاه . ثم عزله وولى عقبة بن عامر سنة ٤٤ ﻫ فاقام الى سنة ٤٧ ﻫ وعزله وولى معاوية بن حديج فاقام الى سنة ٥٠ ﻫ فعزله وولى مسلمة بن مخلد وجمعت له مصر والمغرب وهو اول وال جمع له ذلك وفي سنة ٥٩ ﻫ اراد معاوية ان يعزل مسلمة ابن مخلد عن مصر ويوليهـا عبدالرحمن بن عبدالله ابن اخته فمانع ابن حديج في ذلك لسوء سيرة عبدالرحمن فاستمر مسلمة بن مخلد اميرًا على مصر الى ان توفي سنة ٦٢ ﻫ في خلافة يزيد . فولى بعده سعيد بن يزيد بن علقمة الازدي . فلما ادعى عبد الله بن الزبير الخلافة بمكة سنة ٦٤ ﻫ استناب على مصر عبدالرحمن ابن جحدم القرشي الفهري ثم حمل مروان بن الحكم خليفة الامويين في الشام على مصر ومعه عمرو بن سعيد الاشدق فقاتل عبد الرحمن فهزم عبـد الرحمن ودخل مروان الى مصر وتملكها وجعل عليها ولده عبد العزيز بن مروان وذلك سنة ٦٥ ﻫ فلم يزل اميرًا بها عشرين سنة وكان ابوه جعل اليه عهد الخلافة بعد عبد الملك فكتب اليه عبدالملك يستنزله عن العهد الذي له من بعده الى ولده الوليد فأبى ذلك ثم مات سنة ٨٦ ﻫ فتولى بعده عبدالله بن عبد الملك (امير المؤمنين) فاقام اميرًا عليها الى سنة ٩٠ ﻫ فعزله اخوه الوليد وولى قرة بن شريك العبسي . وكان قرة ظلوماً عسوفاً مدمناً للخمر فكثر ظلمه للرعيـة وما زال والياً حتى هلك سنة ٩٦ ﻫ فولى بعده عبد الملك بن رفاعة فاقام الى سنة ٩٩ ﻫ ثم ولي ايوب ابن شرحبيل الاصبحي فاقام الى سنة ١٠١ ﻫ ثم ولي بشر بن صفوان الكلبي فاقام الى سنة ١٠٣ ﻫ ثم ولي اخوه حنظلة فاقام الى سنة ١٠٥ ﻫ ثم ولى محمد بن عبـد الملك اخو هشام بن عبدالملك الخليفة ثم ولى الحر بن يوسف ثم ولى حفص بن الوليد فاقام الى سنة ١٠٨ ﻫ وولى بعده سنة ١٠٩ ﻫ عبد الملك بن رفاعة وصرف

في السنة ذاتها وولى اخوه الوليد فاقام الى ان توفى سنة ١١٩ هـ وولى بعده عبد الرحمن بن خالد الفهمي فاقام سبعة اشهر وصرف واعيد حنظلة بن صفوان في سنة ١٢٠ هـ ثم صرف واعيد حفص بن الوليد فاقام ثلاث سنين ثم صرف وولى بعده سنة ١٢٧ هـ حسان بن عتاهية التجيبي ثم أعيد حفص بن الوليد وعزل عنها سنة ١٢٨ هـ وولى الحوثرة بن سهيل الباهلي ثم ولى المغيرة بن عبيد الفزاري سنة ١٣١ هـ ثم لما قامت الدولة العباسية وقام السفاح وانهزم مروان بن محمد وهرب الى مصر ولى السفاح نيابة مصر والشام صالح بن علي بن عبدالله بن عباس فسار صالح حتى قتل مروان ببوصير سنة ١٣٢ هـ ثم رجع الى الشام واستخلف على مصر اباعون عبد الملك بن ابي زيد الازدى فاقام الى سنة ١٣٦ هـ ثم اعيد صالح بن علي ثم صرف واعيد ابو عون سنة ١٣٧ هـ فاقام الى سنة ١٤١ هـ ثم ولى بعده موسى بن كعب التميمي فاقام سبعة اشهر ومات . وولى محمد بن الاشعث الخزاعي ثم عزل سنة ١٤٢ هـ وولى نوفل بن الفرات ثم عزل نوفل وولى حميد بن قحطبة الطائي ثم صرف سنة ١٤٤ هـ وولى يزيد بن حاتم المهلبي فاقام الى سنة ١٥٢ هـ التي توفي فيها فاقام المنصور عوضاً عنه عبدالله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج فاقام الي سنة ١٥٥ هـ ثم ابدل باخيه محمد بن عبدالرحمن . وفي سنة ١٥٦ هـ توفي محمد المذكور فولى مكانه موسى بن علي فاقام الى سنة ١٥٩ هـ وصرف وولى محمد بن سليمان ثم عزل واعيد موسى بن علي فاقام الى سنة ١٦٠ هـ وصرف وولى عيسى بن لقمان فاقام الى سنة ١٦٢ هـ وصرف وولى واضح مولى ابي جعفر و بعد يسير ابدل بمنصور ابن يزيد الرعيني وهو ابن خال الخليفة المهدي ثم ابدل سنة ١٦٣ هـ بيحيي بن داود الملقب بابي صالح من اهل خراسان فاقام الي سنة ١٦٤ هـ وعزل وولى سالم بن سوادة التميمي فاقام الى محرم سنة ١٦٥ هـ وعزل وولى ابرهيم بن صالح بن علي ابن عبدالله بن عباس ثم عزل سنة ١٦٧ هـ وولى موسى بن مصعب ثم ولى الفضل ابن صالح العباسي سنة ١٦٩ هـ ثم عزل وولى علي بن سليمان العباسي في ذات السنة فاقام الي سنة ١٧١ هـ ثم عزله هرون الرشيد و ولى موسى بن عيسى ثم عزل سنة ١٧٢ هـ

وولى مسلمة بن يحيي الازدي وعزل سنة ١٧٣ هـ وولى محمد بن زهير ثم عزل سنة ١٧٤ هـ وولى داود بن يزيد المهلبي ثم عزل سنة ١٧٥ هـ واعيد موسى بن عيسى ثم عزل سنة ١٧٦ هـ وولي عليها جعفر بن يحيي البرمكي فاستناب عليها عمر ابن مهران ثم عزل سنة ١٧٧ هـ وولي اسحق بن سليمان العباسي ثم عزل سنة ١٧٨ هـ وولي هرثمة بن اعين وبعد قليل ارسل الرشيد هرثمة الى افريقية وولى على مصر عبد الملك بن صالح ثم عزل سنة ١٧٩ هـ وولى عبيد الله بن المهدي شقيق الرشيد وبعد قليل تنحى هذا عن الامارة لموسى بن عيسى وهي المرة الثالثة لامارته . وفي سنة ١٨٠ هـ عادت امارة مصر الى عبيد الله بن المهدي ثانية ثم عزل سنة ١٨١ هـ وولى اسمعيل بن صالح ثم عزل سنة ١٨٢ هـ وولى اسمعيل بن عيسى من بني العباس وبعد قليل صرف هذا وولى الليث بن الفضل البيوردي فاقام بها الى سنة ١٨٧ هـ ثم عزل وولى احمد بن اسمعيل العباسي فاقام الى سنة ١٨٩ هـ ثم ابدل بعبدالله بن محمد العباسي وأبدل هذا في ذات السنة بحسين بن جميل فاقام الى سنة ١٩٣ هـ ثم صرف عنها وولى مالك بن دلهم وكان على الخراج الخصيب ابن عبدالله وهو الذي ابتنى مدينة منية خصيب (منية خصيب تدعى الآن المنيا وهي في هذا الوقت (سنة ١٣٢٤ هـ) من احسن مدن الصعيد) وفيها الفت هذا الكتاب .

ثم صرف مالك بن دلهم وعادت امارة مصر الى الحسين بن جميل ثم عزله الامين سنة ١٩٤ هـ وولى حاتم بن هرثمة بن اعين ثم عزل سنة ١٩٥ هـ وولى جابر بن الاشعث . ثم عزل وولى عباد بن محمد سنة ١٩٧ هـ ثم عزل وولى المطلب ابن عبدالله الخزاعي وبعد اشهر قليلة ابدل بالعباس بن موسى بن عيسى وفي سنة ١٩٩ هـ تخلى العباس عن مصر فاعاد المأمون المطلب بن عبدالله اميرًا على مصر وبعد قليل ابدل بالسري بن الحكم . ثم ولى سليمان بن غالب سنة ٢٠١ هـ ثم اعيد السري بن الحكم في السنة ذاتها فاقام بها الى ان مات سنة ٢٠٥ هـ فولى بعده ابنه محمد بن السري ثم تغلب عليها عبدالله بن السري في سنة ٢٠٦ هـ فاقام الى سنة ٢١٠ هـ فوجه اليه المأمون عبدالله بن طاهر فاستنقذها منه بعد حروب

طويلة واقام بها الى سنة ٢١٣ ﻫ ثم ولى بعده عيسى الجلودي ثم عزل وولى عليها عمير بن الوليد ثم صرف واعيد عيسى بن يزيد ثم عزل وولى عبدربه بن جبلة سنة ٢١٥ ﻫ ثم عزل وولى عيسى بن منصور سنة ٢١٦ ﻫ وفي هذه السنة انتقضت مصر السفلى عربها وقبطها واخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين حيدر بن كاوس من برقة في منتصف جمادي الاخرى ثم خرج هو وعيسى في شوال فاوقعا بالقوم قتلاً واسرًا . وما زال الافشين يقاتل المنتقضين واهل الحوف حتى قدم الخليفة المأمون الى مصر فعزل عيسى بن منصور عن مصر وولى كيدر الصغدي بالنيابة عن المعتصم فاقام بها الى ان توفى سنة ٢١٩ ﻫ فولي بعده المظفر ابن كيدر وفي سنة ٢٢٠ ﻫ توفى المظفر بن كيدر فولى مكانه موسى بن ابي العباس . وفي سنة ٢٢٤ ﻫ استدعي موسى من مصر فاستخلف عليها مالك بن كيدر وعزل هذا سنة ٢٢٢ ﻫ وعهدت ولاية مصر بأمر الخليفة المعتصم الى ابى جعفر اشناس فاقام بها الى ان توفي سنة ٢٢٨ ﻫ فولى مكانه علي بن يحيي الارمني ثم عزل سنة ٢٢٩ ﻫ وولى عيسى بن منصور للمرة الثانية فاقام بها الى سنة ٢٣٣ ﻫ ثم عزل وولى هرثمة بن النضر ثم ابدل سنة ٢٣٤ ﻫ بابنه حاتم ثم عزل لشهر من ولايته واعيد علي بن يحيي الارمني ثم عزل سنة ٢٣٥ ﻫ وولى اخوه اسحق بن يحيي ثم عزل سنة ٢٣٦ ﻫ وولي عبد الواحد بن يحيي مولى خزاعة ثم عزل سنة ٢٣٨ ﻫ وولى عنبسة بن اسحق الضبي ثم عزل سنة ٢٤٢ ﻫ وولى يزيد بن عبدالله فاقام الى سنة ٢٥٣ ﻫ ثم صرف وولى مزاحم بن خاقان ثم ولى ابنه احمد في السنة ثم ولى ارجور التركي في السنة ايضاً ثم صرف وولى احمد بن طولون في سنة ٢٥٤ ﻫ وهو رأس الدولة الطولونية التي سنذكرها الآن ان شاء الله . انما ذكرنا ولاة مصر من بدء الفتح الاسلامي الى سنة ٢٥٤ ﻫ التي فيها ولى ابن طولون لتتم الفائدة

١٣١ – احمد بن طولون

من سنة ٢٥٤ – ٢٧٠ ﻫ او من سنة ٨٦٨ – ٨٨٣ م

كان طولون والد احمد من قبيلة الطغرغر (احدى القبائل التي تتألف منها تركستان) وكانت عائلته مقيمة بجوار بحيرة لوب في بخارى الصغرى فأسر في احدى المواقع الحربية وجيء به الى ابن اسد الصمامي وكان من عمال المأمون يدفع له جزية سنوية من المماليك والخيول وغير ذلك كعادة تلك العصور ففي سنة ٢٠٠ ﻫ كان طولون في جملة من ارسلهم ابن اسد من المماليك . وكان متناسب الاعضاء قوي البنية فأعجب المأمون به فالحقه بحاشيته وما زال يرقيه حتى جعله رئيس حرسه ولقبه بامير الستر . وبعد ان صرف طولون نحوًا من عشرين سنة في هذا المنصب في أيام المأمون والمعتصم اصبح ذا عائلة واولاد منهم احمد هذا ولد سنة ٢٢٠ ﻫ وتربى تربية حسنة فشب تقياً رضي الخلق كريم النفس لين العريكة . وتوفي والده سنة ٢٣٩ ﻫ فولاه الخليفة امارة الستر بدلاً عنه ولكنه كان مغرماً بالعلم وكان يتردد الى ترسوس لتلقي الدروس بها ثم طلب من عبيد الله بن يحيى رئيس وزراء الخليفة بالتوجه لترسوس لملازمة دروسه فأذن له مع استبقاء مركزه ولقبه ومرتباته كالعادة فاتقن علم الحديث وغيره من العلوم وعاد الى بغداد وقد امتلأ علماً وديناً وسياسة . ولما وصل الى بغداد وجد أن الاتراك خلعوا الخليفة المستعين وبايعوا المعتز وآل امر المستعين الى الخلع والتغريب الى واسط فوكلوا به احمد ابن طولون فقام بخدمته حق القيام . ثم دس الوشاة الى المعتز ان خلافته لا تثبت الا اذا قتل المستعين فارسل الى احمد بن طولون يأمر بقتله ويوليه واسط مكافأة له على هذا الصنيع فأبت نفس ابن طولون ارتكاب هذا الذنب مقابل شيء دنيوي مهما كان مقداره . فبعث المعتز سعيداً الحاجب سرًا وامره بقتل المستعين فقتله واحتز رأسه وسيره الى المعتز . ثم دخل احمد بن طولون على المستعين فوجده جثة بلا رأس . فاعظم هذا الامر الوحشي ثم غسله ودفنه فعظم احمد بن

طولون في اعين الجميع وعظمت الثقة به · وفي سنة ٢٥٤ هـ ولى الخليفة المعتز باكباك التركي على امارة مصر · وكان هؤلاء يتولون الاعمال والامارات اسماً بلا رسم لانهم لم يكونوا يبارحون مجلس الخليفة بل كانوا يوكلون من ينوب عنهم في الاعمال · فوقع اختيار باكباك هذا على احمد بن طولون فولاه امارة مصر نيابة عنه · وكان على خراج مصر في ذلك الوقت ابن المدبر · فسار احمد بن طولون الى الفسطاط ودخلها وتلقاه احمد بن المدبر وحاشيته بهيئة جليلة · ثم ارسل ابن المدبر هدية الى احمد بن طولون فلم يقبلها منه بل ردّها عليه فتخوف منه من ذلك الحين واخذ يسعى في خلعه · وفي سنة ٢٥٦ هـ خالف الصوفي مأمور اقليم اسنا على احمد بن طولون واستولى على البلاد التي حوله وقتل مقاوميه فارسل اليه احمد فرقة من جيشه فحاربها الصوفي وغلبها فرجعت متقهقرة الى قرب اخميم وهناك اتتها نجدة اتحدت معها فتغلبت على جيوش ابن الصوفي ففر المذكور في البرية ملتجئاً الى الواحات. ثم خالف ابن شيخ امير الشام على الخليفة المعتمد فكتب هذا الى ابن طولون ليحاربه فجهز جيشاً كثيفاً وسار لمحاربة ابن شيخ بالشام بعد ان استخلف على مصر اخاه موسى وفيما هو في الطريق وقبل أن يصل الى الشام اتاه كتاب الخليفة بالعود الى مصر فعاد اليها · ثم وجه التفاته الى الاستحكامات فرممها و بنى غيرها وحصن البلاد واكثر من الجند وقوي امره · وارسل الخليفة لمحاربة ابن شيخ بدلاً عن احمد بن طولون اماجور التركي فقاتل ابن شيخ واستخلص منه الشام وتولاها هو · فلما قوي امر ابن طولون بمصر خاف اماجور جانبه وكتب الى الخليفة المعتمد بعظم قوة ابن طولون وخوفه من عصيانه · وكتب ابن المدبر مفتش الخراج بمصر الى الخليفة بهذا المعنى ايضاً · فارسل المعتمد الى ابن طولون ان يتخلف عن مصر حالاً الى سامرّا و يستخلف مكانه من يشاء · فعزم ابن طولون على اجابة دعوة الخليفة ثم علم بالمكيدة التي نصبت لاصطياده · فلما تحقق الخبر جهز احمد بن محمد الواسطي كاتب سره وارسله بالنيابة عنه الى سامرّا وزوده بالهدايا الفاخرة الى الوزير فاستجلب خاطره ·

فسعى امام الخليفة فالغى الامر السابق واقر ابن طولون على مصر كما كان وصرح له بنقل عائلته اليها . وفي سنة ٢٥٧ هـ قتل باك باك (امير مصر الاصيل الذي استناب احمد بن طولون كما ذكرنا) لجناية ارتكبها وعين مكانه برقوق وهو حمو احمد بن طولون فاقره على مصر جميعها ثم احال عليه جباية الخراج أيضاً فصار هو المتصرف المطلق في مصر . فابتنى جوامعاً وحفر ترعاً واصلح بمصر اصلاحات جمة . وفي سنة ٢٦٠ هـ ظفر ابن طولون بابن الصوفي ونفاه الى المدينة فاقام بها الى ان توفي . وفي سنة ٢٦٢ هـ ارسل الموفق الى احمد بن طولون يطلب منه حمل خراج مصر اليه مع أنه كان من نصيب المفوّض (لان الخليفة المعتمد قسم الاعمال بينهما فكانت مصر من نصيب المفوض) وفي الوقت ذاته ارسل الخليفة المعتمد الى ابن طولون يطلب حمل المال اليه ويحذره من الموفق واخيراً سلم ابن طولون خراج مصر الى تحرير خادم الموفق بعد ان أخذ منه كتب الموفق التي معه وارسل الى اماجور امير الشام ليقدم عليه الى العريش فقدم الى هنـاك فاشهده بتسليم الخراج الى تحرير . ثم رجع وتطلع في الكتب فاذا هي لبعض قواده باستمالتهم الى الموفق فقبض على اربابها وقتلهم . ولما وصل الخراج الى الموفق استقله وارسل الى ابن طولون يقول له . انه كان يجب أن تحمل الينا ضعف ما حملت . فاغتاظ احمد بن طولون وردّ له جواباً غليظاً . فلـما وصل كتاب ابن طولون الي الموفق حنق حنقاً شديداً وعزم على عزل ابن طولون عن مصر فعرض ولايتها على كثيرين فلم يقبل أحد عليها لاحسان ابن طولون الى الجميع وعرضها على اماجور امير الشام فرفض رفضاً باتاً . وأخيراً قر رايه على ارسال موسى بن بغا لمحاربة ابن طولون واخراجه من مصر بالقوة وتسليمها الى اماجور أمير الشام فتجهز موسى بن بغا وسار حتى وصل الرقة ولم يتعدهـا لان الاموال التي معه نفذت فطالبته العساكر بحقوقهم وعصوا عليه فاستمر بالرقة عشرة اشهر ثم رجع بخفي حنين . وكان ابن طولون لما بلغه قدوم موسى لمقاتلته أخذ في تحصين الفسطاط وبنى حصن الجزيرة خوفاً من ان يؤتى من البحر ومـا زال يتحصن ويتجهز

حتى بلغه خبر رجوع موسى عنه فشكر العناية الالهيـة على ذلك وفرق اموالاً كثيرة و بنى جامعه المشهور

وفي سنة ٢٦٤ هـ توفي اماجور أمير الشام وتولى ابنه مكانه فطمع ابن طولون في ضم الشام اليه وتجهز بجيش كثيف وخرج من مصر غرة سنة ٢٦٥ هـ قاصداً الشام بعد ان استخلف أبنه عباساً على مصر وعهد تدبير الاحكام الى وزيره احمد الواسطي . وسار الى الشام وقبل ان يصل الى دمشق كتب الى علي بن اماجور بان الخليفة ولاه الشام وهو قد اقره على عمل ابيه فاجاب بالسمع والطاعة وتلقاه بالرملة . ثم سار الى دمشق وملكها واقر جميع عمال اماجور على اعمالهم فخطب له على اغلب منابر الشام . ثم ملك حلب وحماة وهما تابعتان لمقاطعة انطاكية التي كان عليها في ذلك الوقت سيما الطويل أميرًا فبعد ان افتتحها كتب الى سيما الطويل بانطاكية يدعوه الى طاعته ليقره على ولايته فامتنع فعاوده فلم يطع . فسار اليه احمد بن طولون فحصره بانطاكية ونصب عليها المجانيق وهاجمها مرارًا ولكن بلا فائدة لان المدينة كانت في غاية المناعة ولكن سوء سيرة سيما الطويل وجوره وظلمه في الرعية جعل اهلها يكاتبون ابن طولون . فكاتبوه ودلوه على عورة في المدينة فهاجمها منها وافتتحها وقتل سيما الطويل اثناء دفاعه عنها . ثم ملك بانياس وادنة وطرسوس . ثم تقدم في فتوحاته حتى جاءه الخبر بعصيان ابنه عباس بمصر وبخلعه طاعته . وكان في ذلك الوقت قد قارب الرقة فافتتحها وولاها مولاه لؤلؤاً واضاف اليه حلب وحمص وقنسرين . وعاد ابن طولون الى مصر في آخر سنة ٢٦٥ هـ

اما عباس فبعد ان نبذ طاعة والده بغواية الغواة خاف العاقبة فأخذ الاموال التي في خزائن مصر وسار مجدًّا هو واتباعه حتى وصل الى برقة . فلما وصل ابن طولون الى مصر كاتبه ولاطفه ليرجع بالتي هي احسن فلم يقبل . واخذ عباس يستميل اهل المغرب فلم يجتمع اليه الاَّ القليل وحارب به ابراهيم بن احمد من بني الاغالب وانتصر عليه . وما زال متشرداً في طرابلس الى سنة ٢٦٧ هـ حتى التفت عليه عصابة

عظيمة فسار قاصداً الاسكندرية

فارسل ابن طولون وزيره احمد الواسطي بالجيوش الى الاسكندرية لمقاتلة ابنه فقاتله وانتصر عليه وامسكه حياً وجاء به الى ابيه في منتصف سنة ٢٦٨ ﻫ فاعتقله وقتل كل من كان سبباً في غوايته · وفي سنة ٢٦٩ ﻫ عصا لوءلوء وخلع طاعة ابن طولون وهو كما قلنا امير الرقة وحمص وحلب وقنسرين وكاتب الموفق في المسير اليه واشترط عليه شروطاً قبلها فسار اليه وحارب معه صاحب الزنج

فلما بلغ ابن طولون عصيان لوءلوء تجهز للمسير اليه · واخذ معه ابنه عباساً واستخلف على مصر ابنه الثاني خمارويه ولما وصل الى دمشق علم ان لوءلوءاً انضم الى عساكر الموفق · ولكنه سار بجيوشه لاستخلاص انطاكية وبينما هو يحاربها اصيب بمرض عضال أضطره للرجوع الى مصر فعاد اليها محمولاً في هودج فوصلها في اخر سنة ٢٦٩ ﻫ ودخل الفسطاط وهو في حالة خطرة فاحضر الاطباء وتهددهم بالقتل أن لم يبذلوا الجهد في شفائه · ولكن لا تنفع حيل الاطباء اذا جاء القضاء فتوفي احمد بن طولون في شهر ذي القعدة سنة ٢٧٠ ﻫ

---

١٣٣ — خمارويه بن احمد

من سنة ٢٧٠ — ٢٨٢ ﻫ او من سنة ٨٨٣ — ٨٩٥ م

وبعد وفاة احمد بن طولون اجمع رأي اهل الدولة على تولية ابنه خمارويه لانهم كرهوا تولية ابنه الاكبر عباس لعقوقه · فبايعوه واحضروا اخاه عباساً لمبايعته فأبى فاعادوه الى محبسه وقتلوه بأمر خمارويه وكان ذلك بايعاز ابي عبدالله قائد جيوش سورية لابن طولون · ثم خاف ابو عبدالله لئلا يندم خمارويه على قتل اخيه فينتقم منه فكاتب الموفق ووصف له بذخ خمارويه وأنه اتخذ الامارة وسيلة للتمتع بالملذات والملاهي واطمعه في ملك الشام من يده · ولما توفي احمد بن طولون كان اسحق بن كنداج عاملاً على الجزيرة وابن ابي الساج على الكوفة وقد ملك

الرحبة من يد احمد بن مالك فطمعا في ملك الشام واستأذنا الموفق في ذلك فاذن لهما ووعدهما بالمدد وسار اسحق الى الرقة والثغور والعواصم فملكهـا من يد ابن دعاس عامل ابن طولون واستولى اسحق على حمص وحلب وانطاكية ثم سار المعتضد الى دمشق فسلمها اليه ابو عبدالله بلا قتال

فلما علم خمارويه ذلك جرّد جيشه قاصداً استرجاعهـا حتى بلغ الرملة ومعه سعيد قائد جيوشه . فبلغ ذلك المعتضد بالله فسار من دمشق نحو الرملة الى عساكر خمارويه . فاتاه الخبر بوصول خمارويه وكثرة من معه من الجموع فهمَّ بالعود فلم يمكنه من معه من اصحاب خمارويه . وكان المعتضد قـد اوحش ابن كنداج وابن ابي الساج ونسبهما الى الجبن حيث انتظراه ليصـل اليهما ففسدت نياتهما معه . ولما وصل خمارويه الى الرملة نزل على الماء الذي على الطواحين فملكه فنسبت الواقعة اليه (ودعيت واقعة الطواحين) واستعد كل لصاحبه ودارت بينهما رحى الحرب وحملت ميسرة المعتضد على ميمنة خمارويه فانهزمت فلما رأى ذلك خمارويه (ولم يكن رأى حرباً قبل الآن) ولىَّ منهزماً في نفر من الاحداث الذين لا علم لهم بالحرب ولم يقف دون مصر . ونزل المعتضد خيام خمارويه وهو لا يشك في تمام النصر فخرج الذين عليهم سعيد (وكانوا قد كمنوا) وانضاف اليهم من بقي من جيش خمارويه ونادوا بشعارهم وحملوا على عسكر المعتضد وهم مشغولون بنهب السواد ووضع المصريون السيف فيهم وظن المعتضد ان خمارويه قـد عاد فركب وانهزم ولم يلوِ على شيء فوصل الى دمشق ولم يفتح له اهلها بابهـا فمضى منهزما حتى وصل طرسوس وبقي العسكران يتضاربان بالسيوف وليس لواحد منهما امير . واستفقد سعيد خمارويه فلم يجده فاقام اخاه ابا العشائر وتمت الهزيمة على العراقيين وقتل منهم خلق كثير . وقال سعيد للعساكر ان هذا اخو صاحبكم وهذه الاموال تنفـق فيكم ووضع العطاء فاشتغل الجند عن الشغب بالاموال وسيرت البشارة الى مصر ففرح خمارويه بالظفر وخجل للهزيمة غير انه اكثر الصدقة وفعل مع الاسرى فعلة لم يسبق الى مثلها قبله فقال لاصحابه ان هولاء اضيافكم فاكرموهم

ثم احضرهم بعد ذلك وقال لهم من اختار المقام عندنا فله الاكرام ومن اراد الرجوع جهزناه وسيرناه فمنهم من اقام ومنهم من سار مكرماً وعادت عساكر خمارويه الى الشام ففتحته اجمع فاستقر ملك خمارويه به وكانت هذه الواقعة سنة ٢٧١ هـ. وفي سنة ٢٧٣ هـ وقع الخلاف بين محمد بن ابى الساج واسحق بن كنداج فاستعان ابن ابى الساج بخمارويه وخطب له في الجزيرة . فسار خمارويه الى الشام واتحد مع ابن ابي الساج وازال ابن كنداج عنها . ثم رجع خمارويه وترك ابن ابى الساج عاملاً له على الجزيرة فقوي امر ابن ابى الساج وخلع طاعة خمارويه سنة ٢٧٥ هـ فسار اليه خمارويه وحاربه وانتصر عليه واستعمل مكانه اسحق ابن كنداج . وفي سنة ٢٧٩ هـ توفي الخليفة المعتمد وتولى مكانه ابن اخيه المعتضد فارسل اليه خمارويه بن طولون يتقرب منه و بعث له مع حسين بن عبد الله بهدايا نفيسة جداً . ثم عرض عليه بعد ذلك ازواج ابنته المسماة قطر الندى لابنه علي فقبل الخليفة ان يكون الزواج له وحصل الزفاف على اعجب سبيل سنة ٢٨٢ هـ. وفي هذه السنة امر خمارويه طغج بن جف عامله بدمشق ان يتقدم بفرقة من عساكر طرسوس الى اراضي اليونان ففعل وحارب اليونان واستولى على عدة مدن وعاد بالغنائم . وفي تلك السنة (٢٨٢ هـ) توفي خمارويه مقتولاً بدمشق والسبب في ذلك انه بلغه وجود مواصلات غرامية بين بعض نسائه وكبراء قواده فلما اراد تحقيق الخبر اتفق خدمه على قتله منعاً لظهور تلك الخفايا فقتلوه على فراشه في ذي الحجة سنة ٢٨٢ هـ ونقلت جثته الى مصر ودفن بها

١٣٣ — جيش بن خمارويه

من سنة ٢٨٢ — ٢٨٣ هـ او من سنة ٨٩٥ — ٨٩٦ م

لما قتل خمارويه بويع ابنه جيش بن خمارويه الملقب بابي العساكر . وفي سنة ٢٨٣ هـ أبى طغج بن جف حاكم الشام مبايعة جيش على بلاده لصغر سنه .

وبعد قليل ثارت الجنود بمصر طالبين خلع جيش وتولية عمه فلاطفهم كاتبه علي ابن احمد في ذلك حتى رجعوا فقتل جيش عمين له . وبكر الجند اليه فرمى لهم بالرأسين فهاجوا وماجوا وهجموا على داره وانتهبوها وقتلوه وكانت ولايته تسعة اشهر فقط

١٣٦ — هرون بن خمارويه

من سنة ٢٨٣ – ٢٩٢ ه او من سنة ٨٩٦ – ٩٠٤ م

وبعد مقتل جيش بايع الثوّار اخاه هرون وبعد قليل اخذ الاهلون في احتقار اوامره ومشوراته حتى صاروا الى العصيان اقرب منهم الى الطاعة ورئيس هذه الثورة طغج بن جف حاكم الشـام . وفي سنة ٢٨٥ ه علم المعتضد بانقسام اصحاب هرون عليه فطمع في استرجاع البلاد منه فتقدم حتى وصل قنسرين وتملكها . وبلغ هرون خبر قدومه فانزعج لعلمه بعدم مقدرته المقاومة لعصيان رعيته عليه فعرض عليه ان يتنازل له عن قنسرين والعواصم كلها على ان يرجع عنه فقبل المعتضد ذلك وتسلم تلك الاماكن وبايعه اهلها

وفي سنة ٢٨٩ ه هاجم القرامطة مدينة دمشق وحاصروها وفيها طغج بن جف فاجتمع اليها جميع جيوش هرون بسوريا وازاحوا عنها القرامطة بعد ان هزموهم هزيمة شنعاء وقتلوا شيخهم يحيي

وفي سنة ٢٩٢ ه ارسل الخليفة المكتفي بالله محمد بن سليمان بالعساكر الى مصر لاستخلاصها من يد هرون بن خمارويه فافتتحهـا وبلغ الفسطاط . فاستمد هرون المدافعة بالامر الممكن ولكن بغير جدوى لان الاختلاف وقع بين عساكره فقاتل بعضهم بعضاً عوضاً عن مقاتلة جيش المكتفي فلما اشتد بينهم القتال سار هرون نحوهم لردهم بعضهم عن بعض فاصيب بطعنة من احد المغاربة فسقط ميتاً في ١٨ صفر سنة ٢٩٢ ه

١٣٥ – شيبان بن احمد بن طولون

من سنة ٢٩٢ – ٢٩٢ هـ او من سنة ٩٠٤ – ٩٠٤ م

وفي يوم موت هرون بن خمارويه اقيم عمه شيبان الاَّ انه لم يهنأ بالحكم لان الشعب رفضه بصوت واحد وخابروا محمد بن سليمان ان يعطيهم الامان فأمنهم وملك الفسطاط واعتقل بني طولون وشرَّدهم في البلاد فخلت منهم الديار وعفت منهم الاثار وعادت مصر ولاية تابعة للخلافة العباسية كما كانت

١٣٦ – الدولة السامانية بما وراء النهر

(تمهيد) اصل بني سامان من العجم كان جدهم اسد بن سامان من اهل خراسان وكان له اربعة اولاد . نوح واحمد ويحيى والياس . فلما تولى المأمون الخلافة اصطنع بني اسد ورفع قدرهم . فلما رجع المأمون من خراسان الى العراق ولى على خراسان غسان بن عباد . وفي سنة ٢٠٤ هـ ولى غسان المذكور نوح بن اسد سمرقند واحمد بن اسد فرغانه ويحيى بن اسد الشاش واشروسنة والياس بن اسد هرات . فلما ولي طاهر بن الحسين خراسان ولاهم هذه الاعمال . ثم توفي نوح بن اسد فاضاف طاهر بن الحسين عمله الى اخويه يحيى واحمد . وكان احمد ابن اسد مرضي السيرة عفيف الذيل لا يأخذ رشوة . وفي سنة ٢٦١ هـ توفى احمد ابن اسد بن سامان بفرغانة وكان له من الولد سبعة . نصر ويعقوب ويحيى واسمعيل واسحق واسد وكنيته ابو الاشعث وحميد وكنيته ابو غانم . وكان احمد قد استخلف ابنه نصرًا على سمرقند وكانت من اعماله فأقام في ولايتها الى انقضاء امر بني طاهر واستيلاء الصفار على خراسان . فلما زال ملك الطاهرية واستولى الصفار خراسان عقدا المعتمد لنصر بن احمد على اعمال ما وراء النهر سنة ٢٦١ هـ ومن هذا الوقت ابتداءات الدولة السامانية في الظهور

١٣٧ – نصر بن احمد

من سنة ٢٦١ – ٢٧٩ ﻫ او من سنة ٨٧٤ – ٨٩٢ م

هو نصر بن احمد بن اسد بن سامان تولى امارة ما وراء النهر من قبل الخليفة المعتمد سنة ٢٦١ ﻫ فولى اخاه اسمعيل على بخارا وابا اسحق بن البتكين على غزنة . وبعد قليل قام رافع بن الليث في خراسان بدعوة بني طاهر واخرج عنها الصفار فكاتب اسمعيل بن احمد وحالفه على التعاون والتعاضد فطلب منه اسمعيل اعمال خوارزم فولاه عليها فقوي امر اسمعيل واغتنم الوشاة هذه الفرصة للسعي بالفساد بين الاخوين فاوغروا صدر كل على اخيه حتى التزم نصر سنة ٢٧٢ ﻫ المسير نحو اخيه اسمعيل لقتاله . فلما بلغ اسمعيل خبر قدوم نصر اليه ارسل قائد جيوشه حمويه بن علي الى رافع بن هرثمة يستنجده فسار اليه بنفسه في جيش كثيف فلما وصل بخارا سعى لصلح الاخوين بلا قتال فنجح في مسعاه واصطلحا وعاد كل منهما الى مكانه . ثم عاد سعاة الفساد بالوشاية مرة اخرى حتى تحارب الاخوان نصر واسمعيل سنة ٢٧٥ ﻫ فانتصر اسمعيل ولما حملوا اليه اخاه نصرًا اسيرًا ترجل اسمعيل له وقبل يده وردّه من موضعه الى سمرقند وتصرف على النيابة عنه ببخارا . وكان اسمعيل خيرًا يحب اهل العلم والدين

وفي سنة ٢٧٩ ﻫ توفي نصر بن احمد وكان عاقلاً دينًا له شعر حسن منه ما قاله في رافع بن هرثمة

اخوك فيك على خبر ومعرفة	ان الذليل ذليلٌ حيثما كانا
لولا زمان خؤون في تصرفه	ودولة ظلمت! ما كنت انسانا

١٣٨ ـ اسمعيل بن احمد

من سنة ٢٧٩ — ٢٩٥ هـ او من سنة ٨٩٢ — ٩٠٧ م

بعد وفاة نصر بن احمد تولى مكانه اخوه اسمعيل واقره المعتضد على ما وراء النهر ثم ولاه خراسان سنة ٢٨٧ هـ وكان سبب ولايته على خراسان ان المعتضد كان قد ولى عمرو بن الليث على خراسان وامره بحرب رافع بن هرثمة فحاربه وقتله وبعث برأسه الى المعتضد وطلب منه ولاية ما وراء النهر فولاه عليها . فسير العساكر لمحاربة اسمعيل بن احمد الساماني مع محمد بن بشير قائد جيوشه فلما انتهوا الى آمد بشط جيحون عبر اليهم اسمعيل وهزمهم وقتل محمد بن بشير ورجع الى بخارا . فسار عمرو بن الليث من نيسابور الى بلخ يريد العبور الى ما وراء النهر فبعث اليه اسمعيل يستعطفه ليقنع بما في يده ويترك له ما وراء النهر فأبى وتكبر . فعبر اليه اسمعيل واحاط به من جميع الجهات وقتله وهزمه حتى أخـذ اسيرًا فخيره اسمعيل فيما يرغب ان يفعل به فرغب في انفاذه الى المعتضد فبعث به فدخل بغداد سنة ٢٨٨ هـ وارسل المعتضد بولاية خراسان الى اسمعيل فاستولى عليها وصارت بيده . ولما اسر عمرو بن الليث طمع محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان في ضم خراسان اليه فسار اليها وهو يظن ان اسمعيل بن احمد الساماني لا يريدها ولا يتجاوز عمله . فلما وصل الى جرجان ارسل اليه اسمعيل ينهاه عن المسير فأبى فسرح اليه محمد بن هرون (قائد رافع وكان قد فارقه عند هزيمته ولحق باسمعيل) في العساكر لقتاله فلقيه على جرجان وانهزم محمد بن زيد وغنم ابن هرون معسكره . ثم مات محمد ابن زيد بعد قليل من جراحات اصابته . فسار محمد بن هرون الى طبرستان وملكها وخطب فيها لاسمعيل بن احمد الساماني فولاه اسمعيل عليهـا وذلك سنة ٢٨٧ هـ وفي سنة ٢٨٩ هـ خلع محمد بن هرون عامل طبرستان طاعة اسمعيل بن احمد ونبذ الدعوة العباسية . وفي تلك السنة كاتبه اهـل الري ليسير اليهم ويستولي على المدينة وذلك لسوء سيرة العامل عليها فسار اليها وملكها . فلما علم الخليفة المكتفي

بذلك كتب الى اسمعيل بن احمد الساماني بولاية الري وامره باخراج محمد بن هرون منها . فسار اسمعيل اليها وبها محمد المذكور فلما بلغه خبر قدوم اسمعيل ترك الري وهرب الى قزوين . فاستعمل اسمعيل بن احمد على جرجان فارساً الكبير والزمه باحضار محمد بن هرون بأي طريقة كانت قهرًا او صلحاً . فاحتال هذا على محمد حتى اقنعه بالشخوص الى اسمعيل ليعفو عنه . فحالما دخل بخارا اعتقله اسمعيل بها ومات بعد شهرين مقهورًا

وفي سنة ٢٩٥ هـ توفي اسمعيل بن احمد الساماني امير خراسان وما وراء النهر وكان يلقب بعد موته بالماضي . وكان عاقلاً حسن السيرة

١٣٩ — احمد بن اسمعيل

من سنة ٢٩٥ — ٣٠١ هـ او من سنة ٩٠٧ — ٩١٣ م

لما توفي اسمعيل بن احمد بن اسد بن سامان ولي بعده ابنه ابو نصر احمد و بعث اليه المكتفي بالولاية وعقد له لواء بيده . وكان فارس الكبير الذي ارسله اسمعيل لقتال محمد بن هرون كما ذكرنا قد غنم غنائم جمة حتى اجتمعت عنده اموال كثيرة فحملها الى اسمعيل بن احمد وقبل ان يصل الى بخارا بلغه وفاة اسمعيل فكرَّ راجعاً والاموال معه . فسار اليه احمد بن اسمعيل فخاف فارس العاقبة وكتب الى المكتفي يستأذنه في المسير الى بغداد فأذن له فسار اليها وارسل احمد وراءه عسكرًا فلم يدركوه . ولما وصل بغداد كان المكتفي قد توفي وولي المقتدر بعده فاعجب المقتدر به وسيره في عساكر الى بني حمدان وولاه ديار ربيعة فخاف اصحاب الخليفة أن يتقدم عليهم فوضعوا عليه غلاماً سمه فمات واستولى غلامه على ماله وتزوَّج امرأته

وكانت سجستان في ولاية الليث بن علي بن الليث بن الصفار وخرج الى

طلب فارس فاسره موئنس الخادم (راجع فصل ١٢٨) وحبس ببغداد وولي على سجستان اخوه المعدل . فلما كانت سنة ٢٩٧ ﻫ سار ابو نصر احمد بن اسمعيل من بخارا الى الري ثم الى هرات وطمع في ملك سجستان فارسل سنة ٢٩٨ ﻫ جيشاً من هرات الى سجستان فساروا حتى اتوا اليها وبها المعدل بن الليث الصفار وهو صاحبها . فلما بلغه خبر مسيرهم اليه سير اخاه ابا علي محمد بن علي بن الليث الصفار الى بست والرخج ليحمي اموالها ويرسل منها الميرة الى سجستان (راجع فصل ١٢٩)فسار الامير احمد بن اسمعيل الى ابي علي ببست وحار به وأخذه اسيراً وعاد به الى هرات واما جيشه الذي سار الى سجستان فانهم حصروا المعدل وضيقوا عليه فلما بلغه أن اخاه ابا علي قد أخذ اسيراً صالح الحسين ابن علي قائد جيوش احمد بن اسمعيل الساماني فاستولى الحسين على سجستان واستعمل عليها الامير احمد ابا صالح منصور بن اسحق ورجع الحسين ومعه المعدل الى بخارا . وفي سنة ٣٠٠ ﻫ رفع اهالي سجستان راية العصيان على احمد بن اسمعيل الساماني فارسل اليها عسكراً لقتال الثائرين فقاتلوهم حتى اخلدوا الى السكينة . وفي سنة ٣٠١ ﻫ قتل الامير احمد بن اسمعيل الساماني قتله بعض غلمانه على سريره وكان قد تعوَّد ان يضع اسداً على باب خيمته كل ليلة ليحرسه ولكي لا يجسر أحد على الدنو منه . فلما كانت تلك الليلة لم يحضروا الاسد كالعادة فدخل اليه بعض غلمانه وذبحوه على سريره وحمل الى بخارا ودفن بها ولقب بالشهيد

١٤٠ — نصر بن احمد

من سنة ٣٠١ — ٣٣١ ﻫ أو من سنة ٩١٣ — ٩٤٢ م

لما توفي الامير احمد بن اسمعيل تولى مكانه ابنه ابو الحسن نصر بن احمد وهو ابن ثمان سنين وتلقب بالسعيد فكفله اصحاب ابيه ببخارا واختص بتربية

نصر منهم احمد بن الليث . واستصغر الناس نصراً وظنوا امره لا ينتظم مع عمه الامير اسحق بن احمد وهو شيخ السامانية وصاحب سمرقند . ومع ان ارباب الدولة صرفوا غاية جهدهم في ضبط الامور كما كانت ايام الامير احمد الا ان ولاة الاعمال طمع كل بما في يده . فانتقض اهل سجستان وبايعوا للمقتدر وبعثوا له بذلك وانصرف عنهم سيجور الدواني عاملها لبني سامان . فولاها المقتدر بالله بدراً الكبير . وفي تلك السنة عصي على السعيد عمه اسحق بن احمد وابنه الياس بسمرقند وقوي امرهما فجندا جيشاً وسارا به الى بخارا فسار اليهما حمويه ابن علي قائد جيوش نصر بن احمد وقاتلهما وانتصر عليهما . فانهزم اسحق وابنه ورجعا الى سمرقند . ثم جمع اسحق جيشاً آخر وعاد مرة ثانية فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم اسحق أيضاً وتبعه حمويه الى سمرقند فملكها قهراً واختفى اسحق فطلبه حمويه ووضع عليه عيوناً وارصاداً فأظهر نفسه واستأمن الى حمويه فأمنه وحمله الى بخارا فأقام بها الى أن مات وأما ابنه الياس فأنه سار الى فرغانة وبقيَ بها الى أن خرج ثانية . وفيها (سنة ٣٠١ هـ) استولى الحسن بن علي الملقب بالاطروش على طبرستان وانتزعها من يد بني سامان (راجع فصل ١٢٢)

وفي سنة ٣٠٢ هـ خالف منصور بن اسحق بن احمد بن اسد بن سامان على الامير نصر بن احمد بن اسمعيل بن احمد بن اسد بن سامان وكان السبب في ذلك ان الحسين بن علي لما افتتح سجستان الدفعة الاولى أيام احمد بن اسمعيل طمع في ولايتها فولاها الامير احمد منصور بن اسحق هذا فلما عصى اهل سجستان افتتحها الحسين بن علي مرة ثانية وطمع ان يتولاها فوليها سيجور فاستوحش الحسين بن علي لذلك وداخل منصور بن اسحق في الانتقاض على ان تكون امارة خراسان لمنصور والحسين بن علي خليفته على أعماله . فلما قتل الامير احمد انتقض الحسين بن علي بهرات وسار الى منصور بن اسحق بنيسابور فانتقض ايضاً وخطب لنفسه . فلما بلغ ارباب الدولة ببخارا خبر هذا الانتقاض ارسلوا القائد حمويه بن علي في العساكر لمحاربتها . ومات منصور قبل وصوله . فلما قارب حمويه بن علي نيسابور سار

الحسين عنها الى هرات واقام بها . وكان محمد بن حسين على شرطة بخارا فسار من بخارا الى نيسابور لشغل يقوم به فوردها ثم عاد عنها بغير امر . فكتب اليه من بخارا بالانكار عليه فخاف على نفسه فعدل عن الطريق الى الحسين بن علي بهرات فقوي امر الحسين به . وسار من هرات الى نيسابور واستخلف بهرات اخاه منصور ابن علي فملك نيسابور . فسار لمحاربته من بخارا احمد بن سهل فحاصر هرات وملكها من منصور بن علي بالامان ثم سار الى نيسابور فحاصر بها الحسين وملكها عنوة واسر الحسين بن علي وذلك سنة ٣٠٦ ﻫ اما محمد بن حسين فكان في ذلك الوقت بمرو فلما بلغه استيلاء احمد بن سهل على نيسابور واسره الحسين بن علي سار اليه فقبض عليه احمد واخذ ماله وسواده وسيره والحسين بن علي الى بخارا . اما ابن حسين فسير الى خوارزم ومات بها واما الحسين فحبس في بخارا الى ان خلصه ابو عبد الله الجيهاني وعاد الى خدمة السعيد نصر

وفي سنة ٣٠٨ ﻫ سار ليلى بن النعمان احد قواد الاطروش العلوي الى نيسابور بأمره لكي يملكها فارسل اليه نصر بن احمد قائد جيوشه حمويه بن علي فاقتتلا وكاد حمويه ينهزم فدخل ليلي بن النعمان طريقاً غير نافذ فاتبعه بعض اتباع حمويه وقتله وسير رأسه الى حمويه فرفع هذا الرأس على رمح فلما رأى اصحاب ليلى الرأس انهزموا وولوا الادبار وكان قتل ليلى بن النعمان سنة ٣٠٩ﻫ . ولما قتل ليلى بن النعمان قدم الحسين بن علي بن الحسين الاطروش سنة ٣١٠ﻫ الى جرجان فارسل اليه الامير نصر بن احمد احد قوادة المدعو سيجور فحاربه وانتصر عليه وشتت شمله . وفي هذه السنة خرج الياس بن اسحق بن احمد (الذي ذكرنا خبر خروجه مع ابيه سنة ٣٠١ ﻫ وانه لما انهزم سار الى فرغانة) بفرغانة مخالفاً على نصر ابن احمد وتبعه كثيرون من الاتراك فسير اليه نصر ابا عمرو محمد بن اسد فانتصر عليه . وهرب هو ثم جمع جيشاً آخر وخرج مرة ثالثة فانهزم ايضاً ثم طلب الامان من الامير نصر فأمنه وصاهره

وفي سنة ٣١١ ﻫ ولى المقتدر يوسف بن ابي الساج على الري ثم طلبه سنة

٣١٤ ﻫ الى واسط فسار اليها طبقاً لاوامر الخليفة واستخلف على الري غلامه فاتكاً فارسل الخليفة المقتدر الى الامير نصر بن احمد بولاية الري وامره باخراج فاتك مولى يوسف بن ابي الساج عنها . فسار نصر بن احمد اليها اوائل سنة ٣١٤ ﻫ فوصل الى جبل قارن فمنعه ابو نصر الطبري من العبور فاقام هناك وراسله وبذل له ثلاثين الف دينار حتى مكنه من العبور

فسار حتى قارب الري فخرج فاتك عنها واستولى نصر بن احمد عليها في شهر جمادى الاخرى سنة ٣١٤ ﻫ وأقام بها شهرين ثم عاد عنها بعد ان استخلف عليها سيجور . ثم عزله واستعمل عليها محمد بن علي الملقب صعلوك فاقام بها الى سنة ٣١٦ ﻫ فمرض فكاتب الحسن الداعي العلوي بطبرستان وما كان بن كالي في القدوم عليه ليسلم اليهما الري . فقدما عليه فسلم الري اليهما وسار عنها فلما بلغ الدامغان مات . فاقام الحسن الداعي بالري واستولى معها على قزوين وزنجان وابهر وقم . وكان اسفار الديلمي قد استولى على طبرستان فسار الداعي وما كان اليه والتقوا عند سارية فانهزم الداعي وقتل كما مر في اخبار العلوية بطبرستان . واستولى اسفار بن شيرويه الديلمي على طبرستان وجرجان وقزوين والري وابهر وقم والكرخ ودعا للسعيد نصر بن احمد صاحب خراسان . ثم قوي امر اسفار وانتقض على السعيد صاحب خراسان وعلى الخليفة المقتدر . فسار السعيد من بخارا الى نيسابور لمحاربته وقبل وصوله اليه اشار محمد بن مطرف الجرجاني وزير اسفار عليه بطاعة السعيد وخوفه منه فقبل اشارته ورجع الى طاعة السعيد وقبل شروطه من حمل المال وغيره . ثم انتقض على اسفار احد قواده المدعو مرداويج بن زيار واستدعى ما كان من طبرستان وهزم اسفار وقتله وملك ما بيده من الاعمال . وقاتل جيوش السعيد نصر ابن احمد وانتصر عليها

وفي سنة ٣١٨ ﻫ خرج ابو زكريا يحيى وابو صالح منصور وابو اسحق ابراهيم اولاد احمد بن اسمعيل الساماني على اخيهم السعيد نصر بن احمد وكان قد اعتقلهم مذ تولى في القندهان ببخارا . فلما سار السعيد الى نيسابور لقتال اسفار

خرجوا من السجن بمساعدة بعض الجند وبايعوا يحيي بن الامير احمد ونهبوا خزائن السعيد وقصوره وبلغ الخبر الى السعيد وهو بنيسابور فعاد مسرعاً الى بخارا فمنعه ابو بكر يحيى الخباز عند النهر فهزمه السعيدواسره ودخل بخارا وعذبه واحرقه في تنوره الذي كان يخبز فيه . ولحق يحيي بن احمد بسمرقند ثم مر بنواحي الصغانيان وبها ابو علي بن احمد بن ابي بكر بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان مقيماً بجرجان واستدعى ما كان بن كالي الى جرجان ولقوا بها محمد بن الياس وقوي امره فلما جاء يحيي الى نيسابور خطب له واظهر دعوته . ثم قصدهم السعيد فافترقوا ولحق ابن الياس بكرمان ولحق يحيي وقراتكين ببست والرخج . ودخل السعيد الى نيسابور سنة ٣٢٠ ﻫ واصطلح قراتكين وأمنه وولاه بلخ وذهبت الفتنة واقام السعيد بنيسابور الى ان استأمن اليه اخواه يحيي ومنصور وحضرا عنده وفر ابراهيم الى بغداد ومنها الى الموصل وهلك قراتكين ببست وصلحت أمور الدولة . ولما استفحل امر مرداويج بن زياد مولي اسفار وقاتله سار سنة ٣٢١ ﻫ من الري الى جرجان وبها ابو بكر محمد بن المظفر مريضاً فلما قصده مرداويج عاد الى نيسابور وبها السعيد نصر بن احمد فابلغه قصد مرداويج جرجان فسار السعيد نحو جرجان . وكاتب محمد بن عبيد الله البلغمي (من اصحاب السعيد) مطرف بن محمد وزير مرداويج واستماله فمال اليه فانتهى الخبر بذلك الى مرداويج فقبض على مطرف وقتله . فكتب محمد بن عبيدالله البلغمي الي مرداويج يقول : انا اعلم انك لا تستحسن كفر ما يفعله معك الامير السعيد وانك انما حملك على قصد جرجان وزيرك مطرف ليري اهله محله منك كما فعل احمد بن ابي ربيعة كاتب عمرو بن الليث حمل عمرًا على قصد بلخ ليشاهد أهله منزلته من عمرو فكان منه ما بلغك وانا لا ارى لك مناجزة ملك يطيف به مماية الف رجل من غلمانه ومواليه وموالي ابيه والصواب ان تترك جرجان له وتبذل عن الري مالاً تصالحه عليه ففعل مرداويج ذلك وعاد من جرجان وبذل عن الري مالاً وعاد اليها وصالحه السعيد عليها

ولما فرغ السعيد من امر جرجان استعمل ابا بكر محمد بن المظفر بن محتاج على جيوش خراسان وردَّ اليه تدبير الامور بنواحي خراسان جميعها وعاد الى بخارا مقر عزه وكرسي ملكه . وفي سنة ٣٢٢ ﻫ خرج ابو علي محمد بن الياس من ناحية كرمان الى بلاد فارس وبلغ اصطخر فاظهر لياقوت أنه يريد أن يستأمن حيلة ومكرًا . فعلم ياقوت مكره فعاد الى كرمان فسير اليه السعيد نصر ابن احمد ماكان بن كالي في جيش كثيف فقاتله فانهزم ابن الياس واستولى ماكان على كرمان بدعوة السامانية (وكان محمد بن الياس من اصحاب السعيد فغضب عليه وحبسه ثم شفع فيه محمد بن عبيد الله البلغمي فاخرجه وسيره مع محمد بن المظفر الى جرجان فلما خرج يحيي بن احمد واخوته ببخارا على ما ذكرنا سار محمد بن الياس اليه فصار معه فلما ادبر امره سار محمد من نيسابور الى كرمان فاستولى عليها وما زال بها حتى اخرجه ماكان بن كالي عنها) واقام ماكان بكرمان فلما عاد عنها رجع اليها محمد بن الياس وكان سبب مسير ماكان بن كالي عن كرمان انه لما قتل مرداويج بن زيار الديلمي سنة ٣٢٣ ﻫ وبايع اصحابه اخاه وشمكير ارسل السعيد نصر بن احمد الى ماكان ليسير الى وشمكير ويقاتله فلما سار عن كرمان رجع محمد بن الياس واستولى عليها . فسار ماكان قاصدًا وشمكير اتباعًا لاوامر اميره . وارسل نصر بن احمد الى محمد بن المظفر عامل خراسان وماكان ليقصدوا جرجان وبها وشمكير . فلما وصل ماكان الى الدامغان سير اليه وشمكير احد قواده المدعو بانجين الديلمي في جيش كثيف فاستمد ماكان محمد ابن المظفر وهو ببسطام فأمده بجمع كثير امرهم بعدم القتال حتى يصل اليهم . فخالفوه وحاربوا بانجين فهزمهم فرجعوا الى محمد بن المظفر ثم خرجوا الى جرجان فسار اليهم بانجين ليصدهم عنها فانصرفوا الى نيسابور واقاموا بها وجعلت ولايتها الى ماكان بن كالي فاقام بها واقام بانجين بجرجان

وفي سنة ٣٢٤ ﻫ توفي بانجين قائد وشمكير فطمع ماكان في الاستيلاء على جرجان وارسل اليها بعض عساكره فاستولى عليها بلا شديد عناء . وفيها استوحش

ما كان من محمد بن المظفر عامل خراسان والسبب في ذلك ان محمدًا كان ارسل جيشاً مدداً لماكان كما ذكرنا فلم يخلص الجيش الطاعة لماكان فاحتج على محمد بن المظفر بان بعض اصحابه قد هرب منه وانه يريدان يخرج في طلبه فاذن له في ذلك . فسار من نيسابور الى اسفراين ولما وصلها بجميع جيشه اظهر العصيان على محمد بن المظفر وعاد الى نيسابور محاربًا فخذل محمدًا اصحابه ولم يعاونوه وكان في قلة من العسكر غير مستعدله فسار نحو سرخس ودخل ماكان نيسابور سنة ٣٢٤ ﻫ ثم عاد عنها خوفاً من اجتماع العسكر عليه ورجع الى جرجان . وعاد محمد بن المظفر الى نيسابور وما زال بها حتى سنة ٣٢٧ ﻫ وفيها مرض مرضاً شديدًا فاراد السعيد ازاحته فولى ابنه ابا علي بن محمد مكان ابيه على خراسان واحضره هو اليه ببخارا وكان ماكان لا يزال خالعًا لطاعة ابن المظفر والسعيد فلما كانت سنة ٣٢٨ ﻫ سار اليه ابو علي بن محمد بن المظفر وقاتله وانتصر عليه واستولى على جرجان وخطب بها للسعيد نصر بن احمد . فهرب ماكان الى الري فسار اليه ابو علي بن محمد سنة ٣٢٩ ﻫ وقاتله حتى قتله واستولى على الري . ولما استولى ابو علي على الري سار الى بلد الجبل سنة ٣٣٠ ﻫ وهي لوشمكير الديلمي وقاتله وافتتح منه زنجان وابهر وقزوين وقم وغيرها وما زال يحاربه ويفتتح مدنه حتى توفي السعيد سنة ٣٣١ ﻫ فلما بلغه خبر وفاته عاد الى خراسان تاركاً فتوحاته

وفي سنة ٣٣١ ﻫ توفي السعيد نصر صاحب خراسان وما وراء النهر وكان قد مرض بالسل فاعتل ثلاثة عشر شهراً ومات في شعبان سنة ٣٣١ ﻫ لثلاثين سنة من ولايته

١٤١ — نوح بن نصر

من سنة ٣٣١ — ٣٤٣ ﻫ أو من سنة ٩٤٢ — ٩٥٤ م

لما توفي الامير نصر بن احمد الساماني تولى مكانه ابنه نوح وبايعه الناس ولقب بالامير الحميد وفوض امره وتدبير مملكته الى ابى الفضل محمد بن الحاكم .

وفي سنة ٣٣٢ ﻫ خالف عبدالله بن اشكام على الامير نوح وامتنع بخوارزم فسار نوح من بخارى الى مرو بسببه وسير اليه جيشاً بقيادة ابراهيم بن فارس فمات ابراهيم في الطريق . وكاتب ابن اشكام ملك الترك وراسله واحتمى به وكان لملك الترك ولد وقع اسيراً في يد الامير نوح فراسل نوح اباه في اطلاقه ليقبض على ابن اشكام فاجابه ملك الترك الى ذلك . فلما علم ابن اشكام الحال عاد الى طاعة نوح وفارق خوارزم فعفى نوح عنه واكرمه . وفي سنة ٣٣٣ ﻫ قدم ابو علي بن محمد بن المظفر الى الامير نوح بمرو فاجتمع به واعاده الى نيسابور وأمده بقصد الري وأمده بجيش كثير . فعاد الى نيسابور وسار منها الى الري وكان قد استولى عليها ركن الدولة فلما علم بكثرة جموعه سار عن الري واستولى ابو علي عليها وعلى سائر اعمال الجبال وأنفذ عماله الى الاعمال فتولوها . . واتفق مسير الامير نوح الى نيسابور في هذه السنة فاجتمع اليه مبغضو الخير ووشوا اليه بسوء سيرة ابي علي فيهم (ظلماً وعدواناً) وطلبوا منه أن يولي عليهم اياً كان غيره فصدق كلامهم وولى على نيسابور ابراهيم بن سيجور . وبينما ابو علي بن محمد في غاية السرور لفتحه الري واعمال الجبل وينتظر انعام الامير نوح عليه لصدق خدمته اذ قد وصله الخبر بعزله وولاية ابراهيم بن سيجور على نيسابور فاغتم جداً واستوحش لذلك وخالف على الامير نوح (مع عدم رغبته في الخلاف) ووجه اخاه ابا العباس الفضل بن محمد الى كور الجبال وولاه همذان وجعله خليفة على من معه من العساكر فقصد الفضل نهاوند والدينور وغيرها واستولى عليها واستأمن اليه رؤساء الاكراد من تلك الناحية وانفذوا اليه رهائنهم . وقوي امر أبي علي بن محمد وتبعه جمع كثير من اصحاب الامير نوح وتشاوروا فيما يجب ان يفعلوه فأقر رأيهم على احضار ابراهيم بن احمد بن اسمعيل الساماني عم الامير نوح ومبايعته وتمليكه البلاد وكان ابراهيم في ذلك الوقت بالموصل في خدمة ناصر الدولة لانه كان قد هرب من ابن اخيه . فارسلوا اليه وعرفوه ماقر عليه قرارهم من جهته فأسرع اليهم في تسعين فارساً والتقاه أبو علي بهمذان فساروا قاصدين الري ولما

وصلوا الري وجد أبو علي ان اخاه الفضل قد كاتب الامير نوحاً بخبر ما تم ليأخذ حذره منهم فقبض عليه واعتقله . فلما بلغ الامير نوحاً ذلك تجهز وسار الى مرو من بخارا وكان الاجناد قد ملوا من محمد بن احمد الحاكم المتولي للامور لسوء سيرته فقالوا لنوح ان الحاكم قد أفسد عليك الامور بخراسان واخرج أبا علي الى العصيان واوحش الجنود وطلبوا تسليمه اليهم والا ساروا الى عمه ابراهيم وأبي علي فسلمه اليهم فقتلوه في جمادى الاولى سنة ٣٣٥ ﻫ ولما وصل ابو علي الى نيسابور وكان بها ابراهيم بن سيجور ومنصور بن قراتكين وغيرهما من قواد الامير نوح استمالهم أبو علي فمالوا اليه وصاروا معه ودخل نيسابور في المحرم سنة ٣٣٥ ﻫ ثم ظهر له من منصور ابن قراتكين مايكره فقبض عليه . ثم سار أبو علي وابراهيم من نيسابور في ربيع الاول سنة ٣٣٥ ﻫ الى مرو وبها الامير نوح . فانتهز اخوه الفضل بن محمد الفرصة وهرب من محبسه وسار الى قهستان وأقام بها . ولما قارب أبو علي مرو أتاه كثير من عسكر نوح . وسار نوح عنها الى بخارا واستولى أبو علي على مرو في جمادى الاولى سنة ٣٣٥ ﻫ وأقام بها وكل يوم يزداد جنده بمن ينضم اليه من عسكر الامير نوح فلما استراحت عساكره سار عنها قاصداً بخارا وعبر النهر اليها . ولم يجد الامير نوح في استطاعته المقاومة لكثرة من فارقه من عسكره فسار عن بخارا الى سمرقند . فدخل أبو علي بخارا في جمادى الاخرى سنة ٣٣٥ ﻫ وخطب فيها لابراهيم العم وبايع الناس . ثم اطلع أبو علي على سوء نية من الامير ابراهيم العم ففارقه وسار الى تركستان وبقي ابراهيم في بخارا . وفي اثناء ذلك اطلق منصور بن قراتكين من محبسه فسار الى الامير نوح

وتخوف ابراهيم العم من اجتماع الجيوش مع الامير نوح عليه فجمع بعض قواده واستشارهم بانه سيتنازل لابن أخيه عن الامر على ان يكون هو قائد جيوشه وبعد اتمام عقد الصلح يقصد الجميع أبا علي لقتاله فاستحسنوا فكره . ووافقته عامة أهل بخارا على هذا الرأي . واذ لم يكن أبو علي بعيداً منهم اجمع رأيهم على قصده اولاً فساروا اليه فهزمهم هزيمة شنعاء وردهم رداً قبيحاً ودخل بخارا واستحضر

ابا جعفر محمد بن نصر الساماني وهو اخو الامير نوح وعقد له الامارة وبايعه وخطب له في النواحي كلها . ثم ظهر لابي علي فساد نيات الجند عليه فخرج مظهراً المسير الى سمرقند ويضمر العود الى الصغانيان ومنها الى نسف . فلما خرج من البلد ردّ جماعة من الجند والحشم الى بخارا وكاتب نوحاً بافراجه عنها . ولما خرج أبو علي من بخارا سار ابراهيم وابو جعفر الى سمرقند مستأمنين الى الامير نوح مظهرين الندم على ماكان منهم فوعدهم خيراً وعاد الى بخارا . ولما استتب أمره وهدأت الاحوال سمل عمه ابراهيم واخويه ابا جعفر محمداً واحمد واجتمعت اليه الاجناد واصلح الفساد . ثم جاءه الفضل بن محمد اخو ابي علي مستأمناً فاكرمه واحسن اليه فاقام في خدمته . واذ كانت الامور لاتزال مضطربة بخراسان رأى الامير نوح ان يولي عليها منصور بن قراتكين فولاه اياها فحارب المخالفين بها ودخلها وهدأت احوالها على نوع ما

وعلم أبو علي بن محمد انه لابد ان يقصده الامير نوح لانه لا يزال مخالفاً عليه وان كان قد ترك له البلاد . وعلم ان الامور انصلحت واجتمعت العساكر على طاعة الامير نوح وانه اذا جند اليه جيشاً لم يكن في قدرته المقاومة فرأى ان ينتهز الفرصة و يطلب الامان فنهاه عن ذلك بعض مشيريه ولكنه كان أعلم منهم بمثل هذه الاحوال ولا ينخدع للمشورات الباطلة فأصرّ على فكره وطلب الامان من الامير نوح فأمنه واكرمه واحسن اليه وكان ذلك سنة ٣٣٧ هـ

وكان محمد بن عبد الرازق بطوس واعمالها بيده و يد نوّابه فلما كانت سنة ٣٣٦ هـ خالف على الامير نوح بن نصر الساماني وكان منصور بن قراتكين صاحب جيش خراسان في ذلك الوقت بمرو عند الامير نوح فوصل اليهما وشمكير منهزماً من جرجان قد غلبه عليها الحسن بن الفيرزان فأمر نوح منصوراً بالمسير الى نيسابور ومحاربة محمد بن عبد الرازق وأخذ مابيده من الاعمال ثم يسير مع وشمكير الى جرجان . فسار منصور ووشمكير الى نيسابور وبها محمد بن عبد الرازق ففارقها نحو استراباذ فأتبعه منصور فسار محمد الى جرجان وكاتب ركن الدولة بن بويه واستأمن

اليه فأمره بالوصول الى الري . اما منصور فسار من نيسابور الى طوس وحاصر رافع بن عبد الرازق بقلعة شميلان فاستأمن بعض اصحاب رافع اليه فهرب رافع من شميلان فأتبعه منصور حتى حصره بقلعة درك فاستأمن اليه احمد بن عبد الرازق في جماعة من بني عمه فأخذهم وسيرهم الى بخارا . وأما رافع فأخذ ماخف حمله وغلا ثمنه وفرّ هارباً في الجبال

وفي سنة ٣٣٧ هـ ارسل الامير نوح منصور بن قراتكين الى الري لغيبة ركن الدولة بن بويه عنها في نواحي فارس فوصل الى الري واستولى عليها وعلى الجبل وسار الى قرميسين فكبس الذين بها من العسكر واسر مقدمهم ورجع الباقون الى همذان فسار سبكتكين نحوهم . وجاء ركن الدوله اثر الانهزام وحارب منصوراً والخراسانيين وانتصر عليهم فرجعوا الى الري

وفي سنة ٣٤٠ هـ توفي منصور بن قراتكين بالري بعد عوده من اصفهان وحملت جثته الى اسفيجان فدفن بها عند والده فولى الامير نوح على خراسان ابا علي بن محمد بن المظفر واعاده الى نيسابور . وفي سنة ٣٤٢ هـ كتب وشمكير الى الامير نوح ليأمر ابا علي بن محمد بالمسير معه في عساكر خراسان لقصد ركن الدولة بن بويه فساروا اليه فخاف ركن الدولة لقاءهم وامتنع بطزل وتحصن بها واقام عليها ابو علي عدة شهور يقاتله حتى سئم العسكر القتال فمال الى الصلح فسعى بينهما محمد بن عبد الرازق فتصالحا على ان يدفع ركن الدولة كل سنة مائتي الف دينار . ورجع ابو علي الى خراسان فكتب وشمكير الى الامير نوح بان ابا علي لم ينصح في الحرب وان بينه و بين ركن الدولة مداخلة . فتمكنت وشاية وشمكير عند الامير نوح وكتب الى ابي علي بالعزل عن خراسان سنة ٣٤٢ هـ وكتب الى القواد بمثل ذلك . واستعمل على جيوش خراسان مكانه ابا سعيد بكر بن مالك الفرغاني . و بعث ابو علي يعتذر فلم يقبل وارسل جماعة من اعيان نيسابور يسألون ابقاءه فلم يجيبوا . فانتقض ابو علي وخطب لنفسه بنيسابور وكتب الامير نوح الى وشمكير والحسن بن القيرزان بان يتفقا و يتعاضدا على اصحاب ركن

الدولة حيثما كانوا ففعلا ذلك. فارتاب ابو علي بامره ولم يمكنه العود الى الصغانيان ولا المقام بخراسان. فصرف وجهه الى ركن الدولة واستأذن في المسير اليه فأذن له. وسار ابو علي الى الري سنة ٣٤٣ ﻫ فأكرمه ركن الدولة وانزله معه واستولى بكر بن مالك على خراسان وفي سنة ٣٤٣ ﻫ توفي الامير نوح بن نصر في شهر ربيع الآخر لثنتي عشرة سنة من ولايته

١٤٣ — عبد الملك بن نوح

من سنة ٣٤٣ — ٣٥٠ — أو من سنة ٩٥٤ — ٩٦١ م

لما توفي الامير نوح بن نصر تولى مكانه ابنه عبد الملك وقام بأمره بكر بن مالك الفرغاني فلما قرر امر دولته وثبت ملكه امر بكرًا بالمسير الى خراسان فكان من شأنه مع أبي علي ما قدمنا ذكره. وفي سنة ٣٤٤ ﻫ سار بكر بن مالك بعسكر خراسان الى الري وبها ركن الدولة بن بويه وارسل عسكرًا آخر مع محمد ابن ماكان على طريق المفازة الى اصفهان. وكان باصفهان أبو منصور علي بن بويه ابن ركن الدولة فخرج عنها بحرم ابيه وخزاينه وانتهى الى خالنجان. ودخل محمد ابن ماكان اصفهان ثم خرج في اتباع ابن بويه. فادرك الخزائن فأخذها وسار في اثره. وكان من لطف الله ان ابا الفضل بن العميد وزير ركن الدولة وصل اليهم في تلك الساعة. فقاتله ابن ماكان وانتصر عليه وهزم اصحابه وثبت ابن العميد. واشتغل عسكر ابن ماكان في النهب فاجتمع على ابن العميد بعض من عساكره فقوي عزمه وهاجم اصحاب ابن ماكان وهم مشغولون بالنهب فهزمهم واسر ابن ماكان. وسار ابن العميد الى اصفهان فملكها واعاد حرم ركن الدولة واولاده الى حيث كانوا. ثم بعث ركن الدولة بن بويه الى بكر بن مالك صاحب الجيوش بخراسان وقرر معه الصلح على مال يحمله اليه ركن الدولة على الري وبلد الجبل

فتقرر ذلك بينهما . فبعث اليه من عند اخيه ببغداد بالخلع واللواء بولاية خراسان فوصلت اليه في ذي القعدة سنة ٣٤٤ هـ

وفي يوم الخميس حادي عشر شوال سنة ٣٥٠ هـ توفي الامير عبدالملك بن نوح من سقطة عن فرسه لسبع سنين من ولايته

١٤٣ — منصور بن نوح

من سنة ٣٥٠ — ٣٦٦ هـ أو من سنة ٩٦١ — ٩٧٦ م

لما توفي عبد الملك بن نوح تولى بعده اخوه منصور وفي أول ايامه استولى ركن الدولة بن بويه على طبرستان وجرجان وسار وشمكير عنها فدخل بلاد الجبال وفي سنة ٣٥٦ هـ جهز الامير منصور بن نوح الجيوش الى الري وكان سبب ذلك أن ابا علي بن الياس سار من كرمان الى بخارا ملتجئاً الى الامير منصور وابو علي بن الياس هذا كان قد ملك كرمان بدعوة بني سامان واستبد بها واصابه فالج وازمن به . وكان له ثلاثة من الولد اليسع والياس وسليمان فعهد الى اليسع وبعده الياس وأمر سليمان بالعود الى ارضهم ببلاد الصغد يقيم بها فيما لهم هناك من الاموال وذلك لعداوة كانت بين سليمان واليسع . فخرج سليمان لذلك واستولى على السيرجان . فانفذ اليه ابوه اليسع في عسكره وامره باجلائه عن البلاد ولا يمكنه من قصد الصفوان اذا طلبها فسار وحاصره . ولما ضاق الحصار على سليمان جمع امواله ولحق بخراسان واستقر امر اليسع بالسيرجان . فوشى به الوشاة عند أبيه بأنه يريد الخروج عليه فأمسكه أبوه وحبسه . فلما علمت والدة اليسع بحبسه اتفقت مع بعض جواريها على اخراجه من السجن بأي حيلة كانت وكان ابو علي بن الياس تاخذه غشية في بعض الاوقات فيمكث وقتاً طويلاً لا يعقل فاتفقت امرأته مع جواريها وقت غشيته واخرجن اليسع من سجنه . فلما خرج

من السجن اجتمعت اليه عساكر ابيه وفرحت به وهرب من كان قد وشي عليه ولما افاق ابو علي بن الياس من غشيته وعلم الحال ارسل الى ولده اليسع يطلب منه ان يحضر اليه ليسلمه القلعة وجميع اعمال كرمان و يرحل هو الى خراسان و يكون عوناً له هناك . فاجابه الى ذاك . فسلم اليه القلعة وكثيراً من المال . وأخذ معه ما اراد وسار الى خراسان وقصد بخارا فاكرمه الامير منصور وأحسن اليه وهذا سبب مجيء ابي علي بن الياس الى الامير منصور ذكرناه هنا اتماماً للفائدة . فلما استقر عنده اطمعه في ممالك بني بويه وحسن له قصدها وعرفه أن نوابه لا يناصحونه وانهم يأخذون الرشا من الديلم (وكان هذا فكر وشمكير في نوّاب السامانية أيضاً وكثيراً ما ذكره للامير منصور) فكاتب الامير منصور وشمكير والحسن بن الفيرزان يعرفهما ما عزم عليه من قصد الري و يأمرهما بالتجهز لذلك ليسيرا مع عساكره ثم جهز العساكر وارسلها مع قائد جيوش خراسان الى الحسن محمد بن ابراهيم بن سيجور وامره بطاعة وشمكير والانقياد له والتصرف بامره وجعله قائداً عاماً لجيوشه . وبلغ الخبر الى ركن الدولة فاضطرب و بعث بأهله وولده الى أصفهان واستمد ابنه عضد الدولة بفارس وعز الدولة بختيار ابن اخيه ببغداد . فبادر عضد الدولة الى امداده و بعث العساكر على طريق خراسان يريد قصدها لخلوها من العسكر فبلغ الخبر اهل خراسان فأحجموا قليلاً . ثم ساروا حتى بلغوا الدامغان . وبرز ركن الدولة في عساكره من الري نحوهم فاتفق موت وشمكير في ذلك الوقت . وانتقض جميع ما كانوا فيه وكفى الله ركن الدولة شرهم ولما مات وشمكير قام أبنه بهستون مقامه وراسل ركن الدولة وصالحه . فأمده ركن الدولة بالمال والرجال

وفي سنة ٣٦١ هـ تم الصلح بين الامير منصور بن نوح الساماني و بين ركن الدولة بن بويه وابنه عضد الدولة . علي ان يحمل ركن الدولة وعضد الدولة اليه كل سنة مائة وخمسين الف دينار وتزوج نوح بن منصور بابنة عضد الدولة وحمل اليه من الهدايا والتحف شيئاً كثيراً

وفي سنة ٣٦٦ هـ توفي الامير منصور بن نوح ببخارا وكانت ولايته خمس عشرة سنة

١٤٦ - نوح بن منصور

من سنة ٣٦٦ - ٣٨٧ هـ او من سنة ٩٧٦ - ٩٩٧ م

لما توفي الامير منصور بن نوح تولى مكانه ابنه نوح وكان عمره حين وليَ ثلاث عشرة سنة ولقب بالمنصور وأقر على خراسان أبا الحسن محمد بن ابراهيم ابن سيجور واستوزر أبا الحسين العتبي فقام بتأدية وظيفته حق قيام فصلحت الاحوال وساد السلام

وفي سنة ٣٧١ هـ عزل أبو الحسين العتبي وزير الامير نوح ابا الحسن بن ابراهيم بن سيجور عن ولاية خراسان لعدم طاعته اوامره وولاها حسام الدولة ابا العباس تاش . فسار ابن سيجور الى سجستان وأقام بها . وفي هذه السنة استولى عضد الدولة بن بويه على بلاد جرجان وطبرستان وأخلى عنها صاحبها قابوس بن وشمكير . واستولى على بلاد اخيه فخر الدولة أيضاً . فانضم فخر الدولة وقابوس ابن وشمكير وسارا الى نيسابور الى حسام الدولة أبي العباس تاش فكتب هذا بوصولهما الى الامير نوح . وكتباها أيضاً يستنصرانه على عضد الدولة . فأرسل الامير نوح الى حسام الدولة يأمره باجلال محلهما واكرامهما وجمع العساكر والمسير معهما واعادتهما الى ملكهما . فلما وردت كتب الامير الى حسام الدولة بذلك جمع جيشاً كثيفاً وسار معهما من نيسابور نحو جرجان فنازلوها وحاصروها وبها مؤيد الدولة ومعه من عساكره وعساكر أخيه عضد الدولة جمع كثير . فشدد عليهم حسام الدولة الحصار حتى اضطر المحصورون ان يأكلوا النخالة من قلة المؤن . فلما اشتد الامر بهم جداً ويئسوا من النجاة فضلوا الموت قتلاً على الموت جوعاً . وخرجوا من المدينة بعزم ثابت وقاتلوا حسام الدولة ومن معه وهزموهم

وأجلوهم عن المدينة وغنموا منهم مالا يقدر . فرجع حسام الدولة وقابوس بعد هذه الهزيمة الى نيسابور وكتبوا للامير نوح لامدادهم . فاتاهم كتاب الامير نوح بانتظار قدوم العساكر التي سترسل لهم قريباً . وفي هذه الاثناء قتل الوزير ابو الحسين العتبي قتله بعض المماليك بوشاية ابن سيجور . فلما علموا بموته تفرق جمعهم و بطل تدبيرهم . ولما قتل ابو الحسين العتبي ارسل الامير نوح الى حسام الدولة ابي العباس تاش يستدعيه لتدبير دولته ببخارا . فعاد من نيسابور اليها . وقتل من ظفر به من قتلة ابي الحسين وكان ذلك سنة ٣٧٢ هـ فلما سار حسام الدولة عن نيسابور قاصداً بخارا وكان ابن سيجور لا يزال بسجستان سار منها الى قهستان وكاتب فائقاً يطلب موافقته على الاستيلاء على خراسان . فاجاب الى ذلك واجتمعا بنيسابور واستوليا على تلك النواحي . و بلغ الخبر الى حسام الدولة ابي العباس فسار من بخارا في جيش عظيم الى مرو

وترددت بينهم الرسل فاصطلحوا على ان تكون نيسابور وقيادة الجيوش لابي العباس . وتكون بلخ لفائق . وتكون هرات لابن سيجور وتفرقوا على ذلك وقصد كل واحد منهم ولايته

و لما سار ابو العباس من بخارا الى مرو استوزر الامير نوح عبدالله بن عزيز وكان ضداً لابي الحسين العتبي وابي العباس فلما ولي الوزارة بدأ بعزل ابي العباس عن خراسان واعادة ابي الحسن بن سيجور اليها فكتب من بخراسان من القواد يسألونه ان يقر ابا العباس على عمله فلم يجبهم وذلك سنة ٣٧٣ هـ . فرجع اصحاب ابن سيجور اليه وعادت له قوته وأتته الامداد من بخارا وكاتب مشرف الدولة ابا الفوارس بن عضد الدولة وهو بفارس يستمده . فامده بالفي فارس مراغمة لعمه فخر الدولة . فلما كثر جمعه قصد ابا العباس فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم ابو العباس واصحابه وأسر منهم جماعة كثيرة . فقصد ابو العباس جرجان و بها فخر الدولة فأكرمه وعظمه وترك له جرجان ودهستان واستراباذ صافية له ولمن معه وسار عنها الى الري فاقام بها ثلاث سنين ثم وقع بها

وباء شديد مات فيه

فاقام ابو الحسن بن سيجور عاملاً على خراسان الى ان توفي سنة ٣٨٢ هـ فكتب ابنه ابو علي الى الامير نوح بن منصور يطلب منه ان يقره مكان ابيه فأجيب الى ذلك ظاهرًا وحملت اليه الخلع والعهد وهو لا يشك انها له فلما بلغ الرسول طريق هرات عدل اليها وبها فائق . فاوصل العهد والخلع بولاية خراسان اليه . فعلم ابو علي انهم مكروا به وأن هذا دليل سوء يريدونه به . فسار مسرعًا في نخبة من اصحابه وطوى المنازل حتى سبق خبره فاوقع بفائق فيما بين بوشنج وهرات (لانه قد خرج من هرات قاصدًا ابا علي) فهزم فائقًا وأصحابه وذلك سنة ٣٨٣ هـ وكتب ابو علي الى الامير نوح يجدد طلب ولاية خراسان فاجابه الى ذلك وجمع له ولاية خراسان جميعها بعد ان كانت هرات لفائق . فعاد ابو علي الى نيسابور ظافرًا وجبى اموال خراسان ولم يرسل منه شيئًا الى الامير نوح فكتب الامير بذلك فاعتذر له ولم يفعل . ثم خاف عاقبة المنع فكتب الى بقراخان ملك الترك يدعوه الى قصد بخارا ليملكها من السامانية واطمعه فيها . واستقر الحال بينهما على ان يملك بقراخان ما وراء النهر كله ويملك أبو علي خراسان . فقصد بقراخان ما وراء النهر وملك مدنه الواحدة بعد الاخرى فسير اليه الامير نوح احد قواده المدعو انج فقاتله بقراخان وهزمه واسره وقدم الى بخارا وملكها بغير كثير عناء وهرب منها الامير نوح الى آمد . ولكن لحسن حظ الامير نوح لم تطل مدة اقامة بقراخان ببخارا لانه مرض بها مرضاً شديدًا فسار عنها قاصدًا بلاده فمات في الطريق . فلما بلغ الخبر الى الامير نوح وقد اتاه الفرج من حيث لا يحتسب عاد الى بخارا واستولى عليها . ولما علم ابو علي بما تم ندم على ما فرط منه وخاف العاقبة فاتحد مع فائق على خلاف الامير نوح . فلما علم الامير نوح باتحادهما ارسل الى سبكتكين وكان اميرًا على غزنة ونواحيها يستقدمه لنصرته منهما ونجدته عليهما وارسل اليه مع ذلك بولاية خراسان . وكان سبكتكين في شغل عما هم فيه يقاتل الهنود ويستولي على بلادهم ويجاهد في كفارهم . فلما

جاء كتاب الامير نوح و رسوله بادر اليه وتلقى امره وعاد الى غزنة وجمع العساكر لقصد خراسان فلما بلغ الخبر ابا علي وفائقا استمدا فخر الدولة بن بويه واستعانا على قضاء مآربهما بوزيره الصاحب بن عباد فبعث اليهما مددًا من العساكر . وسار سبكتكين وابنه محمود نحو خراسان سنة ٣٨٤ هـ وسار اليها الامير نوح واجتمعوا ولقوا ابا علي وفائقاً وكان معهما دارا بن قابوس بن وشمكير فنزع الى الامير نوح وانهزم اصحاب ابي علي وفائق وفتك فيهم اصحاب سبكتكين واتبعوهم الى نيسابور فلحقا بجرجان وبها فخر الدولة من بني بويه فاكرم وفادتهما . واستولى نوح على نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين ولقبه سيف الدولة ولقب اباه سبكتكين ناصر الدولة وعاد نوح الى بخارا وترك سبكتكين بهراة ومحمود بنيسابور . ولما عاد الامير نوح الى بخارا طمع ابو علي وفائق في ولاية خراسان فجمعا جموعهما وسارا الى نيسابور وبها محمود بن سبكتكين في قلة من العسكر فانتصرا عليه واجلياه عن نيسابور فلما علم سبكتكين بهزيمة ابنه جمع عساكره وسار الى نيسابور وجاء اليه ابنه محمود في بقية من معه وحارب ابا علي وفائقاً وانتصرا عليهما . فهرب ابو علي وفائق الى ابيورد فاتبعهما سبكتكين بعد أن استخلف ابنه محمودًا بنيسابور فلحقا بمرو ثم آمد الشط وكتب الى الامير نوح يستعطفانه فشرط على أبي علي أن ينزل الجرجانية و يفارق فائقاً ففعل . اما فائق فسار الى ايلك خان ملك الترك بكاشغر فاكرم وفادته وكتب الى الامير نوح يشفع فيه فقبل شفاعته

وفي سنة ٣٨٧ هـ توفي الامير نوح بن منصور لاحدى وعشرين سنة من ملكه وانتقض بموته ملك بني سامان وصاروا الى الانحلال

١٤٥ — منصور بن نوح

من سنة ٣٨٧ — ٣٨٩ ﻫ أو من سنة ٩٩٧ — ٩٩٨

لما توفي الامير نوح بن منصور قام بالامر بعده ابنه منصور و بايعه اهل الدولة واتفقوا على طاعته . وقام بتدبير دولته بكتزرون واستوزر ابـا طاهر محمد بن ابراهيم . ولما بلغ خبر وفاة نوح الى ايلك خان ملك الترك طمع في ملكهم وسار الى سمرقند و بعث من هناك فائقاً والخاصة الى بخارا فاضطرب الامير منصور وهرب عن بخارا وقطع النهر . ودخل فائق بخارا وأعلم الناس انه انما جاء لخدمة الامير منصور . فبعث مشايخ بخارا بذلك الى منصور واستقدموه بعد ان أخذوا له مواثيق العهود من فائق فاطمأن وعاد الى بخارا . وقام فائق بتدبير امره وتحكم في دولته . وابعد بكتزرون الى خراسان اميراً . فسار بكتزرون الى خراسان ووافق وصوله حصول الفتنة بين اسمعيل ومحمود ابني سبكتكين بعد وفـاة ابيهما . وفي سنة ٣٨٨ ﻫ كان محمود قد فرغ من امر اخيه اسمعيل واستولى على الملك فعاد الى بلخ وهناك علم بولاية بكتزرون على خراسان فارسل الى الامير منصور ابن نوح يذكر طاعته والمحاماة عن دولته و يطلب خراسان . فجاءه كتاب الامير منصور معتذراً عن خراسان و يأمره باخذ ترمز و بلخ وما وراءها من اعمال بست وهرات فلم يقنع واعاد الطلب ولكن بلا فائدة فلما لم يجب طلبه سار الى نيسابور وبها بكتزرون . فلما علم بكتزرون خبر سيره اليه رحل عنها فدخلها محمود وملكها . فلما سمع الامير منصور بذلك سار عن بخارا الى نيسابور . فلما علم محمود بقدومه سار عن نيسابور الى مرو الروذ واقام بها منتظراً ما يكون ولما علم بكتزرون بقدوم الامير منصور سار اليه وهو بسرخس فاجتمع به فلم يقابله حسب ما اعتاد مقابلته قبلاً . فشكى بكتزرون الى فائق بذلك فقابله فائق باضعاف شكواه واتفقا على خلعه من الملك واقامة اخيه مكانـه وساعدهما على ذلك بعض قواد الجيش . فقبضوا عليه في سنة ٣٨٩ﻫ وسملوه ولم يخافوا الله ولا تذكروا احسان السامانية اليهم

واقاموا اخاه عبد الملك مقامه . وكانت مدة ولاية الامير منصور سنة وسبعة اشهر . وهاج الناس لهذا الفعل الوحشي وارسل محمود بن سبكتكين الى بكتزون وفائق يقبح فعلهما وقويت نفسه على لقائهما وطمع في الاستقلال بالملك فسار عنهما عازماً على القتال

١٤٦ — عبد الملك بن نوح

من سنة ٣٨٩ — ٣٩٠ ﻫ او من سنة ٩٩٨ — ٩٩٩ م

لما قبض بكتزون وفائق على الامير منصور أقاموا مكانه اخاه عبد الملك بن نوح كما ذكرنا وكان صبياً صغير السن . وفي سنة ٣٩٠ ﻫ سار محمود بن سبكتكين الى فائق وبكتزون . فساروا اليه والتقوا بمرو وقاتلهم وهزمهم وافترقوا فهرب عبد الملك ولحق ببخارا ومعه فائق . ولحق بكتزون بنيسابور ولحق أبو القاسم بن سيجور بقهستان ثم قصد محمود بن سبكتكين نيسابور ولما انتهى الى طرسوس هرب بكتزون من نيسابور ولحق بجرجان فبعث في اثره ارسلان الحاجب وما زال يطارده حتى لحق ببخارا . واستولى محمود على خراسان وأزال عنها ملك بني سامان وخطب فيها للخليفة القادر بالله العباسي . ولما ملك محمود خراسان وسار عبد الملك بن نوح الى بخارا واجتمع اليه فائق وبكتزون وغيرهما من الامراء أخذوا في جمع العساكر لمناهضة محمود . ثم مات فائق في شهر شعبان سنة ٣٩ ﻫ فاضطربوا ووهنوا لانه كان المقدم فيهم . وبعد موته طمع ايلك خان ملك الترك في ملك بخارا من يد بني سامان . فسار في جموع الترك مظهراً المدافعة لعبد الملك عنه فاطمأنوا لذلك . وخرج بكتزون وغيره من الامراء والقواد للقائه فقبض عليهم جميعاً ودخل بخارا عاشر ذي القعدة سنة ٣٩٠ ﻫ ونزل في دار الامارة واختفى عبد الملك فبعث العيون عليه حتى ظفروا به وأودعه السجن هو واخاه منصور المخلوع واخوته الاخرين ابا ابرهيم اسمعيل وأبا يعقوب واعمامه وغيرهم من عائلته

وانقرض ملك بني سامان بعد ان كانت لهم دولة ارهبت الملوك

١٤٧ - اسمعيل بن نوح

من سنة ٣٩١ — ٣٩٥ هـ او من سنة ١٠٠٠ — ١٠٠٤ م

كان اسمعيل بن نوح هذا محبوساً مع باقي بني سامان في سجن ايلك خان وكانت تأتيه في سجنه جارية تخدمه وتتعرف أحواله فلبس ماكان عليها من الهدوم وخرج من السجن فلم يشك في أمره احد وظنوه الجارية فاختفى ببخارا الى ان سكن عنه الطلب ثم سار الى خوارزم سنة ٣٩١ هـ وتلقب المنتصر واجتمع اليه بقايا القواد والاجناد من انصار السامانية فكثر جمعه وسير قائداً من أصحابه في عسكر الى بخارا فهزم من بها من اصحاب ايلك خان . وهربوا الى نواحي سمرقند فوجدوا هناك جيشاً قد وضعه ايلك خان لحماية سمرقند فانضموا اليه . فتبعتهم عساكر المنتصر وهزموهم أيضاً . وعاد اسمعيل الى بخارا . فاستبشر الناس بعود السامانية . ثم جهز ايلك خان عسكراً من الترك وسار الى بخارا فانحاز اليه من السامانية وهرب المنتصر ومن معه الى آمد الشط فضاقت عليهم فساروا الى ابيورد فملكها المنتصر وجبى اموالها . ثم سار ومن معه الى نيسابور وبها منصور بن سبكتكين نائباً عن اخيه محمود فالتقوا قريب نيسابور واقتتلوا فانهزم منصور واصحابه وقصدوا هرات وملك المنتصر نيسابور فارسل اليه محمود بن سبكتكين جيشاً فلقيهم وانهزم المنتصر وسار الى ابيورد وقصد جرجان فمنعه ابن قابوس منها فقصد سرخس وجبى أموالها وسكنها في ربيع سنة ٣٩٢ هـ فارسل اليها محمود العساكر مع اخيه منصور فالتقوا فانهزم اسمعيل المنتصر وأسر ابو القاسم بن سيجور في جماعة من أعيان العسكر . فبعث بهم منصور الى غزنة وسار اسمعيل حائراً فوافي احياء الغز بنواحي بخارا فتعصبوا له وسار بهم الى ايلك خان في شوال سنة ٣٩٣ هـ فلقيه بنواحي سمرقند وانهزم ايلك واستولى الغز على معسكره . ثم رأى اسمعيل من الغز انحرافاً فخافهم

وسار عنهم الى آمد الشظ و بعث الى مرو وخوارزم وغيرهما فلم يقبلوه . فعاد وعبر النهر قاصداً بخارا فقاتله واليها من قبل ايلك خان فانهزم اسمعيل وسار الى دبوسية فالتفت عليه عصبة هناك فعاد بهم الى بخارا فانهزم أصحاب ايلك خان وقوي امر اسمعيل واجتمع معه كثير من فتيان سمرقند واعانه الاهالي بالمال والرجال والسلاح فلما بلغ ايلك خان خبره سار اليه في جيش كثيف ولقيه بنواحي سمرقند سنة ٣٩٤ هـ وانتصر الغز لاسمعيل فانهزم ايلك خان وعاد الى بلاد الترك فحشد جيشاً اخر ورجع الى اسمعيل وكان قد تفرق عنه اصحابه وسار كل منهم الى وطنه وكان هو في قلة من العسكر فلقيهم ايلك خان بنواحي اسروشنة فانهزم اسمعيل وفتك الترك باصحابه . وسار المنتصر اسمعيل منهزماً حتى عبر النهر وسار الى الجوزجان فنهب أموالها وسار يطلب مرو . فسير يمين الدولة اليه العساكر ففارق مكانه وسار وهم في اثره حتى اتى بسطام فارسل اليه قابوس عسكراً ازعجه عنها فلما ضاقت عليه المذاهب عاد الى ماوراء النهر فعبر اصحابه وقد ضجروا وسئموا من السهر والتعب والخوف ففارقه كثير منهم الى بعض اصحاب ايلك خان فاعلموهم بمكانه . فلم يشعر المنتصر الا وقد احاطت به الخيل من كل جانب فطاردهم ساعة ثم سار فنزل بحيٍّ من احياء العرب في طاعة يمين الدولة . وكان يمين الدولة قد اوصاهم بطلبه فلما رأوه امهلوه حتى جن الليل ثم وثبوا عليه فأخذوه وقتلوه وذلك سنة ٣٩٥ هـ وانقرض بموته امر بني سامان والدوام لله وحده

١٤٨ – الدولة الفاطمية العبيدية

بالمغرب ومصر

(تمهيد) اول هذه الدولة عبيد الله المهدي وقد اختلف النسابون في نسبه اختلافاً كبيراً فالذين جعلوا نسبه الى علي بن ابي طالب : قال بعضهم : هو محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . والذي ينسبه الى هذا النسب يجعله عبد الله بن ميمون القداح الذي ينسب اليه القداحية . وقال بعضهم . هو عبيد الله بن احمد بن اسمعيل الثاني محمد ابن اسمعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . وقال بعضهم : هو عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب والله اعلم

اما الذين لا يقرون بصحة نسبه الى علي بن ابي طالب فقد قدحوا في هذه الانساب واوصل بعضهم نسبه الى اليهودية و بعضهم الى النصرانية ولكن الرأي المعول عليه عند المؤرخين هو صحة نسبه الى علي بن ابي طالب ولا سيما كالتناسب الثالث المذكور قبلاً . ولا زال نسل علي بن ابي طالب مذ خرجت عنهم الخلافة وهم يدعون باحقيتها و يتشيع لهم كثير من الناس على ذلك فتتبعتهم دولة بني أمية ودولة بني العباس قتلاً وتشريداً ومع ذلك لم يهدأوا بل كانوا يزدادون مجاهرة بمطالبهم فاستولى بعضهم على امارات ومقاطعات واورثها اولاده عدة سنين بين كثيرة وقليلة على ماكان يقتضيه الزمان والمكان وانزوى بعضهم في الصوامع مكتفياً من الدنيا بسلامة حياته من غدر اعداء الطالبين . وكان ابو عبيد الله هذا ممن يروم الظهور و يشيع دعوته سراً فاجتمع به شخص يقال له رستم بن الحسين ابن حوشب بن دادان النجار فكانا يقصدان المشاهد . وكان باليمن رجل اسمه محمد بن الفضل كثير المال والعشيرة من اهل وجند وكان يتشيع فجاء الى مشهد الحسين بن علي يزوره فرآه والد عبيد الله ورستم يبكي كثيراً . ولما خرج اجتمع به

والد عبيد الله وطمع فيه لما رأى من بكائه والتى اليه مذهبه فقبله . فسار معه رستم النجار الى اليمن وامره بلزوم العبادة والزهد ودعاء الناس الى المهدي وأنه خارج في هذا الزمان باليمن . فسار النجار الى اليمن ونزل بعدن بقرب قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى وأخذ في بيع ما معه واتاه بنو موسى وقالوا له . فيمَ جئت . قال للتجارة . قالوا لست بتاجر وانما انت رسول المهدي وقد بلغنا خبرك ونحن بنو موسى ولعلك قد سمعت بنا فانبسط ولا تحتشم فنحن اخوانك . فاظهر امره وقوّى عزائمهم وقرّب امر المهدي فأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح واخبرهم ان هذا اوان ظهور المهدي ومن عندهم يظهر

واتصلت اخباره بالشيعة الذين بالعراق فساروا اليه فكثر جمعهم وعظم بأسهم فاغاروا على من جاورهم وسبوا وجبوا الاموال فارسلوا الى ابي عبيد الله هدايا كثيرة . وكانوا انفذوا الى المغرب رجلين احدهما يعرف بالحلواني والآخر يعرف بابي سفيان وقالوا لهما . ان المغرب ارض بور فاذهبا فاحرثا حتى يأتي صاحب البذر . فسارا فنزل احدهما ببلدة مرمجنة والآخر ببلد سوق حمار . فمالت قلوب اهل تلك النواحي اليهما وحملوا اليهما الاموال والتحف فاقاما سنين كثيرة وماتـا وكان احدهما قريب الوفاة من الاخر . وكان رستم بن حوشب النجار لا يزال يبث الدعوة في اليمن فاتصل به شخص يدعى ابا عبدالله الحسين بن احمد بن محمد ابن زكريا (وهو ابو عبدالله الشيعي المشهور) وكان له علم ومكر ودهاء فلما اتصل خبر موت الحلواني وابي سفيان بابن حوشب . قال لابي عبدالله الشيعي . أني ارى ليس لهذا الامير غيرك فبادر اليها فانها موطأة لك ممهدة . فخرج ابو عبدالله الى مكة واعطاه ابن حوشب مالاً واصحبه حاج اليمن . فلقي بالموسم رجـالات كتامة ورؤساءهم وفيهم من لقي الحلوني وابا سفيان واخذوا عنهما فقصدهم ابو عبدالله في رحالهم وكان منهم موسى بن حريث الجميلي وموسى بن مكاد ومسعود ابن عيسى بن ملال فجلس اليهم وسمعوا منه مذاهبهم ورأوا ماهو عليه من العبادة والزهد فعلق بقلوبهم وصار يتعهدهم في رحالهم فاغتبطوا به واغتبط بهم . ولما ارادوا

الرحلة الى بلادهم سألوه الصحبة فوافقهم وسار معهم حتى اذا قاربوا بلادهم لقيهم رجال من الشيعة فأخبروهم خبره فرغبوا في نزوله عندهم واقترعوا فيمن يضيفه منهم ثم رحلوا حتى وصلوا الى ارض كتامة منتصف سنة ٢٨٠ ﻫ فنزل على موسى بن حريث ببلدة ايكجان وعين له مكان منزله بفج الاخيار: وأن النص عنده من المهدي بذلك وبهجرة المهدي وأن انصار الاخيار من اهل زمانه وان اسمهم مشتق من الكتمان. واجتمع اليه الكثير من اهل كتامة ولقي علماءهم واشتمل عليه الكثير من اهوائهم فجاهر بمذهبه وأعلن بأمامة اهل البيت ودعى للرضا من آل محمد فاتبعه اكثر كتامة. وكانوا يسمونه عبدالله الشيعي والمشرقي. وبلغ خبره الى ابراهيم بن احمد بن الاغلب امير افريقية فبعث اليه بالتهديد والوعيد. فاساء الرد عليه. فخاف رؤساء كتامة عادية ابن الاغلب. وتفرقت كلمة البربر وكتامة بسببه فاراد بعضهم قتله فاختفى ووقع بينهم قتال شديد. واتصل الخبر بانسان اسمه الحسن بن هرون من اكابر كتامة فأخذ ابا عبدالله ودافع عنه ومضيا الى مدينة تازروت فأتته القبائل من كل مكان وعظم شأنه. فقاتله البربر وكانت بينهم وقائع كثيرة حتى ظفر بهم واستقام له امر البربر وعامة كتامة. فلما تم لابي عبدالله ذلك زحف بجموعه الى مدينة ملوسة واراه بعضهم عورة فيها فدخلها وملكها. وبلغ الخبر ابراهيم بن احمد الاغلبي فارسل اليه العساكر فحاربته وهزمته وازالته عن ملوسة. ففر ابو عبد الله الشيعي الى ايكجان وامتنع بها حتى توفي ابراهيم بن احمد الاغلبي وقام بالامر بعده ابو مضر زيادة الله فطمع ابو عبد الله الشيعي في البلاد وارسل سراياه الى كثير من الجهات

وفي هذه الاثناء توفي والد عبيد الله المهدي وقام بأمر الدعوة بعده ابنه عبيد الله المهدي واتصل خبره بسائر دعاته بافريقية واليمن فبعث اليه ابو عبدالله الشيعي رجالاً من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم وانهم في انتظاره. وشاع خبره واتصل بالعباسيين فطلبه المكتفي بالله ففر من ارض الشام الى العراق ثم لحق بمصر ومعه ابنه ابو القاسم غلاماً وخاصته ومواليه. ومن مصر عزم على

اللحاق بابي عبد الله الشيعي بالمغرب فارتحل من مصر الى الاسكندرية في زي التجار ثم جدَّ في المسير حتى اذا انتهى الى طرابلس وفارقه التجار اهل الرفقة بعث معهم ابا العباس اخا ابي عبد الله الشيعي الى اخيه بكتامة ومرَّ بالقيروان وقد سبق خبرهم الى زيادة الله وهو يسأل عنهم . فقبض على ابي العباس وسأله فأنكر فحبسه . وكتب الى عامل طرابلس بالقبض على المهدي ففاته وسار الى قسنطينة ثم عدل عنها خشية على ابي العباس اخي الشيعي المعتقل بالقيروان . فذهب الى سجلماسة وبها اليسع بن مدرار فاكرمه ثم جاء كتاب زيادة الله فحبسه اليسع ولم يزل محبوسا الى ان اخرجه ابو عبدالله الشيعي على ما سنذكره ان شاء الله

وكان أبو عبد الله الشيعي قد قويَ أمره كما ذكرنا فسار بجموعه في هذه الاثناء واغار على مدينة سطيف وحاصرها وافتتحها فلما بلغ زيادة الله الاغلبي هذا الخبر ارسل اليه جيشاً موءلفاً من اربعين الف رجل بقيادة ابراهيم بن حشيش (ولم يكن يعلم فنون الحرب الا انه كان من اقارب زيادة الله) فساروا حتى وصلوا مدينة قسنطينة وهناك اتحد معهم كثير من كتامة والبربر الذين لم يدخلوا تحت طاعة الشيعي فاقاموا بهذه المدينة حتى تقدم اليهم الشيعي بجنوده فالتقوا عند بلدة بلزمة وبعد قتال شديد انهزم ابراهيم بن حشيش وسار الى باغاية ثم لحق بالقيروان . وغنم أبو عبد الله الشيعي ما في معسكره وكان شيئاً كثيراً ولم تكن هذه الغنائم التي غنمها من ابراهيم بن حشيش مع كثرتها بشيء في جنب ما اكتسبه عقيب هذه الواقعة من الصيت الكبير والاسم العظيم والهيبة في قلوب الافريقيين حتى يمكننا ان نقول ان انتصاره في هذه الواقعة مهد له الاستيلاء على افريقية كلها . وكتب عقب هذه الواقعة الى عبيدالله المهدي وهو معتقل بسجلماسة كما ذكرنا يبشره بالظفر والفتح وعهد بتوصيل الخبر الى المهدي بعض ثقاته فاحتال في توصيله اليه فاستبشر بقرب الفرج ثم سار أبو عبد الله الشيعي الى مدينة طبنة وحاصرها ونصب عليها الدبابات فهدم سورها وافتتحها عنوة فطلب اهلها الامان فامنهم . ثم زحف الى بلزمة فملكها عنوة . وبلغ الخبر زيادة الله فجهز كل ماقدر على تجنيده وسير الجيش بقيادة

هرون الطبني عامل باغاية فانتهوا الى مدينة ازمول (وكانت في طاعة عبد الله الشيعي) فهدمها هرون وقتل اهلها . فارسل اليه الشيعي جيشاً بقيادة عروبة بن يوسف فحارب هرون وهزمه وقتله . ثم فتح أبو عبد الله مدينة يتجبت على يد يوسف الغساني . فاشتد الامر حينئذ على زيادة الله فجند جيشاً عظيماً وعزم على ان يقوده بنفسه لمقاتلة الشيعي فوصل الى الاربس سنة ٢٩٥ هـ وهناك قال له وجوه دولته . انك تغرر بنفسك فان يكن عليك فلا نجد لنا ملجاء والرأي ان ترجع الى مستقر ملكك وترسل الجيش بقيادة من تعتمد عليه فان كان الفتح لنا فنصل اليك وان كان غير ذلك فتكون ملجاء لنا . ففعل ذلك وأرسل الجيش بقيادة ابن عمه ابراهيم بن أبي الاغلب وكان شجاعاً . و بلغ ابا عبد الله الخبر فزحف الى باغاية فهرب عاملها الى الاربس فملكها أبو عبد الله ثم ارسل سرية من جيشه الى قرطاجنة فاغارت عليها وافتتحتها عنوة وقتلت عاملها . فبث الشيعي سراياه في افريقية فرددوا فيها الغارات على قبائل البربر ثم استأمن اليه اهل تيفاش فامنهم . ثم سار الشيعي بعساكره الى سكتانة ثم الى تبسة ثم الى القصرين من قمودة فافتتحها كلها وسار بريد رقادة وبها زيادة الله فخشي ابراهيم بن أبي الاغلب عليه لقلة من معه فنهض الى الشيعي واعترضه في عساكره واقتتلوا ثم تحاجزوا ورجع الشيعي الى ايكجان وابراهيم الى الاربس ثم سار الشيعي في عساكره ثانية الى قسنطينة فحاصرها وافتتحها على الامان ثم الى قفصة كذلك ثم رجع الى باغاية فانزل بها عسكراً مع أبي مكدولة الجيلي ثم رجع الى ايكجان . فاراد ابراهيم بن أبي الاغلب ان يغتنم الفرصة فسار في جيشه الى باغاية وحصرها . فبلغ الخبر أبا عبد الله فجمع عسكره وسار مجدًا اليها ووجه اثنى عشر الف فارس وأمر مقدمهم ان يسير الى باغاية فان وجد ان ابراهيم بن أبي الاغلب قد رحل عنها فلا يتجاوز فج العرعار . فمضى الجيش طبقاً لاوامره وكان اصحاب أبي عبد الله الشيعي في باغاية قد قاتلوا عسكر ابراهيم قتالاً شديدًا فلما رأى صبرهم عجب هو واصحابه منهم فارعب ذلك قلوبهم ثم بلغهم قرب العسكر منهم فعاد ابراهيم بعساكره الى الاربس فوصل عسكر أبي

عبد الله فلم يروا احداً . وفي اول جمادى الاخرى سنة ٢٩٦ هـ سار أبو عبد الله الشيعي بجنوده الى الاربس (وبها جند زيادة الله بقيادة ابراهيم بن أبي الاغلب) فاقتتلوا طويلاً واخيراً وقعت الهزيمة على جند ابراهيم بن أبي الاغلب ففر هو الى القيروان واستباح أبو عبد الله الشيعي معسكره وسطت جنوده على الاربس فاستباحتها . واتصل الخبر بزيادة الله وهو برقادة ففر الى المشرق ونهبت قصوره وافترق اهل رقادة الى القيروان وسوسة . ثم وصل ابراهيم بن أبي الاغلب الى القيروان فدخل قصر الامارة واجتمع اليه اهل القيروان ونادى مناديه بالامان وتسكين الناس وذكر لهم احوال زيادة الله وما كان عليه حتى افسد ملكه وصغر امر ابي عبدالله الشيعي ووعدهم أن يقاتل عنهم ويحمي حريمهم وبلدهم . وطلب منهم أموالاً ليجهز بها جيشاً ليقاتل الشيعي فلم يقبلوا كلامه ولا رضوا مبايعته ولا اعطاه احد شيئاً من المال وصاحوا به وكادوا يرجمونه لكي يخرج عنهم ففر ولحق بصاحبه . وبلغ ابا عبد الله الشيعي خبر فرارهم وهو بمدينة سبيبة فقدم الى رقادة ومعه عروبة بن يوسف وحسن بن ابي خنزير فالتقاهم اهل رقادة والقيروان باحتفال شائق فأمنهم واكرمهم وكان دخوله رقادة في رجب سنة ٢٩٦ هـ فنزل قصرها واطلق اخاه ابا العباس وكان معتقلاً بها كما ذكرنا . ولما حضرت الجمعة استأذنه الخطباء لمن يخطبون فلم يعين احداً ونقش على نقوده من احد الوجهين « بلغت حجة الله » وعلى الوجه الآخر « تفرق اعداء الله » . ونقش على سلاحه « عدة في سبيل الله » وفي رسم الخيل « الملك لله » . واقام على ما كان عليه من لبس الدون الخشن والقليل من الطعام الغليظ . ولما استقرت الامور لابي عبدالله في رقادة وسائر بلاد افريقية سار في رمضان سنة ٢٩٦ هـ بعد أن أستخلف على أفريقية أخاه ابا العباس فاهتزت لمسيره افريقية وخافته قبائل زناتة وهربت من طريقه لانه لم يكن أحد يعلم وجهته . اما هو فكان قاصداً سجلماسة لاخراج عبيد الله المهدي منها فلما قرب سجلماسة ارسل اليه اليسع بن مدرار خصيا يتلطف اليه فقتل الرسل . فخرج اليسع للقائه فلما تراءى الجمعان هرب عسكر اليسع خوفاً وجبناً وهرب هو وأصحابه

وفي الغد خرج اهل المدينة الى أبي عبد الله الشيعي وجاءوا معه الى مجلس المهدي وابنه فاخرجها وبايع للمهدي ومشي مع رؤساء القبائل بين ايديهما وهو يبكي من الفرح ويقول . هذا مولاكم . حتى انزله بالمخيم . وبعث في طلب اليسع فادرك وجيء به فقتل . واقاموا بسجلماسة اربعين يوماً ثم ارتحلوا الى افريقية ومروا بايكجان فسلم الشيعي ما كان بها من الاموال للمهدي ثم نزلوا رقادة في ربيع سنة ٢٩٧ ﻫ وحضر اهل القيروان وبويع للمهدي البيعة العامة ومن هذه السنة تبتدئ الدولة الفاطمية أو بالحري العبيدية

١٤٩ — عبيد الله المهدي

من سنة ٢٩٧ — ٣٢٢ ﻫ أو من سنة ٩٠٩ — ٩٣٣ م

هكذا كانت بداية الدولة الفاطمية وهكذا استقر الامر لعبيد الله المهدي كما تقدم التفصيل فلما استتب أمره بث دعاته في الناس فاجابوه طائعين . ثم دون الدواوين وجبى الاموال وبعث العمال على البلاد . فبعث على طرابلس ماكنون ابن ضبارة الالجاني وعلى جزيرة صقلية (سيسيليا) الحسن بن احمد بن أبي خنزير فسار اليها ودخلها فاساء السيرة فهاج أهلها عليه وكتبوا للمهدي فقبل عذرهم وولى مكانه علي بن عمر البلوي فوصلها ختام سنة ٢٩٩ ﻫ

(مقتل ابي عبد الله الشيعي وأخيه) ومن غرائب الاتفاق انه كما قتل أبو جعفر المنصور ابا مسلم الخراساني الذي وطد دعائم الدولة العباسية قتل المهدي أبا عبدالله الشيعي الذي كان سبباً في خلافته واليك البيان : لما استقامت البلاد للمهدي ودانت له العباد وباشر الامور بنفسه كف يد أبي عبد الله ويد أخيه أبي العباس فداخل أبا العباس الحسد وعظم عليه الفطام عن الامر والنهي والاخذ والعطاء فاقبل يزري على المهدي في مجلس أخيه ويتكلم فيه وأخوه ينهاه ولا يرضى فعله فلا يزيده ذلك الا لجاجاً . ثم انه أظهر ابا عبد الله على ما في نفسه وقال . ملكت أمراً

فجئت بمن أزالك عنه وكان الواجب عليه أن لا يسقط حقك . ولم يزل حتى أثر
في قلب أخيه . فقال يوماً للمهدي . لو كنت تجلس في قصرك وتتركني مع كتامة
آمرهم وانهاهم لاني عارف بعاداتهم لكان أهيب لك في أعين الناس . وكان
المهدي سمع شيئاً مما يجري بين أبي عبد الله وأخيه فتحقق ذلك غير انه ردّه رداً
لطيفاً . فصار أبو العباس يشير الى المقدمين بشيء من ذلك فمن رأى منه قبولاً
كشف له ما في نفسه وقال ما جازاكم على ما فعلتم . وذكر لهم الاموال التي أخذها
المهدي من ايكجان وقال . هل قسمها فيكم . وكان المهدي غير غافلٍ عما يفعله
أبو العباس ولكنه تغافل حتى يري ما يتم . ثم صار أبو العباس يقول . ان هذا
ليس الذي كنا نعتقد طاعته وندعو اليه لان المهدي يختم بالحجة ويأتي بالآيات
الباهرة . فأخذ قوله بقلوب كثير من الناس . واستفز ذلك شيخ المشايخ بكتامة
فواجه المهدي بذلك وقال . ان كنت المهدي فاظهر لنا آية فقد شككنا فيك
فقتله المهدي . فخافه ابو عبد الله وعلم ان المهدي قد تغير عليه فاتفق هو واخوه
ومن معهما على الاجتماع عند ابي زاكي . وعزموا على قتل المهدي . واجتمع
معهم قبائل كتامة الا قليلاً منهم . وكان للمهدي عين من خواصهم فكان ينقل
اليه كلما يقر عليهم قرارهم . وكثيراً ما عزموا على قتل المهدي ودخلوا اليه لهذا
القصد ولم يفعلوا لما كان ينالهم من هيبته . فلما تحقق المهدي سوء قصدهم به
تلطف في امرهم و ولى من داخلهم من قوم كتامة على البلاد فبعث ابا زاكي
والياً على طرابلس . و بعث الى عاملها ما كنون بقتله فقتله عند وصوله . ثم اتهم
المهدي ابن الغريم بمداخلتهم وكان من اصحاب زيادة الله فأمر بقتله واستصفاء
امواله . ثم استدعى عروبة بن يوسف واخاه حباسة وامرهما بقتل الشيعي واخيه
فوقفا لهما عند القصر وحمل عروبة على ابى عبد الله فقال له لا تفعل . فقال الذي
امرتنا بطاعته امرني بقتلك ثم اجهز عليهما في نصف جمادي سنة ٢٩٨ هـ وثارت
فتنة بسبب قتلهما من اصحابهما فركب المهدي وسكنها . ثم ثارت فتنة اخرى
بين كتامة واهل القيروان وفشى القتل فيهم فركب المهدي وسكنها . وكف

الدعاة عن طلب التشيع من العامة وقتل جماعة من بني الاغلب برقادة لما رجعوا اليها بعد زيادة الله

ولما استقام امر المهدي بعد الشيعي جعل ولاية عهده لابنه ابى القاسم نزار وولى على برقة وما اليها حباسة بن يوسف وعلى المغرب اخاه عروبة وانزله باغاية فسار الى تاهرت فافتتحها وولى عليها دواس بن صولات اللهيص · ثم انتقضت عليه كتامة بقتله ابا عبد الله الشيعي ونصبوا طفلاً لقبوه المهدي وزعموا انه نبي وان ابا عبد الله لم يمت · فجهز ابنه ابا القاسم لحربهم فقاتلهم وهزمهم وقتل الطفل الذي نصبوه واثخن فيهم ورجع · وفي سنة ٣٠٠ ﻫ انتقض اهل طرابلس واخرجوا عاملهم ما كنون فبعث اليهم المهدي ابنه ابا القاسم فحاصرها طويلاً ثم فتحها ومثل باهلها واغرمهم ثلثمائة الف دينار

وفي سنة ٣٠١ ﻫ جهز المهدي العساكر من افريقية وسيرها مع ابنه ابى القاسم الى الديار المصرية فساروا الى برقة واستولوا عليها في ذي الحجة وساروا الى مصر فملك الاسكندرية والفيوم وصار في يده اكثر البلاد وضيق على اهلها · فسير المقتدر بالله العباسي مؤنساً الخادم في جيش كثيف فحاربهم واجلاهم عن مصر فعادوا الى المغرب وفي سنة ٣٠٢ ﻫ ارسل المهدي اسطولاً بقيادة حباسة ابن يوسف الى الديار المصرية فملك الاسكندرية ثم سار منها الى مصر فنزل بين مصر والاسكندرية · فبلغ ذلك المقتدر فارسل اليهم مؤنساً الخادم في جيوشه فاجلاهم عن مصر مرة اخرى · فلما عادوا الى المغرب قتل المهدي حباسة فهاج لذلك اخوه عروبة وانتقض بالمغرب واجتمع حوله خلق كثير من كتامة والبربر فارسل اليهم المهدي جيشاً بقيادة مولاه غالب فهزمهم وقتل عروبة وبنى عمه في امم لاتحصى

وفي سنة ٣٠٣ اختط المهدي مدينة المهدية وبناها وجعلها مقر ملكه ونقل اليها امواله وتمت سنة ٣٠٦ ﻫ · وفي سنة ٣٠٤ ﻫ انتقض اهل صقلية وقبضوا على عاملهم علي بن عمر وولوا عليهم احمد بن قهرب فدعى للمقتدر العباسي وخلع

طاعة المهدي فارسل اليه اسطولا بقيادة الحسن بن ابى خنزير فلقيه اسطول ابن قهرب وانتصر عليه وقتل ابن ابي خنزير. ثم راجع اهل صقلية امرهم وكاتبوا المهدي وثاروا بابن قهرب فخلعوه و بعثوا به الى المهدي فقتله على قبر ابن ابي خنزير وولى على صقلية علي بن موسى بن احمد

وفي سنة ٣٠٧ هـ جهز المهدي ابنه ابا القاسم بالعساكر الى مصر مرة ثانية فملك الاسكندرية ثم سار الى الجيزة فملكها وكذلك الاشمونين وكثيراً من الصعيد وكتب الى اهل مكة يطالب الطاعة فلم يجيبوا اليها . ولما بلغ المقتدر هذا الخبر ارسل جيشاً بقيادة مؤنس الخادم فكانت بينه و بين ابى القاسم عدة وقائع ظهر فيها مؤنس واصاب عسكر ابي القاسم الجهد من الغلاء والوباء فرجع الى افريقية . وكانت اساطيل المهدي قد وصلت الى الاسكندرية بقيادة سليمان الخادم و يعقوب الكتامي مدداً لابي القاسم . فارسل اليهم المقتدر اسطولاً من طرسوس فالتقوا عند رشيد فظفرت مراكب طرسوس واحرقوا واسروا سليمان و يعقوب فمات سليمان في حبس مصر وهرب يعقوب من حبس بغداد الى افريقية وفي سنة ٣٠٨ هـ اغزى المهدي مصالة بن حبوس في جيوش مكناسة الى المغرب واوقع بملك فاس من الادارسة وهو يحيي بن ادريس بن عمرو واستنزله عن سلطانه الى طاعة المهدي فاعطى بها صفقته وعقد لموسى بن ابى العافية المكناسي من قواده على اعمال المغرب ورجع . وفي سنة ٣٠٩ هـ عاود مصالة بن حبوس غزو المغرب فدوخه ومهد جوانبه واغراه موسى بن ابي العافية بيحيي بن ادريس صاحب فاس فقبض عليه وضم اعمال فاس الى موسى ومحا الدعوة الادريسية من المغرب . ثم قصد مصالة مدينة سجلماسة وقتل اميرها المنحرف عن دعوة العبيديين وعقد عليها لابن عمه . ثم حارب جموع زناتة وكانت بينهم عدة وقائع قتل مصالة في احداها فاضطرب المغرب فبعث المهدي ابنه ابا القاسم في سنة ٣١٥ هـ غازياً الى المغرب في عساكر كتامة واولياء الشيعة ففتح بلد مزاتة ومطماطة وهوارة وسائر الاباضية والصفرية ونواحي تاهرت قاعدة المغرب الاوسط. ونازل صاحب

جراوة من آل ادريس وهو الحسن بن ابي العيش وضيق عليه . وبعد ان دوّخ اقطار الغرب ولم يلق كيداً رجع ومرّ بمكان بلد المسيلة وبها بنو كملان من هوارة وكان يتوقع منهم الفتنة فنقلهم الى فج القيروان . وبعد نقلهم امر ببناء المسيلة في بلدهم وسماها المحمدية . ورفع علي بن حمدون الاندلسي من صنائع دولتهم الى بنائها وعقد له عليها وعلى الزاب بعد اخطاطها فبناها وحصنها

ثم انتقض موسى بن أبي العافية عامل فارس والمغرب وخلع طاعة الشيعة وانحرف الى الاموية بالاندلس وبث دعوتهم في اقطار المغرب فنهض اليه احمد ابن بصلين المكناسي قائد المهدي وسار في العساكر فلقيه ميسور وهزمه واوقع به وبقومه بمكناسة وازعجه عن المغرب الى الصحاري واطراف البلاد ودوّخ المغرب ورجع ظافراً . وفي سنة ٣٢٢ ﻫ في شهر ربيع الاول منها توفي المهدي عبيدالله بالمهدية وكان عمره ثلاثاً وستين سنة ومدة حكمه اربعاً وعشرين سنة

١٥٠ — القائم بامر الله بن المهدي

من سنة ٣٢٢ — ٣٣٤ ﻫ او من سنة ٩٣٣ — ٩٤٥ م

لما توفي عبيد الله المهدي قام بالامر بعده ابنه ابو القاسم نزار ولقب القائم بامر الله فأخفى موت والده سنة خوفاً من أن ينتقض عليه القوم . وكثر عليه الثوار . فثار بجهة طرابلس ابن طالوت القرشي وزعم انه ابن المهدي وحاصر طرابلس . ثم ظهر للبربر كذبه فقتلوه . وما زال القائم بامر الله ملكاً سعيداً وخليفة مطاعاً يغزو البلاد ويدوخها حتى كانت سنة ٣٣٣ ﻫ التي ظهر فيها ابو يزيد الخارجي فاقلق راحته وعجل منيته كما نذكرهُ مفصلاً الان ان شاء الله

كان ابو يزيد مخلد بن كنداد من اهل قسطيلة من مدائن بلد توزر وكان يختلف الى بلاد السودان بالتجارة مع والده كنداد ونشأ بتوزر وتعلم القرآن وخالط الفكارية من الخوارج (وهم الصفرية) فمال الى مذهبهم وأخذ به ثم

سافر الى تاهرت واقام بها يعلم الصبيان . ولما سار الشيعي الى سجلماسة في طلب المهدي انتقل هو الى تقيوس واقام يعلم فيها . وكان يذهب الى تكبير اهل ملته واستباحة الاموال والدماء

وفي سنة ٣١٦ هـ صار يعظ الناس و يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر فكثر اتباعه ولما مات المهدي خرج بناحية جبل او راس وركب الحمار (ولذا دعي بصاحب الحمار و يقال ان المهدي نوّه به) وتلقب بشيخ المؤمنين ودعا للناصر صاحب الاندلس من بني أمية . فاتبعه أمم من البربر . وزحف اليه عامل باغاية فلقيه في جموع البربر وهزمه وزحف الى باغاية فحاصرها ثم انهزم عنها . وكتب الى بني واسي من قبائل زناتة بضواحي قسنطينة يأمرهم بحصارها فحاصروها سنة ٣٣٣ هـ ثم فتح تبسة صلحاً ومجانة كذلك . وكان عسكر الكتاميين على الاربس فانفضوا وملكها ابو يزيد ونهبها وقتل في الجامع من لجأ اليه . وبعث عسكراً الى سبيبة ففتحها وقتل عاملها و بلغ الخبر الى القائم بأمر الله فجهز العساكر و بعثها الى رقادة والقيروان . و بعث خادمه ميسوراً الخصي لحربه . وسير جيشاً آخر بقيادة خادمه بشرى الى باجة فنهض اليه ابو يزيد وهزمه الى تونس . ودخل أبو يزيد باجة ونهبها وأحرقها وقتل اهلها حتى الاطفال والنساء والضعفاء . ثم ارسل اليه بشرى جيشاً من تونس و بعث أبو يزيد للقائهم جيشاً آخر فانهزم اصحاب ابي يزيد وظفر اصحاب بشرى . ثم ثار اهل تونس ببشرى فهرب منهم . فاستأمنوا لابي يزيد فأمنهم . ثم سار أبو يزيد قاصداً القيروان . فبعث اليه القائم بأمر الله خديمه بشرى للقائه وأمره ان يبعث من يتجسس عن اخباره . فبعث طائفة . وفي الوقت نفسه كان ابو يزيد قد بعث طائفة من قبله لهذا الغرض فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر ابي يزيد وجيء باسراهم الى المهدية فقتلوا بها . فلما بلغ ابا يزيد خبر هذه الهزيمة اغتاظ جداً وجمع الجموع وسار لقتال الكتاميين فوصل الى الجزيرة وتلاقت الطلائع وجرى بينهم قتال . فانهزمت طلائع الكتاميين فاتبعهم وتبعهم البربر الى رقادة وعاملها يومئذ خليل بن اسحق كان خاملاً ولم يحفل

بابي يزيد ولم يبال به مع ان الناس تواردت عليه للخروج معه لقتال أبي يزيد الا انه لجبنه وعدم دريته بالامور كان يصرفهم محتجاً بعدم وصول ميسور . فشدد عليه ابو يزيد الحصار وضايقه جدًّا فلما رأى اهل رقادة شدة ماهم فيه حضوا خليلاً للخروج لابعاد أبي يزيد عن المدينة فخرج في بعض العساكر فهزمه أبو يزيد فهرب الى القيروان . ودخل ابو يزيد رقادة وعاث في نواحيها وبعث ايوب الزويلي في عسكر الى القيروان فملكها في صفر سنة ٣٣٣ هـ ونهبها وأمن خليلاً فقتله أبو يزيد وخرج اليه شيوخ اهل القيروان فأمنهم ورفع النهب عنهم . وزحف ميسور الى أبي يزيد وكان معه بنو كملان . فكاتبوا ابا يزيد وداخلوه في الغدر بميسور . فاتصل خبر مكاتبة بني كملان لابي يزيد بالقائم بأمر الله فكتب الى ميسور يعرفه ويحذره ويأمره بطردهم . فرجعوا الى أبي يزيد وقالوا له ان عجلت ظفرت به . فسار من يومه فالتقوا واشتد القتال بينهم فانهزمت ميسرة أبي يزيد . فخاف أبو يزيد تمام الهزيمة عليه فحمل على ميسور حملة صادقة فانهزم اصحاب ميسور . وكبا جواد ميسور به فهجم عليه بنو كملان وقتلوه وارسلوا رأسه الى أبي يزيد فاطافه بالقيروان وبعث بالبشرى الى البلاد . فلما علم القائم بأمر الله بهزيمة ميسور وقتله استعد للحصار وامر بحفر الخنادق . واقام أبو يزيد سبعين يوماً في مخيم ميسور وبث السرايا في كل ناحية يغنمون ويعودون وارسل سرية الى مدينة سوسة ففتحوها عنوة واستباحوها . وخرب عمران افريقية من سائر النواحي ومضى جميع من بقيَ للقيروان حفاة عراة ومن تخلص من السبي مات جوعاً وعطشاً . وبعث القائم بأمر الله الى زيري بن مناد صاحب صنهاجة والي سادات كتامة والقبائل يحثهم على الاجتماع بالمهدية وقتال ابي يزيد فتأهبوا بالمسير الى القائم . ولما سمع أبو يزيد بتأهب صنهاجة وكتامة وغيرهم لنصرة القائم خاف ورحل من ساعته نحو المهدية فنزل على خمسة عشر ميلاً منها وبث سراياه الى ناحية المهدية فانتهبت ما وجدت وقتلت من اصابت . فاجتمع الناس بالمهدية واتفقت كتامة واصحاب القائم على ان يخرجوا لابي يزيد ليضربوا عليه في معسكره لما علموا بتفرق عسكره

للنهب والسلب فخرجوا يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الاولى سنة ٣٣٣ هـ وعلم ابو يزيد بخروجهم اليه وجاءه ابنه الفضل بالمدد من القيروان فبعثه للقاء كتامة وركب في اثرهم واتى اصحابه منهزمين . ولما رآه الكتاميون انهزموا بغير قتال واتبعهم ابو يزيد الى باب المهدية ورجع . ثم جاء بعد ايام لقتالهم فوقف على الخندق المحدث وعليه جماعة من العبيد فقاتلهم ساعة وهزمهم وجاوز السور الى البحر ووصل المصلى على رمية سهم من البلد والبربر يقاتلون من الجانب الآخر ثم حمل الكتاميون عليهم فهزموهم . وبلغ ذلك ابا يزيد وعلم بوصول زيري بن مناد فعزم أن يمر بباب المهدية ويأتي زيري وكتامة من ورائهم . فقاتله اهل الارباض ومالوا عليه ليقتلوه لما عرفوه وتخلص بعد الجهد ووصل منزله فوجدهم يقاتلون العبيد كما تركهم فقوي أصحابه وانهزم العبيد ثم رحل وتأخر قليلاً وحفر على معسكره خندقاً واجتمع عليه خلق كثير من البربر ونفوسة والزاب واقاصي المغرب وضيق على اهل المهدية ثم زحف عليها اخر جمادي فقاتلها وتورط في قتالها يومه ذلك ثم خلص وكتب الى عامل القيروان أن يبعث اليه مقاتلتها فجاؤا وزحف آخر رجب فانهزم وقتل من اصحابه . ثم زحف أيضاً اخر شوال ولم يظفر ورجع الى معسكره واشتد الحصار على اهل المهدية حتى اكلوا الميتة والدواب وافترق اهلها في النواحي ولم يبق بها الا الجند . ولما اشتد القحط بالمهدية فتح القائم بامر الله مخازنه وفرق ما فيها من الغلال . ولما لم يجد ابو يزيد فائدة من الهجوم على المهدية وكانت عساكره قد سئمت القتال وفارقه اغلبها . سار عن المهدية قاصداً القيروان عازماً على ان يجمع بها العساكر ويعيد الكرة مرة ثانية . فجمع ما قدر على جمعه وسار في جمادى الاخرى سنة ٣٣٤ هـ الى سوسة وبها جيش عظيم للقائم فحاصرها وشد عليها الحصار

وبينما كان يحاصرها توفي القائم بأمر الله بن المهدي



١٥١ — المنصور بن القائم بامر الله

من سنة ٣٣٤ — ٣٤١ ﻫ او من سنة ٩٤٥ — ٩٥٢ م

لما توفي القائم بأمر الله ابو القاسم نزار بن عبيد الله المهدي قام بالامر بعده ابنه اسمعيل وتلقب المنصور . وكتم موت ابيه حذرًا ان يطاع عليه ابو يزيد وهو بمكانه من حصار سوسة فلم يسمَّ بالخليفة ولا غير السكة والخطبة ولا البنود الى ان يفرغ من امر ابي يزيد كما يذكر

واول عمل عمله المنصور انه ارسل الاساطيل من المهدية الى سوسة مشحونة بالمدد من المقاتلة والامتعة والميرة مع رشيق الكاتب و يعقوب بن اسحق . فلما وصلوا الى سوسة خرجوا لقتال ابي يزيد فهجموا عليه واتحدت حامية سوسة معهم في الهجوم فانهزم ابو يزيد واستبيح معسكره نهبًا واحراقًا . فهرب ابو يزيد الى القيروان فمنعه اهلها من الدخول وثاروا بعامله فخرج اليه . و رحل الى سبيبة في آخر شوال سنة ٣٣٤ ﻫ وجاء المنصور الى القيروان وأمن اهلها وابقى على حرم ابي يزيد واولاده واجرى عليهم الرزق . وخرجت سرية من عسكر المنصور لاستكشاف خبر ابي يزيد فالتقت بسرية من اصحاب ابي يزيد فحصلت بين الفريقين مناوشة انهزم فيها عسكر المنصور . فقوي قلب ابي يزيد واجتمع اليه كثيرون من الذين فارقوه فسار بهم قاصدًا القيروان . فخندق المنصور حول معسكره . وكثرت الوقائع بين الفريقين والنصر متبادل فلما رأى ابو يزيد امتناعهم عليه ارسل للمنصور يطلب منه حرمه واولاده على ان يسير عن القيروان فارسلهم له فلما وصلوا اليه نكث وقاتل ايضًا . فقاتله المنصور واصحابه بقلوب من حديد فانهزم ابو يزيد ومضى لوجهه ومر بباغاية فمنعه اهلها من الدخول فحاصرها ودخل المنصور لاتباعه بعد ان استخلف على المهدية مذاما الصقلي فادرك ابا يزيد وهو محاصر مدينة باغاية وقد كاد يفتحها . فلما قرب منه هرب ابو يزيد . وجعل كلما قصد موضعًا يتحصن فيه سبقه اليه المنصور حتى وصل طنبة فوصلت رسل محمد بن خزر الزناتي من اصحاب ابي يزيد الى المنصور

بطنبة يطلب الامان فأمنه المنصور وأمره ان يرصد ابا يزيد . ففر الى بلاد السودان
ثم جمع جمعاً وعاد بهم يعيث في البلاد بالفساد وما زال هذا حاله يقاتل فيهزم و يفر
ثم يرجع الى ان كانت سنة ٣٣٦ هـ وفيها قتل ابا يزيد أحد اصحابه واحضر
رأسه للمنصور . فشكر المنصور الله على هذه المنة . ورجع الى القيروان
فدخلها في شهر رمضان سنة ٣٣٦ هـ . وفي سنة ٣٣٦ هـ انتقض حميد بن بضابتين
عامل المغرب وانحرف عن طاعة الشيعة ودعى للاموية بالاندلس وزحف الى
تاهرت فحاصرها . فنهض اليه المنصور وجاء الى سوق حمزة فاقام به وحشد زيري
ابن مناد جموع صنهاجة من كل ناحية ورحل مع المنصور فاخرج حميد عن تاهرت
وعقد عليها ليعلي بن محمد اليفرني وعقد لزيري بن مناد على قومه وعلى سائر
بلادهم . ثم رحل لقتال لواتة فهربوا الى الصحراء فرجع المنصور الى القيروان بعد
أن خلع على زيرى بن مناد وعماله ودخل المنصورية في جمادى سنة ٣٣٦ هـ .
ثم بلغه ان فضل بن ابي يزيد جاء الى جبل أوراس وداخل البربر في الثورة .
فخرج اليه المنصور فهرب فضل الى الصحراء ورجع المنصور الى القيروان ثم الى
المهدية . ورجع فضل بن ابي يزيد بعد ان كثرت جموعه فحاصر مدينة باغاية
فغدر به احد اصحابه وبعث برأسه الى المنصور

وفي سنة ٣٣٩ هـ عزل المنصور خليل بن اسحق عن صقلية وولاها للحسين
بن علي ابن ابي الحسين الكلبي فكان له فيها ولبنيه ملك سنذكره ان شاء الله تعالى

وفي سنة ٣٤١ هـ توفي المنصور اسمعيل بن القائم بأمر الله نزار بن عبيدالله
المهدي سلخ شوال وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوماً . وكان خطيباً
بليغاً يخترع الخطبة لوقته . واحواله مع ابي يزيد الخارجي وغيره تدل
على شجاعته وتعقله .

١٥٢ - المعز لدين الله بن المنصور

من سنة ٣٤١ — ٣٦٥ ﻫ او من سنة ٩٥٢ — ٩٧٥ م

لما توفي المنصور قام بالامر بعده ابنه معد وتلقب المعز لدين الله فاستقام امره . وفي سنة ٣٤٢ﻫ خرج الى جبال اوراس (جبل في افريقية كان يلتجي اليه كل نازع او خارج) وجالت فيه عساكره واستأمن اليه بنو كملان ومليلة من هوارة ودخلوا في طاعته فأمنهم واحسن اليهم . واتسعت مملكته المعز من ايفكان خلف تاهرت بثلاث مراحل الى زناتة دون مصر . وكان عماله على الايالات يعلى بن محمد اليفرني على تاهرت وايفكان . وزيري بن مناد الصنهاجي على اشير واعمالها . وجعفر بن علي الاندلسي على المسيلة واعمالها وقيصر الصقلي على باغاية واعمالها واحمد بن بكر بن ابي سهل على فاس ومحمد بن واسول المكناسي على سجلماسة . واستوزر ابا الحسن جوهرًا الصقلي فعظم امره وعلا محله . وفي سنة ٣٤٧ ﻫ بلغ المعز ان يعلي بن محمد اليفرني داخل الاموية بالاندلس وان اهل المغرب الاقصى نقضوا طاعته . فارسل المعز وزيره جوهرًا الصقلي في جيش كثيف، ومعه جعفر بن علي عامل المسيلة وزيري بن مناد عامل اشير وغيرهما وتلقاهم يعلي بن محمد الزناتي (غير اليفرني) عامل المغرب الاوسط . فلما سار جوهر عنه وقعت فتنة في المغرب الاوسط واتهم فيها يعلي بن محمد الزناتي فقبض عليه وناشته سيوف كتامة لحينه وخرب ايفكان واسر ابنه يدو بن يعلي . وتمادوا الى فاس ثم تجاوزوها الى سجلماسة فاخذها وتقبض على الشاكر لله محمد بن الفتح الذي تلقب بامير المؤمنين من بني واسول وولى ابن المعتز من بني عمه مكانه ودوّخ المغرب حتى شواطئ المحيط ثم رجع الى فاس وحاصرها وواليها يومئذ احمد بن بكر بن ابي سهل الجذامي وقاتلها مدة فامتنعت عليه فقام زيري بن مناد واختار بعضًا من شجعانه وامر ان ياخذوا السلاليم وقصدوا البلد فصعدوا الى السور الادنى وقتلوا من عليه وفتحوا الابواب واهل فاس غافلون فركب جوهر في العساكر ودخل فاسًا واختفى عاملها وأخذ بعد يومين وجعل مع عامل سجلماسة فوضعهما في قفصين وحملهما الى المعز بالمهدية . وضم تاهرت الى زيري بن مناد

وفي سنة ٣٥٨ ﻫ سير المعز لدين الله القائد جوهرًا في جيش كثيف الى مصر لفتحها . والسبب في ذلك ان المعز ما فتئ مذ جلوسه على دست الخلافة يمد سطوته في

القطر المصري وقد حاول افتتاحه غير مرة ولم يفز حتى اذا كان الخلاف بين ابي الحسن علي الاخشيد وكافور اغتنم الفرصة وسير جنوده الى الديار المصرية ووافق ما في نفس المعز وقوع الغلاء والقحط بارض مصر غلاءً فاحشاً . فلما علم المعز بكل ذلك وهو بافريقية سير جوهرًا اليها . فلما اتصل خبر مسيره الى العساكر الاخشيدية بمصر هربوا عنها جميعهم قبل وصوله . فوصلها جوهر سابع عشر شعبان من سنة ٣٥٨ ﻫ واقام الدعوة للمعز بمصر في الجامع العتيق في شوال وازال الشعار الاسود العباسي والبس الخطباء الثياب البيضاء . فبايعه الناس و بعد يسير اصبحت جميع الديار المصرية خاضعة للدولة الفاطمية بدون اقل مقاومة فحرر جوهر لمولاه بما اتاه الله من الفتح . وفي جمادى الاولى سنة ٣٥٩ ﻫ سار جوهر الى جامع ابن طولون وأمر المؤذن فأذن بحي على خير العمل . وكان اول اذان لهم اذن به في مصر وازداد شغف جوهر بمصر حتى ارادها لمولاه مقرًا فعزم على بناء مدينة فيها يجعلها مقرًا لكرسي الخلافة الفاطمية (العبيدية) وعزم على جعلها في المكان حيث اناخ جماله يوم جاء لفتح الفسطاط فاختط بتلك البقعة مدينة القاهرة وجهز ادوات البناء فلما كمل استعداده احضر الفلكيين وامرهم بان يلاحظوا بناء المدينة حتى تكون الساعة التي يرمى فيها اول حجر للقاهرة ساعة سعد فاطاعوه . ووضعوا للبنائين جرساً وقالوا لهم اذا سمعوا صوت الجرس ان يرموا اساس المدينة فجاء غراب ووقف على الحبل المعلق به الجرس فاهتز الحبل ودق الجرس فرمى البناؤون الاحجار في اساسات المدينة فصاح المنجمون « القاهر » اعني المريخ . وطالعه نحس في عرف المنجمين . ولكن كان قد سبق السيف العذل وقيل ان هذا هو سبب تسمية القاهرة بهذا الاسم وقيل في سبب تسمية القاهرة باسمها غير ما ذكرناه كقول بعضهم . أن المعز لما أمر جوهرًا بالمسير الى مصر قال له . انك ستدخل مصر بالاردية من غير حرب وستنزل في خرابات ابن طولون وستبني مدينة تسمى القاهرة تقهر العالم . والله اعلم .

ولما فتحت مصر واخذ بنو طغج الاخشيديون هرب منهم الحسن بن عبد الله ابن طغج الى مكة ومعه جماعة من قوادهم . فلما استشعر جوهر به بعث جعفر بن فلاح الكتامي في العساكر اليه فقاتله مرارًا ثم اسره ومن كان معه من القواد و بعث بهم الى جوهر . فبعث بهم جوهر الى المعز بالمهدية . وكان الحسن الاخشيدي يوم اسر في الرملة . فلما اسره جعفر كما ذكرنا دخل الرملة عنوة واستباحها ثم أمن من بقي وجبى الخراج . ثم سار منها قاصداً طبرية . فلما علم عاملها ابن ملهم بقدومه اقام الدعوة بها للمعز . فسار جعفر عنها الى دمشق فافتتحها عنوة واقام بها الخطبة للمعز لأيام من المحرم سنة ٣٥٩ ﻫ وكان بدمشق الشريف ابو القاسم ابن يعلي الهاشمي فجمع الاوباش والزعار وثار بهم في الجمعة الثانية ولبس السواد واعاد الخطبة للمطيع الخليفة العباسي فقاتلهم جعفر بن فلاح اياماً واولى عليهم الهزائم . وعاثت جيوش المغاربة في اهل دمشق فهرب ابن ابي يعلي ليلاً من البلد واصبح اصحابه حيارى فطلبوا الصلح مع جعفر فصالحهم في منتصف ذي الحجة سنة ٣٥٩ ﻫ ثم قبض على الشريف ابي القاسم بن ابي يعلي سنة ٣٦٠ ﻫ وبعث به الى مصر واستقام ملك دمشق لجعفر بن فلاح

وكان قد خرج بافريقية سنة ٣٥٨ ﻫ ابو خزر الزناتي واجتمعت اليه جموع من البربر والنكارية فخرج اليه المعز بنفسه وانتهى الى باغاية . فافترقت جموع ابي خزر وسلك الاوعار . فعاد المعز الى المنصورية بعدان أمر بلكين بن زيري بالمسير في طلبه فسار لذلك حتى انقطع عنه خبرهُ . ثم جاء ابو خزر مستأمناً سنة ٣٥٩ ﻫ فقبله المعز واجرى عليه رزقاً كثيراً . وفي هذه الاثناء وصلت رسل جوهر الى المعز باقامة الدعوة له بمصر والشام ويدعوه المسير اليه ففرح المعز فرحاً شديداً أظهره لكافة الناس . فنطق الشعراء بامتداحه

وفي سنة ٣٦٠ ﻫ وصل القرامطة الى دمشق وملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح ثم ساروا الى الرملة وملكوها وازالوا عنها المغاربة . فسار المغاربة الى يافا وتحصنوا بها . ثم سار القرامطة الى الديار المصرية بعد ان تركوا من اصحابهم من يحاصر

يافا . ودارت بينهم و بين جوهر القائد الحرب فانتصروا في اغلبها أولاً ثم دارت عليهم الدائرة فانهزموا وملك المغاربة معسكرهم ونهبوه فاضطروا الى الرحيل للشام فنزلوا الرملة ثم اتحدوا مع الذين يحاصرون يافا وشددوا عليها الحصار فارسل جوهر شرذمة من جيشه في خمسة عشر مركباً مدداً لاصحابه المحصورين بيافا فالتقتهم مراكب القرامطة فاخذوا مراكبهم . ولم ينج منها غير مركبين فغنمها مراكب الروم . وللحسين بن بهرام مقدم القرامطة شعر منهُ في المغاربة اصحاب المعز لدين الله .

زعمت رجال الغرب اني هبتها ... فدمي اذاً ما بينهم مطلول

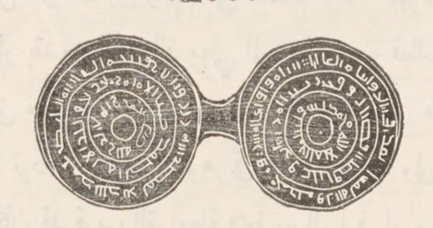
يا مصر ان لم اسقِ ارضك من دم ... يروي ثراكِ فلا سقاني النيل

وفي اواخر سنة ٣٦١ ﻫ تم بناء مدينة القاهرة فكتب جوهر الى المعز بذلك . فسار المعز في اواخر شوال من هذه السنة وركب البحر الى جزيرة سردينيا ومنها الى صقلية (سيسليا) فصرف فيها بضعة اشهر يتفقد احوالها . ثم سار منها الى طرابلس الغرب ومنها الى الاسكندرية فدخلها في شعبان سنة ٣٦٢ ﻫ وكان قد استخلف على المغرب بلكين يوسف بن زيري ودخل المعز القاهرة في خامس رمضان سنة ٣٦٢ ﻫ فكانت مقر ملكه ومقر ملك الخلفاء الفاطميين من بعده الى آخر دولتهم . وبعد ان استقر المقام للمعز بالقاهرة والتقاه اعيانها وعوامها وسلموا عليه وهنأوه بسلامة الوصول وعادت المياه الى مجاريها التفت المعز الى ما يهدد دولته من امر القرامطة فكتب الى الحسين بن بهرام كبير القرامطة المعروف بالاعصم يتلطف اليه وبالغ في وعظه وتهديده . فاساء الرد وكتب اليه : وصل كتابك الذي قل تحصيله وكثر تفصيله ونحن سائرون اليك والسلام : وسار الاعصم ومن معه من القرامطة من الاحساء الى مصر ونزل عين شمس في عساكره . واجتمع اليه جنود الاخشيدية وغيرهم واتحد معه حسان بن الجراح في جموع عظيمة من طي . وبث سراياه في البلاد فعاثوا فيها . فاهم المعز شأنه فراسل ابن الجراح واستماله بمائة الف دينار على ان ينهزم على القرامطة واستحلفوه على ذلك .

وخرج المعز بعساكره ليوم عينوه لذلك فانهزم ابن الجراح بالعرب وثبت القرامطة قليلا ثم انهزموا وساروا الى الاحساء فجرد المعز القائد ابا محمود في عشرة الاف فارس وسار في اتباعهم . و بعث المعز القائد ظالم بن موهوب العقيلي والياً على دمشق فدخلها وكان العامل بها من قبل القرامطة ابو اللجا وأبنه في جماعة منهم فحبسهم ظالم واخذ اموالهم . ورجع القائد ابو محمود من اتباع القرامطة الى دمشق فتلقاه ظالم وسر بقدومه وسأله المقام بظاهر دمشق حذراً من القرامطة ففعل وسلمه ابا اللجا وابنه فبعث بهم الى مصر فحبسا بها . وعاث المغاربة من جيش محمود في دمشق فهاج اهلها وثاروا فهزمهم محمود في اخر سنة ٣٦٤ هـ ثم وقع الصلح بينهم على اخراج ظالم من البلد وولاية جيش بن الصمصامة ابن اخت محمود فسكن الناس اليه . ثم رجع المغاربة الى العيث وعاد العامة بدمشق الى الثورة وقصدوا القصر الذي فيه جيش فهرب ولحق بالعسكر . وزحف الى البلد فقاتلهم واحرق ما كان بقي وقطع الماء عن البلد فضاقت الاحوال و بطلت الاسواق . وعلم المعز بذلك فانكر على ابي محمود هذا الفعل واستعظمه و بعث الى ريان الخادم في طرابلس يأمره بالمسير الى دمشق لاستكشاف حالها وان يصرف القائد ابا محمود عنها . فصرفه الى الرملة و بعث الى المعز بالخبر . واقام بدمشق الى ان وصل افتكين (ويقال هفتكين) وكان افتكين هذا من موالي عز الدولة بن بويه . ولما ثار الاتراك على ابنه بختيار مع سبكتكين ومات سبكتكين قدمه الاتراك عليهم وحاصروا بختيار بواسط وجاء عضد الدولة لانقاذه فأجفلوا عن واسط فتركوه ببغداد . وسار افتكين في طائفة من الجند الى حمص فنزل قريباً منها . وقصده ظالم بن موهوب ليقبضه فعجز عنه . وسار افتكين فنزل بظاهر دمشق وبها زياد خادم المعز وقد غلب عليه وعلى اعيان البلد الاحداث والاوباش فلم يملكوا معهم امر انفسهم . فخرج الاعيان الى افتكين وسألوه الدخول اليهم ليولوه وشكوا اليه حال المغاربة وما يحملونهم عليه من عقائد الرفض وما انزل بهم عمالهم من الظلم والعسف فأجابهم الى ذلك بعد أن استحلفهم على طاعته فملك البلد واخرج

منها زياد الخادم وقطع خطبة المعز العلوي وخطب للطائع العباسي . وقمع اهل الفساد ودفع العرب عما كانوا استولوا عليه من الضواحي واستقل بملك دمشق . وكاتب المعز بطلب طاعته وولايتها من قبله فلم يثق به ورده وتجهز لقصده بعساكره فلما نزل بلبيس مات فيها

وفي يوم الجمعة ١١ ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ توفي المعز لدين الله بمعسكر بلبيس بعد ان ملك اربعاً وعشرين سنة معظمها في المغرب



ش ١٦ نقود المعز لدين الله (نقلا عن تاريخ مصر الحديث)

١٥٣ – العزيز بن المعز

من سنة ٣٦٥ – ٣٨٦ هـ او من سنة ٩٧٥ – ٩٩٦ م

لما توفي المعز لدين الله قام بالامر بعده ابنه نزار وتلقب بالعزيز بالله . وكتم موت ابيه الى عيد النحر من السنة (٣٦٥ هـ) فصلى بالناس وخطبهم ودعا لنفسه وعزى بأبيه . واقر يعقوب بن كلس وزير ابيه على وزارته واقر بالكسين بن زيري على ولاية افريقية واضاف اليه طرابلس وسرت وجرابية وكانت لعبد الله ابن يخلف الكتامي . وكان أهل مكة والمدينة قد خطبوا للمعز ابيه في الموسم فلما توفي المعز لم يخطبوا للعزيز . فبعث جيوشه الى الحجاز فحاصروا مكة والمدينة وضيقوا على اهلها حتى رجعوا الى دعوتهم وخطب للعزيز بمكة . ولما توفي المعز قام افتكين (الذي ذكرنا خبر امتلاكه دمشق) وقصد البلاد التي لهم

بساحل الشام فحاصر صيدا وفيها ابن الشيخ في رؤوس المغاربة وظالم بن موهوب العقيلي فبرزوا اليه وقاتلوه فهزمهم وأوقع بهم . وسار الى عكا وحاصرها ثم سار الى طبرية وفعل فيها مثل صيدا فارسل اليه العزيز جيشاً بقيادة جوهر . فسار الى دمشق وحاصرها . فاستنجد أفتكين بالاعصم ملك القرامطة فانجده . فعلم جوهر بذلك فبنى على معسكره سوراً وحفر خندقاً عظيماً وجعل له أبواباً . واجتمع افتكين برجاله لقتال جوهر وطال الاخذ والرد الى ١١ ربيع الاول سنة ٣٦٦ هـ وحين ذاك اختل امر افتكين وعزم على اغتنام فرصة للهرب ولكنه عاد واستظهر ووردت الاخبار بقدوم احمد القرمطي الى دمشق . فطلب جوهر الصلح على ان يرحل عن دمشق من غير ان يتبعه احد . ففرح افتكين لهذا الفرج غير المنتظر واجاب طلبه بلا تردد . فرحل جوهر في ٣ جمادى الاولى وجد في المسير الى ان بلغ طبرية . وكان قد قرب القرامطة فتعقبوه اليها فسار منها الى الرملة . فبعث القرامطة بسرية كان لها مع جوهر واقعة قتل فيها جماعة من العرب . ثم طال الكفاح حتى سار جوهر منهزماً الى عسقلان فغنم افتكين شيئاً كثيرا من معسكره وتعقبه الى عسقلان وحاصره بها فلما ضاق الامر بجوهر طلب الصلح من افتكين على مال يحمله اليه . ولما تقرر الصلح سار جوهر من عسقلان حتى وصل الى مصر وحض العزيز على المسير بنفسه لقتال افتكين والقرامطة . فتجهز في العساكر وسار وعلى مقدمته جوهر . وكان افتكين والقرمطي رجعا الى الرملة . فسار اليها العزيز واصطفوا للحرب في محرم سنة ٣٦٧ هـ فلم يكن الا قليلاً حتى انهزم جيش افتكين وهرب هو على فرس بمفرده . فجعل العزيز لمن جاء به مائة الف دينار فلقيه المفرج ابن دغفل الطائي فاسره واحضره الى العزيز . فاكرمه العزيز ووصله ونصب له الخيام واعاد اليه مانهب منه ورجع به الى مصر فجعله اخص خدمه وحجابه . وما زال افتكين يرتقي في ظل العزيز الى ان توفي سنة ٣٧٢ هـ وقيل ان الوزير يعقوب ابن كلس سمه حسداً منه فاعتقله العزيز مدة ثم اطلقه لان التهمة لم تثبت عليه

وكان افتكين قد استخلص ايام ولايته بدمشق رجلاً اسمه قسام فعلا صيته

وكثر تابعوه واستولى على البلد . ولما انهزم افتكين والقرامطة بعث العزيز القائد ابا محمود بن ابرهيم والياً على دمشق فوجد فيها قساماً قد ضبط البلد وهو يدعو للعزيز فلم يتم له معه ولاية . وفي سنة ٣٦٨ ﻫ هرب أبو تغلب صاحب الموصل من وجه اخيه عضد الدولة بن حمدان وسار الى دمشق فمنعه قسام من الدخول اليها فسار عنه الى طبرية . وجاءت عساكر العزيز مع قائده الفضل فحاصروا قساماً في دمشق ولم يظفروا به فرجعوا

وكان مفرج بن الجراح امير بني طيء وسائر العرب باراضي فلسطين قد كثرت جموعه وقويت شوكته وعاث في البلاد وخربها فارسل اليه العزيز جيشاً بقيادة بلتكين وذلك سنة ٣٧٢ ﻫ فوصلوا الى فلسطين وقاتلوا ابن الجراح حتى هزموه وشتتوا شمله . ثم سار بلتكين الى دمشق فقاتله قسام المذكور المتولي عليها فانتصر بلتكين عليه وملك دمشق واسر قساماً وارسله الى العزيز بمصر وزالت الفتن

وفي سنة ٣٧٣ ﻫ استوحش بكجور من مولاه أبي المعالي صاحب حلب فكاتب العزيز صاحب مصر وسأله في ولاية دمشق وصادف ذلك ان المغاربة بمصر أجمعوا على عزل الوزير ابن كاس ودعت الضرورة الى استقدام بلتكين من دمشق . فكتب العزيز لى بلتكين بالقدوم الى مصر وأمره ان يستخلف على دمشق بكجور المتقدم ذكره ففعل . فاقام بكجور عاملاً على دمشق وأساء السيرة فيها . وفي سنة ٣٧٨ ﻫ سير العزيز عسكراً مع القائد منير الخادم الى دمشق ليعزل بكجور ويتولاها . فلما قرب منها خرج بكجور عليه وقاتله عند داريا ثم انهزم بكجور وطلب الامان فاجابه منير الى ذلك . فسار بكجور الى السرقة واستولى عليها . واستقر منير في ولاية دمشق واحسن السيرة في اهلها

وفي سنة ٣٨٦ ﻫ توفي العزيز بالله بن المعز لدين الله بمدينة بلبيس وكان قد برز اليها لغزو الروم وكانت خلافته احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصف شهر . وقيل انه كان قد ولى رجلاً نصرانياً يقال له عيسى بن نسطوروس كتابته واستخلف بالشام رجلاً يهودياً اسمه ميشا . فاستطالت النصارى واليهود بسببهما على المسلمين

فتقدمت اليه امرأة في حاجة لها وقالت له . بالذي اعز النصارى بعيسى واليهود بميشا واذل المسلمين بك أما كشفت عن ظلامتي . فعند ذلك أمر بالقبض على هذين الشخصين وصادرهما



ش١٧ نقود العزيز بالله (نقلا عن تاريخ مصر الحديث)

١٥٤ - الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله

من سنة ٣٨٦ - ٤١١ هـ او من سنة ٩٩٦ - ١٠٢٠ م

ولما توفي العزيز بالله قام بالامر بعده ابنه المنصور أبو علي فبويع ولقب الحاكم بأمر الله وكان سنه عند ولايته احدى عشرة سنة فكان الوصي عليه الوزير ارجوان وتقدم الحسن بن عمار شيخ كتامة وسيدها وحكم في دولته واستولى عليها وتلقب بامين الدولة . وهو اول من تلقب في دولة الفاطميين فقويت كتامة به وعاثوا في مصر فساداً وامتدت سلطته الى الشام وكثر انصاره فيها . وما زال كذلك حتى حدث في الشام ما اضطره لارسال اصحابه اليها فانتهز ارجوان هذه الفرصة وقاتل امين الدولة وانتصر عليه فاستأمن اليه فامنه واعتدل في سيره . ثم ثقل ارجوان على الحاكم فوضع له الحاكم من قتله سنة ٣٨٩ هـ ثم قتل الحسن امين الدولة أيضاً واستراح منهما . واستعمل الحاكم مكان ارجوان الحسين بن جوهر ولقبه قائد القواد وفي سنة ٣٩٧ هـ خرج على الحاكم بمصر رجل ادعى انه اموي من نسل هشام بن عبد الملك يسمى ابا كورة (لحمله ركوة على كتفه) وامر بالمعروف

ونهى عن المنكر وكثر جمعه وملك برقة وجهز اليه الحاكم جيشاً فهزمه ابو ركوة وغنم ما في ذلك الجيش وقوي به وسار الى الصعيد واستولى عليه . فعظم ذلك على الحاكم كثيرًا فاحضر عساكر الشام وغيرها وجند منهم جيشاً كثيفاً وسيره بقيادة فضل بن عبدالله لقتال ابي ركوة . وبعد قتال شديد انتصر جيش الحاكم وهربت جموع ابي ركوة وأخذ هو اسيرًا فقتله الحاكم وصلبه وطيف برأسه

وبعد قليل اصيب الحاكم بمرض في عقله لم يفارقه حتى فارقته الحياة وتاريخه في هذه المدة من وقت اصابته بالمرض الى موته من المضحكات المبكيات وسنذكر بعضاً من اخباره في هذه المدة ليطلع عليها القارىء الكريم ويقول مع القائلين ان الجنون فنون فمن ذلك . أنه يدعي أنه مسلم وله احقية الخلافة والزعامة الدينية الاسلامية فلما ظهر درار (صاحب مذهب الدرارية) واظهر مذهبه وتبعه جماعة ثم مات وقام بأمر هذا المذهب بعده حمزة بن احمد الملقب بالهادي وسن الشرائع وعلم التعاليم المخالفة كل المخالفة لروح القرآن . افتتن الحاكم بهذا الدين الجديد وجاهر بانكار الاسلام وسب الصحابة وسعى في ابطال الديانة الاسلامية واقامة ديانة جديدة فخبطت مساعيه . فاحتقرته الرعية احتقاراً شديدًا الجأه أن يتظاهر بنصرة الديانة الاسلامية فاضطهد النصارى واليهود والزمهم أن يحملوا على ثيابهم علامة تميزهم من المسلمين . وأمرهم بشد الزنار ولبس الغبار . وان يحمل اليهودي اذا دخل الحمام جرساً والمسيحي صليباً من الخشب طوله ذراع في مثله ووزنه خمسة ارطال وان يكون مكشوفاً ليراه الناس . ومنعهم من ركوب الخيل وان يركبوا البغال والحمير بسروج الخشب والسيور السود وأن لا يستخدموا مسلماً وأن لا يشتروا عبدًا ولا امة . وتتبع اثارهم في ذلك فاسلم منهم عدة

واغرب من ذلك اوامره المتناقضة التي تدل على اضطراب في الفكر وعدم تعقل فمرة امر بترك صلاة التراويح وقتل كل من جاهر بها ثم عاد وأمر بأقامتها . وأمر بهدم كنيسة القيامة ثم عاد فبناها على نفقته الخاصة . وبنى مدارس كثيرة وجعل فيها الفقهاء والمشائخ ثم قتلهم وخربها . وأمر الناس باغلاق الاسواق

نهاراً وفتحها ليلاً فاطاعوا مدة ثم رجع وأمرهم باقفال الاسواق ليلاً . ومنع النساء من الخروج من بيوتهن وهدم بعض الحمامات عليهن . ومنع من اكل الملوخيا وغير ذلك كثير مما لا يدخل تحت حصر . ثم تمادى في الادعاء حتى ادعى الالوهية وفتح سجلاً يكتب فيه اسماء الذين يسلمون له بذلك فكان عدد من كتبوا اسماءهم ١٧,٠٠٠ من أهل القاهرة . فكان هذا الحاكم بأمر الله (وكان الاولى أن يقال الحاكم بهواه) حملاً ثقيلا على عاتق رعيته

وفي سنة ٤١١ هـ خرج الحاكم يطوف ليلا في جبل المقطم وكان قد اعتاد ذلك ثم افتقد ولم يرجع واقاموا اياماً في انتظاره ثم خرج اعيان دولته مفتشين عليه فوجدوا حماره مقطوع اليدين واتبعوا اثره الى بركة الحبش فوجدوا ثيابه مزررة وفيها عدة طعنات بالسكاكين فايقنوا بقتله . وقيل في سبب قتله أنه اوحش اخته المسماة ست الملك وتهددها بالقتل فارسلت الى قائد من قواده اسمه ابن دواس وأغرته بقتله وهونته عليه ووعدته بان يكون مدبر الدولة وانها تزيد في أقطاعه مائة الف دينار فاقام رجلين وأعطتهما هي الف دينار ومضيا الى الجبل حيثما كان الحاكم منفرداً وقتلاه . وبعد موته امرت ست الملك خادمها بقتل ابن دواس فقتله وهو يصيح بثأر الحاكم . وقيل أنه قبض على رجل من بني حسين سنة ٤١٥ هـ فأقر أنه قتل الحاكم في جملة اربعة أنفس تفرقوا في البلاد واظهر قطعة من جلدة رأسه وقطعة من الفوطة التي كانت عليه فقيل له لما قتلته . قال غيرة لله وللاسلام . فقيل له كيف قتلته . فاخرج سكيناً ضرب بها فؤاده قائلاً . هكذا قتلته ووقع مقتولاً والله اعلم

والاغرب من ذلك أن اصحاب الحاكم ينكرون موته ويقولون أنه اختفى في بستان داخل سرداب وأنه لم يزل حياً وسوف يأتي في آخر الزمان . وفي وادي التيم وجبل لبنان وغيرهما من بلاد الشام الى يومنا هذا قوم يدعون الدروز يعتقدون خروج الحاكم ولهم كتب يتدارسونها في ما بينهم ويعتقدون أنه لا بد أن يعود ويمهد الارض



ش ١٨ نقود الحاكم بامر الله (نقلا عن تاريخ مصر الحديث)

١٥٥ – الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله

من سنة ٤١١ – ٤٢٧ هـ أو من سنة ١٠٢٠ – ١٠٣٥ م

لما توفي الحاكم بامر الله قام بالامر بعده ابنه ابو الحسن علي بن منصور وتلقب الظاهر لاعزاز دين الله وكان سنه عند مبايعته لا يتجاوز سبع سنين فقامت عمته ست الملك بتدبير المملكة الى أن توفيت بعد اربع سنين . فاقام بتدبير الدولة الخادم معضاد وتافر بن الوزان وولى وزارته ابا القاسم علي بن احمد الجرجراي وفي خلال ذلك تغلب صالح بن مرداس من بني كلاب على حلب وعاث بنو الجراح في نواحيه فبعث الظاهر سنة ٤٢٠ هـ قائده الوزيري والي فلسطين في العساكر واوقع بصالح بن مرداس وقتل صالحا وابنه وملك دمشق وملك حلب من يد شبل الدولة نصر بن صالح وقتله . وفي سنة ٤٢٧ هـ توفي الظاهر لاعزاز دين الله وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر واياماً وكانت له مصر والشام والخطبة له بافريقية . وكان جميل السيرة حسن السياسة منصفاً للرعية الا أنه مشتغل بلذاته محب للدعة والراحة



ش ١٩ نقود الظاهر لاعزاز دين الله « نقلا عن تاريخ مصر الحديث »

١٥٦ – المستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله

من سنة ٤٢٧ – ٤٨٧ هـ أو من سنة ١٠٣٥ – ١٠٩٤ م

لما توفي الظاهر لاعزاز دين الله قام بالامر بعده ابنه ابو تميم معد ولقب المستنصر بالله وقام بامره وزير ابيه أبو القاسم علي بن أحمد الجرجراي وكان بدمشق الوزيري واسمه اقوش تكين وكانت البلادقد صلحت على يديه لعدله ورفقه وضبطه وكان الوزير الجرجراي يحسده ويبغضه وكتب اليه بابعاد كاتبه ابي سعيد فلم يجب الوزيري الى ذلك واستوحش وجاء جماعة من الجند الى مصر في بعض حاجاتهم فداخلهم الجرجراي في التوثب به ودس معهم بذلك الى بقية الجند بدمشق فتغلبوا عليه . فخرج الى بعلبك سنة ٤٣٣ هـ فمنعه عاملها من الدخول فسار الى حماة فمنع أيضاً فقوتل وهو في خلال ذلك ينهب فاستدعى بعض أوليائه من كفر طاب فوصل اليه في الفي رجل وسار الى حلب فدخلها وتوفي بها في جمادى الاخرى من هذه السنة . وفسد بعده امر الشام وطمع العرب في نواحيه . وولي الجرجراي على دمشق الحسين بن حمدان فكان قصاري امره منع الشام وملك حسان بن المفرج فلسطين . وزحف معز الدولة بن صالح الكلابي الى حلب فملك المدينة وامتنع عليه اصحاب القلعة و بعثوا الى مصر للنجدة فلم ينجدهم فسلموا القلعة لمعز الدولة بن صالح المرداسي فملكها

وفي سنة ٤٣٤ هـ ظهر بمصر رجل ادعى انه الحاكم بأمر الله قام من الاموات وساعده على هذا الادعاء ما كان بينه وبين الحاكم من المشابهة فتبعه جمع كثير ممن يعتقد رجعة الحاكم واغتنموا خلو دار الخليفة من الجند فقصدوها مع هذا المدعي ولما مثلوا امام القصر المستنصر صاحوا هو ذا الحاكم . فقاتلهم من كان باقياً من الجند في القصر حتى قتلوهم عن آخرهم وقتل المدعي أيضاً

وفي سنة ٤٤٠ هـ قطع المعز باديس صاحب افريقية خطبة المستنصر الفاطمي وخطب للقائم بأمر الله العباسي فكتب اليه المستنصر يهدده فاغلظ المعز في الجواب

وكان المستنصر قد استوزر الحسن بن علي اليازوري ولم يكن من اهل الوزارة فاحتقره المعز ولم يخاطبه كما كان يخاطب الوزراء قبله لانه كان قد اعتاد ان يخاطبهم بعبده فلان اما الحسن فخاطبه بصنيعته فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع فاغرى به المستنصر . واذ كانت الحرب قائمة بين زغبة ورياح من بطون هلال فاجتهد الحسن في اصلاح احوالهم اولاً . ثم اطمعهم فى أفريقية واعطاهم امتيازاً ترغيباً للمسير اليها ان يملكوا كلما يفتحونه فقبلوا هذا الشرط وساروا الى برقة فوجدوها خالية لان المعز بن باديس كان أباد اهلها من زناتة . فنزل العرب برقة واستوطنوها واحتقر المعز أمرهم واشترى العبيد واستكثر منهم حتى اجتمع له منهم نحو ثلاثين الفاً

وفي سنة ٤٤٦ هـ زحف بنو زغبة الى طرابلس فملكوها وجازت رياح و بنو عدي الى افريقية وعاثوا فيها فاحتار المعز في أمرهم لانه استمالهم واكرمهم فلم يغن ذلك فتيلاً فاستعد لقتالهم وجهز جيشاً مؤلفاً من ثلاثين الف مقاتل ومع ان العرب لم يكونوا اكثر من ثلثة الاف رجل لكنهم بشجاعة قائدهم مؤنس بن يحيى هزموا عساكر المعز مراراً وملكوا مدينة باجة وضيقوا على اهل القيروان فأمرهم المعز بالانتقال الى المهدية للتحصن بها وولى عليها ابنه تميماً ثم انتقل اليها هو سنة ٤٤٩ هـ وانطلقت ايدي العرب على القيروان بالنهب والتخريب وعلى سائر الحصون والقرى كما سنذكره في اخبارهم ان شاء الله

وفي سنة ٤٤٤ هـ عمل محضر ببغداد يتضمن القدح في نسب العلو بين اصحاب مصر وانهم كاذبون في ادعائهم النسب الى الامام علي وفيها خطب علي بن محمد امير اليمن للمستنصر في الصلاة وارسل اليه الهدايا

وفي سنة ٤٥٠ هـ خطب البساسيري للخليفة المستنصر ببغداد . ثم قطعت الخطبة بها بملك السلجوقية لها وقتل البساسيري وكانت والدة المستنصر قد استولت في مصر على الامر فضعف أمر الدولة وصارت العبيد حزباً والترك حزباً . وكان ناصر الدولة ابن حمدان من اكبر قواد مصر فاجتمعت اليه الاتراك وجرى بينهم و بين العبيد عدة وقائع وحصر ناصر الدولة مصر وقطع الميرة عنها فغلت الاسعار بها وفرغ ما

كان بخزائن المستنصر . ثم استولى ناصر الدولة على مصر وانهزمت العبيد واستبد ناصر الدولة بالحكم وقبض على والدة المستنصر وصادرها بخمسين الف دينار . وتفرق عن المستنصر أولاده واهله حتى قعد على حصيرة . وعزم ناصر الدولة على قطع خطبة المستنصر والخطبة للخليفة القائم العباسي . فعلم بقصده قائد كبير من الاتراك اسمه الدكز فاتفق مع جماعة وقتلوا ناصر الدولة واقاربه في مصر عن آخرهم وكان ذلك سنة ٤٦٥ هـ وبقيَ الامر مضطرباً في مصر حتى سنة ٤٦٧ هـ وفيها استدعى المستنصر بدر الجمالي وكان متولياً سواحل الشام وشكى اليه حاله واختلال دولته . فقتل الدكز والوزير ابن كنيدة وغيرهما من الامراء والقواد . واقام منار الدولة وشيد ما كان قد درس واصلح الاسكندرية ودمياط وسار الى الصعيد وقهر المفسدين وعادت مصر الى احسن ما كانت عليه وسعى جهده في سعادة الاهالي لينسيهم ما قاسوه طويلاً فنشط الزراعة وأباح الارض للمزارعين ثلاث سنين حتى اغتنى الفلاج . وبقيت مصر بعد ذلك مدة عشرين سنة لم يحدث فيها ما يهم التاريخ ذكره ولا يخفى ان اقل الامم ذكراً في التاريخ أسعدها حالاً . اما سوريا فان الامير يوسف الخوارزمي (اختلف المؤرخون في اسمه فقال بعضهم اتسز وقال بعضهم افسيس وقال بعضهم انسز وقال بعضهم أقسس وهو الاصح لانه اسم تركي وحيث انه تلقب بيوسف فسنذكره كلقبه) من أمراء ملك شاه السلجوقي اغتنم فرصة غياب بدر الجمالي عنها فتقدم اليها واستولى على دمشق سنة ٤٦٨ هـ وفي سنة ٤٦٩ هـ سار يوسف الخوارزمي من دمشق الى مصر وحصرها وضيق على اهلها حتى كاد يملكها ولكن قوي المصريون عليه فهزموه وقيل عاد بغير قتال وهلك جماعة من اصحابه فوصل الى دمشق فوجد أهلها صانوا مخلفيه وامواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة . ثم سار الى بيت المقدس فرأى اهله قد اهانوا عماله فقاتلهم وفتح المدينة عنوة ونهبها وقتل من اهلها فاكثر حتى قتل من التجأ الى المسجد الاقصى . فأرسل بدر الجمالي أمير الجيوش بمصر عسكراً لطرد يوسف عن الشام . فارسل يوسف الى تتش بن الب أرسلان وكان محاصراً لحلب يستمده على المصريين فسار تتش الى دمشق فلما قرب

منها رحل عنها عساكر المصر بين . وركب يوسف لملتقى تتش بالقرب من المدينة فلامه تتش على تأخره عن الخروج الى القائد وقبض عليه وقتله شر قتلة وملك المدينة وذلك سنة ٤٧١ هـ واستولى السلجوقية على الشام اجمع . وفي سنة ٤٨٢ هـ زحفت عساكر مصر الى الشام فاسترجعوا مدينة صور من يد أولاد القاضي عين الدولة بن أبي عقيل فولى عليها بدر الجمالي منير الدولة الجيوشي . ثم فتحوا مدينة صيدا ومدينة جميل . وفي سنة ٤٨٦ هـ انتقض منير الدولة عامل صور فأرسل اليه بدر الجمالي أمير الجيوش العساكر فلما علم اهل صور بقدومهم ثاروا به وسلموه لهم فبعثوه الى مصر في جماعة من اصحابه فقتلوا كلهم

وفي شهر ذي القعدة سنة ٤٨٧ هـ توفي بدر الجمالي امير الجيوش بمصر بعد ان حكم فيها عشرين سنة حكماً مطلقاً وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة وتولى الوزارة بعده ابنه شاهين شاه وتلقب بالافضل . وفي ١٨ ذي الحجة سنة ٤٨٧ هـ توفي المستنصر بالله وكانت خلافته ستين سنة واربعة اشهر وعمره سبعاً وستين سنة .

١٥٧ — المستعلي بالله بن المستنصر بالله

من سنة ٤٨٧ — ٤٩٥ هـ او من سنة ١٠٩٤ — ١١٠١ م

كان المستنصر قد عهد بالخلافة من بعده لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع ابنه الثاني احمد الملقب بابي القاسم ولقبه بالمستعلي بالله فهرب نزار الى الاسكندرية وبها ناصر الدولة افتكين مولى بدر الجمالي فبايعه اهل الاسكندرية ولقبوه المصطفى فخطب الناس ولعن الافضل وساعده على ذلك القاضي جلال الدولة وقاضي لاسكندرية فسار اليه الافضل وحاصره بالاسكندرية فعاد عنه مقهوراً . ثم جهز جيشاً اخر وسار الى الاسكندرية مرة اخرى فحاصرهُ وقاتله واخذه اسيراً ومعه

افتكين فقتله واخذ المستعلي نزارًا و بني عليه حائطاً فمات و بموته هدأت الاحوال بمصر . وفي سنة ٤٩١ هـ سار الافضل امير الجيوش الى سوريا لتخليص بيت المقدس من الارتقيين الذين كانوا قد استولوا عليه . فحاصره وكاتب من بهِ من الارتقيين لتركه فلم يقبلوا فضربه بالمنجنيق وهدم سوره وفتحه عنوة وفر الارتقيون الى شرقي سوريا . وفي هذه الاثناء كان الصليبيون قد تقدموا الى الشام وهزموا عساكر المسلمين وقصدوا بيت المقدس في سنة ٤٩٢ هـ (راجع فصل ٥٤) و بعد أن حاصروه افتتحوه عنوة واستباحوا اهله اسبوعاً . ولما بلغت هذه الاخبار الى مصر خاف المستعلي واهل مصر من تقدم الصليبيين اليهم . فجند الفضل امير الجيوش جيشاً جرارًا تحت قيادة سعد الدولة . فسار الجيش حتى التقى بالجيوش الصليبية عند عسقلان وكان الصليبيون غير مستعدين لردهجمات هذه الحملة فانهزموا قليلاً حتى وصلهم المدد ثم هجموا على المصريين هجمة منكرة فشتتوهم شذر مذر ورجعت العساكر المصرية بالخيبة والفشل . وفي يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ توفي المستعلي بالله في القاهرة بعد أن حكم سبع سنوات وشهرين

١٥٨ — الآمر باحكام الله بن المستعلي بالله

من سنة ٤٩٥ — ٥٢٤ هـ او من سنة ١١٠١ — ١١٣٠ م

لما توفي المستعلي بالله وليَ بعده ابو علي المنصور ولقب الآمر باحكام الله . وكان عمره لا يتجاوز ست سنوات فقام بتدبير امور المملكة الافضل امير الجيوش مدبر دولة ابيه وفي سنة ٤٩٧ هـ سير الافضل امير الجيوش ابنه شرف الدولة في عساكر لقتال الصليبيين فقاتلوهم واستردوا منهم الرملة . ثم وقع الاختلاف بين شرف الدولة والعساكر فعاد شرف الدولة الى مصر . فارسل الافضل في سنة ٤٩٨ هـ ابنه سناء الملك حسين في جماعة من الامراء فاتحد مع جمال الملك والي عسقلان وارسلوا الى طغتكين اتابك بدمشق يستمدونه فأمدهم . وتقدمت

عساكر الصليبيين لقتالهم وبعد قتال شديد لم ينهزم احد من الفريقين المتحاربين فعادت عساكر المسلمين الى عسقلان . وفي سنة ٥٠٣ هـ استولى الصليبيون على طرابلس وبيروت وكانت الاولى تابعة للملكة المصرية . وفي سنة ٥٠٤ هـ استولوا على مدينة صيدا أيضاً فتقلص ظل الحكومة المصرية من الديار الشامية ولم يبق في الشام ملك لمصر الا عسقلان التي كان يتلاعب ولاتها على خلفاء مصر تلاعب السنور بالفار فاذا ارادوا قطع الخراج ما عليهم الا ان يراسلوا الافرنج ويطلبوا حمايتهم كما فعل شمس الخلافة في هذه السنة . فلما علم الافضل بتحيز شمس الخلافة للصليبيين ارسل الى قائد الجيوش المصرية بعسقلان باعتقاله متى حضر المعسكر فانقطع شمس الخلافة عن الحضور وجاهر بالعصيان وأستمر كذلك الى آخر سنة ٥٠٤ هـ فثار عليه اهل عسقلان وقتلوه ونهبوا داره وارسلوا بهذه البشارة الى الافضل طالبين منه أن يولي عليهم عاملاً حسن السيرة

وفي سنة ٥١١ هـ خرج بدوين ملك الصليبيين بالشام لافتتاح مصر بجيش عظيم فبلغ مقابل تنيس وسبح في النيل فانتقض جرح كان به فلما احس بالموت عاد بعساكره الى اورشليم . فنجت مصر من غوائل الحروب المهلكة . وعكف الافضل على اصلاح داخلية الديار المصرية فبنى الخليج المعروف باسم ابي المنجا واقام مرصداً بجوار المقطم في بقعة كانت تعرف قديماً بالجرف ثم عرفت بعد ذلك بالمرصد ولكن لما اشتد ساعد الآمر باحكام الله وفهم شيئاً من الامر لم ترق اعمال الافضل في عينيه لاستئثاره بالحكم فثقلت وطأته عليه فشاور الآمر اصحابه في قتله فنهاه بعضهم وشجعه بعضهم واخيراً وضع له من قتله سنة ٥١٥ هـ ونهب داره واعتقل اولاده . وبعد قتله استعمل مكانه ابا عبدالله بن البطايحي ولقبه المأمون فاستبد بالامر اكثر من الافضل فقتله الآمر باحكام الله سنة ٥١٩ هـ وصلبه . وكان الآمر المذكور سيء السيرة مولعاً باللهو والطرب لا يسمع بغانية جميلة لا استدعاها وكان له شغف خصوصي بالجواري البدويات . ومن اقاصيصه أنه بلغه أن في الصعيد جارية من اكمل العرب واظرف نسائهم شاعرة جميلة فيقال انه

تزيا بزي بداة الاعراب وصار يجول في الاحياء الى ان انتهى الى حيها وبات هناك في ضائفة وتحيل حتى عاينها فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وسرير خلافته حتى ارسل الى اهلها يخطبها فاجابوه الى ذلك وزوجوه بها. فلما دخلت قصره صعب عليها مفارقة ما اعتادت عليه واحبت أن تسرح طرفها في الفضاء ولا تقبض نفسها ضمن حيطان المدينة. فبنى لها البناء الذي اشتهر في الجزيرة بالهودج وكان على شاطئ النيل بشكل غريب . الا أن البدوية كانت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح . فكتبت اليه وهي في قصر الخليفة الآمر

يا ابن مياح اليك المشتكى	مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حيي مرأ مطلقاً	نائلاً ماشيئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر موصد	لا ارى الا حبيساً ممسكا
كم تثنينا باغصان اللوا	حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى	حيثما شاء طليق سلكا

(فاجابها)

بنت عمي والتي غذيتها	بالهوى حتى علا واحتنكا
بحت بالشكوي وعندي ضعفها	لوغدا ينفع منا المشتكى
مالك الأمر اليه يشتكى	هالك وهو الذي قد هلكا
شأن داود غدا في عصرنا	مبدياً بالتيه ما قد ملكا

فبلغت الآمر فقال لولا أنه اساء الادب في البيت الرابع لرددتها الى حيه وزوجتها به . وثقلت وطأة الآمر على اهل مصر حتى تحفز الباطنية لقتله . وفي ٢ ذي القعدة سنة ٥٢٤ ه خرج الآمر الى منتزه له فتربص له عشرة من الباطنية وقتلوه وهو عائد الى قصره وكانت خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة اشهر وعمره اربعاً وثلاثين سنة . وكان الآمر طموحاً للمعالي قاعداً عنها وكان يحدث نفسه بالنهوض الى العراق في كل وقت ثم يقصر عنه . وكان يقرض

الشعر قليلاً ومن قوله

اصبحت لا ارجو ولا اتقي　　الا الهي وله الفضل

جدي نبي وامامي ابي　　ومذهبي التوحيد والعدل



ش ٢١　نقود الامر باحكام الله (نقلا عن تاريخ مصر الحديث)

١٥٩ — الحافظ لدين الله بن محمد

من سنة ٥٢٤ — ٥٤٤ هـ او من سنة ١١٣٠ — ١١٤٩ م

لما توفي الامر باحكام الله لم يترك ولداً ذكراً يرث عنه الملك بل ترك جارية له كانت حاملاً فأقام أهل الدولة ابن عمه عبد المجيد بن محمد مدبراً للدولة ونائب الملك فيها حتى تضع جارية الآمر حملها. فوضعت ابنة فبويع عبد المجيد هذا ولقب الحافظ لدين الله فاستوزر احمد بن الافضل بن بدر الجمالي فاستبد بامور الدولة وحجر على الحافظ ولم يدع احداً يقابله الا بأمره ولم يزل كذلك حتى كانت سنة ٥٢٦ هـ وفيها قتل احمد بن الافضل فاستقام امر الحافظ وحكم في دولته بنفسه وتمكن من دولته وبلاده

واستعمل الحافظ على وزارته ابا الفتح يانساً الحافظي فاستبد فاستوحش كل منهما بصاحبه فوضع له الحافظ سماً قتله به سنة ٥٢٦ هـ. وعزم الحافظ بعد قتل يانس ان يخلي دست الوزارة ليستريح من التعب الذي عرض منهم للدولة واجمع ان يفوض الامور الى ولده. وفوض الى ابنه سليمان ومات لشهرين فاقام ابنه الآخر حسناً فحدثته نفسه بالخلافة وداخل الاجناد في ذلك فأطاعوه. وعلم الحافظ بهذا الخبر

فارسل خادماً له قتل كل من وافق ابنه على الانتقاض من القواد . ووضع لابنه من سمه فمات وذلك سنة ٥٢٩ هـ و بعد موت حسن استوزر الحافظ الامير تاج الدولة بهرام وكان من طائفة الارمن فاستعمل الارمن على الناس فاستذلوهم فثارت الاهالي على بهرام بقيادة رضوان بن وحليس صاحب الباب فزاحوه عن القاهرة فهرب الى الصعيد وما زال هذا حاله الى ان قتل سنة ٥٤٣ هـ قتله العبيد بأمر الحافظ وأتوا اليه برأسه . فاخلى الحافظ رتبة الوزارة نهائياً و باشر كل أمور دولته بنفسه

واستراحت مصر من غوائل الصليبيين في كل هذه المدة لاشتغالهم بقتال مسلمي الشام والعراق ولكن ظهر لمصر عدو آخر هو رجار ملك جزيرة صقلية (سيسيليا) فانه بعد ان استرجعها من المسلمين طمحت نفسه في ملك بلادهم فتجهز سنة ٥٤١ هـ وسار الى طرابلس الغرب وملكها . وفي سنة ٥٤٣ هـ استولى على مدينة المهدية مهد الخلافة الفاطمية . ثم تقدم رجار من هناك قاصداً الاسكندرية فارتبك المصريون لهذا النبأ . وفي اثناء ذلك توفي الخليفة الحافظ لدين الله في جمادى الثانية بعلة القولنج . وكان سن الحافظ عند موته ٨٠ سنة ومدة حكمه ١٩ سنة و ٧ اشهر



ش ٢٢ نقود الحافظ لدين الله (نقلا عن تاريخ مصر الحديث)

١٦٠ – الظافر بامر الله بن الحافظ لدين الله

من سنة ٥٤٤ – ٥٤٩ هـ او من سنة ١١٤٩ – ١١٥٤ م

لما توفي الحافظ لدين الله تولى بعده ابنه أبو منصور اسماعيل بعهده اليه بذلك ولقب الظافر بأمر الله فاستوزر ابن مضيال . وكان علي بن السلار واليًا على الاسكندرية وابنه عباس واليًا على الغربية فلم يرضيا بوزارة ابن مضيال فلما علم ابن مضيال بمؤامرتهما ضده شكى أمره للظافر فلم يجد منه تعضيدًا فهرب الى الصعيد لاربعين يومًا من وزارته وقدم ابن السلار الى القاهرة فاستوزره الظافر مع كرهه له وارسل ابنه عباسًا لقتال ابن مضيال فقاتله وقتله واحضر رأسه . (ولم يكن عباس ابن علي بن السلار بل ابن امرأته فاولى ان ندعوه ربيبه وليس ابنه) .

ذكرنا قبلاً انه لم يبق لمصر في الشام الا مدينة عسقلان ففي سنة ٥٤٨ هـ تقدم الصليبيون اليها وحاصروها وشددوا عليها الحصار فاستغاث اهل عسقلان بالظافر وطلبوا منه نجدة فارسل اليهم ابن السلار العساكر بقيادة ربيبه عباس

وكان عباس قد استوحش من ابن السلار واتفق مع بعض قواده على قتله فلما خرج بعساكر مصر الى بلبيس قاصدًا عسقلان أوصى ابنه نصيرًا بقتل ابن السلار فدخل عليه وهو نايم وقتله و بعث برأسه الى الظافر . ولما بلغ عباسًا وهو لا يزال ببلبيس خبر قتل ابن السلار رجع بالعساكر الى القاهرة فاستوزره الظافر

ولما أيس اهل عسقلان من المدد اسلموا انفسهم و بلدهم للصليبيين بعد حصار طويل وكان ذلك كله سنة ٥٤٨ هـ

وكان الظافر كثير اللهو واللعب والتفرد بالجواري واستماع الاغاني وغير ذلك من الامور التي لاتليق بالملوك . وكان نصير بن عباس الوزير من أخص ندمائه فتقول الناس في عشرتهما أقوالاً كثيرة . فاستدعى عباس ابنه نصيرًا وقبح عليه في شناعة الاحدوثة فيه بين الناس واغراه بقتل الظافر ليمحو عنه مايتحدث به الناس فقتله في المحرم سنة ٥٤٩ هـ سرًا ولم يعلم به احد . ولما ظهر مقتل الظافر اراد

عباس ان ينفي عن نفسه وعن ابنه تهمة قتله فأحضر اخوي الظافر وهما جبريل ويوسف وقال لهما انتما قتلتما امامنا ولا نطلب دمه الا منكما . فانكرا كل الانكار ولكنه قتلهما حالاً ظلماً وعدواناً



ش ٢٣ نقود الظافر بامر الله نقلا عن تاريخ مصر الحديث

١٦١ – الفايز بالله بن الظافر بامر الله

من سنة ٥٤٩ – ٥٥٥ هـ او من سنة ١١٥٤ – ١١٦٠ م

و بعد قتل الظافر واخويه كما تقدم احضر عباس ابن الظافر أبا القاسم عيسى ثاني يوم قتل ابيه ولم يكن له من العمر الا خمس سنين فحمله عباس على كتفه واجلسه على سرير الملك و بايع له الناس بالخلافة . ولقب الفايز بالله .

فأخذ عباس من ذلك الحين يدبر الامور وانفرد بالتصرف ولم يبق على يده يد فلم ترق اعمال عباس واستبداده بالامر في أعين نساء قصر الخلافة فكتبن الى طلايع بن رزيك وكان والياً على منية خصيب واعمالها (مديرية المنيا) وأرسلن اليه بشعورهن طي الكتاب يستغثن به من عباس وجوره و يطالبن منه القدوم الى القاهرة ليسلمنه الامور . فجمع طلايع بن ر زيك اصحابه وسار قاصداً القاهرة ولما علم العباس بقدومه هرب بامواله واهله الى الشام فلقيه الافرنج وقتلوه وغنموا ما معه . اما رزيك فوصل الى القاهرة واستلم منصب الوزارة وتلقب بالملك الصالح . وتكفل بالخليفة الصغير ودبر احواله

وفي سنة ٥٥٥ هـ توفي الخليفة الفايز بالله لست سنين من خلافته وكانت

مصر قد انحطت في ايامه الى مهاوي الضعف حتى انه كان يدفع مبلغاً وافراً من النقود ترضية للصليبيين في بيت المقدس ليتوقفوا عن غزو مصر .

١٦٢ ــ العاضد لدين الله بن يوسف

من سنة ٥٥٥ ــ ٥٦٧ هـ أو من سنة ١١٦٠ ــ ١١٧١ م

توفي الفايز ولم يخلف ابناً ذكراً يرث عنه الملك فاهتم الملك الصالح (طلايع بن رزيك) باقامة خليفة من عائلته فدلهم بعض الخدم الى شيخ لم يكن أولى بالخلافة منه فهم الملك الصالح بمبايعته فقال له بعض اصحابه سراً : لا يكون عباس احزم منك حيث اختار الصغير وترك الكبار واستبد بالامر : فعدل الملك الصالح عن مبايعته وبايع لابي محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ وهو حينذاك غلام ولقبه العاضد لدين الله وزوجه ابنته . ولصغر سن العاضد استبد الملك الصالح بالامر والنهي وجباية الاموال ووتر الناس وفرق اعيانهم في البلاد ليأمن شرهم . فاغتاظ اعداء الملك الصالح لاستبداده بالامر . وكان من ألد اعدائه عمة الخليفة العاضد فاغرت بعض كبار الدولة به وامرتهم بقتله فوقف له بعضهم في دهليز القصر فلما دخل ضربوه بالسكاكين على حين غفلة فجرحوه جراحاً بالغة فحمل الى داخل قصره وبه رمق من الحياة وارسل الى الخليفة العاضد يعاتبه على الرضا بقتله مع اثره في خلافته فاقسم العاضد أنه لا يعلم بذلك ولا يرضى به . فارسل له قائلاً أن كنت بريئاً فسلم عمتك اليّ حتى انتقم منها . فارسلها اليه فقتلها . وبعد ايام قليلة توفي الملك الصالح وكان قتله في رمضان سنة ٥٥٦ هـ . وكان الملك الصالح شجاعاً كريماً جواداً فاضلا . وكان شديد المغالاة في التشيع صنف كتاباً سماه الاعتماد في الرد على اهل العناد جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن امامة علي بن ابي طالب والكلام على الاحاديث الواردة في ذلك وله شعر كثير ومنه في اعتقاده

يا أمة سلكت ضلالاً بيناً — حتى استوي اقرارها وجحودها
ملتم الى ان المعاصي لم يكن — الا بتقدير الاله وجودها
لو صح ذا كان الاله بزعمكم — منع الشريعة ان تقام حدودها
حاشا وكلا ان يكون الهنا — ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

وبعد موت الملك الصالح تولى وزارة مصر وتدبير امورها ابنه رزيك بوصاية منه بذلك وتلقب الملك العادل . وكان الصالح قد ولى الصعيد لاحد اتباعه المدعو شاور فسار في خطة مستقيمة جذب بها قلوب الاهالي وقوى امره جداً حتى تخوف الصالح منه وعزم على اقالته من منصبه ولكنه تخوف من عصيانه ولم يفعل . فلما تولى ابنه العادل الوزارة سهل له بعضهم عزل شاور عن الصعيد وصرفه عنه وخوفوه عاقبة التقصير . فاصدر العادل امره الى شاور بالعزل فقبض شاور على الرسول وجمع اصحابه وسار فيهم قاصداً القاهرة وذلك سنة ٥٥٨ هـ . فلما علم العادل بقدومه هرب فارسل اليه من امسكه وقتله . ودخل شاور القاهرة فاستوزره الخليفة العاضد في شهر صفر من تلك السنة ولقبه بامير الجيوش . وكان صاحب الباب شخص يقال له ضرغام فطمع في الوزارة ونازع شاور فيها وساعده بعض مريديه وثار على شاور في شهر رمضان من السنة والزمه بترك القاهرة فهرب شاور الى الشام ملتجئاً الى نور الدين محمود بن زنكي فاستوزر العاضد ضرغام ولقبه الملك المنصور فكان مرضي السيرة

أما شاور فلما استقر به المقام عند نور الدين طلب منه تسيير العساكر الى مصر لارجاع حقه المفقود . ووعده أنه متى تم له النصر يجعل مصر تابعة لنور الدين ويكون هو نائباً له عليها . فتهيب نور الدين من هذا الامر وصار يقدم رجلاً ويؤخر اخرى وبالاخص لوجود الصليبيين في الطريق هذا من جهة وخوفاً من عدم وفاء شاور بعهوده متى تم له الامر من جهة اخرى . ولكن الحاح شاور وضعف شأن مصر في ذلك الوقت وطمع نور الدين في الاستيلاء على مصر كل ذلك كان سبباً لارساله عساكره الى مصر مع شاور بقيادة أخص قواده اسد

الدين شيركوه . وسار مشيعاً لهم الى اخر حدود الشام خوفاً من اعتداء الافرنج عليهم . وكان مع أسد الدين شيركوه في هذه الحملة يوسف ابن اخيه نجم الدين ابن ايوب (هو يوسف صلاح الدين رأس الدولة الايوبية) وكان صغير السن . فساروا حتى وصلوا الى مدينة بلبيس بلا معارض . فلما علم ضرغام بقدوم شاور ومن معه ارسل اليهم اخاه ناصر الدين بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم وعاد الى القاهرة . وتقدم اسد الدين ونزل على القاهرة اواخر جمادى الاخرى سنة ٥٥٩ هـ . فخرج اليهم ضرغام في عساكره فانهزم هزيمة قبيحة ودخل اسد الدين وشاور القاهرة فهرب ضرغام خارجاً من باب زويله فصاح به الناس وشتموه وتتبعوه حتى قرب جامع السيدة نفيسة وهناك قتلوه واحتزوا رأسه سلخ جمادي الاخرى . وعادت الوزارة الى شاور . واقام اسد الدين بعسكره خارج القاهرة . فلما استتب الامر لشاور عاد عما كان قدقرره لنور الدين وارسل الى اسد الدين يطلب اليه الانسحاب الى الشام . فامتنع اسد الدين عن اجابة هذا الطلب وذكر شاور بوعوده وايمانه ولكن بلا فائدة . فلما رأى أسد الدين ذلك من شاور احتل مديرية الشرقية وملكها . وعلم شاور ان لا قدرة له على ازاحة هذا الجيش عن مصر فاستمد الصليبيين الذين بعد أن استولوا على الشام طمعوا في مصر وصاروا يتربصون للفرص للاغارة عليها فكانت هذه الفرصة في غاية المناسبة لمقاصدهم فاجابوا دعوته حالاً وأمدوه بجيش جرار فحاصروا اسد الدين بمدينة بلبيس ثلاثة اشهر ولم يقدروا على اخذها منه ثم علم الافرنج بانهزام اخوانهم بالشام امام نور الدين محمود بن زنكي فخابروا اسد الدين شيركوه في الخروج من بلبيس الى الشام وكان قد مل جنده القتال فاجابهم الى ذلك ولم يكن يعلم بانتصار سيده على اخوانهم بالشام وانهم صالحوه مضطرين لا مختارين . وبعد عقد الصلح انسحبت عساكر اسد الدين وساروا الى الشام وفي نفس اسد الدين غصة من اهل مصر لا يشفيها الا تملكه عليهم . ولما وصل اسد الدين الى الشام وجد مولاه نور الدين قد تغلب على الافرنج في عدة مواقع فاتحد معه وافتتحا عدة

حصون . ثم ابتدأ اسد الدين يستحث نور الدين على فتح مصر و يعلمه بموضع الضعف فيها وما زال يحرضه على هذا الامر حتى جهز له جيشاً وارسله بقيادته سنة ٥٦٢ هـ فعاد اسد الدين الى مصر محاربـاً وعلم شاور بقدومه فاستمد الافرنج بالشام فأمدوه اما اسد الدين شيركوه فما زال سائرًا ومنتصرًا على كل معارضيه حتى وصل الى اطفيح ومنها عبر النيل الى البر الغربي واستولى على الجيزة وكثير من بلاد الصعيد ولما وصل امداد الافرنج الى مصر اتحدث معهم عساكر شاور وساروا جميعاً قاصدين الجيزة فلما علم شيركوه بتقدمهم نحوه رجع من الصعيد متهيباً لقاءهم لكثرة جموعهم وقلة من معه فالتقاهم وهزمهم وارجعهم على اعقابهم وتقدم الى مصر السفلى فاتحاً جابياً الاموال حتى بلغ الاسكندرية وملكها وولاها ابن اخيه يوسف صلاح الدين . ثم جاءت الامدادات للافرنج من الشام فتكاثر جيش العدو على شيركوه مع استحالة وصول الامداد اليه من نور الدين محمود بن زنكي لان الافرنج وقفوا لهم بالمرصاد . ففضل عقد الصلح والانسحاب من الديار المصرية عن التغرير بجيوشه . فتم عقد الصلح بين الطرفين وسلم شيركوه الاسكندرية وكل البلاد التي فتحها الى شاور وانسحب الى الشام

ولكن هذا الانسحاب لم يفد شاور فائدة تذكر لانه على رأي العامة خرج من ساقية وقع في طاحون . لان الافرنج الذين أمدوه على شيركوه كانت انظارهم دائما تطمح الى ملك مصر فوجدوا هذه فرصة مناسبة لم يضيعوها . فحالما انسحبت عساكر شيركوه من ارض مصر طلبوا من شاور ان يكون لهم شحنة بالقاهرة (قنصل) وان تكون أبوابها في ايديهم (خوفاً من رجوع عساكر نور الدين الى مصر بزعمهم) واتفقوا معه على مال معلوم يحمله لهم سنويا فاجابهم الى كل ماطلبوا . ولكن لم يكن هذا حد مطامع الصليبيين في مصر بل كما ذكرنا كانت عيونهم تطمح الى اكثر من ذلك فاستمدوا اخوانهم بالشام . فامدوهم بجيش جرار . فقدم هـذا الجيش ودخل الاراضي المصرية بغتة وتقدم الى بلبيس وافتتحها عنوة بعد حصار ثلاثة أيام ونهبوها وذبحوا كل من فيها . وعزم جيش الصليبيين على التقدم لفتح

القاهرة قوةً واقتداراً فلما بلغ ذلك شاور تحير في أمره و بعد قليل بدا له ان يستنجد نور الدين من الشام فارسل اليه يستمده فامده بجيش عظيم تحت قيادة شيركوه المتقدم ذكره . فقدم الى مصر لثالث مرة . وقبل ان يصل الى ارض مصر كان الافرنج قد حاصروا القاهرة وخاف شاور من اقتحامهم لها فاحرق الفسطاط لكي لا يبقى فيها ملجأ يعسكر فيه الصليبيون . و بعد ذلك دارت المخابرات الودية بين شاور والافرنج بشأن رفع الحصار عن القاهرة والانسحاب من الديار المصرية (والذي ألجأ شاور على الاتفاق مع الافرنج مع علمه بقدوم مدد له من نور الدين خوفه من ان يتحد عسكر نور الدين مع الخليفة العاضد عليه) فطلب الافرنج من شاور مليون دينار يدفع منه جزءاً مقدماً والباقي اقساطاً موجلة حتى يمكنهم الانسحاب فرضى شاور بهذا الشرط ودفع لهم مئة الف دينار مقدماً فانسحب الافرنج قبل وصول شيركوه الى القاهرة بقليل . فالتقى جيش الصليبيين المنسحب وجيش شيركوه عند بلبيس فحار بهم شيركوه وازاحهم عن الديار المصرية . وتقدم الى القاهرة فدخلها في ربيع الثاني سنة ٥٦٤ هـ وسار توًّا الى قصر الخليفة العاضد فترحب به وخلع عليه واسر اليه قتل شاور . ثم رجع شيركوه الى معسكره و بقي شاور يتردد اليه وهو في ريبة منه . فدس شيركوه الى ابن اخيه يوسف صلاح الدين وعز الدين خرديك بقتل شاور . فجاء شاور كعادته الى معسكر شيركوه وسأل عنه فقيل له ذهب الى قبر الامام الشافعي فسار اليه وكان صلاح الدين وعز الدين قد تربصا له في الطريق فقتلاه واحتزا رأسه وسيراه الى العاضد . ونهبت العامة دوره . واعتقل العاضد ولديه شجاعاً والطازي . واستوزر العاضد شيركوه وجعله أمير الجيوش ولقبه المنصور . فاستقر لهُ الامر وغلب على الدولة واقطع البلاد لعساكره . ولكنه لم يهنأ بالوزارة الاقليلاً حتى اتاه القضاء المبرم فتوفي في ٢٢ جمادى الاخرى سنة ٥٦٤ هـ لشهرين وخمسة ايام من وزارته و بعد وفاته استوزر الخليفة العاضد مكانه ابن اخيه يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر . فأبت الجيوش السورية اعتبار يوسف صلاح الدين وزيرا

لصغر سنه فاسترضاهم بما يعمي العيون بصفرته فهدأوا ومالوا اليه واقسموا على طاعته ونصرته . ثم ظهر ليوسف صلاح الدين خصم جديد هو مؤتمن الخلافة جوهر الخصي وحدثته نفسه بخلع صلاح الدين ووافقه كثير من الاعيان والجنود المصرية على هذا الرأي . واتفق رأيهم ان يرسلوا الى الافرنج في بلاد الساحل يدعونهم الى القاهرة حتى اذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكره ثاروا وهم في القاهرة واجتمعوا مع الافرنج على اخراجه من مصر . فسيروا رجلاً الى الافرنج وجعلوا كتبهم معه في نعل . فلما وصل الرجل الى البير البيضاء بقرب بلبيس قابله أحد رجال صلاح الدين فانكر أمر الرجل لانه رأى النعلين في يده وليس فيهما اثر للمشي والرجل رث الهيئة فارتاب واخذ النعلين وشقهما فوجد الكتب ببطنهما فحمل الرجل والكتب الى صلاح الدين . فتتبع خطوط الكتب حتى عرف ان الذي كتبها رجل يهودي فهم بقتله فاعتصم بالاسلام واسلم وحدثه الخبر . وبلغ مؤتمن الخلافة فخاف على نفسه ولزم القصر وامتنع من الخروج فأغضى صلاح الدين عنه حتى ظن مؤتمن الخلافة ان الامر قد نسي فخرج الى قرية له تعرف بالخرقانية للتنزه . فلما علم به صلاح الدين ارسل اليه جماعة فأخذوه وقتلوه وأتوا برأسه . وكان ممن ساعد مؤتمن الخلافة على ارسال الرسول الى الافرنج كما قدمنا كثيرمن أولياء الشيعة منهم العوريش وقاضي القضاة وعمارة اليمني الشاعر الزبيدي وكان متولي كبرها وغيرهم وعلم صلاح الدين بذلك واراد الفتك بهم ولكنه ترقب الفرص الى ان اتاه اخوه طوران شاه وحكى له ان عمارة امتدحه بقصيدة يغريه فيها بالمضي الى اليمن ويحمله على الاستبداد وانه تعرض فيها للجانب النبوي بما يوجب استباحة دمه وهو قوله

فاخلق لنفسك ملكاً لا تضاف به　　الى سواك واور النار في العلم
هذا ابن تومرت قد كانت ولايته　　كما يقول الورى لحماً على وضم
وكان أول هذا الدين من رجل　　سعى الى ان دعوه سيد الامم

فجمعهم صلاح الدين وشنقهم في يوم واحد . واستعمل صلاح الدين على

القصر خصياً له ابيض يدعى قراقوش . وغضبت عساكر المصريين لقتل مؤتمن الخلافة واجتمعوا في ٥٠ الفاً وقاتلوا اجناد صلاح الدين بين القصرين وكادوا ينتصرون عليه لولا شجاعة طوران شاه اخي صلاح الدين فهزمهم شر هزيمة واعمل فيهم قتلاً وسبياً حتى طلبوا الامان فأمنهم . وكانت هذه الوقعة التي تعرف بوقعة السودان (لان معظم جيش مصر الذين قاتلوا صلاح الدين في هذه الوقعة كان من السودان) في شهر ذي القعدة سنة ٥٦٤ هـ

ولما استتب الامر لصلاح الدين وازال المخالفين له وضعف أمر الخليفة العاضد وصار قصره تحت تصرف صلاح الدين ونايبه قراقوش كتب اليه نور الدين بقطع الخطبة للعاضد واقامة الدعوة العباسية بمصر فامتنع صلاح الدين اولاً وتخوف من هذا الامر واعتذر لنور الدين انه ربما يتسبب من هذا الامر ثورة بمصر . ولكن لم يكن هذا كل السبب الذي جعل صلاح الدين يرفض طلب نور الدين بل انه كان يكره قطع الخطبة للعاضد و يريد بقاءه خوفاً من نور الدين نفسه فانه كان يخافه ان يدخل الديار المصرية و يأخذها منه . ولكن نور الدين لم يقبل عذره هذا وأرسل اليه أمراً باتاً بقطع الدعوة العاضدية ولما كان صلاح الدين في واقع الامر تابعاً لنور الدين و يعتبر نائباً عنه في مصر اضطر الى اجابة طلبه فاستأذن فيه اصحابه فاشاروا به وانه لايمكن مخالفة نور الدين . وكان قد وفد على مصر فقيه اعجمي يعرف بالامير العالم الخبشاني فلما رأى احجامهم وعدم تجاسرهم على قطع خطبة العاضد قال لهم انا ابتدئ بقطعها واخطب للمستضيء العباسي . فلما كان اول جمعة من المحرم سنة ٥٦٧ هـ صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء فلم ينكر عليه احد . فأمر صلاح الدين في الجمعة الثانية الخطباء بمصر والقاهرة ان يقطعوا خطبة العاضد و يخطبوا للمستضيء العباسي ففعلوا . وكان العاضد في ذلك الوقت في شدة من المرض فلم يعلمه أحد بذلك وتوفي في عاشورا من السنة فاستولى صلاح الدين على قصوره وما فيها من النفائس التي لا تقدر واعتقل اهله ووكل بهم من يحفظهم وبموته انقرضت الدولة الفاطمية بعد أن ملكت من سنة ٢٩٧ ـ ٥٦٧ هـ كما تقدم

والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

١٦٣ – الدولة المكناسية من آل ابي العافية بمراكش

(تمهيد) كان موسى بن ابي العافية بن أبي باسل بن أبي الضحاك بن ابي يزول بن تافرسين بن فراديس بن نيف بن مكناس وابن عمه مصالة بن حبوس رئيسين على مواطن ملوية وكرسيف ومليلة واعمالها واستفحل أمر المكناسيين في ايامهما وعظم سلطانهم وتغلبوا على قبائل البربر بانحاء تازا ولما استولى عبيدالله المهدي رأس الدولة الفاطمية المتقدم ذكرها على المغرب سنة ٣٠٥ ﻫ واستفحل امره صاروا من اوليائه وشيعته وكان مصالة بن حبوس من اكبر قواده وولاه على مدينة تاهرت والمغرب الاوسط ولما استولى مصالة على فاس وسجلماسة بدعوة عبيد الله المهدي واستنزل يحيى بن ادريس من امارته بفاس الى طاعة العبيدية وابقاه اميرًا على فاس عقد حينئذ لابن عمه موسى بن ابي العافية امير مكناسة على سائر ضواحي المغرب وامصاره . ولما عاد مصالة الى المغرب الاقصى اغراه موسى بن أبي العافية بالقبض على يحيى بن ادريس الذي كان لا يزال عاملاً على فاس بدعوة العبيديين فقبض عليه واستصفى امواله واستعمل مكانه على فاس ريحان الكتامي وعاد مصالة الى القيروان فتوفي في الطريق وابتدأ امر موسى بن أبي العافية بالظهور وخصوصاً بعد ظهور حسن الحجام الادريسي واستيلائه على فاس وقتله ريحان الكتامي

١٦٤ – موسى بن ابي العافية

من سنة ٣١١ – ٣٤١ ﻫ أو من سنة ٩٢٣ – ٩٥٢ م

كان ريحان الكتامي واليًا على فاس من قبل عبيدالله المهدي الفاطمي وكان

موسى بن ابي العافية واليًا على باقي بلاد المغرب الاقصى من قبل المهدي المذكور أيضاً
وفي سنة ٣٠٥ ﻫ عقب انقراض دولة الادارسة ظهر منهم شخص يدعى الحسن
الحجام وتغلب على ريحان الكتامي وقتله واستولى على فاس فطمع في باقي بلاد
المغرب فخرج سنة ٣١١ ﻫ لقتال موسى بن ابي العافية فالتقي معه بفحص الزاد
على مقربة من وادي المطاحن ما بين فاس وتازا وقاتله وانتصر عليه وكادت الدائرة
تقع نهائياً على موسى بن ابي العافية الا انه خانه احد قواده المدعو حامد بن حمدان
واتحد مع موسى بن ابي العافيه فانهزم الحجام وأسر اسره حامد المذكور . وتم
الانتصار لموسي بن ابي العافية واستولى على فاس واستتب له الامر بها . ثم شمر لطرد
الادارسة عن بلاد المغرب جميعه ليصفو له الوقت فأجلاهم عن بلادهم من شالة
وآصيلا واخيرًا حاصرهم في سنة ٣١٧ ﻫ في قلعة النسر وكاد يفتك بهم لولا امتناع
اهل المغرب عن اجابته الى هذا الطلب لان الادارسة من آل البيت كما لا يخفى .
فتركهم بقلعة النسر ورجع الى فاس بعد ان استخلف قائده ابا الفتح التسولي في
الف فارس يمنعهم من التصرف . ولما رجع موسى الى فاس علم بسوء سيرة عامله
على عدوة الاندلس عبد الله بن ثعلبة فعزله وولى مكانه اخاه محمد بن ثعلبة ثم
عزله وولى مكانه طوال بن أبي بزيد . واستعمل موسى على الغرب الاقصى
ولده مدين بن موسى بن ابي العافية وانزله بعدوة القرويين . ثم نهض الى تلمسان
سنة ٣١٩ ﻫ فملكها واعمالها وكانت بيد الحسن بن ابي العيش من اعقاب سليمان
ابن عبد الله اخي ادريس الاكبر . وفر الحسن الى مدينة مليلة . فتعقبه موسى
واستولى في طريقه على مدينة نكور وغيرها . ثم عاد الى فاس وقد دوخ البلاد
والاقطار وانتظم المغربان الاقصى والاوسط في ملكه . وفي كل هذه المدة كان
موسى يفتح البلاد ويدوخ الاقطار باسم عبيد الله المهدي الفاطمي . فلما قوي
امره و بعد صيته راسله عبد الرحمن الناصر الاموي بالاندلس في القيام بدعوته
وقطع الخطبة للشيعة ووعده الجميل على ذلك فاجابه موسى بن ابي العافية وخطب
له على منابر المغربين . فلما اتصل الخبر بعبيد الله المهدي سرح اليه قائده حميد

ابن بصليت المكناسي في عشرة الاف فارس فالتقى حميد وموسى بفحص مسون فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها موسى ومضى الى عين اسحاق من بلاد تسول فتحصن بها . وتقدم حميد الى فاس فلما قرب منها فرّ عنهـا مدين بن موسى ولحق بابيه فدخلها حميد واستعمل عليها حامد بن حمدان الهمداني . وكان ذلك سنة ٣٢١ هـ . ولما اتصل ببني ادريس المحصورين بقلعة النسر خبر هزيمة موسى بن ابي العافية وفرار ابنه عن فاس قويت نفوسهم وتظاهروا على ابي الفتح التسولي فنزلوا اليه وقاتلوه وهزموه ونهبوا معسكره وخرجوا الى الفضاء بعد انحصارهم بالقلعة اربع سنين . واقام حامد بن حمدان والياً على فاس من قبل الشيعة الى ان ثار عليه احمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامي وذلك عقب وفـاة عبيد الله المهدي سنة ٣٢٢ هـ فقتل حامد بن حمدان و بعث برأسه وبولده الى موسى بن ابي العافية . فبعث به موسى الى عبد الرحمن الناصر بقرطبة واستولى على المغرب . وعادت الدعوة به الى بني مروان . ولما اتصل الخبر بابي القاسم ابن عبيد الله المهدي المتولي بعد أبيه سرح قائده ميسوراً الخصي الى المغرب فقدمه ميسور سنة ٣٢٣ هـ وخام ابن ابي العافيـة عن لقائه واعتصم بحصن آكاي وتقدم ميسور الى فاس فحاصرها اياماً الى ان خرج اليه احمد بن بكر مستأمنـاً وقدم اليه هدايا نفيسة واموالاً جليلة فأخذ منه الهدايا والاموال واعتقله هو وسيره الى المهدية . فلما رأى أهل فاس غدر ميسور وعدم وفائه لمن استأمن اليه خافوا على انفسهم وقفلوا ابواب المدينة وقدموا على انفسهم حسن بن قاسم اللواتي فحاصرهم ميسور سبعة اشهر ولما طال عليهم الحصار رغبوا في السلم وطلبوا الامان فامنهم واستعمل عليهم حسن بن قاسم اللواتي ثم سار ميسور قاصداً موسى بن ابي العافية فكانت بينهم حروب كثيرة والنصر متبادل الى ان انتصر ميسور اخيراً واسر البوري بن موسى بن ابي العافية وغربه الى المهدية وطرد موسي عن اعمال المغرب الى نواحي ملوية ووطاط وما وراءها من بلاد الصحراء ثم قفل الى القيروان . وبعد رجوع ميسور الى القيروان عاد موسى بن ابي العافية الى

المغرب الاقصي واستولي على كثير من مدنه و بقي اميرًا على المغرب الى ان توفي سنة ٣٤١ ھ

١٦٥ — بقية اخبار آل ابي العافية

من سنة ٣٤١ — ٣٦٣ ھ أو من سنة ٩٥٢ — ٩٧٣ م

لما توفي موسى بن أبي العافية ولي بعده ابنه ابراهيم الى ان توفي سنة ٣٥٠ ھ فولي بعده ابنه عبدالله ويقال عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية الى ان توفي سنة ٣٦٠ ھ فولي عمله من بعده ابنه محمد وعليه انقرضت دولة آل ابي العافية سنة ٣٦٣ ھ . وقيل انه لما توفي محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن موسى ابن ابي العافية ولي بعده ابنه القاسم بن محمد المحارب للمتونة فكانت بينه وبينهم حروب الى ان غلب عليه يوسف بن تاشفين فقتله واستئصل شافة ذرية موسى ابن ابي العافية بالمغرب والله اعلم والبقاء لله وحده

١٦٦ — الدولة الزيارية بجرجان

(تمهيد) لما قوي ملك السامانية و بعد صيتهم واستولوا علي جرجان وطبرستان وخراسان وفارس وغيرها غير ما في ايديهم بما وراء النهر (راجع تاريخ الدولة السامانية من فصل ١٣٦ — ١٤٦) استعملوا كثيرين من الديلم قوادا ورؤساء جيوش لهم ومن اولئك القواد القائد اسفار الذي قوي امره جدًا واستولى على جرجان وطبرستان فانحرف عن دعوة السامانية الى دعوة العلوية بطبرستان ثم لما هلك ابو علي الاطروش استقل اسفار بطبرستان وسار بكر بن محمد بن اليسع احد قواد السامانية الى جرجان فملكها واقام فيها دعوة نصر بن سامان . وقدم ماكان بن كالي قائد العلوية بطبرستان اليها بعد استيلاء اسفار عليها وقاتله وانتصر عليه وملك طبرستان من يده ولحق اسفار بجرجان فاقام بها عند بكر بن اليسع الى

ان توفي بكر سنة ٣١٥ هـ فولاها الامير السعيد نصر بن احمد الساماني اسفار بن شيرويه المذكور فارسل اسفار الى مرداويج بن زيار ملك الجبل يستدعيه لحضر عنده وجعله امير الجيش واحسن اليه وكان اسفار المذكور ظلوما غشوماً سيء الخلق جداً فضلاً عن سوء سريرته لانه ما لبث ان استولى على طبرستان وقوي امره بقدوم مرداويج اليه حتى خلع طاعة السامانية مرة اخرى وملك كثيراً من البلاد وظلم العباد حتى ازهق ارواح الاهالي وتمنوا زوال ملكه . ولما تحقق مرداويج سوء سيرة اسفار ابغضه أيضاً بغضاً شديداً وصار ينتهز الفرص لخلع طاعته . واتفق ان بعثه اسفار الى صاحب سميران الطرم الذي ملك اذربيجان بعد ذلك ليدعوه الى طاعته فبدلاً من ان يجتذبه الى اسفار فاوضه في سوء سيرته في الناس واتفقا على الوثوب عليه ووافقهما وزير اسفار نفسه مطرف بن محمد فسار مرداويج بن زيار وسلار (صاحب سميران الطرم) اليه . فبلغ اسفار الخبر وان اصحابه بايعوا مرداويج فاحس بالشر وهرب الى الري ومنها الى بيهق ببلاد خراسان . فارسل مرداويج الى ماكان بن كالي بطرد اسفار فسار اليه ماكان فهرب الى بست ثم دخل مفازة الري قاصداً قلعة الموت وبها اهله وذخيرته فتخلف عنه بعض اصحابه في المفازة . وعلم مرداويج بخبره فسار اليه وأسره بعض قواده وحمله الى مرداويج فاراد أن يحبسه بالري فحذره بعض اصحابه غائلته فامر بقتله .

١٦٧ — مرداويج بن زيار

من سنة ٣١٦ — ٣٢٣ هـ أو من سنة ٩٢٨ — ٩٣٤ م

وبعد مقتل اسفار قوي امر مرداويج وبايعه اصحاب اسفار فتنقل في البلاد يفتحها فملك قزوين والري وهمذان وكنكور والدينور ويزدجرد وقم وقاشان واصفهان وجرباذقان وغيرها وبعد ان استتب امره وقوي ملكه دخلته روح

الكبرياء والخيلاء فعمل له سريرًا من ذهب يجلس هو عليه وعمل سريرًا من فضة لاكابر دولته . وامر ان لا يقترب منه احد سوى من اختصهُ للقرب منه وكان اذا جلس على سريره الذهبي تصطف جنوده حوله على بعد معلوم منه فتزيد المكان هيبة فخافه الناس خوفاً شديدًا

وكان ماكان بن كالي الذي ساعد مرداويج على اسفار اميرًا على جرجان وطبرستان فلما قوي امر مرداويج وكثرت جنوده لم يحفظ لماكان جميلاً وطمع في الاستيلاء على جرجان وطبرستان وقاتل ماكان وهزمه واستولى على طبرستان وولى عليها من قبله بلقسم بن بانجين اسفهسلار عسكره (قائد جيوشه) ثم سار نحو جرجان وملكها من عامل ماكان وولى عليها سرخاب بن باوس بالنيابة عن بلقسم فجمع لبلقسم جرجان وطبرستان . وعاد مرداويج الى اصفهان ظافرًا غانماً . واقبلت الديلم اليه من كل ناحية لبذله واحسانه الى جنده فعظمت جيوشه وكثرت عساكره وكثر الخرج عليه فلم يكفه ما في يده ففرق نوابه في النواحي المجاورة له فسير الى همذان سنة ٣١٩ ﻫ ابن اخت له في جيش كثيف . وكان بها ابو عبدالله محمد بن خلف في عسكر الخليفة المقتدر العباسي فتحاربوا حروباً كثيرة واعان اهل همذان عسكر الخليفة فظفروا بالديلم وقتلوا ابن اخت مرداويج فسار اليهم مرداويج من الري وهرب عسكر الخليفة من همذان ودخلها مرداويج عنوةً فاثخن في اهلها ثم امنهم . وزحفت اليه عساكر المقتدر مع هرون بن غريب فهزمهم مرداويج وملك بلاد الجبل وما وراء همذان وبعث قائدًا من اصحابه الى الدينور ففتحها عنوة . وبلغت عساكره نحو حلوان وامتلأت ايديهم من الذهب والسبي ورجعوا

وفي سنة ٣٢٠ ﻫ ارسل مرداويج الى اخيه وشمكير ليقدم اليه وكان لا يزال في بلادهم يتعاطى الفلاحة فوصل اليه رسول اخيه مرداويج ووصف له حال اخيه وسعة ملكه وعظم سلطانه فاستبعده اولاً . ثم استغرب وشمكير لما علم ان اخاه بايع العباسيين (وكان اهل الجبل يتشيعون) ولم يرغب المسير اليه . فلم يزل

به الرسول حتى سار به الى اخيه فخرج به الى قزوين والبسه السواد بعد المحاولة شديداً . قال الرسول . رأيت من جهل وشمكير اشياء استحي من ذكرها ثم اعطته السعادة ما كان له في الغيب فصار اكثر الناس معرفة بالسياسة

وفي هذه الاثناء ظهر امر بني بويه وملكوا البلدان ودوخوا الاقطار حتى ملكوا بلاد فارس سنة ٣٢٢ ﻫ فلما علم مرداويج بذلك اشتد ذلك عليه فرأى ان يرسل عسكراً الى الاهواز ليستولي عليها ليمنع تقدم بني بويه . وسارت عساكر مرداويج في شهر رمضان سنة ٣٢٢ ﻫ حتى بلغت ايذج فخاف ياقوت (قائد جيوش الخليفة الراضي العباسي) الذي كان والياً على بعض الاعمال القريبة من الاهواز فكتب للخليفة الراضي ان يوليه الاهواز فولاها له علاوة على ما بيده فسار اليها قبل وصول عساكر مرداويج . ثم وصلت عساكر مرداويج الى الاهواز فقاتلها ياقوت لكنه انهزم واستولى مرداويج على الاهواز فلما علم عماد الدولة بن بويه خبر استيلاء مرداويج على الاهواز كاتب نائب مرداويج يستميله ويطلب منه ان يتوسط الحال بينه وبين مرداويج ففعل ذلك وسعى فيه فاجاب مرداويج عماد الدولة الى ماطلب على ان يطيعه ويخطب له فاستقر الحال بينهما وأهدى له ابن بويه هدية جليلة وانفذ اخاه ركن الدولة رهينةً وخطب لمرداويج في بلاده

ولما عظم شان مرداويج اساء السيرة في الناس وخصوصاً في الاتراك الذين كان يدعوهم الشياطين واكثر من اهانتهم الى درجة لا تطاق فاتفقوا فيما بينهم على قتله وقتلوه سنة ٣٢٣ ﻫ وكان الذي تولى كبر ذلك تورون الذي صار بعد ذلك امير الامراء ببغداد وبارق بن بقراخان ومحمود بن نيال الترجمان ويحكم الذي ولي امارة الامراء قبل تورون

١٦٨ ــ وشمكير بن زيار

من سنة ٣٢٣ – ٣٥٧ هـ أو من سنة ٩٣٤ – ٩٦٧ م

لما قتل مرداويخ اجتمع اصحابه بالري و بايعوا اخاه وشمكير بن زيار فطمع فيه الامير نصر الساماني وارسل جيشاً لاستخلاص البلاد منه فارسل وشمكير جيشاً بقيادة بانجين الديلمي لرد السامانية فالتقوا وتقاتلوا فانهزم جيش السامانية ورجع على الاعقاب وكان بنو بويه يرون وشمكير سدًّا منيعاً امام مطامعهم فاجتهد ركن الدولة واخوه عماد الدولة صاحب فارس في تحريض أبي علي بن محتاج صاحب خراسان ليهاجم وشمكير بالري و يزيحه عنها فسار ابو علي لذلك . فلما علم وشمكير بقدومه استمد ماكان بن كالي فجاءه بنفسه و بعث ركن الدولة بن بويه مددًا لابي علي بن محتاج فالتقوا باسحق آباد و بعد قتال شديد انهزم وشمكير ولحق بطبرستان فملكها وقتل ماكان بالمعركة واستولى ابو علي على الري . ثم بعث أبو علي العساكر الى بلد الجبل فاستولى على زنكان وابهر وقزوين وكرج وهمذان ونهاوند والدينور الى حلوان وكان ذلك سنة ٣٢٩ هـ

وكان لماكان بن كالي ابن عم يدعى الحسن بن الفيرزان فبعد ان قتل ماكان كما ذكرنا راسله وشمكير ليتحد معه و يدخل في طاعته فرفض ذلك رفضاً باتاً ونسب قتل ابن عمه ماكان الى وشمكير وصار يلعنهُ جهارًا . فقصدهُ وشمكير وكان الحسن بمدينة سارية فسار عنها ولحق بابي علي صاحب خراسان واستنجده فسار معه ابو علي من الري وحاصر اوشمكير بسارية وطال أمر الحصار فتخابروا في الصلح وتم شروطه وعاد ابو علي كما اتى وذلك سنة ٣٣١ هـ . فاغتاظ الحسن بن الفيرزان لهذا الصلح الذي لم يكن حسب مراده واراد الفتك بابي علي بن محتاج صاحب خراسان واتحد معه كثيرون من قواد الجيش . ولكن بلغ أبا علي الخبر فهرب قبل ان يفتكوا به واستولى الحسن على سواده . فانتهز وشمكير هذه الفرصة المناسبة لاسترجاع مدينة الري التي سلبها منه ابو علي فسار من طبرستان الى الري

وملكها بلا كبير عناً . ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن فان بني بويه الذين يهمهم دوام ضعف وشمكير لم يرق في اعينهم هذا الفتح . فسار ركن الدولة الحسن ابن بويه الى الري وقاتل وشمكير عليها وانتصر عليه واستولى على الري . وانهزم وشمكير الى طبرستان ففارقه كثيرون من اتباعه فسار الى خراسان وكان ذلك سنة ٣٣٢ ﻫ . فلما وصل خراسان سار الى الامير نوح الساماني مستنجداً به فارسل معه عسكراً استطاع بهم ان يستخلص جرجان من يد الحسن بن الفيرزان فهرب الحسن ولحق بركن الدولة بن بويه ومكث عنده بالري . وفي سنة ٣٣٦ ﻫ سار ركن الدولة بن بويه الى بلاد وشمكير فانهزم وشمكير وملك ركن الدولة طبرستان وجرجان وعاد وشمكير الى الامير منصور بن نوح الساماني مستنصراً به على بني بويه واطمعه فيهم وأسر اليه ان قواده لا يناصحونه في شأنهم . فكتب الامير منصور بن نوح الى ابي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيجور صاحب خراسان بالمسير الى الري واتباع اوامر وشمكير ولما بلغ ركن الدولة قدومهم استعد لهم واستنجد ابنه عضد الدولة فلما علموا باستمداده توقفوا بالدامغان يستطلعون الاخبار . وفي هذه الاثناء خرج وشمكير يوماً ما للصيد فاعترضه خنزير فرماه بحربة من يده فحمل عليه الخنزير فشب الفرس وسقط وشمكير الى الارض ومات من سقطته في محرم سنة ٣٥٧ ﻫ . وبموته انتقض جميع ما كانوا فيه ورجع جيش السامانية من حيث اتى

١٦٩ – بهستون بن وشمكير

من سنة ٣٥٧ – ٣٦٦ ﻫ أو من سنة ٩٦٧ – ٩٧٦ م

لما توفي وشمكير قام بالامر بعده ابنه بهستون وهذا لما رأى الايام تخدم بني بويه استحسن الاتحاد معهم فراسل ركن الدولة في ذلك فاجابه الى ما طلب وامده بالعساكر والاموال وما زال في راحة وسلام حتى توفي سنة ٣٦٦ ﻫ عن

ابن صغير بطبرستان مع جده لامه . فطمع جده ان ياخذ الملك و بادر الى جرجان وكان قابوس بن وشمكير اخو بهستون زايراً خاله رستم في بلد الجبل فلما بلغه خبر وفاة اخيه اسرع الى جرجان وملكها و بايعه جند اخيه وهرب من كان مع ابن بهستون فاخذه عمه قابوس وكفله وجعله اسوة اولاده وتم له ملك جرجان وطبرستان

١٧٠ — قابوس بن وشمكير

من سنة ٣٦٦ — ٤٠٣ هـ أو من سنة ٩٧٦ — ١٠١٢ م

وتم الامر بعد بهستون لاخيه قابوس بن وشمكير وملك جرجان وطبرستان وتلقب بشمس المعالي . وفي هذه السنة توفي ركن الدولة وعهد لابنه عضد الدولة وولى ابنه فخر الدولة على همذان وأعمال الجبل وابنه موئد الدولة على اصفهان وكان بختيار بن معز الدولة ببغداد فاستولى عليه ثم سار عضد الدولة الى اخيه فخر الدولة بهمذان فهرب الى قابوس بن وشمكير . ونزل عضد الدولة الى الري وبعث الى قابوس في طلب اخيه فخر الدولة فابى فسير اليه جيشاً بقيادة اخيه موئد الدولة فقاتله وهزمه واستولى على جرجان وطبرستان وصار قابوس طريداً الى ان ظهر امر الدولة الغزنوية بظهور سبكتكين فلحق به قابوس فوعده برده الى ملكه ولكنه مضى الى بلخ ومات بها سنة ٣٨٧ هـ . فلما كانت سنة ٣٨٨ هـ بعد موت فخر الدولة سير شمس المعالي قابوس الاصبهبد الى جبل شهريار وعليه رستم بن المرزبان خال مجد الدولة بن فخر الدولة فاقتتلا فانهزم رستم واستولى اصبهبد على الجبل وخطب لشمس المعالي . وكان على ناحية الاستندارية شخص يقال له باني بن سعيد وكان له ميل الى شمس المعالي فسار الى آمد وطرد عنها عسكر مجد الدولة واستولى عليها وخطب فيها لقابوس وكتب اليه بذلك . ثم كتب اهل جرجان الى قابوس يستدعونه فسار اليهم من نيسابور وسار اصبهبد وباني بن سعيد اليها من مكانهما

فخرج اليهما عساكر جرجان فقاتلوهـا فانهزم العسكر ورجعوا الى جرجان فلقوا مقدمه قابوس عندها فانهزموا ثـانية وجاءت العساكر من الري لحصاره فاقاموا ودخل فصل الشتاء وتوالت عليهم الامطار وعدمت الاقوات فارتحلوا وتبعهم قابوس وقاتلهم فهزمهم واسر جماعة من اعيانهم وملك ما بين جرجان واستراباذ . وعاد لقابوس من الملك اكثر مما كان له اولاً . ثم ان الاصبهبذ حدث نفسه بالملك واغتر بما اجتمع له من الاموال والذخائر فخالف على قابوس فسارت اليه العساكر من الري مع المرزبان خال مجد الدولة فهزموه واسروه واظهروا دعوة شمس المعالي بالجبل (لان المرزبان كان مستوحشاً من مجد الدولة) فانضافت مملكة الجبل جميعاً الى مملكة جرجان وطبرستان وولى عليها قابوس ابنه منوجهر ففتح الرويان وسالوس . واتفق ظهور محمود بن سبكتكين (من الدولة الغزنوية) في هذا الوقت وعظم شأنه وافتتح كثيراً من المدن فراسله قابوس وهداه وحالفه على المعاضدة فقوي امر قابوس بهذه المحالفة

وكان قابوس مع كثرة فضائله ومناقبه شديد البطش قليل العفو يقتل على الذنب اليسير فضجر اصحابه منه واستطالوا ايامـه واتفقوا فيما بينهم على قتله فقتلوه سنة ٤٠٣ هـ . وكان قابوس غزير الادب وافر العلم ومن شعره :

قل للذي بصروف الدهر عيرنـا ... هل عاند الدهر الا من له خطر

اما ترى البحر يطفو فوقه جيف ... وتستقر باقصى قعره الدرر

فان تكن نشبت ايدي الخطوب بنا ... ومسنا من توالي صرفها ضرر

ففي السماء نجوم لا عداد لها ... وليس يكسف الا الشمس والقمر

١٧١ — منوجهر بن قابوس

من سنة ٤٠٣ — ٤٢٦ هـ أو من سنة ١٠١٢ — ١٠٣٤ م

ولما قتل قابوس بن وشمكير قام بالامر بعده منوجهر وتلقب فلك المعالي

وتتبع اثار قاتلي ابيه فابادهم . وما زال منوجهر ملكاً على بلاد ابيه لا ينازع احداً ولا احد ينازعه الى سنة ٤٢٠ هـ التي فيها سار محمود بن سبكتكين عندما قبض حاجبه على مجد الدولة البويهي وملك الري بدعوة محمود فهرب منوجهر بن قابوس من جرجان و بعث اليه بار بعماية الف دينار ليصلحه وتحصن منه بجبال وعرة ثم ابعد المذهب ودخل الغياض الملتفة واجابه محمود فبعث اليه منوجهر بالمال ونكب عنه في رجوعه الى نيسابور . ثم توفي منوجهر اثر ذلك سنة ٤٢٦ هـ

١٧٢ — انوشروان بن منوجهر

من سنة ٤٢٦ — ٤٣٠ هـ او من سنة ١٠٣٤ — ١٠٣٨ م

لما توفي منوجهر قام بالامر بعده ابنه انوشروان فاقره محمود بن سبكتكين على ولايته وقرر عليه خمسماية الف الف اميري وخطب لمحمود في بلاد الجبل الى حدود ارمينيا . ثم لما توفي محمود بن سبكتكين واستولى مسعود ابنه مكانه محا دولة الزيارية في سنة ٤٣٠ هـ واستولى على جرجان وطبرستان . والبقاء لله وحده

١٧٣ — دولة بني بويه بايران

(تمهيد) ابتدأت هذه الدولة العظيمة بقيام ثلاثة اخوة وهم عماد الدولة علي وركن الدولة الحسن ومعز الدولة احمد اولاد ابي شجاع بو يه وقيل في نسبهم انه يتصل بملوك الفرس . وكان لما خرج من الديلم جماعة تقدم ذكرهم لتملك البلاد منهم ما كان بن كالي واسفار بن شير و يه ومرداويج بن زيار وغيرهم خرج مع كل واحد منهم جماعة من الديلم وخرج اولاد ابي شجاع بو يه في جملة من خرج مع ما كان بن كالي فلما كان من امر ما كان ما ذكرناه واستيلاء مرداويج على ما بيد ما كان من طبرستان وجرجان فلما رأى اولاد ابي شجاع بو يه ضعف ما كان

وعجزه قال له عماد الدولة وركن الدولة . نحن في جماعة وقد صرنا ثقلاً عليك والاصلح لك ان نفارقك لنخفف عنك مؤنتنا فاذا صلح امرنا عدنا اليك . فأذن لهما فسارا الى مرداويج بن زيار واقتدى بهما جماعة من قواد ماكان وتبعوهما فلما صاروا اليه قبلهم احسن قبول وخلع على ابني بو يه واكرمهما وقلد علياً (عماد الدولة) الكرج . وكان علي حليماً شجاعاً عاقلاً فلما سار الى عمله احسن الى الاهالي ايما احسان حتى جذب قلوبهم وحلفوا على طاعته حتى آخر نسمة من حياتهم . فلما بلغ مرداويج ذلك خاف عاقبة الامر لئلا ينتقض كل في عمله فأرسل الى عماله الذين ولاهم الاعمال يستدعيهم اليه ومن ضمنهم علي بن بو يه فدافعه علي واشتغل بأخذ العهود على اهل الكرج وخوفهم سطوة مرداويج فاجابوه جميعهم ثم استأمن اليه شيرزاد وهو من كبار قواد الديلم فقويت نفسه بذلك وسار من كرج الى اصفهان وبها المظفر بن ياقوت في عشرة آلاف مقاتل ولم يكن مع علي بن بو يه عشر هذا العدد لكنه انتصر عليهم انتصاراً باهراً وملك اصفهان فعظم في اعين الجميع . واغتم مرداويج عند سماعه هذا الخبر غماً شديداً وندم على احسانه اليه وتوليته اياه . اما وقد بدأنا في ذكر اعمال هذه الدولة وكما لا يخفى ان الثلاثة اخوة لم يتفقوا معاً ويؤلفوا دولة واحدة تحت رئاسة احدهم بل تفرقوا في البلاد وملك كل منهم بلاداً اورثها اولاده حتى صار يحق لنا ان نقول ان دولة بني بو يه ثلاث دول وان اجتمعت في النسب فقد اختلفت في المقاصد حتى حارب بعضهم بعضاً كما سترى ان شاء الله . ولاجل ان يكون كلامنا واضحاً ومفهوماً فسنتبع هذه الطريقة الآتية في ذكر حوادث هذه الدولة وهي . (١) نذكر اعمال عماد الدولة علي بن بو يه وما ملكه من البلدان وما كان في ايامه من الاحداث ومن خلفه من اولاده الى انقراض امرهم . (٢) نذكر اعمال ركن الدولة الحسن وما ملكه ومن خلفه من اولاده الى انقراض امرهم . (٣) نذكر اعمال معز الدولة احمد وما ملكه ومن خلفه من اولاده الى انقراض امرهم وعلى الله الاتكال .

القسم الاول

١٧٤ — عماد الدولة علي بن بويه

من سنة ٣٢١ — ٣٣٨ هـ او من سنة ٩٣٣ — ٩٤٩ م

لما استتب الامر لعماد الدولة علي بن بويه بالكرج واصفهان كما قدمنا وبلغ خبره الى مرداويج بن زيار اضطرب وكتب الى عماد الدولة يعاتبه ويستميله ويطلب منه اظهار دعوته ويمده بالعساكر في البلاد والاعمال ويخطب له فيها . وجهز له اخاه وشمكير في جيش كثيف ليكبسه وهو مطمئن الى تلك الرسالة . ولكن عماد الدولة شعر بالمكيدة فرحل عن اصفهان بعد ان جبى اموالها وسار الى ارجان وبها ابو بكر ياقوت من اصفهان والياً عليها فنزعها عنه وملكها منه وفي هذا الوقت كاتبه اهل شيراز يستدعونه اليهم وعليهم يومئذٍ ياقوت عامل الخليفة وثقلت وطأته عليهم وكثر ظلمه فاستدعوا عماد الدولة وخام عن المسير اليهم فأعادوا اليه الكتاب بالحث على ذلك وان مرداويج طلب الصلح من ياقوت فعاجل الامر قبل ان يجتمعا . فسار اليهم سنة ٣٢٢ هـ . وعلم ياقوت بقدومه فتجهز لصده عنه لكنه انهزم امامه وملك عماد الدولة شيراز . وكان معز الدولة احمد بن بويه من اشد الناس بلاءً في هذه الحرب وهو اذ ذاك لا يتجاوز ١٩ سنة . واستولى عماد الدولة على سائر بلاد فارس وارشده بعضهم الى ذخائر في دار الامارة وغيره من ودائع ياقوت وبني الصفار ففتحها وفرق على الجند ما ازاح به عللهم وامتلأت خزائنه . وكانت الخلافة العباسية قد افضت الى الراضي بالله فكتب اليه عماد الدولة والى وزيره علي بن مقلة تقرير البلاد عليه بالف الف درهم فأجيب الى ذلك وبعثوا اليه بالخلع واللواء . ولما استقام الامر لعماد الدولة بن بويه أقطع اخاه ركن الدولة اصفهان واخاه معز الدولة كرمان واستقر هو بفارس ملكاً مطاعاً الى ان توفي سنة ٣٣٨ . ولم يخلف ولداً ذكراً ولكنه تبنى ابن اخيه ركن الدولة المدعو عضد

الدولة واحضره عنده في حياته واكرمه وأجلسه معه على سرير المملكة وامر الجنود بطاعته وعهد اليه بالملك على فارس بعده فلما توفي عماد الدولة استولى عضد الدولة ابن اخيه ركن الدولة على بلاد فارس ٠

١٧٥ عضد الدولة بن ركن الدولة

من سنة ٣٣٨ — ٣٧٢ هـ او من سنة ٩٤٩ — ٩٨٢ م

لا يستغرب القاريء اذا جعلنا عضد الدولة مع انه ابن ركن الدولة خلفاً لعماد الدولة لانه تبناه كما ذكرنا ذلك فلما توفي عماد الدولة استولى عضد الدولة بعده واطاعته العساكر وارباب الدولة واسم عضد الدولة (فناخسرو) وفي سنة ٣٥٧هـ استولى عضد الدولة على كرمان والسبب في ذلك ان ابا علي بن اليـاس كان قد ملك كرمان بدعوة بني سامان واستبد بها الى ان توفي عن ثلاثة اولاد اليسع والياس وسليمان وكان قد عهد الولاية من بعده لابنه اليسع ثم لالياس من بعده وامرهما باجلاء اخيهما سليمان الى ارضهم ٠ فلم يرض سليمان بوصية ابيه وخالف على اخويه بعد موت ابيه فوثب على السيرجان وملكها فسار اليه اخوه اليسع فحبسه وهرب من محبسه واجتمع اليه العسكر وأطاعوه ومالوا اليه ثم توفي سنة ٣٥٦هـ وصفت كرمان لليسع ٠ وكان عضد الدوله متاخماً لليسع في بعض حدود عمله ٠ فحمل ترف الشباب وجهله اليسع على مغالبة عضد الدولة وعلم عضد الدولة بذلك فاستحكمت حلقات الخلاف بينهما ٠ ثم هرب كثيرون من اصحاب اليسع واتحدوا مع عضد الدولة حتى بقي في قلة فهرب الى بخارا ٠ وسار عضد الدولة الى كرمان وملكها وأقطعها ولده ابا الفوارس واستخلف عليها كورتكين بن خشتان

وفي سنة ٣٦٠ هـ انتقض اهل كرمان على عضد الدولة فسار اليهم وقتل الثائر بن حتى أخلدوا الى السكينة ٠ وكان قد توفي معز الدولة بن بويه سنة ٣٥٦هـ بعد ان استولى على أمور الدولة العباسية ببغداد وتولى امارة الامراء وبعد موته

تولى ابنه بختيار وكان سيء السيرة قليل السياسة حتى ضعف امره واستولى الترك على الدولة في ايامه فلما علم عضد الدولة بحال بختيار ابن عمه وضعفه وما فعله الاتراك معه (كما تجده مفصلاً في ذكر بختيار) عزم على المسير اليه بعد ان كان يتربص به . فسار في سنة ٣٦٤ هـ في عساكر فارس وسار معه ابو القاسم بن العميد وزير ابيه من الاهواز في عساكر الري وقصدوا مدينة واسط وبها الفتكين قائد الترك فلما علم بقدومه رجع الى بغداد وعزم ان يجعلها وراء ظهره . ووصل عضد الدولة واجتمع به بختيار ابن عمه . فسار عضد الدولة قاصداً بغداد من الجانب الشرقي وأمر بختيار ان يسير في الجانب الغربي وحاصرها من جميع الجوانب حتى غلت فيها الاقوات وقاتله عليها الاتراك قتالاً شديداً انهزم في آخره الاتراك واستولى عضد الدولة و بختيار على بغداد . وكان عضد الدولة قد طمع في العراق واستضعف بختيار وانما خاف اباه ركن الدولة فاغرى جند بختيار على ان يثوروا به و يشغبوا عليه و يطالبوه باموالهم . وكان بختيار لا يملك شيئاً لا قليلاً ولا كثيراً . ففعلوا ذلك و بالغوا فيه فاشار عليه عضد الدولة بعدم الالتفات اليهم وانه عازم على التنازل عن الملك فظنه بختيار ناصحاً له ففعل حسب ما أشار به اليه ودخل داره واغلق بابه وصرف كتابه وحجابه . فلما رأى عضد الدولة حيلته نجحت احسن الى جند بختيار وارسل الى بختيار واخوته واعتقلهم واستولى على العراق . وكان لبختيار ابن يدعى المرزبان وكان في ذلك الوقت بالبصرة والياً عليها فلما علم بقبض عضد الدولة على ابيه ارسل الى ركن الدولة (والد عضد الدولة) يخبره الخبر فحزن ركن الدولة جداً لسماعه افعال ابنه عضد الدولة بابن اخيه بختيار وارسل اليه يهدده . فارسل عضد الدولة الى ابيه بان بختيار ضعيف الرأي لا يضبط الملك وانه ان ترك العراق لبختيار ربما ضاع من بني بويه كافة . فأساء ابوه الرد عليه واعتقل وزيره ابن العميد . وتصادف انتقاض الاعمال على عضد الدولة . فاحتال ابن العميد على ركن الدولة لكي يطلقه على ان يضمن له مسير عضد الدولة عن العراق و يرجع بختيار لملكه . فاطلقه ركن الدولة

على هذا الشرط فسار الى بغداد وخوف عضد الدولة من ابيه حتى اطلق بختيار من محبسه واعاده الى ملكه . وعاد عضد الدولة الى شيراز

وفي هذه الاثناء انتقضت عمان على عضد الدولة فارسل اليها جيشاً بقيادة المظفر بن عبد الله فقاتل المخالفين حتى عادت المياه الى مجاريها . ثم انتقضت كرمان ايضاً فارسل اليها عضد الدولة المظفر بن عبد الله فاصلحها

وفي سنة ٣٦٥ هـ مرض ركن الدولة مرضاً خيف منه على حياته وكان ساخطاً على ابنه عضد الدولة فاصلح ابن العميد الحال بينهما حتى جعل ركن الدولة يعهد الى ابنه عضد الدولة بالولاية من بعده

وفي سنة ٣٦٦ هـ توفي ركن الدولة وملك ابنه عضد الدولة بعده واستخلف اخاه فخر الدولة على همذان والري نائباً عنه

وكان بختيار ببغداد في ذلك الوقت ساعياً في اجتذاب الاحزاب اليه ليقوى بهم على عضد الدولة حتى خابر اخاه فخر الدولة في الانتقاض عليه . فلما علم عضد الدولة بذلك قوي عزمه على قصد العراق واستخلاصه من بختيار فسار اليه في سنة ٣٦٦ هـ وانحدر بختيار الى واسط لمدافعته وبعد قتال شديد انهزم بختيار ولحق بواسط ثم بعث اليه ابن شاهين باموال وسلاح وهاداه واتحفه فسار اليه الى البطيحة واصعد منها الى واسط . واختلف اهل البصرة فمالت مضر مع عضد الدولة وربيعة مع بختيار ثم قويت مضر عند انهزامه وكاتبوا عضد الدولة فبعث اليهم عسكراً واستولوا على البصرة . واقام بختيار بواسط وترددت الرسل بينه وبين عضد الدولة للاتفاق ولكن بلا فائدة

وفي سنة ٣٦٧ هـ سار عضد الدولة الى بغداد ودخلها وارسل الى بختيار يدعوه الى طاعته وان يسير عن العراق لاي جهة أرادها فضعفت نفسه جداً حتى قلع عينه وبعثها اليه وسار الى الشام . فصفت بغداد لعضد الدولة واستولى عليها وخطب له بها ولم يكن خطب لاحد قبله . وقوي امر عضد الدولة جداً واتسع ملكه عن جميع بني بويه وملك الموصل من بني حمدان واستأمن اليه بنو حسنويه

وكان ركن الدولة بن بويه قبل وفاته عازماً على جعل ولاية العهد لابنه فخر الدولة فلما توسط ابن العميد في صلح ركن الدولة وابنه عضد الدولة عهد اليه بولاية العهد ثم مات وملك ابنه عضد الدولة بعده وولى اخاه فخر الدولة على همذان والري نائباً عنه كما ذكرنا · ولكن فخر الدولة لم يكن راضياً عن اعمال أخيه عضد الدولة وكان يود الانتقاض وكثيراً ما كاتب بختيار في ذلك ففي سنة ٣٦٩ﻫ بعد ان فرغ عضد الدولة من بختيار واستتب له الامر بالعراق سار الى همذان والري واستولى عليها وهرب أخوه فخر الدولة ونزل على شمس المعالي قابوس بن وشمكير فأمنه واواه وحمل اليه فوق ما امله · فارسل عضد الدولة الى قابوس بتسليم أخيه اليه فامتنع فجهز اليه عضد الدولة اخاه مؤيد الدولة صاحب اصفهان بالعساكر والاموال والسلاح فسار الى جرجان وبرز قابوس للقائه والتقوا بنواحي استراباذ في منتصف سنة ٣٧١ ﻫ فانهزم قابوس ولحق بنيسابور وجاء فخر الدولة منهزماً على أثره فاستمدا الامير نوحاً الساماني فأمدهما فهزمهم مؤيد الدولة وثبتت له جرجان · وفي ٨ شوال سنة ٣٧٢ ﻫ توفي عضد الدولة ببغداد ودفن بمشهد امير المؤمنين علي (رض) وكان عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه عاقلاً فاضلاً حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة بعيد الهمة ثاقب الرأي محباً للفضائل واهلها باذلاً في مواضع العطاء مانعاً في اماكن الحزم ناظراً في عواقب الامور · وكان كثيراً ما يجالس العلماء ويناظرهم في المسائل فقصدوه من كل بلد وصنفت الكتب باسمه كالايضاح في النحو والحجة في القراآت والملكي في الطب والتاجي في التواريخ · وعمل البيمارستانات وبنى القناطر وفي ايامه حدثت المكوس على المبيعات ومنع من الاحتراف ببعضها وجعلت متجراً للدولة

١٧٦ ـ صمصام الدولة ابو كاليجار بن عضد الدولة

من سنة ٣٧٢ ـ ٣٧٦ هـ او من سنة ٩٨٢ ـ ٩٨٦ م

لما توفي عضد الدولة ملك بعده ابنه صمصام الدولة ابو كاليجار المرزبان فخلع على اخويه ابي الحسن احمد وابي ظاهر فيروز شاه وأقطعهما فارس و بعثهما اليها . وكان شرف الدولة ابو الفوارس شرزيك قد ولاه ابوه عضد الدولة قبل موته كرمان . فلما بلغه خبر وفاة ابيه سار الى فارس فملكها وقتل نصر بن هرون النصراني وزير ابيه لانه كان يسيء عشرته . وقطع خطبة اخيه صمصام الدولة وخطب لنفسه ووصل اخواه ابو الحسن احمد وابو ظاهر فيروز شاه اللذان أقطعهما صمصام الدولة بشيراز . فبلغهما خبر استيلاء شرف الدولة على فارس فعادا الى الاهواز . ولما علم صمصام الدولة بخبر اخيه شرف الدولة ارسل اليه جيشاً بقيادة ابن تتش حاجب ابيه فالتقى بعساكر شرف الدولة بقيادة ابي الاغر دبيس بن عفيف الاسدي بظاهر قرقوب و بعد قتال شديد انهزم عسكر صمصام الدولة وأسر ابن تتش الحاجب واستولى حينئذ الحسين بن عضد الدولة على الاهواز بدعوة اخيه شرف الدولة . وولى شرف الدولة على فارس أستاذ هرمز فانتقض عليه وصار مع صمصام الدولة وخطب له بعمان فبعث اليه شرف الدولة عسكراً فهزموا أستاذ هرمز وأسروه وحبس ببعض القلاع وطولب بالاموال وعادت عمان الى شرف الدولة وكان صمصام الدولة سيء السيرة في اهل بغداد وكان يجدد عليهم كثيراً من الرسوم حتى كادوا ان يثوروا عليه . وعلم شرف الدولة بعدم رضا أهل بغداد وجنده عليه فسار في سنة ٣٧٦ هـ من الاهواز الى واسط فملكها . فاتسع الخرق على صمصام الدولة وشغب عليه الجند وعزم هو ان يذهب الى أخيه شرف الدولة بواسط ليصطلحا على ما يرضي الطرفين فنهاه أصحابه عن ذلك وأشاروا عليه بان يرده قوة واقتداراً فخالفهم وسار في طيار الى أخيه شرف الدولة في خواصه فلقيه، وطيب قلبه فلما خرج من عنده قبض عليه وارسل الى

بغداد من يحتاط على دار المملكة وسار فوصل الى بغداد في شهر رمضان سنة ٣٧٦ هـ فنزل بالشفيعي واخوه صمصام الدولة معه تحت الاعتقال . وكانت امارة صمصام الدولة بالعراق ثلاث سنين واحد عشر شهراً

١٧٧ – شرف الدولة ابو الفوارس شرزيلك بن عضد الدولة

من سنة ٣٧٦ – ٣٧٩ هـ او من سنة ٩٨٦ – ٩٨٩ م

وبعد ان اعتقل شرف الدولة اخاه صمصام الدولة دخل الى بغداد واستولى على الملك وخطب له بها . وكان معه حين دخوله بغداد ١٥٠٠٠ من الديلم فاستطالوا على الاتراك الذين ببغداد وكان عددهم لا يتجاوز ٣٠٠٠ رجل فجرت منازعة بينهم في دار واسطبل ثم اتسع الخرق حتى تقاتلوا فانتصر الديلم طبعاً لكثرتهم فنادوا باعادة صمصام الدولة الى الملك فارتاب بهم شرف الدولة و وكل بصمصام الدولة من يقتله ان هموا بذلك ثم اتيحت الكرة للاتراك على الديلم وفتكوا فيهم حتى تشتت شملهم واعتصم بعضهم بشرف الدولة فأصلح شرف الدولة بين الطائفتين وحلف بعضهم لبعض وحمل صمصام الدولة الى فارس فاعتقل في قلعه هناك . و بعد ان انتهت هذه الفتنة صرف شرف الدولة نظره الى احوال المملكة لاصلاح ما كان قد اختل من توالي الفتن فرد على الشريف محمد ابن عمرو الكوفي جميع املاكه وكانت تغل في السنة ٢٥٠٠ الف درهم على ما يقال ورد على النقيب ابي احمد والد الراضي جميع املاكه واقر الناس على مراتبهم ومنع الناس من السعايات ولم يقبلها فامنوا وسكنوا ووزر له منصور بن صالحان . وكان قائد جنود شرف الدولة شخصاً يدعى قراتكين وكان قد افرط في الدولة والضرب على ايدي الحكام حتى صار ثقلاً على شرف الدولة فأراد ان يخرجه في بعض الوجوه وكان حنقاً على بدر بن حسنويه لميله مع عمه فخر الدولة فبعثه اليه في العساكر سنة ٣٧٧هـ فهزمه بدر بوادي قرميسين ونجا قراتكين في قليل من عسكره الى جسر النهروان

حتى انتهى اليه المنهزمون فرجع بهم الى بغداد . واستولى بدر على اعمال الجبل ولما رجع قراتكين زاد ادلاله وتجنبه واغرى العسكر بالشعب والتوثب على الوزير منصور بن صالحان . فلقوه بما يكره فلاطفهم ودفعهم واصلح شرف الدولة بين الوزير وبين قراتكين . وشرع في اعمال الحيلة على قراتكين فلم تمض غير ايام حتى قبض عليه وعلى جماعة من اصحابه واستصفى اموالهم فشغب الجند لاجله فقتله شرف الدولة فسكنوا وقدم عليهم مكانه طغان الحاجب فصلحت طاعته .

وفي سنة ٣٧٩ ﻫ مرض شرف الدولة ابو الفوارس ولما اشتدت علته بعث ابنه ابا علي الى بلاد فارس بالخزائن والعدد مع امه وجواريه في جماعة عظيمة من الاتراك. ولما رأى اصحاب شرف الدولة شدة المرض سألوه أن يعهد لاحد بعده فقال لهم . انا في شغل عن ذلك . فسألوه نيابة اخيه بهاء الدولة ليسكن الناس الى ان يتم له الشفاء فولاه نيابته ثم توفي شرف الدولة في منتصف سنة ٣٧٩ﻫ بعد ان سمل عيني اخيه صمصام الدولة بالحاح تحرير الخادم الذي كان كثيراً ما يقول له . الدولة مع وجود صمصام الدولة في خطر فان لم تقتله فاسمله . وكانت مدة ملك شرف الدولة سنتين وثمانية اشهر .

---

١٧٨ — بهاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة

من سنة ٣٧٩ — ٤٠٣ ﻫ أو من سنة ٩٨٩ — ١٠١٢ م

لما توفي شرف الدولة وكان على نيابته اخوه بهاء الدولة كما تقدم استولى على الملك بعده وعزاه الطائع لله في اخيه وخلع عليه خلع السلطنة . واقر بهاء الدولة ابا منصور بن صالحان على وزارته

قد تقدم معنا ان شرف الدولة اعتقل صمصام الدولة بقلعة ببلاد فارس وانه سير ولده ابا علي بالاموال والذخائر اليها . فلما بلغ ابو علي ومن معه البصرة اتاهم الخبر بموت شرف الدولة فسير ما معه في البحر الى ارجان وسار هو مجداً الى ان

وصل اليها واجتمع معه من بها من الاتراك وساروا نحو شيراز وكاتبهم متوليهاوهو
ابو القاسم العلاء بن الحسن بالوصول اليها ليسلمها لهم . وكان المحافظون في القلعة
التي بها صمصام الدولة واخوه ابو طاهر اطلقوهما ومعهما فولاذ وساروا الى سيراف .
واجتمع على صمصام الدولة كثير من الديلم . وسار الامير ابو علي الى شيراز
و وقعت الفتنة ما بين الاتراك والديلم . وهم الديلم بتسليم ابي علي الى صمصام
الدولة فوجدوه اتحد مع الاتراك فكشفوا القناع ونابذوا الاتراك وجرى بينهم
قتال انهزم فيه الديلم ونهب الاتراك اموالهم ثم سار ابو علي والاتراك الى (نسا)
فاستولوا عليها واخذوا ما بها وقتلوا من بها من الديلم واخذوا اموالهم وسلاحهم
فقووا بذلك . وسار ابو علي الى ارجان وعاد الاتراك الى شيراز فقاتلوا صمصام
الدولة ومن معه من الديلم وعادوا الى ابي علي بارجان واقاموا معه . ثم وصل
رسول من بهاء الدولة الى ابي علي وأدى الرسالة وطيب قلبه و وعده ثم راسل بهاء
الدولة الاتراك سرًا واستمالهم الى نفسه واطمعهم فحسنوا لابي علي المسير الى بهاء
الدولة . فسار اليه فلقيه بواسط منتصف جمادى الاخرى سنة ٣٨٠ هـ فانزله
واكرمه وتركه عدة ايام ثم قبض عليه وقتله . وتجهز بهاء الدولة للمسير الى الاهواز
لقصد بلاد فارس . فسار اليها في هذه السنة (٣٨٠ هـ) من بغداد بعد ان
استخلف ابا نصر خواشاذه ببغداد فوصل الى ارجان واستولى عليها وأخذ ما فيها
من الاموال وكان شيئًا كثيرًا فشغب عليه الجند ولم يهدأوا حتى فرق فيهم تلك
الاموال . ثم سير مقدمته بقيادة ابي العلاء بن الفضل الى النوبندجان وبها عساكر
صمصام الدولة فهزمهم و بث اصحابه في نواحي فارس . فسير اليهم صمصام الدولة
جيشًا بقيادة فولاذ فانهزم جيش بهاء الدولة وعاد ابو العلاء مهزومـًا الى ارجان ثم
ترددت بينهما الرسل في الصلح على ان يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وارجان
ولبهاء الدولة خوزستان والعراق فتم الصلح بينهما على ذلك . وعاد بهاء الدولة الى
الاهواز فعلم بالفتن التي وقعت ببغداد من العيارين و بين الشيعة واهل السنة
وكيف نهبت الاموال فسار الى بغداد ودخلها واصلح ما قد فسد في غيابه . ثم

شغب الجند على بهاء الدولة لقلة الاموال فاغراه ابو الحسن بن المعلم (وكان نافذ الكلمة عنده) بالقبض على الطائع واطمعه في امواله . فارسل بهاء الدولة الى الخليفة الطائع في الحضور عنده فجلس على العادة ودخل بهاء الدولة في جمع كبير وجلس على كرسيه . وكان قد اوصى بعض الديلم بالقبض على الطائع بكيفية اراهم اياها فتقدم بعض الديلم الى الخليفة الطائع واظهروا التقبيل يده فمدها لهم فجذبوه عن سريره وهو يستغيث ويقول . « انا لله وانا اليه راجعون » واستصفيت خزائن دار الخلافة فمشى بها الحال اياماً . ونهب الناس بعضهم بعضا . ثم اشهد على الطائع بالخلع ونصب للخلافة عمه القادر ابا العباس احمد المقتدر استدعوه من البطيحة وكان فر اليها امام الطائع كما تقدم ذكر ذلك في اخبار الخلفاء وهذا كله سنة ٣٨١ ه

وفي سنة ٣٨٢ ه ارسل بهاء الدولة جيشاً بقيادة ابي جعفر الحجاج بن استاذ هرمز الى الموصل فملكوها وخطب فيها لبهاء الدولة . وكان ابو القاسم وابو نصر ابنا بختيار محبوسين فخدعا المتوكل عليهما وخرجا من السجن والتف حولهما جند كثير فحاربا صمصام الدولة وقتلاه وملكا فارس فلما استوليا على فارس بعثا الى ابي علي بن استاذ هرمز يستميلانه ويأمرانه باخذ العهد لهما على الذين معه من الديلم ومحاربة بهاء الدولة . وفي الوقت نفسه كتب اليه بهاء الدولة يستميله ويؤمنه ويؤمن الديلم الذين معه ويرغبهم . فاضطرب رأي ابي علي لخوفه من ابني بختيار ومال عنهما . ومال الديلم عن بهاء الدولة خوفاً من الاتراك الذين معه . فما زال ابو علي بهم حتى بعثوا جماعة من اعيانهم الى بهاء الدولة واستوثقوا يمينه ونزلوا الى خدمته وساروا الى الاهواز ثم الى (رامهرمز) و (ارجان) واستولى بهاء الدولة على سائر بلاد خوزستان ثم بعث وزيره ابا علي بن اسماعيل الى فارس فنزل بظاهر شيراز وبها ابنا بختيار فحاربهما وهزمهما واستولى على شيراز وهرب ابو نصر بن بختيار الى بلاد الديلم ولحق اخوه ابو القاسم ببدر بن حسنويه بالبطيحة . وكتب الوزير ابو علي الى بهاء الدولة بالفتح فسار الى شيراز وأمر

بنهب قرية الرودان فملكها . واقام بهاء الدولة بالاهواز واستخلف ببغداد ابا علي ابن جعفر المعروف باستاذ هرمز ولقبه عميد العراق . وبقي ملوك الديلم بعد ذلك يقيمون بفارس الاهواز ويستخلفون على العراق مدة طويلة . ولما سار ابو نصر ابن بختيار الى بلاد الديلم اجتمع اليه جند كثير فاغار بهم على كرمان وملكها فسير اليها بهاء الدولة جيشاً بقيادة وزيره الموفق ابي علي بن اسماعيل فقاتل ابا نصر ومن معه وهزمه واستولى على كرمان وهرب ابو نصر فارسل من تعقبه وقتله وذلك سنة ٣٩٠ هـ

وفي سنة ٤٠١ هـ توفي عميد العراق ابو علي بن استاذ هرمز نائب بهاء الدولة ببغداد . فاستعمل بهاء الدولة مكانه ابا غالب ولقبه فخر الملك

وفي جمادي الاخرى سنة ٤٠٣ هـ توفي بهاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة ابن ركن الدولة بن بويه وكان موته بارجان فحمل الى بغداد ودفن بمشهد امير المؤمنين علي . وكان عمره ٤٢ سنة وتسعة اشهر وملكه ٢٤ سنة

١٧٩ ـ سلطان الدولة ابو شجاع بن بهاء الدولة

ومشرف الدولة ابو علي بن بهاء الدولة

من سنة ٤٠٣ — ٤١٦ هـ او من سنة ١٠١٢ — ١٠٢٥ م

لما توفي بهاء الدولة ملك بعده ابنه سلطان الدولة ابو شجاع وسار من ارجان الى شيراز وولى اخاه جلال الدولة ابا طاهر على البصرة واخاه ابا الفوارس على كرمان . وفي سنة ٤٠٦ هـ قبض سلطان الدولة على نائبه بالعراق ووزيره فخر الملك ابي غالب وقتله سلخ ربيع الاول . واستعمل سلطان الدولة مكانه ابا محمد الحسن بن سهلان ولقبه عميد اصحاب الجيوش . وفي سنة ٤٠٧ هـ ثار ابو الفوارس بن بهاء الدولة على اخيه سلطان الدولة لانه لما ولاه كرمان اجتمع اليه الديلم وحسنوا اليه محاربة اخيه واخذ البلاد منه فتجهز وتوجه الى شيراز فلم يشعر

سلطان الدولة حتى دخل ابو الفوارس شيراز فجمع عساكره وسار اليه وحاربه فانهزم ابو الفوارس وعاد الى كرمان فتتبعه اليها فخرج منها هاربا الى خراسان ولحق بمحمود بن سبكتكين بيست فاكرم وفاته ووعده النصرة على اعدائه ثم سير معه عسكرًا بقيادة ابي سعد الطائي وهو من اعيان قواده فسار الى كرمان فملكها وقصد بلاد فارس (وكان سلطان الدولة قد فارقها الى بغداد) فدخل شيراز واستولى عليها فلما سمع سلطان الدولة عاد الى فارس فالتقوا هناك واقتتلوا فانهزم ابو الفوارس وقتل كثيرين من أصحابه وعاد باسوأ حال وملك سلطان الدولة بلاد فارس . وهرب ابو الفوارس سنة ٤٠٨ ﻫ الى كرمان فسير سلطان الدولة العساكر في أثره فأخذوا كرمان منه فلحق بشمس الدولة بن فخر الدولة صاحب همذان ولم يتمكن من الرجوع الى محمود بن سبكتكين لانه أساء السيرة مع ابي سعد الطائي . ثم فارق شمس الدولة ولحق بمهذب الدولة صاحب البطيحة فاكرم وفادته وانزله داره . ثم ترددت الرسل بين ابي الفوارس وسلطان الدولة في الصلح فاعاد اليه كرمان وسيرت اليه الخلع والتقليد بذلك

وفي سنة ٤١١ ﻫ شغب الجند ببغداد على سلطان الدولة ونادوا بولاية مشرف الدولة اخيه فهم بالقبض عليه فلم يتمكن من ذلك . ثم اراد الانحدار الى واسط فطلب الجند ان يستخلف فيهم اخاه مشرف الدولة فاستخلفه ورجع من واسط الى بغداد . ثم عزم على قصد الاهواز فاستخلف أخاه مشرف الدولة ثانياً على العراق بعد ان تحالفا ان لا يستخلف احد منهما ابن سهلان . فلما انحدر سلطان الدولة ووصل الى تستر استوزر ابن سهلان فاستوحش مشرف الدولة . فانفذ سلطان الدولة وزيره ابن سهلان ليخرج اخاه مشرف الدولة من العراق . فجمع مشرف الدولة جيشاً كثيفاً بينهم اتراك واسط والتقى بابن سهلان عند واسط وبعد حرب شديدة انهزم ابن سهلان وتحصن بواسط فحاصره مشرف الدولة وضيق عليه حتى غلت الاسعار وأكل الناس الكلاب . فلما ايقن ابن سهلان بالهزيمة سلم البلد . فعظم امر مشرف الدولة وخوطب حينئذ بشاهنشاه . وكان

ذلك في اخر ذي الحجة سنة ٤١١ هـ . فلما سمع سلطان الدولة ذلك سار عن الاهواز الى أرجان وقطعت خطبته من العراق وخطب لاخيه . ثم تراسل سلطان الدولة ومشرف الدولة في الصلح وسعى فيه بينهما ابو محمد بن مكرم صاحب سلطان الدولة ومؤيد الملك الرججي وزير مشرف الدولة على ان يكون العراق لمشرف الدولة . وفارس وكرمان لسلطان الدولة وتم ذلك بينهما سنة ٤١٣ هـ

وفي سنة ٤١٥ هـ توفي سلطان الدولة ابو شجاع صاحب فارس بشيراز وكان وزيره محمد بن مكرم وكان هواه مع ابنه ابي كاليجار وهو يومئذ امير الاهواز فارسل اليه بوفاة ابيه وطلب اليه الحضور للاستيلاء على الملك . وكان هوى الاتراك مع عمه أبي الفوارس صاحب كرمان فاستقدموه فدخل شيراز قبل ابي كاليجار . فخشي محمد بن مكرم جانبه وفر عنه ابو المكارم الى البصرة . فلما علم ابو كاليجار ذلك ارسل عساكره الى فارس فجهز لهم ابو الفوارس جيشاً بقيادة ابي منصور الحسن بن علي فالتقوا به وهزموه وغنموا معسكره وهرب أبو الفوارس الى كرمان وملك ابو كاليجار شيراز . ثم زحف اليه ابو الفوارس في عشرة آلاف من الاكراد فاقتتلوا بين البيضاء واصطخر فانهزم ابو الفوارس ولحق بكرمان واستولى ابو كاليجار على فارس واستقر ملكه بها سنة ٤١٧ هـ

وفي ربيع اول سنة ٤١٦ هـ توفي مشرف الدولة ابو علي بن بهاء الدولة سلطان بغداد لخمس سنين من ملكه . ولما توفي خطب ببغداد لاخيه جلال الدولة وهو بالبصرة واستقدم فلم يقدم وانتهى الى واسط واقام بها ثم عاد الى البصرة فقطعت خطبته وخطب لابن اخيه الملك ابي كاليجار بن سلطان الدولة . فلما سمع جلال الدولة بذلك صعد الى بغداد فانحدر عسكرها ليردوه عنها فقاتلهم ودخلها واستولى عليها .

١٨٠ ـ جلال الدولة بن بهاء الدولة

وابو كاليجار بن سلطان الدولة

من سنة ٤١٦ — ٤٤٠ هـ او من سنة ١٠٢٥ — ١٠٤٨ م

قد تقدم معنا انه لما توفي سلطان الدولة بن بهاء الدولة سنة ٤١٥ هـ ملك بعده ابنه ابو كاليجار ولما توفي مشرف الدولة بن بهاء الدولة سنة ٤١٦ هـ ملك بعده اخوه جلال الدولة بن بهاء الدولة ٠

وفي سنة ٤١٩ هـ شغب الجند ببغداد على جلال الدولة وطالبوه بارزاقهم وحصروه في داره حتى منعوا عنه الماء فشرب اهله ماء البئر فباع جلال الدولة صياغات نسائه وملبوسه وفرق ثمنه فيهم ولكنهم ثاروا ثانية بعد ايام فعزل وزيره ابا علي واستوزر ابا طاهر ثم عزله بعد اربعين يوماً واستعمل سعيد بن عبد الرحيم

وكان جلال الدولة لما صعد الى بغداد استخلف على البصرة ابنه الملك العزيز ابا منصور فحدث بين الترك والديلم فتنة فانهزم فيها الديلم وانتصر الترك ٠ فانتصر الملك العزيز ابو منصور للديلم وحارب الترك فهزموه ونادوا بشعار ابي كاليجار ابن سلطان الدولة وهو بالاهواز ٠ فبلغ ابا كاليجار هذا الخبر فارسل جيشاً الى البصرة لنصرة الترك واخراج الملك العزيز عنها فقاتلوا الملك العزيز واخرجوه فلحق بواسط وملكوا البصرة ونهبوا اسواقها سنة ٤١٩ هـ ٠ وهم جلال الدولة بالمسير اليهم فاقعده قلة الاموال ٠ وبلغ خبر استيلاء أبي كاليجار على البصرة الى كرمان وكان بها عمه قوام الدولة ابو الفوارس وقد تجهز لقصد بلاد فارس فأدركه أجله فمات ٠ فنادى اصحابه بشعار أبي كاليجار واستدعوه فسار وملك بلاد كرمان

وفي سنة ٤٢٠ هـ استولى ابو كاليجار على واسط فسار اليه جلال الدولة وقاتله وهزمه واجلاه عنها واستولى عليها وانزل ابنه الملك العزيز بها ورجع

وفي سنة ٤٢١ هـ استولى عسكر جلال الدولة على البصرة من يد اصحاب ابي كاليجار فارسل ابو كاليجار اليها اسطولاً مؤلفاً من ٤٠٠ مركب فاستولى عليها

واستخلصها من يد اصحاب جلال الدولة . وفي سنة ٤٢٣ هـ شغب الجند ببغداد على جلال الدولة فدخل قصره واغلق بابه فجاءت الاتراك ونهبوا داره وسلبوا الكتاب وارباب الديوان ثيابهم وطلبوا الوزير ابا اسحق السهلي فهرب الى حلة كمال الدولة غريب بن محمد . وخرج جلال الدولة الى عكبرا في شهر ربيع الآخر . وخطب الاتراك ببغداد للملك ابي كاليجار وارسلوا اليه يطلبونه وهو بالاهواز فمنعه وزيره العادل بن مافنة عن الاصعاد الى ان يحضر بعض قوادهم . فلما رأوا امتناعه من الوصول اليهم أعادوا خطبة جلال الدولة وساروا اليه وسألوه العود الى بغداد واعتذروا عما فرط منهم . فعاد اليها بعد ٤٣ يوماً ووزر له ابو القاسم بن ماكولا ثم عزله لفتنة الاتراك به واطلاق بعض المصادرين من يده . وضعف امر السلطنة ببغداد فكثر المفسدون وشغب الجند على جلال الدولة مراراً وهان على سكان بغداد ان يفارقوها ان وجدوا الى ذلك سبيلاً لعدم الامن فيها . وفي سنة ٤٢٨ هـ ترددت الرسل بين جلال الدولة وابي كاليجار ابن اخيه في الصلح وتولى ذلك القاضي ابو الحسن الماوردي وابو عبد الله المردوستي فانعقد بينهما الصلح والصهر لابي منصور ابن ابي كاليجار على ابنة جلال الدولة وكان الصداق ٥٠ الف دينار قاسانية

وفي ٦ شعبان سنة ٤٣٥ هـ توفي جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة وكان ملكه ببغداد ١٦ سنة و١١ شهراً . ومن علم سيرته وضعفه وشغب الجند عليه مراراً واستيلاء النواب على ملكه يستغرب دوام ملكه هذه المدة ويؤكد ان الملك لله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء

ولما توفي كان ولده الاكبر الملك العزيز ابو منصور بواسط فكاتبه الاجناد بالطاعة وشرطوا عليه تعجيل حق البيعة فتأخر عنهم . وعلم ابو كاليجار بموت جلال الدولة فكاتب الجند ورغبهم في المال وكثرته فمالوا اليه وقطعوا خطبة الملك العزيز وخطبوا لابي كاليجار . وسار أبو كاليجار الى بغداد فدخلها سنة ٤٣٦ هـ . وكان الملك العزيز صاعداً اليها ايضاً فوجد ابا كاليجار قريباً منها فشغب عليه جنده ورجعوا الى واسط وخطبوا لابي كاليجار فهرب الملك العزيز وتنقل من بلدة الى

بلدة وعزم مرارًا على جمع العساكر واستخلاص ملك أبيه من يد أبي كاليجار فلم يتمكن الى ان توفي بميافارقين سنة ٤٤١ هـ وحمل الى بغداد ودفن بها واستتب الامر لابي كاليجار بدون منازع

وفي سنة ٤٣٥ هـ ارسل أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة بن كاكويه (من ملوك بني بويه بالقسم الثاني) عسكرًا الى كرمان وكانت لابي كاليجار فملكوا منها حصنين وغنموا مافيهما فارسل الملك أبو كاليجار اليه في اعادتهما وازالة الاعتراض عنهما فلم يفعل فجهز عسكرًا وسيره الى ابرقوه فحصرها وملكها فانزعج أبو منصور فرامرز لذلك وجمع جيشًا كثيفًا وسيره اليهم و بعد قتال شديد انهزم اصحاب ابي منصور فرامرز واستولى اصحاب أبي كاليجار على ما كانوا اخذوه من كرمان

وفي هذه الاثناء ظهرت الدولة السلجوقية وانتزعت البلاد من يد بني بويه أولاد ركن الدولة فلما رأى ابو كاليجار استيلاء طغرلبك السلجوقي على البلاد واخذه الري واصفهان وهمذان من قومه وازالة ملكهم راسله في سنة ٤٣٩ هـ في الصلح فاجابه اليه واصطلحا وكتب طغرلبك الى اخيه ينال يأمره بالكف عما وراء مابيده واستقر الحال بينهما ان يتزوج طغرلبك بابنة أبي كاليجار ويتزوج الامير منصور ابن أبي كاليجار بابنة الملك داود اخي طغرلبك وجري العقد في شهر ربيع الآخر من تلك السنة

وفي سنة ٤٤٠ هـ سار الملك أبو كاليجار من بغداد قاصدًا كرمان لانتزاعها من يد عامله بهرام الديلمي الذي كان قد نزع طاعته واستولى عليها . فلما وصل الى مدينة جناب طرقه المرض ووافاه القضاء المحتوم فلبى دعوة باري النسم في ٤ جمادى الاولى من هذه السنة وكان ملكه بالعراق بعد وفاة جلال الدولة ٤ سنين وشهرين ونيفًا وعشرين يومًا ولما توفي نهب الاتراك من العسكر الخزائن والسلاح والدواب

١٨١ - الملك الرحيم ابو نصر خره فيروز بن ابي كاليجار

من سنة ٤٤٠ – ٤٤٧ هـ او من سنة ١٠٤٨ – ١٠٥٥ م

لما توفي الملك ابو كاليجار كان ابنه ابو نصر خره فيروز ببغداد فلما بلغه الخبر احضر الجند واستحلفهم وراسل الخليفة القايم بأمر الله في معنى الخطبة وتلقيبه بالملك الرحيم فاجابه الى الخطبة ورفض تلقيبه بالملك الرحيم قائلاً . لا يجوز ان تلقب باخص صفات الله . ولكن اصحابه لقبوه بهذا اللقب رغم ارادة الخليفة . فاستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة . وكان الملك أبو كاليجار اصطحب ابنه فلاستون معه في سفرته الى كرمان فلما توفي كما ذكرنا استولى ابنه أبو منصور فلاستون على شيراز فسير اليه الملك الرحيم اخاه ابا سعد في عسكر فملكوا شيراز وخطبوا للملك الرحيم وقبضوا على ابي منصور فلاستون ووالدته

وفي سنة ٤٤١هـ سار الملك الرحيم الى الاهواز (خوزستان) ثم عاد منها الى رامهرمز في ذي القعدة فلما وصل الى وادي الملح لقيه عسكر فارس واقتتلوا قتالاً شديداً فغدر بالملك الرحيم بعض عساكره وانهزم هو وجميع العسكر ووصل الى بصنى ومعه اخواه أبو سعد وابو طالب وسار منها الى واسط . وسار عسكر فارس الى الاهواز فملكوها وفي سنة ٤٤٢ هـ شغب جند فارس بالاهواز على صاحبهم الامير أبي منصور وتركه كثيرون منهم واتحدوا مع الملك الرحيم وهو بواسط . فارسل الملك الرحيم الى بغداد يأمر العساكر التي فيها بالحضور عنده ليسير بهم الى فارس . فجاءوا وسار بهم فلما وصل الى الاهواز لقيه العساكر مقرين بالطاعة واخبروه بطاعة عساكر فارس وانهم ينتظرون قدومه فدخل الاهواز في شهر ربيع الآخر ثم سار عنها الى عسكر مكرم فملكها واقام بها . وفي سنة ٤٤٣ هـ سير الملك الرحيم اخاه الامير أبا سعد في العساكر فملك اصطخر وشيراز وهرب الامير أبو منصور منها والتجاء الى الملك طغرلبك السلجوقي فانجده وسير العساكر معه . وكان الملك الرحيم قد انتقل من عسكر مكرم الى الاهواز لحصانتها فحاربوه عليها فانهزم ولحق بواسط بعد مشقة

عظيمة . وملك أبو منصور الاهواز وجميع فارس وخطب فيها للسلطان طغرلبك .
وفي سنة ٤٤٧ ﻫ سار قائد كبير من الديلم يسمى فولاذ وهو صاحب اصطخر الى شيراز فدخلها واستولى عليها وخطب فيها للملك الرحيم وقطع خطبة طغرلبك .
وهرب أبو منصور فلاستون الى فيروز آباد واقام بها . وكاتب فولاذ الملك الرحيم ببغداد واخاه أباسعد بارجان في معنى الطاعة لهما فعلما انه يخدعهما . فسار اليه أبو سعد في العساكر من ارجان واتحد معه اخوه أبو منصور بطاعة اخيهما الملك الرحيم فتوجها الى شيراز وحاصرا فولاذ بها وطال الحصار الى ان عدم القوت وتعذر على فولاذ الاقامة فيها فهرب مع بعض خواصه الى نواحي البيضاء وقلعة اصطخر . ودخل الامير ابو سعد والامير أبو منصور شيراز وعساكرهما وملكوها واقاموا بها

وفي هذه السنة كان طغرلبك غازياً ببلاد الروم فبعد ان اثخن فيهم رجع الى الري فاصلح فسادها ثم وصل همذان مظهراً للحج وان يمر بالشام ويزيل دولة العلوية بمصر . وتقدم الى اهل الدينور وقرميسين وغيرهما باعداد العلوفات والزاد في طريقه . وعظم الارجاف بذلك في بغداد وكثر شغب الاتراك وقصدوا ديوان الخلافة يطالبون القائم بامرالله في الخروج معهم للمدافعة وعسكروا بظاهر البلد ولما علم الملك الرحيم بقرب طغرلبك السلجوقي صعد الى بغداد . ولكن الاهالي كانوا قد ملوا سياسة الديلم وتمنوا زوال ملكهم . وكاتب طغرلبك الخليفة القائم بطاعته وللجنود الاتراك بالمواعيد الجميلة . فخطب له في بغداد ثم دخل طغرلبك بغداد يوم الخميس ٢ رمضان سنة ٤٤٧ ﻫ وانتشر عسكره في المدينة واسواقها فثار بهم العامة ظناً منهم ان الملك الرحيم امر بقتالهم . وتمادى العامة في ثورتهم وخرجوا الى معسكر طغرلبك ودخل الملك الرحيم باعيان اصحابه الى دار الخلافة تفادياً من الظنة به . وركبت عساكر طغرلبك وقاتلوا العامة وهزموهم ونهبوا بعض الدروب حتى دروب الخلفاء والرصافة ودرب الدروب وكانت هذه الدروب قد نقل اليها الناس اموالهم ثقة باحترامها . وفشا النهب واتسع الخرق فارسل طغرلبك من الغد الى الخليفة القائم بالعتب على ما وقع ونسبه للملك الرحيم ويطلب

حضوره واعيان اصحابه فيكون براءة لهم . فامرهم الخليفة بالركوب اليه و بعث معهم رسوله ليبرئهم فساروا في ذمامه . وكان طغرلبك قد امر اصحابه بالقبض عليهم عند وصولهم . فقبضوا عليهم ثم حمل الملك الرحيم الى قلعة السيروان فحبس بها الست سنين من ولايته وانقرض امر بني بو يه والملك لله وحده

القسم الثاني

١٨٣ – ركن الدولة الحسن بن بويه

من سنة ٣٢١ – ٣٦٦ هـ او من سنة ٩٣٣ – ٩٧٦ م

ذكرنا فيما تقدم ان بني بو يه واكبرهم عماد الدولة لما استولوا على البلاد واستتب لهم الامر فيها اقتسموها هكذا : عماد الدولة في فارس وركن الدولة في اصفهان ومعز الدولة في كرمان – راجع فصل (١٧٤) . فكان نصيب ركن الدولة الذي نحن بصدده الآن بلاد اصفهان فسار اليها ومكث بمدينة اصفهان عاصمتها

وفي سنة ٣٢٧ هـ كان مرداويج بن زيار قد توفي وقام بالامر بعده اخوه وشمكير كما تقدم ذكر ذلك (فصل ١٦٨) . فلما استتب الامر لوشمكير بعث في هذه السنة جيشاً كثيفاً الى اصفهان فاستولوا عليها من يد ركن الدولة وخطبوا فيها لوشمكير . ثم سار وشمكير الى قلعة الموت وملكها ثم رجع . اما ركن الدولة فلحق باصطخر وهناك جاءه رسول اخيه معز الدولة من الاهواز بان ابن البريدي انفذ جيشاً الى السوس وقتل قائدها من الديلم فسار ركن الدولة الى السوس وهرب عساكر ابن البريدي بين يديه ثم سار الى واسط ليستولي عليها لانه قد خرج عن اصفهان وليس له ملك يستقل به فنزل بالجانب الشرقي وسار الراضي ويحكم من بغداد لحربه فاضطرب اصحابه واستأمن جماعة منهم لابن البريدي فخام ركن

ركن الدولة عن اللقاء ورجع الى الاهواز . ومنها سار الى اصفهان فهزم عسكر
وشمكير وملكها من يده ولحق وشمكير بطبرستان ثم سار بعساكره الى بلد الجبل
فافتتحها واستولى على زنجان وابهر وقزوين وقم وكرج وهمذان ونهاوند والدينور
الى حدود حلوان ورتب فيها العمال وجبى اموالها . ثم وقع خلاف بين وشمكير
والحسن بن الفيرزان ابن عم ماكان واستنجد الحسن بابي علي بن محتاج فانجده
و بعد قتال وقع بينهما صلح وعاد ابو علي الى خراسان وصحبه الحسن بن الفيرزان
ولقيه في طريقه رسل السعيد بن سامان وأمر ابا علي بن محتاج سنة ٣٣٣ ﻫ بغدر
الحسن بابي علي ونهب سواده وعاد الى جرجان فملكهـا وملك معها الدامغان
وسمنان . وسار وشمكير من طبرستان الى الري فاستولى عليها اجمع وكان في قل
من العساكر لفناء رجاله في حروبه مع ابي علي بن محتاج والحسن بن الفيرزان .
فتطاول حينئذٍ ركن الدولة الى الاستيلاء على الري . وسار الى الري وقاتل
وشمكير وهزمه فلحق بطبرستان واستولى ركن الدولة على الري . وفي سنة ٣٣٦ﻫ
سار ركن الدولة الى بلاد وشمكير وقاتله وهزمه واستولى على طبرستان وجرجان
فقوي امره ثم رجع الى اصفهان

ولما سار ركن الدولة الى بلاد فارس بعث الامير نوح بن سامان سنة ٣٣٩ﻫ
جيشاً بقيادة منصور بن قراتكين الى الري وكان بها علي بن كتامة بالنيابة عن
ركن الدولة ففارقها الى اصفهان وملك منصور الري و بث سراياه في البلاد فملكوا
الجبل الى قرميس واستولوا على همذان . فبعث ركن الدولة من فارس الى اخيه
معز الدولة بانفاذ العساكر الى مدافعتهم فبعث سبكتكين الحاجب في جيش
كثيف من الديلم والاتراك والعرب فكبسهم وأسر مقدمهم فلحقوا بهمذان . ثم
سار اليهم سبكتكين ففارقوها وملكها وفي هذه الاثنـاء وصل ركن الدولة الى
همذان فخالفهم منصور بن قراتكين الى اصفهان وملكها . وسار اليها ركن الدولة
وعلى مقدمته سبكتكين وحاصروا منصوراً باصفهان فطال أمد الحصار جداً حتى
عزم ركن الدولة على تركها لولا وزيره ابن العميد الذي كان يثبته فصبر . ولما

طال الحصار على منصور بن قراتكين شغب عليه جنده فهرب من اصفهان واستولى على معسكر منصور . وكان لما استولى ركن الدولة على طبرستان وجرجان هرب وشمكير والتجأ الى بني سامان بخراسان فامده الامير نوح بعسكر استولى به على طبرستان وجرجان فسار اليه ركن الدولة واصلح امرها ثم سار الى جرجان فخرج عنها وشمكير واستولى عليها ركن الدولة واستأمن اليه من عسكر وشمكير ٣٠٠٠ رجل فازداد بهم قوة

وفي سنة ٣٦٦ هـ توفي ركن الدولة الحسن بن بويه وخلفه في الملك بعده ابنه عضد الدولة ولاننا قد ذكرنا ملك عضد الدولة واولاده في القسم الاول لان عماد الدولة كان قد تبناه كما تقدم فيجدر بنا الان ان نذكر باقي اولاد ركن الدولة الذين آل اليهم الملك من بعده

١٨٣ — فخر الدولة بن ركن الدولة

من سنة ٣٦٦ — ٣٨٧ هـ او من سنة ٩٧٦ — ٩٩٧ م

لما استولى عضد الدولة بن ركن الدولة على ملك ابيه استعمل اخاه فخر الدولة على همذان والري ولما كان ابوه حياً كان يرغب في ان يعهد اليه لولا وساطة وزيره ابن العميد الذي حمله على العهد لعضد الدولة فطمع فخر الدولة في الملك بعد موت ابيه واستقر بهمذان واستقل فيها فارسل اليه عضد الدولة يعاتبه وكان الرسول خواشاده من اكبر اصحاب عضد الدولة فاستمال اصحاب فخر الدولة وضمن لهم الاقطاعات وأخذ عليهم العهود . ولما رأى عضد الدولة ان العتاب لا يفيد وان فخر الدولة عزم على الاستقلال ازمع على المسير الى الري وهمذان . فسار الى هناك بجيش عظيم فلما علم فخر الدولة بقربه هرب الى بلاد الديلم واستولى عضد الدولة على الري وهمذان واعمالها واستعمل عليها أخاه مؤيد الدولة . واستمر مؤيد الدولة عاملاً لاخيه عضد الدولة على الري وهمذان الى سنة ٣٧٣ هـ وحاول فخر الدولة ان ينتزعها منه فلم يقدر فلما كانت سنة ٣٧٣ هـ توفي مؤيد الدولة واجتمع أهله للشورى في من يولونه فاشار الصاحب اسماعيل بن عباد باعادة فخر الدولة الى ملكه لكبر سنه وتقدم امارته

بجرجان وطبرستان فبعثوا اليه في ذلك فقدم اليهم واستولى على الري واصفهان وجرجان واستوزر الصاحب ابا القاسم اسماعيل بن عباد .

وفي سنة ٣٧٩ هـ توفي مشرف الدولة وملك بعده أخوه بهاء الدولة ونازعه الملك صمصام الدولة كما تقدم ذكر ذلك فطمع الصاحب بن عباد في ملك بغداد وكان يتمنى السكنى فيها لحضارتها فدس الى فخر الدولة من يرغبه في امتلاكها ويسهل عليه ذلك • فتجهز فخر الدولة في هذه السنة وسار الى الاهواز وملكها ولكنه أساء السيرة في الجند وضيق عليهم ولم يبذل لهم الاموال فخيب ظنون الناس واستشعر منه ايضاً عسكره فتخاذلوا • ولما علم بهاء الدولة باستيلاء فخر الدولة على الاهواز ارسل اليه عسكراً قاتله عليها وهزمه وازاحه فتكدر فخر الدولة جداً لهذه الهزيمة وكان قد استبد برأيه فاستشار الصاحب بن عباد فيما يفعله فاشار ببذل المال وعدم مضايقة الجند فلم يفعل • فتفرق عنه عسكره واتسع الخرق عليه وضاقت الامور به فعاد الى الري واستولى بهاء الدولة على الاهواز .

وفي سنة ٣٨٧ هـ توفي فخر الدولة ابو الحسن علي بن ركن الدولة بقلعة طبرك وكانت مفاتيح الخزائن بالري عند ام ولده مجد الدولة فطلبوا له كفناً فلم يجدوه حتى كفنه قيم الجامع ودفن بعد ما انتن

١٨٤ — مجد الدولة بن فخر الدولة

وشمس الدولة بن فخر الدولة

من سنة ٣٨٧ — ٤٢٠ هـ او من سنة ٩٩٧ — ١٠٢٩ م

ولما توفي فخر الدولة اجتمع الامراء وبايعوا لابنه مجد الدولة وكان عمره اربع سنين وقامت أمه بتدبير الامر بالوصاية عليه • وأقطعوا اخاه شمس الدولة همذان وقرميسين الى حدود اصفهان • واستمر الحال على ذلك الى سنة ٣٩٧ هـ حتى كبر مجد الدولة فاستوزر ابا علي بن علي بن القاسم فلم يرق في عينيه استيلاء أم مجد الدولة على الامور فاستمال الامراء عنها وخوّف مجد الدولة منها فاسترابت وخرجت من الري الى القلعة فوضع عليها من يحفظها فاعملت الحيلة حتى لحقت ببدر بن حسنويه مستنجدة

به وجاءها ابنها شمس الدولة في عساكر همذان وسار معهما بدر فحاصروا اصفهان وملكوها عنوةً وعاد اليها الامر فاعتقلت مجد الدولة ونصبت شمس الدولة للملك ورجع بدر الى بلده . ثم بعد سنة استرابت بشمس الدولة فاعادت مجد الدولة الى ملكه . وفي هذه الاثناء ظهر علاء الدولة ابو حفص بن كاكويه ابن خال هذه المراة وكانت قد استعملته على اصفهان فلما فارقت ولدها فسد حاله فقصد الملك بهاء الدولة وأقام عنده مدة ثم لما عادت والدة مجد الدولة الى ابنها بالري جاء ابو حفص اليها فاعادته الى اصفهان واستقر فيها قدمه وعظم شأنه كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً ان شاء الله

ذكرنا ان شمس الدولة بن فخر الدولة كان قد ملك همذان وأخوه مجد الدولة ملك الري بنظر أمه . وكان بدر بن حسنويه امير الاكراد وبينه وبين ولده هلال فتنة وحروب نذكرها في اخبارهم ان شاء الله واستولى شمس الدولة على كثير من بلادهم واخذ ما فيها من الاموال ثم سار الى الري سنة ٤٠٥ هـ يروم ملكها ففارقها أخوه مجد الدولة ومعه والدته الى دنباوند وخرجت عساكر الري الى شمس الدولة مزعنة بالطاعة وملك الري ولكنه لم يلبث الاّ قليلاً حتى شغب عليه جنده وطالبوه بارزاقهم فعاد الى همذان وأرسل الى أخيه ووالدته يأمرهما بالعود الى الري فعادا ثم توفي شمس الدولة واستولى مكانه ابنه سماء الدولة فاغار على فرهاد بن مرداويج بقطع يزدجرد وحاصره فاستنجد هذا بعلاء الدولة بن كاكويه فانجده وازاح سماء الدولة عنه ثم طمع في امتلاك ما بيد سماء الدولة فسار اليه بهمذان وانتصر عليه وملكها منه ثم ملك باقي البلاد التي بيد سماء الدولة

وكان مجد الدولة تاركاً تدبير الدولة لامه متشاغلاً عن ذلك بملاهيه الصبيانية حتى طمع فيه جنده فكتب الى محمود بن سبكتكين الغزنوي يشكو اليه فبعث اليه عسكراً مع حاجبه وأمره بالقبض عليه فركب مجد الدولة لتلقيه فقبض عليه وعلى ابنه ابي دلف وطير الخبر الى محمود فجاء الى الري ودخلها وأخذ ما بها من اموال بني بويه وكان شيئاً كثيراً . ثم ملك الى حدود ارمينية وخطب له علاء الدولة بن كاكويه باصفهان . ثم عاد الى بلاد غزنة بعد ان استخلف ابنه مسعوداً فافتتح زنجان وابهر ثم ملك أصفهان من يد علاء الدولة

١٨٥ – علاء الدولة بن كاكويه

من سنة ٤٢٠ — ٤٣٣ هـ او من سنة ١٠٢٩ — ١٠٤١ م

قد ذكرنا فيما تقدم ابتداء امر علاء الدولة بن كاكويه وكيف ملك اصفهان من يد سماء الدولة بن شمس الدولة وان مسعود بن محمود استولى على اصفهان من يد علاء الدولة ولم يمكث بها طويلاً حتى ظهر السلجوقيون وأزاحوه عنها وساروا الي اذربيجان فلما ساروا اليها عاد علاء الدولة الي الري واستولى عليها وعلى اصفهان اولاً بدعوة مسعود بن محمود ثم قطع خطبته وخطب لنفسه وكان مسعود في شغل بمحاربة السلجوقيين ولم ينتبه الى علاء الدولة فلما انتهى منهم وفارق السلجوقيون همذان سار هو الي اصفهان فهرب منها علاء الدولة الى ابي كاليجار يستنجده وكان ابو كاليجار مشغولاً بقتال عمه جلال الدولة فلم يتمكن من نجدته فاصطلح علاء الدولة مع مسعود فولاه بلاده بالنيابة عنه ٠ ثم فسد حاله مع بعض نواب مسعود حتى التزم مسعود ان يجرد عليه جيشاً فازاحه عن اصفهان

وبعد قليل أغار طغرلبك السلجوقي على مسعود بن محمود بن سبكتكين فانتهز علاء الدولة الفرصة وعاد الى اصفهان وملكها وأقام بها الى ان توفي سنة ٤٣٣ هـ

١٨٦ – ظهير الدين ابو منصور فرامرد بن علاء الدولة وابو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة

من سنة ٤٣٣ — ٤٤٣ هـ او من سنة ١٠٤١ — ١٠٥١ م

ولما توفي علاء الدولة بن كاكويه قام بالامر بعده ابنه ظهير الدين ابو منصور فرامرد باصفهان وسار ولده الآخر ابو كاليجار كرشاسف الى نهاوند فملكها وضبط البلد

ولم تكن ايامهما ايام راحة وسلام بل فتن وحروب وقلاقل شأن جميع البلدان بين سقوط دولة وقيام أخرى ٠ فدامت هذه المنازعات عشر سنوات بين بني بويه من جهة والدولة الغزنوية من جهة أخرى والدولة السلجوقية من جهة ثالثة

حتى خربت البلاد لتوالي هذه الفتن وانتهى الحال باستيلاء طغرلبك السلجوقي على الري سنة ٤٤١ ﻫ ثم سار الى اصفهان فحاصرها في محرم سنة ٤٤٢ ﻫ وبث سراياه في الجهات حتى بلغت البيضاء · وأقام يحاصرها حولاً كاملاً حتى عدموا الاقوات وحرقوا السقوف لوقودهم حتى سقوف الجوامع ثم استأمنوا وخرجوا اليه وملك اصفهان سنة ٤٤٣ ﻫ وأقطع صاحبها ابا منصور واجناده في بلاد الجبل ونقل امواله وسلاحه من الري اليها وجعلها كرسياً لملكه وانقرضت دولة فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه من الري واصفهان والبقاء لله وحده

القسم الثالث

١٨٧ — معز الدولة بن بويه

من سنة ٣٢١ — ٣٥٦ ﻫ او من سنة ٩٣٣ — ٩٦٦ م

قد تقدم ان بني بويه ثلاثة اخوة عماد الدولة اكبرهم وركن الدولة ثانيهم ومعز الدولة اصغرهم وقلنا ايضاً انهم لما استولوا على البلاد كان نصيب معز الدولة بلاد كرمان فسار اليها في العسكر سنة ٣٢٤ ﻫ واستولى على السيرجان · وكان ابراهيم بن سيجور الدواني قائد ابن سامان يحاصر محمد بن الياس بن اليسع في قلعته هنالك فلما بلغه خبر معز الدولة سار من كرمان الى خراسان · وخرج محمد بن الياس من القلعة التي كان محاصراً بها الى مدينة قم على طرف المفازة بين كرمان وسجستان فسار معز الدولة الى جيرفت وهي قصبة كرمان · فلما قارب جيرفت اتاه رسول علي بن الزنجي المعروف بعلي ابن كلونة (وهو رئيس القفص والبلوص وكان هو واسلافه متغلبين على تلك الناحية الا انهم يجاملون كل سلطان يرد البلاد و يطيعونه و يحملون اليه مالاً معلوماً ولا يطؤن بساطه) فبذل لابن بويه ذلك المال فامتنع معز الدولة من قبوله الاّ بعد دخول جيرفت · فتأخر علي بن كلونة نحو عشرة فراسخ ونزل بمكان صعب المسلك · ودخل معز الدولة جيرفت واصطلح هو وعلي واخذ رهنه على الخطبة · فلما استقر الصلح وانفصل الامر اشار بعض اصحاب معز الدولة عليه بان يكبس علياً و يغدر به ففعل ذلك · وكان لعلي بن كلونة

عيون على معز الدولة انئه بهذا الخبر . فارصد جماعة لمعز الدولة بمضيق في طريقه فلما مرَّ بهم هجموا عليه وقتلوا من اصحابه واسروا واصابته هو جراح كثيرة وقطعت يده من نصف الذراع وسقط بين القتلى . و بلغ الخبر الى جيرفت فهرب اصحابه منها . وجاء علي بن كلونة فحمله من بين القتلى الى جيرفت واحضر الاطباء لعلاجه وكتب الى اخيه عماد الدولة يعتذر و يبذل الطاعة فاجابه . ثم بعث عماد الدولة الى اخيه معز الدولة واستقدمه اليه بفارس فاقام عنده باصطخر الى ان قدم اليه ابو عبد الله البريدي منهزماً من ابن رائق و يحكم (او بجكم) المتغلبين على الخلافة ببغداد فبعث عماد الدولة اخاه معز الدولة وجعل له ملك العراق عوضاً عن ملك كرمان . فسار معز الدولة سنة ٣٢٦ هـ فانتهى الى ارجان والتقى هناك بيحكم الذي جاء لصد هجماته و بعد قتال انهزم يحكم وسار الى الاهواز واقام بها وانزل بها عسكره بعد ان ترك حاميـة في عسكر مكرم لحمايتها فتقدم معز الدولة الى عسكر مكرم وقاتل من بها ١٣ يوماً وهزمهم فلحقوا بتستر وملك معز الدولة عسكر مكرم و بعد ان استراح بها جيشه اياماً سار الى الاهواز وملكها بلا كبير عناء و بيناهم مقيمون فيها خالف عليه ابن البريدي وهرب منه فعلم باختلافهم يحكم فارسل عسكراً واستولى على كثير من البلاد التي كانوا قد استولوا عليها فاستنجد معز الدولة اخاه عماد الدولة فبعث اليه مدداً من العسكر فعاد واستولى على الاهواز . وسار يحكم من واسط فاستولى على بغداد وقلده الراضي امارة الامراء

ولما هرب ابن البريدي من معز الدولة اقام بالبصرة ومن هناك كاتب يحكم امير الامراء ببغداد وحرضه على المسير الى الجبل ليرجعها من يد ركن الدولة بن بويه ثم يسير الى الاهواز فيسترجعها من معز الدولة . واستمد يحكم فامده بخمسمائة رجل وسار الى حلوان في انتظاره واقام ابن البريدي يتربص به و ينتظر ان يبعد عن بغداد فيهجم هو عليها لان تلك كانت بغيته فعلم يحكم بذلك فرجع عن عزمه وعاد الى بغداد . وحدث بعد ذلك في بغداد فتن يطول شرحها عقبها استيلاء تورون التركي على بغداد وولاه الخليفة امرة الامراء . وفي هـذه الاثناء كان معز الدولة مقيماً بالاهواز مطلاً على بغداد واعمال الخليفة يروم التغلب عليها . فانتهز فرصة مسير المتقي من الرقة الى تورون الذي حالما وصل اليه الخليفة خلعه وسمله ونصب المستكفي بالله . وتقدم معز الدولة الى واسط سنة ٣٣٣ هـ فسار تورون والمستكفي لدفاعه ففارقها وعاد الى الاهواز . ثم اشتد الحال ببغداد جداً حتى ضاقت الجبايات على العمال وامتدت الايدي الى اموال

الرعايا وفشا الظلم وظهرت اللصوص وكبسوا المنازل واخذ الناس في الجلاء عن بغداد فخلع تورون عن امارة الامراء وتولاها ابن شيرزاد فلم تتحسن الاحوال . ثم كاتب احد القواد المدعو ينال كوشـه معز الدولة بالاهواز يطمعه في ملك بغداد فانتهز معز الدولة هذه الفرصة واسرع نحوها في عساكر الديلم ولقيه ابن شيرزاد والاكراد فهزمهم ولحقوا بالموصل واختفى المستكفي . وقدم معز الدولة كاتبه الحسن بن محمد المهلبي الى بغداد فدخلها وظهر الخليفة من الاختفاء وحضر عند المهلبي فبايع له عن معز الدولة احمد بن بويه وعن اخويه عماد الدولة وركن الدولة وولاهم المستكفي على اعمالهم ولقبهم بهذه الالقاب ورسمها على سكته . ثم جاء معز الدولة الى بغـداد فملكها وصرف الخليفة في حكمه واختص باسم السلطان . ثم استامن اليه ابو القاسم البريدي من البصرة وضمن له واسط واعمالها فعقدله عليها وكان كل ذلك سنة ٣٣٤هـ و بعد قليل استراب معزالدولة من الخليفة المستكفي وظن انه ساع في ازالة ملكه واعادة حقوق الخلافة فاجتمع به لثمان بقين من جمادى الاخرى سنة ٣٣٤ هـ في محفل حافل و بينما هم جلوس تقدم اثنان من الديلم يصيحان فتناولا يد الخليفة المستكفي بالله فظنهما يريدان تقبيلها فمدها اليهما فجذباه عن سريره وجعلا عمامته في حلقه . ونهض معز الدولة واضطرب الناس ونهبت الاموال . وساق الديلميان المستكفي بالله ماشياً الى دارمعزالدولة فاعتقل بها . و بايع معز الدولة للفضل بن المقتدر ولقبه المطيع لله واحضر المستكفي فاشهد على نفسه بالخلع وسلم على المطيع بالخلافة . وسلب الخليفة من الامر والنهي وصيرت الوزارة الى معز الدولة يولي فيها من يرى . وبمعنى آخر نال معز الدولة ببغداد كل ما كان يتمناه وصار صاحب الامر والنهي في كل شيء لا يشاركه احد في ذلك . ولما بلغ استيلاء معز الدولة على بغداد وخلعه المستكفي الى ناصر الدولة بن حمدان اغتاظ لذلك جداً وسار في شعبان سنة ٣٣٤ هـ فسـير اليه معز الدولة عساكره الى عكبرا فاوقع بها ابن حمدان بعكبرا . فلما علم معز الدولة بانهزام عساكره تقدم هو بنفسه ومعه الخليفة المطيع لله لمدافعته . فلما خرجوا من بغداد لحق ابن شيرزاد بناصر الدولة بن حمدان واستحثه الى بغداد . فامده ناصر الدولة ببعض عسكره فعاد بهم ابن شيرزاد الى بغداد واستولى عليها واقام بها يدبر امورها نيابة عن ناصر الدولة . وناصر الدولة في هـذه الاثناء يحارب معز الدولة فلما كان عاشر رمضان سار ناصر الدولة من سامراً الى بغداد وخالفه معز الدولة الى تكريت فنهبها لانها كانت من اعمال ناصر الدولة . ثم تقدم الى

بغداد والخليفة معه فنزلوا بالجانب الغربي منها وكان ناصر الدولة نازلاً بالجانب الشرقي وتمكن ناصر الدولة من قطع الميرة عن معسكر معز الدولة حتى غلت بينهم الاقوات غلاءً فاحشاً وضاق الامر بمعز الدولة فعزم على العود الى الاهواز ثم تجلد قليلاً وأرسل جيشاً بقيادة ابي جعفر الصميري وأمرهم بالعبور لقتال ابن حمدان فعبروا وبعد قتال شديد انتصر الصميري وغنم الديلم اموال ناصر الدولة ونهبوا معسكره فلحق ابن حمدان بعكبرا . ودخل معز الدولة بغداد واعاد المطيع الى داره في محرم سنة ٣٣٥ هـ

وفي سنة ٣٣٥ هـ انتقض ابو القاسم بن البريدي بالبصرة فارسل اليه معز الدولة جيشاً الى واسط وهناك لقيهم جيش ابن البريدي فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم اصحاب ابن البريدي وأسر من اعيانهم جماعة

وفي سنة ٣٣٦ هـ سار معز الدولة ومعه المطيع لله الى البصرة لاستنقاذها من يد ابي القاسم بن البريدي وسلكوا البرية اليها . فارسل القرامطة الى معز الدولة ينكرون عليه مسيره الى البرية بغير أمرهم وهي لهم فلم يجبهم عن كتابهم وقال للرسول قل لهم : من أنتم حتى تستامروا وليس قصدي من اخذ البصرة غيركم وستعلمون ما تقولون مني : . ولما وصل معز الدولة الى الدرهمية استامن اليه عساكر ابن البريدي وهرب هو ولحق بالقرامطة والتجأ بهم وملك معز الدولة البصرة وعاد الى بغداد ظافراً

و بعد قليل اظهر معز الدولة انه يريد ان يسير الى الموصل و يملكها من يد ناصر الدولة ابن حمدان فراسله هذا في الصلح وحمل اليه المال فسكت عنه

وفي سنة ٣٤٥ هـ انتقض روزبهان (من كبار قواد الديلم) وخالف على معز الدولة وتبعه كثيرون من الديلم حتى كاد ان يظفر بما تمنى ولكن جيوش معز الدولة شتتت شمله

وفي سنة ٣٥٠ هـ مرض معز الدولة مرضاً شديداً خاف منه على نفسه فاحضر وزيره المهلبي والحاجب سبكتكين وكان بينهما منافرة فاصلح بينهما وأوصاهما بابنه بختيار . ثم عوفي وعزم على المسير الى الاهواز لانه اعتقد ان سبب مرضه رداءة هواء بغداد فلما بلغ كلواذي قاصداً الاهواز اشار اليه اصحابه بعدم مفارقة بغداد خوفاً من ضياع ملكه وان يبني بها له داراً في مرتفعاتها لتكون أرق هواءً واصفى ماءً ففعل وشرع في بناء داره في موضع المسناة المعزية وأنفق عليها الف الف دينار فالتزم الى مصادرة جماعة من اصحابه

وفي سنة ٣٥٥ ﻫ أرسل معز الدولة عسكرًا واستولى على عمان بعد حروب يطول شرحها . وفي سنة ٣٥٦ ﻫ جهز معز الدولة الجيوش لمحاربة ابن شاهين وسار قاصده فلما وصل الى واسط اصيب بالذرب فترك اصحابه بواسط وسار الى بغداد بعد ان وعدهم بانه سيعود اليهم قريبًا لانه رجا العافية . فلما اشتد مرضه اصبح لا يثبت شيء في معدته فلما احس بالموت عهد الى ابنه عز الدولة بختيار وأظهر التوبة وتصدق باكثر ماله واعتق مماليكه ورد شيئًا كثيرًا على اصحابه ثم توفي ثالث عشر ربيع الآخر من السنة وكان حليمًا كريمًا عاقلاً

١٨٨ — عز الدولة بختيار بن معز الدولة

من سنة ٣٥٦ — ٣٦٧ ﻫ او من سنة ٩٦٦ — ٩٧٧ م

لما توفي معز الدولة احمد بن بويه قام بالامر بعده ابنه عز الدولة بختيار وكان ابوه قد اوصاه بطاعة عمه ركن الدولة واتباع نصائحه وابن عمه عضد الدولة لانه اكبر منه سنًا وتقدمه في معرفة السياسة وان يحفظ كاتبيه ابا الفضل العباس بن الحسين وابا الفرج محمد بن العباس لعلمها وامانتهما . واوصاه بالديلم والاتراك وبالحاجب سبكتكين فخالف هذه الوصايا جميعها واشتغل باللهو واللعب ومعاشرة النساء والمغنين وغض النظر عن كاتبيه وعن سبكتكين فاستوحشوا وانقطع سبكتكين عنه فلم يحضر داره . ثم طرد كبار الديلم عن مملكته طمعًا في اقطاعاتهم فشغب عليه الصغار منهم واقتدى بهم الاتراك في ذلك وطلبوا الزيادات . وركب الديلم الى الصحراء وطلبوا اعادة من اسقط من كبارهم فلم يجد بختيار بدًا من اجازتهم لانحراف سبكتكين عنه فاضطربت اموره وكان الكاتب ابو الفرج العباس في عمان مذ استولى عليها معز الدولة فلما بلغه موته خشي ان ينفرد عنه صاحبه ابو الفضل العباس بن الحسين بالدولة فسلم عمان لعضد الدولة وبادر الى بغداد فوجد ابا الفضل قد انفرد بالوزارة ولم يحصل على شيء

وتوالت الفتن ببغداد في ايام بختيار لضياع هيبته ليس فقط من الاهالي بل ومن الجند ايضًا . وكان جند بختيار وابيه معز الدولة طائفتين من الديلم عشيرتهم والاتراك المستنجدين عندهم وعظمت الدولة وكثرت عطاياها في ايام معز الدولة فلما تولى بختيار

قلت الاموال عنده وكثر شغب الجند عليه وساروا الى الموصل لسد ذلك فلم يقع لهم ما يسده فتوجهوا الى الاهواز صحبة بختيار فحمل اليهم عاملها مالاً جزيلاً سد عوزهم على نوعٍ ما و بينما هم في الاهواز حصلت فتنة بين الاتراك والديلم اصحاب بختيار وحصلت بينهم مواقع دموية ٠ فاشار بعضهم على بختيار بالقبض على الاتراك فاحضر رؤساءهم واعتقلهم ٠ وانطلقت ايدي الديلم على الاتراك فافترقوا ونودي بالبصرة باباحة دمائهم

واستولى بختيار على اقطاع سبكتكين الذي كان موجوداً في ذلك الوقت ببغداد ٠ ثم أغرى بختيار اصحابه بان يذيعوا خبر وفاته ليأتي سبكتكين للعزاء فيه فيقبضوا عليه ٠ ففعلوا ولما علم سبكتكين بالخبر ارتاب وعلم انها مكيدة ٠ فسار في الاتراك وحاصر دار بختيار يومين ثم احرقها ودخلها واخذ ابا اسحق وابا طاهر ابني معز الدولة ووالدتهما ومن كان معهما فسألوه ان يمكنهم من الانحدار الى واسط ففعل ٠ وانحدروا وانحدر معهم المطيع لله في الماء فانفذ اليه سبكتكين ورده الى داره وذلك تاسع ذي القعدة سنة ٣٦٣ ﻫ ٠ واستولى سبكتكين على ما كان لبختيار جميعه ببغداد واستطال الاتراك على الديلم وتتبعوا اموالهم واخذوها وانقسم اهل بغداد الى فريقين السنية نصروا سُبكتكين لانه كان سنياً والشيعة خذلوه وحاربوه و بعد قتال دام اياماً انتصر اهل السنة واحرقوا دور الشيعة

ولما علم بختيار بما تم استنجد ابن عمه عضد الدولة فانجده وحارب معه واستولى على بغداد ولكنه عوضاً عن اعادتها لبختيار اعتقل بختيار وخطب فيها لنفسه ٠ فعلم ابوه بذلك فارسل اليه يهدده ان لم يترك العراق لابن عمه بختيار واتفق انتقاض بعض الاعمال على عضد الدولة فاعاد بختيار الى ملكه وسار هو عن بغداد

ثم توفي بعد ذلك ركن الدولة والد عضد الدولة واستولى هذا على ملكه كما تقدم ذكر ذلك فازداد قوة وطمعاً في ملك العراق ٠ وكان بختيار يكاتب اصحاب الاطراف للتضافر على عضد الدولة فحركه ذلك لطلب العراق فسار الى هناك وانحدر بختيار الى واسط لمدافعته و بعد قتال انهزم بختيار وعاد الى بغداد ٠ فلما دخلت سنة ٣٦٧ ﻫ سار عضد الدولة الى بغداد وارسل الى بختيار يدعوه الى طاعته وان يسير عن العراق الى اي جهة اراد فضعفت نفسه وخرج متوجهاً الى الشام ودخل عضد الدولة بغدادوخطب له بها نهائياً وتولاها هو واولاده من بعده كما تقدم ذكر ذلك في القسم الاول من تاريخ بني بويه الى ان انقرض امرهم باستيلاء السلجوقيين على العراق والدوام لله وحده

١٨٩ ـ الدولة الاخشيدية بمصر

(تمهيد) لما استولى الخليفة المكتفي على مصر من يد الطولونية (راجع فصل ١٣٤ و١٣٥) جعل عليها عيسى النوشري سنة ٢٩٢ ﻫ فاقام والياً عليها الى سنة ٢٩٥ ﻫ فتنحى عنها الى محمد بن الخليج وهذا لم يلبث الا قليلاً حتى اقتضت الاحوال اعادة النوشري فعاد فتولاها الى ان توفي في شعبان سنة ٢٩٧ ﻫ . فولى المقتدر عليها تكين الخزري ابا منصور و بقي الى سنة ٣٠٢ ﻫ فأُقيل واقيم مكانه زكاء الرومي ابو حسن الاعور فتولى مصر ٥ سنوات وتوفي في ربيع اول سنة ٣٠٧ ﻫ فأُعيد تكين ثانية فاقام بها الى ان توفي سنة ٣٢١ﻫ عن ولد يدعي محمداً وهذا وضع يده على حكومة مصر بدون اذن الخليفة . فاراد القاهر بالله ان يقاص محمد بن تكين على جسارته فولى على مصر ابا بكر محمد بن طفج الاخشيد وكان هذا في ذلك الوقت حاكماً في دمشق واصله من اولاد ملوك فرغانة وكان المعتصم بالله بن هرون الرشيد قد جلب اليه من فرغانة جماعة كثيرة ووصفوا له جف (جد محمد ابي بكر) وغيره بالشجاعة والتقدم في الحروب فاحضرهم المعتصم و بالغ في اكرامهم واقطعهم قطائع في سر من رأى . فأقام بها وخلف اولاداً وتوفي جف في بغداد سنة ٢٤١ ﻫ . وخرج اولاده الى البلاد في طلب المعاش واتصل طفج بن جف بلؤلؤ غلام ابن طولون فاستخدمه على ديار مصر ثم انحاز طفج الى جملة اصحاب اسحق بن كنداج فلم يزل معه الى ان مات احمد بن طولون وجرى الصلح بين خمارويه بن احمد بن طولون و بين اسحق بن كنداج . فرأى خمارويه طفج بين اصحاب ابن كنداج فأُعجب به واخذه من اسحق وقدمه على جميع من معه وولاه دمشق ولم يزل كذلك حتى قتل خمارويه فسار طفج الى الخليفة المكتفي بالله فخلع عليه وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن فلم يتزلف اليه طفج كعادة القوم في تلك الايام فاغرى به الخليفة المكتفي فقبض عليه وحبسه وابنه ابا بكر محمد بن طفج . وتوفي طفج بالسجن و بقي ابنه ابو بكر محبوساً مدة ثم أُطلق وخلع عليه ولم يزل بالعباس بن الحسن الوزير حتى اخذ بثار ابيه منه وهرب الى الشام واقام متغرباً في البادية سنة . ثم اتصل بأبي منصور تكين الخزري ولم يزل بصحبته الى سنة ٣١٦ ﻫ ثم فارقه وسار الى الرملة فوردت كتب المقتدر اليه بولاية الرملة فاقام بها الى سنة ٣١٨ ﻫ فوردت كتب المقتدر اليه بولاية دمشق فسار اليها ولم يزل بها الى ان ولاه القاهر بالله

ولاية مصر في رمضان سنة ٣٢١ ﻫ لكنه لم يذهب الى مصر لاستلام مركزه المشار اليه ولم يلقب به الامدة شهر فقط ثم عين الخليفة مكانه احمد بن كيغلغ وفي سنة ٣٢٢ ﻫ عزل القاهر بالله من الخلافة وتولاها الراضي بالله وحال توليته عزل ابن كيغلغ عن مصر وولى مكانه محمد بن طفج فقدم لاستلام امارة مصر فامتنع ابن كيغلغ من تسليمه فقاتله محمد بن طفج وانتصر عليه وهرب احمد بن كيغلغ بمن معه من ذويه ولحق ببرقة ثم سار منها الى القيروان والتجأ الى ابي القاسم القائم بامر الله الخليفة الفاطمي وحرضه على المسير الى مصر فجهز جيشاً عظيماً وعلم محمد بن طفج ذلك فحصن الحدود الغربية لمصر وجعل فيها حامية قوية ولكن جيوش القائم بأمر الله وصلت الى الحدود وانتصرت على عساكر محمد بن طفج واستولت على الاسكندرية وتقدمت الى الفسطاط واحتلت قسماً كبيراً من الصعيد ثم رأى القائم بامر الله ان جنده ربما لايقوون على فتح العاصمة فأجل ذلك الى وقت آخر منتظراً قرب انحلال الدعوة العباسية فيتم له ما يريد على اهون سبيل

١٩٠ — محمد بن طفج الاخشيد

من سنة ٣٢٣ - ٣٣٤ ﻫ أو من سنة ٩٣٤ — ٩٤٥ م

وكانت الخلافة العباسية قد ادبرت احوالها وقلت سطوتها فطمع اصحاب الاعمال كل في عمله كما تقدم ذكر ذلك وسيأتي أيضاً فطمع محمد بن طفج في ولاية مصر وصرح باستقلاله سنة ٣٢٤ ﻫ فاضطر الخليفة الى تثبيته واضاف اليه ملك سوريا مع انها لم تكن بيده . وفي سنة ٣٢٧ ﻫ أنعم عليه بلقب الاخشيد وكان ذلك لقب ملوك فرغانة وهو من اولادهم ومفاد هذه اللفظة في لغتهم ملك الملوك وفي سنة ٣٢٨ ﻫ قلد الراضي بالله محمد بن رائق امير الامراء ببغداد اعمال حران والرها وما جاورهما وجند قنسرين والعواصم فسار اليها واستقر بها ثم طمحت نفسه الى ملك الشام فسار الى مدينة حمص فملكها . وكان على دمشق بدر بن عبدالله عاملاً عن الاخشيد . فتقدم ابن رائق اليها وحارب عليها وملكها

منه وهرب بدر . ثم تقدم ابن رائق قاصداً مصر حتى اذا بلغ العريش التقى بعساكر الاخشيد التي كانت قادمة لقتاله ودار بين الفريقين قتال شديد كاد ينهزم فيه اصحاب الاخشيد لولا الكمين الذي اعده لمثل هذه الساعة فانتصر انتصاراً باهراً ونجا ابن رائق في فل من اصحابه الى دمشق فبعث اليه الاخشيد اخاه ابانصر بن طغج في العسكر فبرز اليهم ابن رائق وهزمهم وقتل ابو نصر في المعركة . وفضلاً عما بين ابن رائق والاخشيد من العداوة والحرب فحالما علم بموت ابي نصر بعث ابنه مزاحماً الى مصر وكتب الى الاخشيد بالعزاء والاعتذار وان مزاحماً في فدائه . فالتقاه الاخشيد احسن ملتقى واكرم وفادته وخلع عليه ورده الى ابيه . وتم الصلح بينهما على ان تكون الشام لابن رائق ومصر للاخشيد والتخم بينهما الرملة . وبعد ان تم الصلح بينهما بهذه الكيفية عادت عساكر الاخشيد الى مصر في سنة ٣٢٩ هـ وفي سنة ٣٣٠ هـ اتصل بالاخشيد أن محمد بن رائق قتل بسيف بني حمدان فاغتنم الفرصة لاسترجاع الشام فسار اليها مسرعاً ولم يعد الى مصر الا بعد ان استولى علي دمشق وما جاورها

وفي سنة ٣٣٣ هـ اغار سيف الدولة بن حمدان على حلب وملكها وتقدم الى حمص فارسل اليه الاخشيد جيشاً بقيادة كافور مولاه فقاتله سيف الدولة وانتصر عليه وملك حمص وسار الى دمشق فحاصرها وامتنع عليه اهلها . وكان الاخشيد قد خرج من مصر الى الشام وسار خلف سيف الدولة فالتقيا بقنسرين وبعد قتال شديد ثبت الفريقان ولم ينهزم احد فرجع سيف الدولة الى الجزيرة والاخشيد الى دمشق . ثم عاد سيف الدولة الى حلب وملكها . وفي سنة ٣٣٤ هـ توفي محمد ابن طغج الاخشيد في دمشق وكان سنه ٦٠ سنة ومدة حكمه ١١ سنة و٣ اشهر ويومين ودفن بالقدس الشريف .



(ش ٢٤) نقود محمد الاخشيد

١٩١ – ابو قاسم انوجور بن الاخشيد

من سنة ٣٣٤ – ٣٤٩ ﻫ او من سنة ٩٤٥ – ٩٦٠ م

لما توفي محمد الاخشيد تولى بعده ابنه ابو القاسم انو جور وكان صغيراً فقام كافور بتدبير الدولة وسار من دمشق الى مصر . وعلم سيف الدولة بموت الاخشيد وسفر ابنه الى مصر فاغتنم الفرصة وقدم دمشق واستولى عليها فعلم كافور بذلك فاسرع بجيش عظيم فلاقى سيف الدولة بالرملة قادماً من دمشق لملاقاته فالتحم الجيشان و بعد قتال شديد انهزم سيف الدولة الى الرقة واستولى كافور على دمشق

وفي سنة ٣٦٩ ﻫ توفي انو جور بن محمد الاخشيد بعد ان حكم ١٤ سنة وعشرة ايام .

١٩٢ – ابو الحسن علي بن الاخشيد

من سنة ٣٤٩ – ٣٥٥ ﻫ او من سنة ٩٦٠ – ٩٦٥ م

لما توفي انو جور بن محمد الاخشيد تولى بعده اخوه الملقب بابي الحسن علي ابن الاخشيد وقام كافور بتدبير الدولة في ايامه كما كان في ايام أخيه

ثم توفي علي بن الاخشيد سنة ٣٥٥ ﻫ بعد ان حكم ٥ سنوات وشهرين و يومين

١٩٣ — كافور الاخشيدي

من سنة ٣٥٥ — ٣٥٧ ﻫ او من سنة ٩٦٥ — ٩٦٧ م

ولما توفي علي بن الاخشيد استقل كافور بمصر وكتب له المطيع بعهده على مصر والشام والحرمين وكناه العالي بالله . فلم يقبل الكنية وتلقب الاخشيدي واستوزر ابا الفضل جعفر بن الفرات . وكان كافور جواداً ممدوحاً سيوساً كثير الخشية لله والخوف منه . وكان يداري المعز الفاطمي صاحب المغرب ويهاديه ثم توفي كافور في ١٠ جمادى الاولى سنة ٣٥٧ ﻫ بعد ان حكم سنتين واربعة اشهر

١٩٤ — ابو الفوارس بن علي

من سنة ٣٥٧ — ٣٦٢ ﻫ او من سنة ٩٦٧ — ٩٧٢ م

وقام بالامر بعد كافور احمد ابو الفوارس بن علي بن محمد الاخشيد وكان عمره ١١ سنة فقام بتدبير امره الحسن بن عمه عبد الله بن طفج وكانت الدولة الفاطمية التي قامت بالمغرب من زمن ليس ببعيد تنظر الى مصر بعين الناقد البصير وتأكد خلفاؤها انهم ان ملكوا مصر ثبت امرهم فلذا هاجموها مراراً كما تقدم ذكر ذلك في الدولة الفاطمية . فلما ضعف امر الاخشيدية بمصر انتهز المعز لدين الله الخليفة الفاطمي وارسل جيشاً كثيفاً بقيادة وزيره جوهر الصقلي الى مصر فاستولى عليها سنة ٣٥٩ ﻫ ودخل العاصمة . وما زال يقاتل الاخشيدية حتى اجلاهم عن مصر سنة ٣٦٢ ﻫ . وانقرض بهذه الحادثة حكم الدولة الاخشيدية والله غالب على امره

١٩٥ – الدولة الادريسية الثانية

بريف مراكش

(تمهيد) قد ذكرنا في فصل (١٠٠) عند انقراض الدولة الادريسية الاولى انه ظهر لهم دولة ببلاد الريف من المغرب الاقصى واليك بيان الاسباب التي أدت الى ذلك. لما استولى موسى بن أبي العافية على المغرب الاقصى وحصر العائلة الادريسية بقلعة النسر اقاموا فيها حتى تقدم ميسور الخصي من افريقية وأجلى موسى بن ابي العافية الى الصحراء فحين ذاك خرج بنو ادريس من معتقلهم واقاموا بريفهم يتداولون رئاسته ولكن ليس على سبيل الاستقلال والاستبداد كما كانت دولتهم الاولى بفاس والمغرب وانما كانوا فيها تحت نظر المتغلب على بلاد المغرب تحت نظر الشيعة تارةً وتحت نظر المروانيين بالاندلس تارة أخرى الى ان انقرضت دولتهم وذهبت رئاستهم.

١٩٦ – القاسم كنون بن محمد

من سنة ٣٢٣ – ٣٣٧ هـ او من سنة ٩٣٤ – ٩٤٨ م

هو القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس اخو الحسن الحجام (راجع فصل ١٠٠). فلما فر موسي بن أبي العافية امام ميسور الى الصحراء اجتمع بنو ادريس وبايعوا القاسم المذكور. فملك بلاد المغرب الا فاساً فانه لم يملكها وكان سكناه بقلعة حجر النسر. واستمر على امارته مقيماً دعوة الشيعة الى ان توفي سنة ٣٣٧ هـ.

١٩٧ - ابو العيش احمد بن القاسم

من سنة ٣٣٧ - ٣٤٨ ه او من سنة ٩٤٨ - ٩٥٩ م

لما توفي القاسم كنون بن محمد تولى الامر بعده ابنه أبو العيش احمد . وكان ابو العيش فقيهاً ورعاً حافظاً للسير عارفاً باخبار الملوك وايام الناس شجاعاً جواداً حتى لقب باحمد الفاضل . وكان يكره الشيعة ويميل الى بني مروان بالاندلس فلما ولي بعد ابيه قطع دعوة العبيديين في جميع عمله و بايع لعبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس وخطب له على جميع منابر عمله . فلما بايع له اقترح عليه ان ينزل له عن طنجة ليضيفها الى سبتة التي كان استولى عليها من قبل . فامتنع أبو العيش من اجابة طلبه . فبعث اليه الناصر اسطولاً عظيماً لحاصره وضيق عليه حتى اذا رأى انه لا طاقة له بحربه أجابه الى ماسأل ونزل عن طنجة . و بقي ابو العيش مع اخوته و بني عمه من الادارسة بمدينة البصرة وآصيلا تحت بيعة الناصر وفي كنفه متمسكين بدعوته وتحت رعايته . واستمر ابو العيش على هذا الحال حتي جال في خاطره ان يذهب الى الاندلس بقصد الجهاد . فاستأذن الناصر في ذلك فأذن له . فذهب الى الاندلس واكرم الناصر وفادته حتى امر بان يبنى له قصر في كل مدينة ينزلها . ولكنهُ مالبث الا قليلاً حتى توفي شهيد الجهاد سنة ٣٤٨ ه

١٩٨ - الحسن بن القاسم كنونه

من سنة ٣٤٨ - ٣٧٥ ه او من سنة ٩٥٩ - ٩٨٥ م

لما خرج ابو العيش الى الاندلس بقصد الجهاد استخلف على عمله اخاه الحسن فلما توفي أبو العيش تولى الامر بعده اخوه الحسن واستمر متمسكاً بدعوة المروانيين ولما علم المعز لدين الله الخليفة الفاطمي العبيدي غلبة الناصر الاموي المرواني على بلاد المغرب الاقصى بعث قائده جوهر بن عبد الله في العساكر اليها فقاتل المخالفين

واعاد الدعوة الفاطمية الى المغرب و بايعه الامير الحسن بن القاسم في من بايع العبيديين وعاد جوهر سنة ٣٤٩ ﻫ فنكث الحسن العهد وخلع بيعة العبيديين وعاد الى المروانيين فتمسك بدعوة الناصر ثم بدعوة ابنه الحكم المستنصر . وذلك ليس لمحبته لهم ولكن خوفاً منهم لقربهم منه واستمر علي ذلك الى ان قدم بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي من افريقية الى المغرب . فملكه وقطع دعوة الامويين منه واخذ البيعة على جميع اهل المغرب للمعز لدين الله الفاطمي . فكان اول من سارع الى بيعته ونصرته وقتال اولياء المروانيين معه الحسن بن كنون الادريسي

واتصل الخبر بالحكم المستنصر صاحب الاندلس فحقد على الحسن بن كنون لذلك فلما انصرف بلكين بن زيري الى افريقية بعث الحكم المستنصر صاحب الاندلس قائده محمد بن القاسم في جيش كثيف لقتال الحسن بن كنون . فقاتله الحسن وانتصر عليه وقتل محمد بن القاسم وتشتت شمل جيوشه . فبعث الحكم غالباً مولاه المشهور في جيش عظيم فخرج من قرطبة في آخر شوال سنة ٣٦٢ ﻫ . فلما علم الحسن بن كنون بقدومه خاف جدًّا وأخلى مدينة البصرة وحمل منها حرمه وامواله وذخائره الى قلعة حجر النسر القريبة من سبتة واتخذها معقلاً يتحصن بها . واجاز غالب البحر من الجزيرة الخضراء الى قصر مصمودة فلقيه الحسن بن كنون هناك في جموع البربر وقاتله اياماً . واستعمل غالب الاصفر الوهاج في استمالة اصحاب الحسن فنجح في ذلك وكيف لا ينجح فانفض كثير من اصحاب الحسن عنه حتى لم يبق معه الا القليل منهم . فلما رأى ذلك سار الى قلعة حجر النسر وتحصن فيها . واتبعه غالب فحاصره ونزل عليه بجميع جيوشه وقطع عنه المدد وأمد الحكم غالباً مولاه بجيش آخر وصله سنة ٣٦٣ ﻫ فاشتد الحصار على الحسن بن كنون فطلب من غالب الامان على نفسه واهله وماله ورجاله وان ينزل اليه و يسير معه الى قرطبة فيكون بها . فاجابه غالب الى ما اراد . فنزل الحسن واهله وأسلم الحصن الى غالب فملكه . واستنزل غالب جميع العلويين الذين بالمغرب الاقصى من معاقلهم واخرجهم عن اوطانهم ولم يترك بالمغرب رئيساً منهم . وسار

الى مدينة فاس فملكها واستعمل عليها محمد بن أبي علي بن قشوش . وعاد غالب الى الاندلس واصطحب معه الحسن بن كنون وكتب الى مولاه الحكم المستنصر بالله يعلمه بقدومه و بقدوم من معه . فلما وصل كتابه الى الحكم أمر الناس بالخروج الى لقائهم . وركب هو في جمع عظيم من وجوه دولته فتلقاهم فكان يوم دخولهم قرطبة يوماً مشهوداً وذلك أول يوم من المحرم سنة ٣٦٤ ه . وا كرم الحكم وفادة الحسن وأوسع له ولرجاله في العطاء واسكنه قرطبة فاقام بها قرير العين مرتاح البال الى سنة ٣٦٥ ه فكان مانذكره .

كان للحسن بن كنون قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الحجم ظفر بها في بعض غزواته فسواها منشورة يتوسدها و يرتفق بها فبلغ الحكم المستنصر بالله خبرها فسأله حملها اليه فامتنع الحسن من ذلك فنكبه عليها وسلبه جميع أمواله وسلبه القطعة ايضاً وأمر باخراجه واخراج عشيرته من قرطبة واجلائهم الى المشرق . فركبوا البحر من المرية الى تونس سنة ٣٦٥ه ومنها الى مصر فنزلوا بها على الخليفة الفاطمي وهو يومئذ العزيز بالله . فاقتبلهم و بالغ في اكرامهم ووعد الحسن النصرة والاخذ بثاره ممن غلبه على ملك سلفه . واقام الحسن بمصر الى سنة ٣٧٣ه في ايام هشام المويد بالله الاموي . فكتب العزيز بالله للحسن بعهده على المغرب وأمر عامله على افريقية بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ان يمده بالجيوش . فسار الحسن الى بلكين فاعطاه عسكراً يشتمل على ٣٠٠٠ فارس فاقتحم بهم بلاد المغرب وسارعت اليه قبائل البربر بالطاعة فشرع في اظهار دعوته واتصل خبره بالمنصور بن ابي عامر المتغلب على هشام المؤيد بالاندلس بملكه فبعث اليه ابن عمه الوزير ابا الحكم عمرو بن عبد الله بن ابي عامر في جيش كثيف وقلده امر المغرب وسائر اعماله وأمرهُ بقتال الحسن بن كنون . فركب البحر الى سبتة وخرج الى حرب الحسن فأحاط به وحاصره اياماً . ثم اجاز المنصور بن ابي عامر ولده عبد الملك في اثر الوزير أبي الحكم في جيش كثيف ممداً له . فلما رأى ذلك الحسن بن كنون لم يجد حيلة سوى طلب الامان . فطلب الامان على نفسه على ان يسير الى الاندلس كحالته الاولى . فاعطاه الوزير أبو الحكم من

ذلك ماوثق به وكتب الى ابن عمه المنصور يخبره بذلك . فامر بتعجيله الى قرطبة موكلاً به . فبعث به اليه ولما انتهى الخبر الى المنصور بقدوم الحسن لم يمض امان ابن عمه وبعث اليه من قتله في طريقه واتاه برأسه . وكان مقتله في جمادى الاولى سنة ٣٧٥ هـ . وانقرضت بقتلهِ دولة الادارسة والبقاء لله وحده .

١٩٩ — الدولة المسافرية (من الديلم) باذربيجان

(تمهيد) كانت اذربيجان في ذلك الوقت الذي استولت عليها فيه هذه الدولة (سنة ٣٣٠) بيد ديسم الذي استولى عليها بتقربه الى يوسف بن أبي الساج وكان معظم جيوشه من الاكراد الا نفراً يسيراً من الديلم . فتحكم الاكراد عليه وتغلبوا على بعض قلاعه واطراف بلاده فرأى ان يستظهر عليهم بالديلم فاستكثر منهم وكان بينهم صعلوك بن محمد بن مسافر وعلي بن الفضل وغيرهما . فأكرمهم ديسم واحسن اليهم وانتزع من الاكراد ماتغلبوا عليه من بلاده . وكان وزيره أبا القاسم علي بن جعفر وهو من اهل اذربيجان فسعى به اعداؤه فخافه ديسم فهرب الى محمد بن مسافر صاحب الطرم . فلما وصل اليه رأى ان ابنيه وهشودان والمرزبان قد عصيا على ابيهما محمد بن مسافر لسوء معاملته لهما فقبضا عليه وسلباه ماله . فرأى علي بن جعفر ان يتقرب الى المرزبان فتقرب اليه وخدمه وأطمعه في اذربيجان وضمن له تحصيل اموال كثيرة فقلده وزارته . وكاتب علي بن جعفر من يعلم انه يستوحش من ديسم ويستميله الى ان اجابه اكثر اصحابه وفسدت قلوبهم على ديسم . وسار المرزبان الى اذربيجان وسار ديسم للقائه فلما التقيا للحرب عادت الديلم (الذين مع ديسم) الى المرزبان وتبعهم كثير من الاكراد فانتصر المرزبان واستولى على اذربيجان بلا كبير عناء وهرب ديسم الى ارمينية والتجاء الى حاجيق بن الديراني لمودة بينهما . واستأنف ديسم يؤلف الاكراد ليعود بهم الى اذربيجان

٣٠٠ - المرزبان بن محمد بن مسافر

من سنة ٣٣٠ - ٣٤٦ هـ او من سنة ٩٤١ - ٩٥٧ م

واستقام أمر المرزبان باذر بيجان ولكنه لم يلبث طويلاً حتى فسد الحال بينه وبين وزيره علي بن جعفر والسبب في ذلك ان علي بن جعفر اساء السيرة مع اصحاب المرزبان فتضافروا عليه فاحس بذلك فاحتال على المرزبان واطمعه في اموال كثيرة يأخذها له من مدينة تبريز فجند له جنداً من الديلم وسيرهم اليها. ولما وصلوا اليها أغري علي بن جعفر اهل تبريز بالديلم وافهمهم ان المرزبان ارسلهم اليهم ليأخذوا أموالهم وحسن لهم قتلهم ومكاتبة ديسم ليقدم عليهم . فاجابوه الى ذلك وكاتب هو ديسم ووثب اهل البلد بالديلم فقتلوهم . وسار ديسم فيمن اجتمع عليه الى تبريز . وكان المرزبان قد اساء الى من استأمن اليه من الاكراد فلما سمعوا بديسم ساروا اليه . واتصل الخبر بالمرزبان فجمع عسكره وسار الى تبريز فتحارب هو وديسم بظاهر البلد فانهزم ديسم والاكراد وعادوا فتحصنوا بتبريز وحصرهم المرزبان واخذ في اصلاح علي بن جعفر فراسله وبذل له الامان فاجابه الى ماطلب وحلف له . ولما اشتد الحصار على ديسم سار من تبريز الى اردبيل وخرج علي بن جعفر الى المرزبان واتحد معه فساروا الى اردبيل وحصروا ديسم الى ان طلب الامان. فأمنه المرزبان وسيره الى قلعة الطرم فاقام فيها هو واهله. وفي سنة ٣٣٢ هـ تقدمت جنود الروس الى مدينة بردعة من اعمال اذر بيجان واغاروا عليها فخرج عامل المرزبان عليها بجنوده اليهم لردهم عنها فهزموه وشتتوا شمله وملكوا بردعة وأمنوا اهلها واحسنوا السيرة فيهم . واتصل الخبر بالمرزبان فجمع كل ماقدر على جمعه من العساكر وأتاه المسلمون افواجاً لقتال الروس فحاصرهم ببردعة وضيق عليهم . فلما اشتد عليهم الحصار وعلموا ان لا فائدة من المقام في وسط بلاد الاسلام خرجوا من بردعة ليلاً بدون ان يشعر بهم احد وعادوا لبلادهم

وفي سنة ٣٣٧ هـ اتصل بالمرزبان ان عساكر خراسان قصدت الري وان ذلك

يشغل ركن الدولة بن بويه عنه . وكان المرزبان يكره بني بويه لانه ارسل رسولا لمعز الدولة فحلق معز الدولة لحيته وسب صاحبه وكان سفيهاً فعظم ذلك للمرزبان فطمع المرزبان في الاستيلاء على الري من يد بني بويه وساعده بعض خواصه على فكره واستأمن اليه بعض قواد ركن الدولة فقوي بهم . وراسله ناصر الدولة ابن حمدان يستحثه لذلك ويشير عليه ان يبتدئ ببغداد قبل الري فخالفه وقصد الري وقبل مبارحته احضر اباه واخاه وهشودان واستشارهما في ذلك فنهاه ابوه عن قصد الري فلم يطعه وقال له : لا تراني بعد الآن الا على امارة الري أو بين القتلى :

ولما علم ركن الدولة بن بويه بقدومه كتب الى اخويه يستنجدهما واستعمل الحيلة مع المرزبان كي يماطله حتى يصله المدد فكتب اليه يتواضع له ويعظمه ويسأله ان ينصرف عنه على شرط ان يسلم اليه زنجان وابهر وقزوين وترددت الرسل بينهما حتى وصله المدد واتحد معه محمد بن عبد الرازق فسار الى قزوين والتقى هناك بالمرزبان ودارت رحى الحرب بينهما فلم يكن الا قليلاً حتى انهزم جيش المرزبان ووقع هو اسيراً وحمل الى سميرم وحبس بها . وعاد ركن الدولة ونزل محمد بن عبد الرازق بنواحي اذربيجان . واما اصحاب المرزبان فانهم اجتمعوا على ابيه محمد بن مسافر وولوه امرهم فهرب منه ابنه وهشودان الى حصن له . وأساء محمد بن مسافر السيرة مع العسكر فارادوا قتله فهرب الى ابنه وهشودان فقبض عليه ابنه وضيق عليه حتى مات . ثم استدعى ديسم الكردي من مكانه بقلعة الطرم حيث انزله المرزبان عند ظفره به وسيره لقتال محمد بن عبد الرازق فالتقيا وانهزم ديسم وقوي ابن عبد الرازق فاقام بنواحي اذربيجان يجبي اموالها ثم رجع الى الري سنة ٣٣٨ هـ وكاتب الامير نوحاً الساماني واهداه وسأله الصفح عنه فقبل عذره . ولما عاد محمد بن عبد الرازق من اذربيجان استولى ديسم عليها الى ان كان ما سنذكره

قد ذكرنا خبر أسر المرزبان وحبسه بقلعة سميرم . فلما حبس بها اقام فيها

يتحايل في الخروج منها الى سنة ٣٤٢ ﻫ وفيها كانت حيلة المرزبان قد نجحت وكانت الرسل بينه وبين والدته لا تنقطع فاتفق مع بعض الرسل الذين كانوا يأتونه في زي التجار على قتل حارس السجن في يوم معلوم فقتلوه وخرج المرزبان من محبسه واستولى على سميرم واجتمعت اليه الديلم فسار بهم الى اذربيجان لاستخلاصها من يد ديسم فقاتله وانتصر عليه واستولى على اذربيجان . وهرب ديسم متجولاً في البلاد يستنجد اهل الهمم فلم ينجده احد الى ان امسكه المرزبان وسمله وسجنه فاقام بسجنه الى ان توفي المرزبان فقتله بعض اصحابه خوف غيلته

وفي رمضان سنة ٣٤٦ ﻫ توفي المرزبان وعهد بالملك الى اخيه وهشودان وبعده لابنه خستان . وكان المرزبان قد اوصى نوابه بالقلاع ان يسلموها بعده الى ولده خستان فان مات فالى ابنه ابراهيم فان مات فالى ابنه ناصر فان لم يبقَ منهم احد فالى اخيه وهشودان . فلما عهد الى اخيه عرفه علامات بينه وبين نوابه في قلاعه ليتسلمها منهم . فلما مات المرزبان انفذ اخوه وهشودان خاتمه وعلاماته اليهم فاظهروا وصيته الاولى . فظن وهشودان اخاه خدعه بذلك فاقام مع اولاد اخيه ثم هرب من اردبيل الى قلعة الطرم . وجاء القواد الى خستان بن المرزبان وبايعوه .

٣٠١ — خستان بن المرزبان

من سنة ٣٤٦ — ٣٤٩ ﻫ أو من سنة ٩٥٧ — ٩٦٠ م

ولما استولى خستان على ملك ابيه عكف على اللهو واللعب ومداعبة النساء وترك امور الدولة فطمع فيه اصحابه فانتقض عامله على ارمينية وطمع في الاستيلاء عليها واتفق قبض خستان على وزيره النعيمي فسار الى عامل ارمينية المنتقض واطمعه في ملك اذربيجان فقصدوا مراغة واستولوا عليها فلما علم خستان بذلك راسل عامله بارمينية المنتقض وصالحه ولكنه أخذ حذره منه . وكان بين خستان واخيه ابراهيم منافرة فاتحدا عقب هذه الحادثة

وفي سنة ٣٤٩ هـ ظهر باذربيجان عيسى بن المكتفي بالله وبايع للرضا من آل محمد ولبس الصوف واظهر العدل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وكثر اتباعه وكاتبه النعيمي وزير خستان واطمعه في الخلافة وان يجمع له الرجال ويملك اذربيجان فاذا قوي قصد العراق فوافقه . واتصل بخستان خبرهم فسار هو واخوه ابراهيم اليهم قاصدين قتالهم فلما التقوا انهزم اصحاب المستجير بالله وأخذ هو أسيرًا وقتل

وكان وهشودان ينظر الى اولاد اخيه بعين الناقد البصير حتى اذا رأى منهم عدم الميل وان كل واحد منهم قد انطوى على غش صاحبه . راسل ابراهيم بعد وقعة المستجير واستزاره فزاره فاكرمه ووصله بما ملأ عينه وكاتب ناصرًا ابن اخيه واستغواه ففارق اخاه خستان وصار الى موقان واتبعه كثيرون من جند اخيه فقوي بهم واستولى على اردبيل . ثم طالبته الجنود بارزاقها فعجز عن ذلك وقعد عمه وهشودان عن نصرته فعلم أنه كان يغويه فراسل اخاه خستان وتصالحا . وازداد امر خستان ادبارًا وقلت معه الاموال وتغلب عليه اصحاب الاطراف حتى اضطر ان يسير هو واخوه ناصر ووالدتهما الى عمه وهشودان . فراسله في ذلك واخذ عليه العهود . وساروا اليه فلما حضروا عنده نكث وغدر بهم وقبض عليهم واستولى على العسكر وعقد الامارة لابنه اسمعيل وسلم اليه اكثر قلاعه واخرج الاموال وارضى الجند

٢٠٢ – وهشودان بن محمد بن مسافر

من سنة ٣٤٩ – ٣٥٥ هـ أو من سنة ٩٦٠ – ٩٦٥ م

ولما استولى وهشودان على اعمال خستان ابن اخيه كان ابراهيم بن المرزبان اخو خستان بارمينية فتأهب لمنازعة اسمعيل بن وهشودان واستنقاذ اخويه من حبس عمهما وهشودان فلما اتصل هذا الخبر بوهشودان ورأى اجتماع الناس على

ابراهيم بادر فقتل خستان وناصرًا ابني اخيه وامهما وكاتب خستان بن شرمزن بارمينية وطلب اليه أن يقصد ابراهيم وأمده بالجند والمال ففعل ذلك واضطر ابراهيم الى الهرب والعود الى ارمينية واستولى ابن شرمزن على معسكره وعلى مدينة مراغة مع ارمينية . ولما استقر ابراهيم بارمينية اجتهد في جمع الاحزاب اليه وواسل خستان بن شرمزن واصلحه فاتاه خلق كثير واتفق أن اسمعيل ابن عمه وهشودان توفي فسار ابراهيم الى اردبيل وملكها وانصرف عنها ابو القاسم بن مسيكي عامل وهشودان اليه . وتقدم ابراهيم الى عمه وهشودان طالبًا اخذ ثار اخويه فخافه عمه وهشودان وسار هو وابن مسيكي في الجيوش لقتال ابراهيم . فلقيهم ابراهيم واقتتلوا قتالاً شديدًا وانهزم ابراهيم وتعقبه بعضهم فلم يدركه . ولحق ابراهيم بالري ملتجئًا الى ركن الدولة بن بويه لصهر بينهما فاكرم وفادته ثم جهز له العساكر بقيادة ابي الفضل بن العميد ليرده لولايته فسار معه اليها واستولى عليها وأصلح له خستان بن شرمزن وقاده الى طاعته واستتب الامر لابراهيم بن المرزبان سنة ٣٥٥ هـ .

٢٠٣ – ابراهيم بن المرزبان

من سنة ٣٥٥ هـ – غير محقق . أومن سنة ٩٦٥ م غير محقق

ولما استتب الامر لابراهيم بن المرزبان بواسطة ابن العميد في اذربيجان عكف على شرب الخمر ومداعبة النساء ورأى ابن العميد كثرة دخل البلاد وسعة مياهها ورأى أن ما يحصله ابراهيم منها قليل جدًا بالنسبة لثروة البلاد وذلك لسوء تدبيره وطمع الناس فيه . فكتب الى ركن الدولة يعرفه الحال وان يعطيه ملكها لانها ان دامت مع ابراهيم فلا يمضي وقت طويل حتى تؤخذ منه . فامتنع ركن الدولة من قبول ذلك وقال لا افعل ذلك بمن استجار بي وامر ابا الفضل بالعود عنه وتسليم البلاد اليه ففعل وعاد . ولم اقف لابراهيم بن المرزبان هذا على اخبار بعد الآن وكيف انتهى حكمه فارجو القارى المعذرة

٢٠٤ — بقية اخبار الدولة المسافرية

الدولة المسافرية هذه تدعى الدولة السلارية ايضاً لان المرزبان بن محمد بن مسافر يدعى السلار فنسبت اليه وانقطعت اخبارها من سنة ٣٥٥ — ٤٢٠ ﻫ ولم يعلم عنها في هذه المدة شيء . وفي سنة ٤٢٠ ﻫ كان ابراهيم بن المرزبان بن اسمعيل ابن وهشودان بن محمد بن مسافر متولياً على شهر خان وزنجان وابهر وشهر زور وغيرها وهي مااستولى عليها بعد وفاة فخر الدولة بن بويه . ولما ملك محمود بن سبكتكين الري بعث أحد قواده الى ابراهيم بن المرزبان فقصد بلاده ولكنه لم يفعل سوى استمالة الديلم اليه وعاد محمود الى خراسان . فسار السلار ابراهيم الى قزوين فملكها وقتل من بها من عساكر محمود فسير اليه محمود ابنه مسعوداً في العساكر فحاصره سنة ٤٢٦ ﻫ وأسره وانقرض امر الدولة المسافرية او السلارية والدوام لله وحده .

٢٠٥ — دولة الكلبيين بصقلية (سيسيليا)

(تمهيد) كانت جزيرة صقلية (سيسيليا) مذ فتحها الاغالبة الى انقراض امرهم تحت تصرفهم يرسلون اليها العمال من رجالهم وقد تقدم ذكر ذلك في اخبارهم . فلما انقرضت دولة الاغالبة بظهور الدولة الفاطمية دخلت جزيرة صقلية في طاعة هذه الدولة الجديدة وقد تقدم ذكر ذلك ايضاً . ولم يزل الخلفاء الفاطميون يرسلون العمال الى جزيرة صقلية حتى استولت عليها دولة الكلبيين هذه . ولم تكن هذه الدولة مستقلة تمام الاستقلال انما كانت مستقلة استقلالا ادارياً تحت نظر الدولة الفاطمية . وكان المنصور (الفاطمي) قد ولى على جزيرة صقلية سنة ٣٢٩ ﻫ شخصاً يقال له عطاف . وكان عطاف هذا ضعيف الرأي سيىء السيرة فاستضعفه الافرنج بها وامتنعوا من اعطاء مال الهدنة . وكان بصقلية بنو الطبري من اعيان المسلمين

لهم اتباع كثيرون فوثبوا بعطاف ايضاً واعانهم اهل المدينة عليه وذلك يوم الفطر سنة ٣٣٥ ﻫ وقتلوا جماعة من رجاله وافلت عطاف منهم الى حصن له . فاخذوا اعلامه وطبوله وانصرفوا الى ديارهم . فارسل عطاف الى المنصور يعلمه الحال و يطلب المدد . فلما علم المنصور بما كان استعمل على ولاية صقلية الحسن بن علي الكلبي وكان قد وقع عنده موقعاً حسناً عقب حرب ابي يزيد الخارجي

٢٠٦ - الحسن بن علي الكلبي

من سنة ٣٣٦ - ٣٤٧ ﻫ او من سنة ٩٤٧ - ٩٥٨ م

فركب الحسن البحر الى صقلية و وصل مازر ونزل بها فلم يلقَ احداً في انتظاره (لان بني الطبري كان قد سافر منهم جماعة الى المنصور فأوصوا الباقين بعدم قبول وال عليهم حتى يرجعوا) ولكن اتاه جماعة في الليل من كتامة واعتذروا اليه بخوفهم من بني الطبري . و بعث بنو الطبري عيونهم عليه فوجدوه في قلة فاستضعفوه وخادعوه وخادعهم ثم عادوا الى المدينة وقد وعدهم ان يقيم بمكانه الى ان يعودوا اليه . فلما فارقوه جد السير الى المدينة قبل ان يجمعوا اصحابهم و يمنعوه فلما انتهى الى البيضاء اجتمعت اليه الناس وار باب الدولة فأكرمهم وسألهم عن أحوالهم . فلما سمع اسمعيل بن الطبري بخروج هذا الجمع اليه اضطر الى الخروج ومقابلته فلقيه الحسن وأكرمه ثم عاد الى داره ودخل حسن البلد ومال اليه كل منحرف عن ابن الطبري ومن معه . فلما رأى ابن الطبري ذلك أمر رجلاً من اتباعه فدعا بعض عبيد الحسن وكان موصوفاً بالشجاعة فلما دخل بيته خرج الرجل يستغيث و يصيح و يقول : ان هذا الرجل دخل بيتي واراد اغتصاب امرأتي بحضرتي : (وكانت هذه مكيدة من اسمعيل بن الطبري ضد الحسن وأصحابه كما لا يخفى) فاجتمع اليه الناس وهو يزداد صياحاً فأحضره الحسن عنده وسأله عن سبب صياحه فاعاد عليه ما قاله للناس فاستحلفه على صحة

ما يقول فحلف (زوراً) فاخذ الحسن عبده وقتله فسر اهل البلد لهذا الفعل وزاد اعجابهم بالحسن وكرههم لبني الطبري فانعكست حيلة اسمعيل عليه . واستتب الامر للحسن وهابته الناس ولم يبق له معارض الا بني الطبري ولكنه استراح منهم كما ستراه ان شاء الله

قد ذكرنا مسير بعض بني الطبري الى المنصور فلما وصلوا اليه قبض عليهم واعتقلهم وارسل الى الحسن يعرفه انه قبض عليهم و يطلب منه القبض على اسمعيل ابن الطبري واصحابه فتخوف الحسن في بداءة الامر ولكنه احتال عليهم وقبض عليهم واعتقلهم واخذ جميع اموالهم . وعظم امر الحسن حتى هابه الافرنج سكان الجزيرة واعطوه مال ٣ سنين مقدماً بعد ان كانوا قد قطعوا دفع هذا المال مدة

وطمع ملك الروم الشرقية في الاستيلاء على الجزيرة واستخلاصها من ايدي المسلمين عند ما تحقق اختلافهم وارسل اسطولاً عظيماً لهذا الغرض . فكتب الحسن الى المنصور يستمده فارسل المنصور اليه اسطولاً فيه ٧٠٠٠ فارس و ٣٥٠٠ راجل ما عدا البحرية وجمع الحسن من الجزيرة ايضاً جمعاً كثيراً فقوي امره وسار براً وبحراً الى مسيني وعدت العساكر الاسلامية الى ريو وبث الحسن سراياه في ارض قلورية وحاصر مدينة جراجة لكنه لم يتم حصارها حتى أتاه الخبر بتقدم الافرنج اليه فصالح اهل جراجة على مال اخذه منهم وسار الى لقاء الروم والتقوا يوم عرفة سنة ٣٤٠ ﻫ فاقتتلوا اشد قتال رآه الناس فانهزمت الروم هزيمة شنعاء وتعقبهم المسلمون قتلاً وسبياً

وفي سنة ٣٤١ ﻫ تقدم الحسن الى مدينة جراجة وحاصرها فارسل اليه قسطنطين ملك الروم الشرقية يطلب منه الهدنة فهادنه وعاد الحسن الى مدينة ريو بني بها جامعاً واقام الحسن والياً على جزيرة صقلية الى سنة ٣٤٧ ﻫ وكان المنصور قد توفي وقام بعده المعز فسار اليه الحسن تاركاً امارة الجزيرة لابنه احمد





ش ٣٥ نقود ملوك سيسيليا « نقلا عن تاريخ مصر الحديث »

٢٠٧ احمد بن الحسن

من سنة ٣٤٧ — ٣٥٩ هـ او من سنة ٩٥٨ - ٩٦٩ م

وقام احمد بعد مسير ابيه بامر الجزيرة احسن قيام حتى هابته الاعداء . ثم ارسل اليه المعز ان يتقدم الى القلاع التي ما زالت في ايدي الافرنج ويفتحها فغزاها وفتح طرمين سنة ٣٥١ هـ وحاصر رمطة فطلب اهلها الامداد من ملك القسطنطينية فامدهم بجيش عظيم . فاستمد احمد المعز أيضاً فارسل اليه المدد بالعساكر والاموال مع ابيه الحسن . ووصل مدد الروم الى مسيني فزحفوا الى رمطة وكان الجيش المحاصر لها بقيادة الحسن بن عمار (وهو ابن اخي الحسن بن علي الكلبي) فاحاط الروم بهم وخرج اهل البلد اليهم فاشتد الامر على المسلمين جداً حتى ايقنوا بالهلاك . فلما أيسوا من حياتهم فضلوا الموت بالسيف عن عار الأسر وحملوا حملة رجل واحد فقتلوا منويل قائد جيوش الروم فانهزم الروم واضطربت صفوفهم وتتبعهم المسلمون بالقتل وامتلأت ايديهم من الغنائم والاسرى والسبي ثم فتحوا رمطة عنوة وغنموا ما فيها وأسرع من بقي من الروم الى الهروب في اسطولهم الراسي بالميناء وتعرف هذه الواقعة بواقعة المجاز وكانت سنة ٣٥٤ هـ . ومات الحسن أثر هذه الوقعة فحزن عليه اهل الجزيرة وقام ابنه احمد نهائياً مقامه . فاستمر احمد والياً عليها حتى توفي سنة ٣٥٩ هـ

٢٠٨ - ابو القاسم بن الحسن

من سنة ٣٥٩ — ٣٧٢ ه او من سنة ٩٦٩ — ٩٨٢ م

لما توفي احمد بن الحسن تولى بعده اخوه ابو القاسم وكان محباً للسلم غير مغرم بالجهاد فاستمر مدة طويلة لا يناوش احدًا ولا احد يناوشه حتى كانت سنة ٣٧١ ه وفيها زحف جيش الروم بقيادة بردويل الى صقلية فحصر قلعة رمطة وملكها فرأى ابو القاسم ضرورة الحرب لصد هجمات الروم عنه فجمع جيشه وسار اليهم ولكنه لم يصل اليهم حتى خانته امياله وخام عن اللقاء فرجع من حيث أتي . وعلم الروم بخوف المسلمين من لقائهم فلحقوا بهم في ٢٠ محرم سنة ٣٧٢ ه . فتعبي المسلمون للقتال واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم وحمي وطيسها فانتصر الافرنج اولاً وقتلوا ابا القاسم وكثيرين من امراء المسلمين ثم هاجت عوامل حب الجهاد في منهزمي المسلمين فعادوا مفضلين النار على العار وحملوا على الروم حملة شديدة فهزموهم هزيمة شنعاء واخذوا بثار قتلاهم وهرب من بقي من الروم وكانت ولاية ابي القاسم على صقلية اثنتي عشرة سنة وخمسة اشهر وخمسة ايام وكان عادلاً حسن السيرة كثير الشفقة على رعيته والاحسان اليهم

٢٠٩ - جابر بن ابي القاسم

من سنة ٣٧٢ — ٣٧٣ ه او من سنة ٩٨٢ — ٩٨٣ م

وقام بالامر بعده ابنه جابر الاّ ان مدته لم تطل لان ابن عمه جعفر بن محمد ابن علي الكلبي كان من ندماء العزيز بالله الفاطمي فطلب اليه ولايتها فولاه عليها سنة ٣٧٣ ه

٢١٠ ـ جعفر بن محمد

من سنة ٣٧٣ ـ ٣٧٥ هـ او من سنة ٩٨٣ ـ ٩٨٥ م

لما تولى جعفر بن محمد بن علي بن ابي الحسن الكلبي جزيرة صقلية استقامت أمورها وتحسنت احوالها .. وكان يحب اهل العلم ويجزل لهم العطاء الى ان توفي سنة ٣٧٥ هـ

٢١١ ـ عبد الله بن محمد

من سنة ٣٧٥ ـ ٣٧٩ هـ او من سنة ٩٨٥ ـ ٩٨٩ م

لما توفي جعفر بن محمد قام بالامر بعده أخوه عبد الله واتبع خطوات اخيه وسيرته فساد الامن في ايامه الى ان توفي سنة ٣٧٩ هـ

٢١٢ ـ ثقة الدولة ابو الفتوح يوسف بن عبد الله

من سنة ٣٧٩ ـ ٣٨٨ هـ أو من سنة ٩٨٩ ـ ٩٩٨ م

ولما توفي عبد الله بن محمد تولى بعده ابنه ثقة الدولة أبوالفتوح يوسف فزادت فضائله ومحاسنه على من سبقه واستمر مدة حكمه سعيداً مهيباً مطاعاً الى ان أصابه الفالج وعطل نصفه الايسر سنة ٣٨٨ هـ

٢١٣ ـ تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة

من سنة ٣٨٨ ـ ٤١٠ هـ او من سنة ٩٩٨ ـ ١٠١٩ م

لما اصاب ثقة الدولة الفالج خلفه ابنه تاج الدولة فقام بأمر الدولة

احسن قيام وخالف عليه اخوه علي سنة ٤٠٥ ﻫ واجتمع معه البربر والعبيد فزحف اليه جعفر فظفر به وقتله ونفى البربر والعبيد واستقامت احواله ثم استوزر حسن بن محمد الباغاني فاساء السيرة وانقلبت الاحوال على تاج الدولة بسببه وثار عليه الناس والتفوا حول قصره فأخرج اليهم ابو الفتوح في محفة فتلطف بهم وسلم اليهم الباغاني فقتلوه . ثم خلع ابو الفتوح ابنه تاج الدولة سنة ٤١٠ ﻫ فرحل الى مصر

٢١٤ — اسد الدولة بن تاج الدولة

من سنة ٤١٠ — ٤١٧ ﻫ او من سنة ١٠١٩ — ١٠٢٦ م

ولما خلع أبو الفتوح ابنه تاج الدولة ولى مكانه حافده أسد الدولة بن تاج الدولة فهدأت الاحوال نوعاً ولكن اساء أسد الدولة السيرة وتحامل على اهل صقلية ومال لاهل افريقية فضج الناس منه وشكوا أمرهم الى الخليفة الفاطمي في ذلك الوقت فارسل اليهم اسطولاً حاصروا به أسد الدولة (وكان يعرف بالاكحل) وقتلوه في سنة ٤١٧ ﻫ وسيروا رأسه الى افريقية

٢١٥ — الصمصام بن تاج الدولة

من سنة ٤١٧ — ٤٣١ ﻫ او من سنة ١٠٢٦ — ١٠٣٩ م

ثم ندم اهل صقلية على مافعلوه بالاكحل وثاروا باهل افريقية وقتلوا منهم ثلثماية رجل . وولوا عليهم الصمصام اخا الاكحل واضطربت الامور وغلب السفلة على الاشراف واختلط الحابل بالنابل واستمر الحال كذلك الى سنة ٤٣١ ﻫ وفيها ثار اهل بليرم على الصمصام واخرجوه وقدموا عليهم احد القواد المعروف بابن الثمنة ولقبوه القادر بالله وانقرض أمر الكلبيين والبقاء لله وحده .

ولما كانت اخبار جزيرة صقلية بعد انقراض الكلبيين الى ان انقرض امر

الاسلام منها سنة ٤٦٤ هـ قليلة ولم تستول عليها دولة تعرف بها اخبارها وجب علينا ذكر هذه الحوادث فنقول

لما استولى القادر بالله بن الثمنة على جزيرة صقلية سنة ٤٣١ هـ قبض على الصمصام وقتله حتى لا ينازعه احد عليها . واستمر واليًا عليها الى ان كان بينه و بين ابن جراس فتنة لاسباب عائلية فحشد كل منهما لصاحبه وتقاتلوا فانهزم القادر بالله فاستنجد الافرنج فانتهز الافرنج هذه الفرصة المناسبة وانجدوا القادر بالله بجيش عظيم واستولوا على عدة مدن ولكنهم عوضًا عن تسليمها للقادر بالله رفعوا عليها اعلامهم واضافوها الى املاكهم ولم يستطع القادر بالله ردعهم لضعفه وركب اكثر مسلميها البحر الى تونس تاركيها للمتنصرين . ولم يبق بيد المسلمين فيها الا عدة معاقل غير حصينة بيد ابن جراس فلما علم عجزه عن المقاومة خرج باهله وماله سنة ٤٦٤ هـ واستولى رجار عليها جميعها وانقطعت كلمة الاسلام منها

٢١٦ ـ الدولة الشاهينية بالبطيحة

(تمهيد) ابتدأت هذه الدولة بظهور عمران بن شاهين مؤسسها وهو من اهل الجامدة وكان اتصل ببعض الوزراء فجبى له جبايات وهرب بها الى البطيحة خوفًا منه واقام بين القصب والاجام واقتصر على ما يصيده من السمك وطيور الماء قوتًا ثم صار يقطع الطريق على من يسلك البطيحة . واجتمع اليه جماعة من الصيادين واللصوص فقوي بهم . ثم استأمن الى ابي القاسم البريدي فقلده حماية الجامدة ونواحي البطائح فعز جانبه وكثر جمعه وسلاحه واتخذ معاقل على البطائح وغلب على تلك النواحي . ولما استولى معز الدولة على بغداد وقام بكفالة الخلافة والنظر في امورها اهمه شأن عمران هذا وامتناعه في معاقله في نواحي بغداد فجهز اليه وزيره ابا جعفر الصيمري في العساكر ودارت بينهما الحروب فانهزم عمران بن شاهين واختفى ثم سار الصيمري الى شيراز كطلب معز الدولة في سنة ٣٣٨ هـ

فظهر عمران من استتاره وعاد الى أمره وجمع من تفرق من أصحابه

٢١٧ عمران بن شاهين

من سنة ٣٣٨ — ٣٦٩ هـ أو من سنة ٩٤٩ — ٩٧٩ م

لما عاد الصيمري عن طلب عمران ظهر عمران من مختباه وقوي امره كما ذكرنا فأرسل اليه معز الدولة في سنة ٣٣٩ هـ جيشاً بقيادة روزبهان (من كبار قواد الديلم) . فسار اليه ونازله فتحصن منه في مضايق البطائح وطاوله فضجر روزبهان وأقدم عليه واستعجل قتاله فهزمه عمران وغنم جميع ما معه من مال وسلاح فتضاعفت قوته وقوي أمره وأفسد السابلة وكان اصحابه يطلبون من اصحاب السلطان مالاً باسم الخفارة فمن أعطاهم نجا والاَّ وقع في ما يكره حتى انقطع الطريق الى البصرة فشكا الناس ذلك الى معز الدولة فكتب هذا الى المهلبي بالبصرة يأمره بالمسير الى واسط لهذا السبب وأمده بالعساكر والقواد . فزحف الى البطيحة وضيق على عمران وسد المذاهب عليه حتى انتهى الى المضايق التي لا يعرفها الا عمران واصحابه فأشار عليه روزبهان بالهجوم فلم يفعل فكتب الى معز الدولة بذلك . فأرسل اليه معز الدولة يستبطئه ويطلب منه سرعة مناجزة عمران . فهجم عليه في مضايقه وكان عمران قد أكمن لهم فلما تجاوزوا الكمناء قاموا عليهم وركبوا أقفيتهم وتلقاهم باقي أصحاب عمران بالمثل فانهزموا شر هزيمة ونجا المهلبي بنفسه سباحة في البحر . فلما رأى معز الدولة ان قتال عمران لا يأتي بالغاية المطلوبة صالحه وقلده امارة البطائح فاستتب له الامر

وفي سنة ٣٥٤ هـ مرض معز الدولة فأرجف الناس بموته واتصل هذا الخبر بعمران بن شاهين فمر عليه مال محمول الى معز الدولة صحبة كثيرين من التجار فانقض عليهم وأخذ المال منهم ولما شفي معز الدولة طالب عمران بما أخذه فرده اليه ولكن انفسخ الصلح الذي بينهما . وأرسل معز الدولة العساكر مراراً لقتال

عمران ولكن بلا نتيجة . ثم توفي معز الدولة وتولى مكانه ابنه بختيار فعقد مع عمران صلحاً . ولكن هذا الصلح لم يستمر طويلاً بل انفسخ ايضاً . وسار بختيار في سنة ٣٥٩ ه قاصداً البطيحة لاخذها من عمران فنزل بواسط واقام بها شهر بن يتصيد ثم امر وزيره ابا الفضل ان ينحدر الى الجامدة فانحدر اليها وسد مجاري المياه وحول مجراها الى دجلة ولكن اتفق زيادة الدجلة فافسدت الجسور التي بنوها لهذا الغرض . ولما طال الامد على عساكر بختيار ضجروا وثاروا بابي الفضل وطلبوا الرجوع الى بغداد لانهم لم يألفوا حر وبق وضفادع جهة البطائح فاضطر بختيار الى عقد الصلح مع عمران على مال يحمله اليه . وعاد بختيار وقد زالت هيبته ودخل بغداد سنة ٣٦١ ه

واستمر عمران اميراً على البطيحة لا يقدر الملوك ولا القواد على هزيمته الى ان طرقته منيته فجأة في محرم سنة ٣٦٩ ه

٢١٨ — الحسين بن عمران

من سنة ٣٦٩ — ٣٧٢ ه أو من سنة ٩٧٩ — ٩٨٢ م

لما توفي عمران بن شاهين تولي بعده ابنه الحسين بن عمران فطمع عضد الدولة بن بويه في الاستيلاء على البطيحة وارسل جيشاً بقيادة وزيره المطهر بن عبدالله فهزمه الحسين بن عمران . ولم يكن المطهر هزم قبلاً فخاف سقوط منزلته عند عضد الدولة فقتل نفسه . وصالح عضد الدولة الحسين على مال يأخذه منه .

واستتب الامر للحسين بن عمران واحسن السيرة فأحبته الناس فحسده اخوه ابو الفرج على هذه النعمة وتمني زوالها وتربص باخيه واتفق ان مرضت اخت لهما سنة ٣٧٢ ه . فدعى ابو الفرج اخاه الحسين لزيارتها فسار معه وهو لا يدري ما قدر له في الغيب . وكان اخوه ابو الفرج قد رتب بعض الخدم بمنزل اخته لمساعدته على قتله . فلما دخل الحسين الدار تخلف عنه اصحابه ودخل ابو الفرج

معه وسيفه بيده فلما خلا به قتله . ثم خرج واعلم العسكر بذلك ووعدهم الاحسان فسكتوا .

٣١٩ - ابو الفرج محمد بن عمران

من سنة ٣٧٢ - ٣٧٣ ه او من سنة ٩٨٢ - ٩٨٣ م

ولما قتل ابو الفرج اخاه الحسين تولي مكانه وقدم الذين ساعدوه على قتله في الدولة بدون نظر لمعارف اولئك الاشخاص فافضت الرتب لغير مستحقيها . وكان المظفر بن علي حاجب عمران بن شاهين غير راض عن اعمال ابي الفرج فجمع اكابر القواد وحذرهم عاقبة الامر فقر رأيهم على قتل ابي الفرج فقتله المظفر سنة ٣٧٣ ه

٣٢٠ - ابو المعالي بن الحسين

سنة ٣٧٣ ه او سنة ٩٨٣ م

ولما قتل المظفر ابا الفرج اجلس مكانه ابا المعالي ابن اخيه الحسين وكان صغيرًا فقام بتدبير امره . ثم طمع المظفر في الملك فقتل كل من خافه من القواد وزور كتابًا عن لسان صمصام الدولة بن بويه اليه يتضمن التعويل عليه في ولاية البطيحة وسلمه الى ركابي غريب وامره أن يأتيه به متى اجتمع عنده القواد واعيان الدولة ففعل ذلك واتاه وعليه اثر الغبار وسلم اليه الكتاب فقبله وفتحه وقرأه بمسمع الحضور واجاب بالسمع والطاعة وعزل ابا المعالي واستبد بالامر

٣٢١ - المظفر بن علي

من سنة ٣٧٣ - ٣٧٦ ه أومن سنة ٩٨٣ - ٩٨٦ م

وتسلم المظفر بن علي ولاية البطيحة من مولاه وقام بها احسن قيام واحسن

السيرة في الاهالي فساد الامن . واذ لم يكن له ولد ذكر عهد بولاية العهد من بعده الى ابن اخته ابي الحسن علي بن نصر الملقب بمهذب الدولة وكان يلقب حينئذ بالامير المختار و بعده الى ابي الحسن علي بن جعفر وهو ابن اخته الاخرى ثم توفي المظفر بن علي سنة ٣٧٦ ﻫ

٢٢٢ — مهذب الدولة ابو الحسن علي بن نصر

من سنة ٣٧٦ – ٤٠٨ ﻫ أو من سنة ٩٨٦ – ١٠١٧ م

لما توفي المظفر بن علي قام بالامر بعده ابن اخته مهذب الدولة علي بن نصر بعهد منه وكتب الى شرف الدولة بن بويه يبذل له الطاعة و يطلب التقليد فاجيب الى ذلك فاحسن السيرة وانسى بفضائله من قبله و بذل الخير والاحسان فقصده الناس وأمن عنده الخائف وصارت البطيحة في ايامه معقلاً لكل من قصدها واتخذها الاكابر وطناً و بنوا فيها الدور الحسنة . وقوي امر مهذب الدولة وكاتبته ملوك الاطراف وصاهره بهاء الدولة بن بويه بابنته . وعظم شانه واستجار به القادر عند ما خاف من الطائع فاجاره و بقي عنده الى ان اتته الخلافة سنة ٣٨١ ﻫ فعاد الى بغداد

وفي سنة ٣٩٤ ﻫ عصي على مهذب الدولة احد قواده المعروف بابي العباس ابن واصل . وكان مهذب الدولة سيره لحرب لشكرستان حين استولى على البصرة فهزمه ابو العباس واستولى عليها ومضي الى سيراف واخذ ما بها لابي محمد بن مكرم من سفن ومال ورجع الى اسافل دجلة فتغلب عليها . فلما قوي امره خلع طاعة مهذب الدولة فارسل اليه ماية سميرية (مركب صغيرة) مشحونة بالمقاتلة فغرق بعضها واستولى ابن واصل على الباقي وعاد الى الابلة . فبعث اليه مهذب الدولة ابا سعيد بن ماكولا فهزمه ابن واصل وغنم ما معه وقصد البطيحة فخرج منها مهذب الدولة الى شجاع بن مروان وابنه صدقة فغدروا به واخذوا امواله

فلحق بواسط . واستولى ابن واصل على البطيحة وعلى اموال مهذب الدولة لكنه لم يلبث بها كثيرًا حتى اضطربت عليه البلاد فخاف على نفسه وعاد الى البصرة وترك البطائح فوضى . واتصل خبر ابي العباس بن واصل ببهاء الدولة بن بويه فخافه على البلاد فسار من الاهواز لتلافي امره واحضر عنده عميد الجيوش من بغداد وجهز معه عسكرًا كثيفًا وسيرهم الى ابي العباس . فهزمهم ابو العباس فلحق عميد الجيوش بواسط واقام بها يجمع العساكر عازمًا على العود الى البطائح . ثم بلغه ان نائب ابن واصل بالبطائح اجفل وخرج منها فاستدعى مهذب الدولة و بعثه في العساكر في السفن الى البطيحة سنة ٣٩٥ ﻫ فاستولى عليها واجتمع اهل البطيحة على طاعته . واما ما كان من خبر ابن واصل فما زال بهاء الدولة يرسل اليه الجيوش ويقاتله حتى ظفر به اخيرًا سنة ٣٩٦ ﻫ وقتله .

ثم توفي مهذب الدولة علي بن نصر في جمادى سنة ٤٠٨ ﻫ وكان ابن اخته ابو عبد الله محمد بن نسي قائمًا باموره ومرشحًا للولاية مكانه وقد اجتمع اليه الجند واستحلفهم لنفسه . وكان بلغه قبل وفاة خاله ان ابنه ابا الحسن احمد داخل بعض الجند في البيعة له بعد ابيه فاستدعاه وحمله اليه الجند فقبض عليه . وعلم مهذب الدولة بذلك قبل وفاته بيوم فازداد اسفه لعدم تمكنه من عمل شيء وهو في هذه الحالة ثم توفي من الغد .

٢٢٣ — محمد بن نسى

سنة ٤٠٨ ﻫ او سنة ١٠١٧ م

لما توفي مهذب الدولة ولي بعده ابن أخته محمد بن نسي واول عمل باشره انه قتل ابا الحسن ابن خاله لثلاثٍ من وفاة ابيه ولكنه نال جزاء ماجنت يداه فانه لم يلبث واليًا الا ثلاثة اشهر ثم مات بالذبحه . وكان يقول قبل موته : رأيت مهذب الدولة في منامي فامسك حلقي وخنقني وقال لي قتلت ابني احمد وقابلت

نعمتي عليك بذلك : ثم مات و بموته انقرض ملك الدولة الشاهينية ومواليها واجتمع اهل البطيحة من بعده على السراني من خواص مهذب الدولة ثم تولى بعده صدقة المزياري الى ان توفي سنة ٤١٢ ﻫ فولي بعده سابور بن المرزبان ثم عزل وولي أبو نصر وما زالت البطيحة في يده الى ان استولي عليها أبو كاليجار سنة ٤٣٩ ﻫ

٢٢٤ — الدولة الحسينية بكردستان

(تمهيد) ابتدأت هذه الدولة بظهور حسنو يه بن الحسين الكردي وكان اميرًا على جيش من البرزيكان يسمون البرزينية وكان خالاه ونداد وغانم اميرين على صنف آخر منهم يسمون العيشانية وغلبا على اطراف نواحي الدينور وهمذان ونهاوند والصامغان و بعض اطراف اذربيجان وتوفي غانم سنة ٣٥٠ ﻫ فاستولى مكانه ابنه أبو سالم ديسم بن غانم الى ان أزاله أبو الفتح بن العميد واستصفى قلاعة المسماة قسنان وغانم اباذ وغيرهما . وتوفي ونداد سنة ٣٤٩ ﻫ فقام مقامه ابنه أبو الغنائم عبد الوهاب الى ان أسره الشاذنجان وسلموه الى حسنو يه فاستولى على قلاعه واملاكه حسنويه بن الحسين رأس هذه الدولة .

٢٢٥ — حسنويه بن الحسين

من سنة ٣٥٠ — ٣٦٩ ﻫ او من سنة ٩٦١ — ٩٧٩ م

ولما استولى حسنو يه على املاك ابن خاله احسن السيرة في الرعية وضبط أمور الدولة ومنع اصحابه من التلصص . وبنى قلعة سرماج بالدبش المنحوت وبني بالدينور جامعًا بالدبش المنحوت ايضًا . وكان كثير الصدقة والاحسان للناس فعاش سعيدًا ومات مأسوفًا عليه سنة ٣٦٩ ﻫ

٢٢٦ — بدر بن حسنويه

من سنة ٣٦٩ – ٤٠٥ هـ او من سنة ٩٧٩ – ١٠١٤ م

لما توفي حسنويه بن الحسين اختلف اولاده وهم أبو العلاء وعبد الرازق وأبو النجم بدر وعاصم وابو عدنان وبختيار وعبد الملك فانحاز بعضهم الى فخر الدولة وبعضهم الى عضد الدولة . وكان بختيار بقلعة سرماج فاستولى على اموال ابيه وكاتب عضد الدولة ورغب في طاعته ثم تلون عنه وتغير فسير عضد الدولة اليه جيشاً فحصره واخذ قلعته واستولى عضد الدولة على باقي القلاع التي بيد بني حسنويه واختص من بينهم أبا النجم بدر بن حسنويه فولاه على اعمال ابيه وكان عاقلاً فاستقام امره . فحسده اخوته واتفق عاصم وعبد الملك فشقا العصا وخرجا عن طاعته . واستمال عاصم جماعة الاكراد المخالفين فاجتمعوا اليه . فسير اليه عضد الدولة عسكرًا فاوقعوا بعاصم ومن معه فانهزموا وأسر عاصم وأدخل همذان على جمل ولم يعرف له خبر بعد ذلك اليوم . وقتل جيش عضد الدولة جميع اولاد حسنويه سوى بدر فانه ترك على حاله فاستتب أمره ولما توفي عضد الدولة وملك ابنه صمصام الدولة ثار عليه اخوه شرف الدولة بفارس ثم ملك بغداد كما تقدم ذكر ذلك مفصلاً فلما استتب الامر لشرف الدولة جهز عسكرًا بقيادة قراتكين وسيره لقتال بدر بن حسنويه سنة ٣٧٧ هـ وذلك لانحرافه عنه وميله لعمه فخر الدولة فلقيه على وادي قرميسين وانهزم بدر حتى توارى ولم يلقوه ونزلوا في خيامه ثم كر بدر راجعاً عليهم فأعجلهم عن الركوب وفتك فيهم وغنم مامعهم ونجا قراتكين في قليل من العساكر . واستولى بدر على اعمال الجبل وقويت شوكته وعظم امره حتى نال لقب ناصر الدين من ديوان الخلافة سنة ٣٨٨ هـ .

وفي سنة ٣٩٧ هـ اتحدت جيوش بدر بن حسنويه مع جيوش ابي جعفر على حصار بغداد ولكن بلا نتيجة فلما انفضت جموعهم سار ابن حسنويه الى ولاية رافع بن معن من بني عقيل وعاث فيها . والسبب في ذلك لان رافعاً كان أوى ابا

الفتح بن عنان حين اخرجه بدر من حلوان وقرميسين واستولى عليها فارسل بدر الى رافع يذكره مودة ابيه وحقوقه عليه و يعتب عليه لانه آوى خصمه و يطلب اليه ان يبعده ليدوم له العهد والود القديم فلم يفعل رافع ذلك فارسل بدر جيشاً الى اعمال رافع بالجانب الشرقي من دجلة فنهبها واحرقوا داره . فسار ابو الفتح بن عنان الى عميد الجيوش ببغداد فاكرم وفادته ووعده النصر

وكان لبدر بن حسنويه ولدان احدهما يسمى هلالاً وهذا رُبي بعيداً عن ابيه وآخر يدعى ابا عيسى وهذا كان محبوباً من بدر . اما هلال الذي رُبي بعيداً عن ابيه فلم تكن هيبة ابيه عنده مما يعتد به حتى خافه أبوه فاقطعه الصامغان ليبعد عنه . فلما كانت سنة ٤٠٠ هـ اساء هلال مجاورة ابن الماضي عامل شهرزور فارسل اليه أبوه يهدده فكان جوابه انه جمع عسكراً واستولى على شهرزور وقتل ابن الماضي . فقلق ابوه جداً لما سمع هذه الاخبار واستوحش كل منهما من الآخر وجمع احدهما الجيوش لقتال الآخر والتقيا عند باب الدينور فهزم هلال اباه بدراً واسره وحبسه في قلعة واستولى على البلاد فارسل بدر الى أبي الفتح بن عنان وابي عيسي شاذي بن محمد وغيرهما يستنجدهم ويحثهم على قتال ابنه . فاجابوه واستولوا على كثير من بلاد هلال ولكنه لم يضعف حاله ولا قدر احدهم على أسره وقتله فارسل بدر الى بهاء الدولة بن بويه يستمده فارسل اليه جيشاً عظيماً قاتلوا هلالاً وأسروه واعادوا البلاد الى ابيه بدر كما كانت وطلب هلال منهم ان لا يسلموه الى والده فاجابوا طلبه . وكان بدر قد تنازل عن شهرزور لعميد الجيوش ببغداد فلما كانت سنة ٤٠٤ هـ سار حافده ظاهر بن هلال الى شهرزور وقاتل عساكر فخر الملك وملكها من ايديهم .

وفي سنة ٤٠٥ هـ سار بدر بن حسنويه الى الحسين بن مسعود الكردي للاستيلاء على بلاده وحاصره بحصنه فطال الحصار حتى ضجر عسكر بدر واجمعوا على قتله ليستريحوا من هذه الحروب المتوالية فقتلوه ودخلوا في طاعة شمس الدولة ابن بويه

٢٢٧ - هلال بن بدر

سنة ٤٠٥ ﻫ او سنة ١٠١٤ م

ولما قتل بدر بن حسنويه كان ابنه هلال معتقلاً عند سلطان الدولة ببغداد فاطلقه وجهزه بالعساكر ليستعيد بلاده من شمس الدولة . فسار ولقيه شمس الدولة فهزمه وأسره ثم قتله ورجعت عساكره منهزمة الى بغداد

٢٢٨ - ظاهر بن هلال

من سنة ٤٠٥ - ٤٠٦ ﻫ او من سنة ١٠١٤ - ١٠١٥ م

وكان ظاهر بن هلال هارباً من جده ومقيماً بنواحي شهرزور فلما بلغه قتله سنة ٤٠٥ ﻫ قدم للاستيلاء على بلاده فقاتله شمس الدولة واسره وحبسه . وفي هذه الاثناء استولى شخص من الاكراد يدعى ابا الشوك بن محمد . فلما اتصل هذا الخبر بشمس الدولة اخرج ظاهرًا من معتقله سنة ٤٠٦ ﻫ وامده بالعساكر لقتال ابي الشوك . فسار ظاهر وقاتل ابا الشوك وهزمه مرارًا واستولى على البلاد ثم صالح ابا الشوك وتزوج اخته . فلما أمن ابو الشوك جانبه قام عليه في سنة ٤٠٦ ﻫ وقتله واستولى على البلاد . وانقرضت بموته الدولة الحسينية الكردية والملك لله يؤتيه من يشأ وهو العزيز الحكيم

تم الجزء الاول ويليه الجز الثاني وأوله الدولة الغزنوية بافغانستان والهند

وكان الفراغ من طبعه في شهر مايو سنة ١٩٠٧ م

تم

اصلاح خطاء

ارجو حضرات القراء تصحيح الاغلاط الآتية في مواقعها قبل مطالعة الكتاب

صفحة	سطر	كلمة	خطاء	صواب	صحيفة	سطر	كلمة	خطاء	صواب
١	٢٢	٣	التمر	النمر	١١٥	١٨	١	المجوسيين	المحبوسين
٧	١٧	٥	فرنسانه	فرسانه	١١٥	١٨	٧	٢٢١ هـ	٢٣١ هـ
٨	١١	٦	كياقي	كباقي	١٢٠	٥	١٢	٨٦٦ م	٨٦٢ م
٩	٢١	٦	التنسار	النسار	١٢٣	٧	١٠	كامان	ما كان
١٠	٢١	٢	امزاته	امرأته	١٣٦	١٣	١٤	٣٢٣ هـ	٣٢٢ هـ
١٢	١٤	١٣	بما	ما	١٥٢	١٩	٤	٤٧٨ هـ	٤٨٧ هـ
١٤	٨	١٠	المسلمون	المسلمين	١٥٥	٢	٤	٥١٥ هـ	٥١٢ هـ
١٦	١٧	١٠	انموذوجا	انموذجاً	١٥٩	٢٠	١	يكونوا	يكونون
٣٧	١١	١	قاله	قال	١٦١	١	٥	عن	من
٤٤	١٦	٧	رجل	رجلاً	١٦١	٢	٨	غودفدوا	غودفروا
٤٨	١٩	٤	الف	الفاً	١٦٢	١٢	١	سيلمنتصروا	سيلمنتصرون
٤٩	١٩	١٥	عمرو	عمراً	١٦٧	١٣	٣	اثنى	اثنتي
٦٣	١٤	١٤	قل الله	قل هو الله	١٦٧	٢٠	١٤	بني	بنو
٦٤	١	٢	ثلاثة	ثلاث	١٧٥	٢٤	١	والعرمة	والعرصة
٦٥	١	١	طول في مثلها عوض	طولاً في مثلها عرضاً	١٩٦	٩	٩	صارا	صاروا
٧٣	٢	٥	١٢٠ هـ	١٢٥ هـ	٢٠٠	٢٣	٨	ليتشاورا	ليتشاوروا
٨٢	٨	١	نازلاً	نازل	٢١٢	٥	١٢	الف	الاف
٨٢	١٥	١٥	القيال	القتال	٢١٦	١١	٤	محاصراً	محاصر
٩٥	١	١	مكررها	مكروهاً	٢٢٥	١٦	١١	٥٠٧ هـ	٤٠٧ هـ
٩٨	١٧	١	اثنين	اثنتين	٢٢٦	٣	٧	اتفوا	اتفقوا
١٠٠	١٧	١	اخ	اخي	٢٢٧	١	٢	المعتمذ	المعتمد
١٨٦	٣	٩	»	»	٢٠٣	٢٠	٧	عوضاً	عوض

صفحة	سطر	كلمة	خطأ	صواب
٢٣٧	٢	١٢	٩٢٦ م	٩٢١م
٢٣٩	١	١٤	الغ فيه	العافية
٢٣٩	٢	١٠	«	«
٢٦٦	٢١	١	عليها	واستولى عليها
٢٢٧	١١	٣	٢٢٢هـ	٢٢٥ هـ
٢٢٧	١٦	٣	٢٢٦ هـ	٢٣٦ هـ
٢٨٨	١١	٧	وقتله	وقاتله
٢٩٧	٨	١	وامده	وامره

صفحة	سطر	كلمة	خطأ	صواب
٣٣٦	٢٠	٥	اباكورة	اباركوة
٣٤٢	١١	٩	الفلاج	الفلاح
٣٧٨	٢	٩	الشعب	الشغب
٣٨٤	١	٥	بهاء الدولة	بهاء الدولة
حيثماوردت بين			ابن	بن وليست باول
علمين				السطر
حيثما وردت			بن	ابن
باول السطر				

ويوجد اغلاط اخرى لا تخفى على فطنة القارىء فاغضينا النظر عن تصحيحها



